

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي



جامعة 8 ماي 1945 قالمة  
UNIVERSITE 8 MAI 1945 GUELMA

الكلية: الآداب واللغات.

القسم : اللغة والأدب العربي.

مخبر التوطين: مخبر الدراسات اللغوية والأدبية.

## أطروحة

### لنيل شهادة الدكتوراه في الطور الثالث

الميدان: اللغة والأدب العربي الشعبة: دراسات أدبية

الاختصاص: دراسات أدبية

من إعداد:

نهاد حسني

## بعنوان

تجليات الهوية في الرواية الجزائرية " عمارة لخص ، ياسمينه خضرا أنموذجا"

أمام لجنة المناقشة المكونة من:

بتاريخ: 26/04/2022

الاسم واللقب	الرتبة	المؤسسة	الصفة
عبد العزيز بومهرة	أستاذ التعليم العالي	جامعة 8 ماي 1945 قالمة-	رئيسا
ميلود قيدوم	أستاذ التعليم العالي	جامعة 8 ماي 1945 -قالمة-	مشرفا ومقررا
محمد أسلوغة	أستاذ التعليم العالي	جامعة باجي مختار -عنابة-	ممتحنا
نادية موات	أستاذ محاضر -أ-	جامعة 8 ماي 1945 -قالمة-	ممتحنا
عماد شارف	أستاذ محاضر -أ-	ج.م. ش. م -سوق هراس-	ممتحنا
علي طرش	أستاذ محاضر -أ-	جامعة 8 ماي 1945 -قالمة-	ممتحنا

السنة الجامعية: 2021/2022

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

## شكر وعرfan

بسم الله الرحمن الرحيم.

... "ولئن شكرتم لأزيدنكم"... الآية [7] من سورة ابراهيم

صدق الله العظيم.

إنّ الفضل لله نحمده ونشكره على نعمة التوفيق ونية الاجتهاد في العمل، ولأنّ الله أوصى به وبحفظ الأمانة وبذكر الفضل فمن دواعي سروري الإقرار بالفضل لأهله والاعتراف لهم بالجميل، فذاك من سنن الأوصاف وشيم الوفاء.

أتقدم بالشكر الخالص إلى من كان همة عالية وروحاً سامية ونفساً علمية لإنجاز هذا البحث منذ أن كان فكرة حتى أصبح وليداً يرى النور، الأستاذ الدكتور "ميلود قيدوم" الذي غمرني بعلمه وتوجيهاته، كما أشكره على هامش الحرية التي منحني إياها أثناء البحث وأيضاً صبره وتواضعه الذي زاده عزة ورفعة.

كما أجزل فائق الشكر والامتنان للأستاذة القديرة: الدكتورة نادية موات التي لم تبخل علي بعطائها العلمي.

والشكر موصول لأعضاء اللجنة الفاحصة، لتفضلهم عليّ بقبول مناقشة هذه الرسالة، فهم أهل لسد خللها وتقويم عوجها، وتصويب هناتها. دتمم أساتذتي الأفاضل دخرأً للجامعة الجزائرية.

# مقدمة

تُعَدُّ قضية "الهوية" من أكثر القضايا هيمنة على الأعمال الأدبية والنقدية منذ ربح من الزمن، فقد كانت ومازالت الشغل الشاغل لمعظم الأدباء والروائيين العرب بعامه، والجزائريين بخاصة، وقد اهتمت الرواية الجزائرية المعاصرة بمسألة الهوية التي شكلت خصوصيتها الأساسية، لتعكس من خلال معالجتها لهذه المسألة تساؤلات الفرد الجزائري عن العلاقة التي تربطه بأرضه، وبدينه، وبلغته، وهذا ما جسده الكثير من الروايات الجزائرية المعاصرة.

ظلت الهوية مسألة ثقافية قائمة تطرحها المتون الروائية الجزائرية ما بعد الكولونيالية بقوة، كاشفة عن تأثيراتها النفسية والاجتماعية في ذات الفرد، لتظل بذلك إشكالية معقدة تقوم معها إجابات احتمالية نسبية يقدمها المتلقي المتعدد وفقاً لمرجعته الثقافية، والاجتماعية، والدينية، والأيدولوجية، لكن أمام هذا الطرح، تميز الخطاب الروائي الجزائري المعاصر، بالدعوة للعودة إلى الذات والتمسك بها، والارتباط بالأرض والوطن باعتبارهما من أهم المكونات الرئيسية التي تحدد انتماء الأشخاص، ما جعل بعض الأعمال محل انتقاد وجدل لأن في طرحها نوعاً من الرضوخ والاستيلاء على مستوى الهوية، أمام الآخر الذي يُشكل أزمة تشظي وانفلات على كافة المستويات.

تُشكل روايتنا "كيف ترضع من الذئبة دون أن تعضك" "لعمارة لخصوص"، ورواية «فضل الليل على النهار» "لياسمينه خضرا"، نموذجاً لمأزق الهوية التي عرفها الفرد الجزائري في حقبة سابقة، ومازال تأثيرها يلقي بظلاله عليه إلى يومنا هذا.

ومثلت هاتين المدونتين أرضاً خصبة لإعادة قراءة الهوية وتحليلاتها في ضوء ما تعرفه الرواية من تغيرات على مستوى القضايا العالمية، والمسائل الفكرية التي تحضر في الرواية بشكل متميز لا يخلو من الابتكار والجددة في الطرح، فتجاوزت الهوية اليوم صراع الأطر الضيقة لتتحول إلى صراع عالمي بين أطراف متناحرة غير متوازنة طرحها الروائيون في شكل أزمة هوياتية قائمة على أساس ثنائيات شتى أبرزها ثنائية (المركز/الهامش)، (الأنا/الأخر)، (الشرق/الغرب).



لا يتوقف اختياري لهذين الكاتبين ومدونتيهما عند الاعتبار الإبداعي الصرف، ولا يتصل أيضاً بأفكارهما وطروحاتهما الثقافية والفكرية اللافتة بل يتعدى ذلك إلى الكيفية التي تناول كل منهما، فقد نرى "عمارة لخص" يهتم بإشكالية الهوية من خلال صورة المهاجر، وأزمة انتمائه في بلاد المهجر، ومدى التعسف، والعنصرية، والظلم الذي لقيه هناك، في حين ركز "ياسمينه خضرا" على الهوية من منظور الآخر المستعمر، لبيّن مدى خصوصية الذات الجزائرية أمام الآخر المستعمر، فصار الخيط الرابط الذي يجمع العاملين هو تشظي الهوية والدعوة إلى التسامح، والانفتاح على الآخر الذي يُشكل جزءاً من ذاتنا.

وبغض النظر عن المكانة الكبيرة التي يحتلها موضوع الهوية في الساحة الأدبية، جاءت فكرة دراسة هذا الموضوع ضمن النصوص الروائية الجزائرية نظراً للخصوصية التي تمثلها ظاهرة الهوية باعتبارها تيمة مهمّة، حظيت باهتمام كبير من طرف الباحثين.

وقد أفضى البحث الموسوم بـ "تجليات الهوية في الرواية الجزائرية عمارة لخص ياسمينه خضرا" أنموذجاً إلى إشكالية رئيسية هي: ماهي تمثيلات الهوية في روايتي "عمارة لخص" و"ياسمينه خضرا" وقد تفرع عنها جملة من الإشكاليات نجملها فيما يأتي:

- كيف تجلت الهوية في الرواية الجزائرية عموماً؟ وعند "عمارة لخص" و"ياسمينه خضرا" خصوصاً؟ وماهي أبرز الإشكاليات التي طرحها كل من "عمارة لخص" و"ياسمينه خضرا" من خلال شخصيات روايتهما.

- هل كانت الهوية واحدة عند الكاتبين، أم أنّ لكل كاتب مرجعيته الفكرية، والثقافية، والايديولوجية؟  
- هل تمكنت الرواية الجزائرية المكتوبة باللّغة الفرنسية أن تعكس موضوعات الهوية والانتماء على الرغم من اختلاف لغتها؟

- كيف تظهت الهوية في علاقتها الأنا والآخر عند الروائيين؟



- ماهي أسباب أزمة الهوية في رواية "كيف ترضع من الذئبة دون أن تعضك" وفضل الليل على النهار".

ويهدف هذا البحث الموسوم بـ "تجليات الهوية في الرواية الجزائرية عمارة لخص ياسمينه خضرا أنموذجاً"، إلى تحقيق الأهداف الآتية:

- ✓ تسليط الضوء على موضوع الهوية باعتبارها إحدى أهم ركائز الذات الإنسانية، وباعتبار أن البحث في الهوية هو البحث في التاريخ، والذات، واللغة.
- ✓ تقصي تمثيلات الهوية في المتن الروائي الجزائري الذي يُشكل ظاهرة لافتة للنظر.
- ✓ البحث في خصوصية الهوية عند كاتبين جزائريين أحدهم يصورها على أرض الوطن وهو "ياسمينه خضرا"، والآخر يصورها في المهجر وهو "عمارة لخص".

ويرجع اختياري لموضوع "تجليات الهوية في الرواية الجزائرية عمارة لخص وياسمينه خضرا أنموذجاً"، إلى أسباب كثيرة، أبرزها العامل الذاتي:

- الذي يرتبط بشغفي بكل ما يتعلق بالهوية ومقوماتها سواء كانت مادية ومعنوية، وولعي بجنس الرواية عموماً الذي أجد لذة كبيرة في قراءته والتفاعل مع أحداثه وشخصياته.

- ولعل تعلقي بروايات "عمارة لخص وياسمينه خضرا" زاد من إصراري على هذا الموضوع نظراً لكون أعمالهما الروائية تقع في نفسي موقعا حسناً.

وأما العامل الموضوعي:

ويتعلق بالحضور المكثف لظاهرة الهوية في الرواية الجزائرية بعامة وروايتي "كيف ترضع من الذئبة دون أن تعضك"، و"فضل الليل على النهار" بخاصة اللتين تمحورت موضوعهما حول تيمة الهوية، وتمثلتها بالنظر إلى السياقات التاريخية، والثقافية التي تشكلت فيه.

-زيادة رصيد المكتبة ببحث يتوخى العلمية، والموضوعية ما أمكنه إلى ذلك سييلا، ويسلط الضوء على الأدب الجزائريّ تحديدا تلبية لطموح علمي يهدف إلى التصدي لبعض متونه بالدراسات والتحليل.

وتتمثل أهمية هذا البحث في الكشف عن الخطاب الهووي المتعصب إلى الذات، وبروز الأنا الراضة للآخر في معظم الأعمال، والمتمركزة حول نفسها أفلس منذ زمن بعيد، ومن ثمة لا بدّ من قراءة جديدة للهويّة واستثمار جديد لمكوناتها، حتى لا يعزل الأدب عما يدور في الساحة السياسيّة، والاجتماعيّة، والتاريخيّة من تطورات لا بدّ من مواكبتها.

ولا أدعي زيادة لطح في هذا الموضوع فمعلوم كثرة الدراسات التي تناولته سواء ما تعلق منها بالمتن الروائي العربيّ، أو بالمتن الجزائريّ نفسه، ومن أهم الدراسات ذات الصلة بالموضوع، وكانت سباقة في تناول جوانب بحثنا نذكر:

-تمثلات الهويّة والآخر في الرواية الجزائرية-مالك حداد نموذجا-لخليف هوارية، رسالة دكتوراه، جامعة الجليلي اليابس، سيدي بلعباس، 2018. الذي بحث فيه عن موضوع الهويّة والآخر لدى مالك حداد، فصور لنا الاستعمار الفرنسيّ في صورة الآخر ووضعت في الهامش، بعدما كان هو المحور والمركز.

-مقال للباحث عبد الله شطاح "تخييل الزمن الكولونيالي "ازدواجيّة الخطاب وتمزقات الذات والهويّة في رواية ما يدين به النهار لليل "لياسمينة خضرا، وتدور هذه الدراسة حول تشظيات ذات الفرد، واكتسابه هوية جديدة بفعل العامل الاستعماري الذي أفرز العديد من التبعات.

-ومقال آخر للباحث توفيق شابو موسوم بـ "النوستالجيا الكولونياليّة وأعطاب الذاكرة في رواية في رواية فضل الليل على النهار "لياسمينة خضرا"، وتركز هذه الدراسة على مقارنة الدلالات النسقية المضمرة داخل المتن الروائي والتي تتمحور حول قضايا كانت ومازالت ترهّن داخل الوضعيات التاريخيّة والأيدولوجيّة.



تجليي الأنا والآخر في تجربة عمارة لخصوص الروائية - كيف ترضع من الذئبة دون أن تعضك والقاهرة الصغيرة أنموذجاً، لأحلام العلمي. وقد رصد هذا المقال أبرز تجليات الأنا والآخر في الروائيتين، في ظل ثنائية الشرق والغرب.

غير أنّ هذا البحث الذي تقاطع في بعض النقاط مع مجمل الدراسات التي ذكرت آنفاً انفراداً عنها بجمعه بين روايتين مختلفتين، وللمحاولة عرض وكشف مكونات الهوية الجزائرية من منظور حضاري ينادي بحوار الحضارات بدل الصدام والنزاع، وكشف تمسك الفرد الجزائريّ بهويته الوطنية أمام تيارات الغرب.

وقد توزع البحث على أربعة فصول تسبقها مقدمة وتذييلها خاتمة، أما الفصل الأول فجاء موسوماً ب: الهوية المصطلح والمفهوم، ورصد مفهوم الهوية لغة واصطلاحاً، وتناول المصطلحات المتداخلة معها وعلى رأسها: الهوية والأنا، الهوية والانتماء، الهوية والعملة، الهوية والشخصية، والاعتراب.

وأما الفصل الثاني فأبرزت فيه "تجليات الهوية في رواية كيف ترضع من الذئبة دون أن تعضك"، وتضمن أربعة مباحث عالجت مواضيع مختلفة، كالهوية والتاريخ وفيه تطرقنا إلى الأرض والتاريخ، والهوية اللغوية وسلطانها فيه الضوء على اللغة وعلاقتها بالهوية ودلالة الأسماء، والمبحث الثالث وسمناه بـ الهوية الاجتماعية، وفيه تناولنا نسق الطعام، نسق العادات والتقاليد، والعلاقات الإنسانية (التنشئة الاجتماعية، صلة القرابة، الأسس الاجتماعية)، أما المبحث الرابع: الهوية الثقافية، وركزنا على الرموز الثقافية الحافلة في الرواية، الموروث الثقافيّ الفكريّ، الأمثال والحكم... إلخ.

وتوزع الفصل الثالث الموسوم بـ "تجليات الهوية في رواية 'فضل الليل على النهار' على المباحث نفسها، فرصد مكونات الهوية، كاشفاً عما تضمنه خطاب الهوية في هذه الرواية.

ولعل ما يلفت النظر هو أنّ ظاهرة الأنا والآخر قد برزت بشكل مكثف في المدونتين موضوع الدراسة ما جعلنا نفردها فصلاً مستقلاً، حمل العنوان ذاته، "تفاعل الأنا والآخر في الروائيتين"، وتعرضنا فيه إلى أربعة مباحث، المبحث الأول تفاعل الأنا المغتربة مع الآخر، والمبحث الثاني: تفاعل



الفرنسيّ مع الآخر الجزائريّ، والمبحث الثالث، تفاعل الإيطالي مع الآخر، والمبحث الرابع، أبرز تجليات الصراع في الروايتين.

وقد اخترنا هذه الخطة في ظل ما يبيحه المنهج التكاملي من إمكانيات التأويل نظرا لكونه المنهج الأنسب لطبيعة البحث ولتمتعته بمرونة كبيرة في التعامل مع المدونتين بالإضافة إلى استفادته من آليات المناهج الأخرى حسب ما تتطلبه طبيعة الموضوع.

وعرضت نتائج البحث في خاتمة مجملته لأهم ما توصل إليه الموضوع، وقد كانت أجوبة عن الأسئلة التي شكلت صلب هذا البحث وارتبطت بالهدف الذي سعيت إلى تحقيقه.

استند الموضوع إلى جملة من المصادر والمراجع التي كانت سندا قويا لها، من أهمها:

- رمزي بعلبكي وآخرون، الهوية وقضاياها في الوعي العربي المعاصر.

- أليكس ميكشيللي، الهوية.

- أحمد منور، الأدب الجزائري باللسان الفرنسي.

وغيرها من المراجع التي دعمت وأثرت البحث.

ولا يخلو البحث من صعوبات جمّة يُمكن حصرها فيما يلي:

✓ إشكالية الترجمة من النص الأصلي المكتوب باللّغة الفرنسيّة إلى اللّغة العربيّة، ولأجل ذلك اعتمد البحث بترجمة "محمد ساري" في رواية "فضل الليل على النهار" التي رأيت أنها الأنسب.

✓ قلة الدّراسات التي تناولت الروايتين بالبحث والتنقيب.

✓ صعوبة التحكم في المادة المعرفيّة لكثرتها وتنوعها، وتشعبها.

✓ شساعة موضوع الهوية، واختلاف وجهات النظر حوله.

وفي الأخير أتقدم بالشكر الجزيل للأستاذ المشرف على هذا البحث الأستاذ الدكتور "ميلود قيديم"، الذي لم ييخل علي بنصائحه وتوجيهاته في سبيل إخراج هذا البحث، والذي أوصله إلى نهايته بحرصه الشديد وتسهيله لكل صعب. كما أتقدم بالشكر والعرفان إلى جامعة 8ماي 1945-قلمة- وإلى قسم اللغة والأدب العربي، كما أتقدم بأسمى عبارات الامتنان والعرفان إلى اللجنة الفاحصة التي تحملت عناء القراءة والتصويب، وإلى كل من ساعدني من قريب أو بعيد إلى هؤلاء جميعاً الشكر والتقدير.

قلمة في: 2021/08/16.

# الفصل الأول:

الهوية: المصطلح والمفهوم.

أولاً: مفهوم الهوية.

ثانياً: خصائص الهوية.

ثالثاً: الهوية والمصطلحات المتداخلة.

تمهيد:

تُعَدُّ قضية الهوية من بين القضايا التي شغلت بال الكثيرين وأسالت حبر نقاد بارزين، وعُدَّت من أعقد المشكلات التي تُواجه المجتمعات في العصر الراهن كونها تتسم بالغموض وللاستقرار التاجم عن التطور الدائم لهذا المفهوم.

تعتبر "الهوية" شكلاً من أشكال المقاومة الثقافية أمام المؤثرات الخارجية التي من شأنها المساس بثقافات الشعوب، فتبلورت فكرة الهوية مع خمسينيات وستينيات القرن الماضي وكان الدافع الأساسي لبزوغها هو الاحتكاك الثقافي بين الشعوب (Interculturel).

مثل موضوع الهوية في مجتمعاتنا المعاصرة موضوعاً خصباً لطلما أرق الكتاب والباحثين في هذا المجال. حمل الإبداع الأدبي الجزائري في طياته ملمحاً مهماً من ملامح الهوية، ونجم عن تلك الأعمال الإبداعية رؤية فنية خاصة تُعبر عن الواقع بكل أبعاده ولما كان النص الروائي كلاماً غير علمي ارتبط غالباً باللغة التي كُتبت بها وبثقافة الكاتب الذي عمل جاهداً على إبداع فن غير عادي يُواكب هوية أبطال هذا العمل، فإنه بالإمكان تحديد شخصياتها وانتماءاتها العرقية وبالتالي جاءت مشكلة الهوية نتيجة المشاكل التي تعرض لها المهاجرون العرب في مجتمعات غربية متنوعة بخلفياتها الثقافية، والإيديولوجية، والمذهبية، والسياسية... وغيرها.

انطلاقاً من هذا التصور ينبغي البحث عن مصطلح الهوية لتجاوز العقبات المطروحة حتى تنصهر ثقافتنا في بوتقة الهوية القومية الواحدة.

## أولاً: مفهوم الهوية (لغة واصطلاحاً)

نستقي مفهوم الهوية من منهلين أحدهما لغوي والآخر اصطلاحاً.

### 1/ الهوية لغة:

ورد مفهوم الهوية في القاموس المحيط «هواء الجوّ والهاوية التي تُؤدي بك إلى الميل من مكانك، كما أقول أيضاً على الشيء الذي يتخلّله فجوه»<sup>1</sup>. احتفى مفهوم الهوية في هذا الطرح بمعنى بعيد عن المفهوم المتداول لدى القارئ، إذ تدل على الجو القريب من سطح الأرض والذي يلاصقها والهواء الذي نستنشق، كما تدل على الحفرة أو الفجوة، أو الفراغ البعيد.

قال ابن دُرَيْدٍ: "وَقَعَ فِي هُوَّةٍ، أَي بُعِرَ مُغَطَّاةً، وَأَنْشَدَ:

إِنَّكَ لَوْ أُعْطِيتَ أَرْجَاءَ هُوَّةٍ      مُعَمَّسَةً لَا يُسْتَبَانُ تُرَابُهَا

بَثْوَبِكَ فِي الظُّلْمَاءِ ثُمَّ دَعَوْتَنِي      لَجِئْتُ إِلَيْهَا سَادِمًا لَا أَهَابُهَا.

وَأَمَّا صَعْرُهَا الشَّمَاخُ لِلتَّهْوِيلِ»<sup>2</sup>.

يُوحِي معنى الهوية هنا لثبات الشيء واستقامته رغم ما يطرأ عليه من تغيرات.

### 2/ الهوية اصطلاحاً:

تتعدد تعريفات الهوية بتعدد المجالات المعرفية وتنوع المرجعيات الفكرية وسنحاول الوقوف على

بعضها.

<sup>1</sup> - الفيروز آبادي، القاموس المحيط، تح: محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر، لبنان، بيروت، ط8، 2005، ص1348.

<sup>2</sup> - الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، تح: مجموعة من المحققين، دار الهداية، القاهرة، ج40، ص324.

أ/ الهوية في المنظور النقدي والأدبي:

إن انتشار مفهوم الهوية بهذا الشكل الواسع يؤكد لا محالة على قضية الاتساع الدلالي الذي اجتاحت هذا المصطلح، فاكتمت المعاجم النقدية والأدبية على اختلافها وراح النقاد والأدباء يتداولونها في طروحاتهم.

بين معجم أكسفورد أن «الاستعمالات الأولى للمفهوم فيما يتعلق بالفرد لم تحصل إلا في القرن السابع عشر، في هذا الوقت جاءت إلى ما يُسميها ستوارت هول ب (ذات التنوير) استنادًا إلى «مفهوم الشخص الإنساني باعتباره متركزًا تمامًا، وفردًا موحدًا، مُنح قدرات العقل والوعي والفعل... فكان المرتكز الجوهرية للذات هو هوية الشخص»<sup>1</sup>.

إذا تستمد الهوية شرعيتها من خلال شخصية الفرد أو جوهره وذاته فصارت الذات في السير الذاتية تنحو إلى الانتظام حول مجموعة من الصفات الثقافية الأخرى، كالخاصية، والشخصية، والتجربة، والموقع الاجتماعي، وأسلوب الحياة، في بُعد آخر «يعني سؤال الهوية بطرق محددة في تحيل جماعات اجتماعية وتأسيسها، والانتماء الجماعي لها، في حالة الهوية الجمعية، نستطيع القول أيضًا إن مبادئ الوحدة، والاستمرارية قد وضعت في الصدارة وعمل منطق الهوية لصالح الكمال والتماسك في ضوء العلاقة، بما صار يُعرف على أنه الذات الجمعية»<sup>2</sup>، وبهذا تكون "كلمة الهوية" مقترنة بجماعة يُحددها نفس الانتماء وهكذا فإن المعاجم المعاصرة تستخدم المصطلح نتيجة احتكاك المجتمعات بسبب ظاهرة العولمة وكل معجم يُقدم مفهومًا مغايرًا عن الآخر.

<sup>1</sup> طوني بينيت، لورانس غروسبيرغ، ميغان موريس، مفاتيح اصطلاحية جديدة - معجم مصطلحات الثقافة والمجتمع -، تر: سعيد الغانمي، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، ط1، 2010، 704.

<sup>2</sup> - المصدر نفسه، ص701.

أما الهوية في المعاجم العربية المعاصرة فقد لبست ثوباً آخر، ففي "معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة" يشير "سعيد علوش" عند تطرقه مفهوم "الهوية"، إلى جملة من النقاط أهمها<sup>1</sup>:

1- يتعارض مفهوم (الهوية)، مع مفهوم (الغيرية).

2- وتستعمل (الهوية) للإشارة إلى المبدأ الدائم، الذي يسمح للفرد، بأن يبقى (هو) (هو)، وأن يستمر في كائه، عبر وجوه السرد، على الرغم من التغيرات التي يسببها أو يعانها.

3- ونقصد بـ (اكتشاف الهوية)، مظهرًا من مظاهر التأويل، عند قارئ التعبير حين يُقابل بين عالم الخطاب أو جزءا من هذا العالم، وعالمه الخاص "مثال القارئ الذي يجد هويته في بطل الرواية".

اهتم المفكرون والعلماء بظاهرة الهوية التي تفتت في الآونة الأخيرة بشكل منقطع النظير، بسبب ما تعرضت له مجتمعاتنا العربية من مخاطر الذوبان في ثقافات الغير، فصاحب هذا الانتماء للغير ظواهر سلبية عديدة كالاستيلاء الثقافي الذي هدّد ثقافة الشعوب، وهويتها، ما زاد من استعمالها في مجالات شتى فتداولها علماء الاجتماع، والأنثروبولوجيا، وعلم النفس، والأدب... وغيرها، فأضحت أكثر رواجًا، وشيوعًا، ونفوذًا، فمن بين التعريفات التي أسسوها لمصطلح الهوية. «يتحدد مفهوم "الهوية" بناءً على الدلالة اللغوية والفلسفية، والسوسيولوجية والتاريخية لهذا المصطلح، ويُقابل مصطلح الهوية العربي كلمة (Identité) و (Identity) في الفرنسية والإنجليزية وهو من أصل لاتيني ويعني: الشيء نفسه أو الشيء الذي هو ما هو عليه أي أنّ الشيء له الطبيعة نفسها التي للشيء الآخر، كما يعني هذا المصطلح في اللغة الفرنسية: مجموع المواصفات التي تجعل من شخص ما هو عينه شخص معروف أو متعين»<sup>2</sup>، تفتح الهوية مجالات شتى، فموضوعها ما يزال يثير جدلاً كبيراً في الساحة الأدبية، «والهوية في اللغة العربية مصدر صناعي مركّب من "هو" ضمير المفرد الغائب المعرف بأداة التعريف "ال" ومن

<sup>1</sup> - سعيد علوش، معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة، دار الكتاب اللبناني، بيروت، سوشيريس، الدار البيضاء، ط1، 1985، ص225.

<sup>2</sup> - رمزي بعلبكي وآخرون، الهوية وقضاياها في الوعي العربي المعاصر، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، ط1، 2013، ص23.



اللاحقة المتمثلة بالـ "ي" المشددة وعلامة التأنيث، أي "ه" وفي الفرنسية والإنكليزية واللاتينية يعني لفظ "Iden" أو "id" ضمير الإشارة للغائب بمعنى هو ذاته، ويستعمل هذا الضمير للدلالة أحياناً على الاختصار وعدم التكرار عند الإشارة إلى شيء محدد<sup>1</sup>، يجب أن نبين أن البحث في الهوية هو بحث مزدوج باللغتين العربية، والفرنسية، إنه بحث في الهوية وبحث عن الهوية، وكلاهما يختلف عن الآخر في موضوعه ف«البحث في الهوية بحث صنع لهذه الهوية، ومتابعة لصنعها باستمرار، أما البحث عنها، فيعني أن الهوية منجزة ولكنها ضائعة يجب البحث عنها لاستردادها»<sup>2</sup>. من خلال هذا التعريف نستطيع التمييز بين في الهوية وعن الهوية إذ أن البحث في الهوية يرتدي طابع العلمية أي يحمل بُعداً فلسفياً في حين البحث عنها يبتعد عن العلمية ويكتسي طابعاً ايديولوجياً يُوحى عن موقف صاحبه.

وفي تراثنا الفكري العربي تعريفات كثيرة فعند الجرجاني «هي الأمر المتعقل من حيث امتيازه من الأغيار»<sup>3</sup>. وضمن هذه التصورات لمفهوم الهوية هناك من ينحو منحى آخر ويرى «أنها عناصر التراكيب في علاقاتها الداخلية التي تُعطي للكائن خصائصه الأساسية والتي تصل بالوسط الخارجي طبيعياً أو غير طبيعي، ومنه يتضح أن الهوية ليست كياناً ثابتاً ومطلقاً، وإنما هو متغير»<sup>4</sup>، وبالتالي تكون الهوية غير ثابتة ومستقرة كما هو الشائع بل تتحول وتتغير بحسب علاقاتها الداخلية والخارجية.

إذاً مفهوم الهوية «يُطلق على نسق المعايير التي يُعرف بها الفرد ويُعرف وينسحب ذلك على هوية الجماعة، والمجتمع، والثقافة»<sup>5</sup>، ومن هنا يرتبط مفهومها بالبُعد الإيديولوجي أكثر منه بالبعد العلمي، باعتبار أن هوية الفرد ممكن التعبير عنها من خلال الدين أو اللغة أو الوطن وكلها عناصر متغيرة حسب طريقة استعمالها ومن هنا طُرح سؤال الهوية كونه أكثر المفاهيم المركزية التي تُسجل حضورها الدائم في

<sup>1</sup> -رمزي بعلبكي وآخرون، الهوية وقضاياها في الوعي العربي المعاصر، ص23.

<sup>2</sup> -محمد راتب الخلاق، نحن والآخر (دراسة في بعض الثنائيات المتداولة في الفكر العربي الحديث المعاصر)، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، د. ط، 1997، ص53.

<sup>3</sup> -رمزي بعلبكي وآخرون، الهوية وقضاياها في الوعي العربي المعاصر، ص23.

<sup>4</sup> -رزان محمود إبراهيم، خطاب النهضة والتقدم في الرواية العربية المعاصرة، دار الشرق، مصر، ط1، 2003، ص215.

<sup>5</sup> -أليكس ميكشيللي، الهوية، تر: على طفة، دار النشر الفرنسية، دار الوسيم للخدمات المطبعية، دمشق، ط1، 1993، ص07.

مجالات علمية متعددة ولاسيما في مجال العلوم الإنسانية ذات الطابع الاجتماعي وبالتالي من أوسع المفاهيم تغلغلاً في عمق حياتنا الثقافية والاجتماعية اليومية وأكثرها شيوعاً ورواجاً كان لا بد من الوقوف على مقارنة الحدود النظرية للمفهوم بحسب المنطلقات الفكرية والايديولوجية له.

### ب/ الهوية في المنظور الفلسفي:

أخذ مفهوم الهوية يستأثر منذ عقود ماضية بجهود كثير من الفلاسفة والمفكرين، وكانت بدايتها مع الفكر الفلسفي اليوناني الذي طالما سأل عن "ماهية الوجود" «فاشتقت لفظة الهوية لديهم من الكلمة اللاتينية Soi، أي ما يُقابل الأنا، وما يطلق على الغير، وليس بيسير دائماً أن يضع الإنسان نفسه، موضوع غيره تماماً هو هو «Identique» وبالتالي جاء تحديدهم ب:

- هو مطابقة الشيء، وما يشبهه من كل وجه وإن تميز منه.
- ما يراد بالهو هو أساساً ما يبقى دائماً ثابتاً بالرغم مما يطرأ عليه من تغيرات فالجوهر "هو هو" وإن تغيرت أغراضه»<sup>1</sup>.

والهوية عند لالاند «في موسوعته الفلسفية تعني: "ميزة فرد، أو كائن يمكن من هذا الوجه تشبيهه بفرد يُقال له أنه مُتماه، بالمعنى (ب) أو إنه (هو ذاته) في مختلف فترات وجوده (هوية الأنا) التعرف إلى هوية فرد محكوم...»<sup>2</sup>، نجد أنّ القدامى وعلى اختلاف مشاربهم استعملوا لفظة هوية (بضم الهاء)، التي نحتويها من الضمير (هو) المقابل للفظة (إستين) اليونانية والتي تدل على مفهوم (الوجود) حسب ما أوحى إليه أرسطو، «لكن مع ظهور الفلسفة الحديثة انزاح مفهوم الهوية من فلسفة (الوجود) إلى الدلالة على الذات (sujet)، فتحول المعنى من مفهوم (الشيء المفكر) إلى (لفظة أنا أفكر) أو عبارة أرسطو الشهيرة (أنا أفكر إذن أنا موجود) أو الكوجيتو (cogito) الديكارتي أمّا اليوم فقد حدث

<sup>1</sup>- إبراهيم مذكور، المعجم الفلسفي، -معجم اللغة العربية- عالم الكتب، بيروت، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، القاهرة، 1989، ص 207.

<sup>2</sup>- أندري لالاند، موسوعة لالاند الفلسفية، تعريب: خليل أحمد خليل، منشورات عويدات، بيروت، ط2، ص 607.

انزياح آخر للمصطلح من لفظة الهوية (Ipséité) في مستوى اللغة الفلسفية إلى لفظة الهوية بفتح الهاء (Identité) التي تُشير إلى نحن في مستوى الأنثروبولوجيا والثقافة في ضوء النقد ما بعد الحدث»<sup>1</sup>.

وإذا انتقلنا إلى الفلسفة المعاصرة مع "دلتاي" (Dilthey) فإنه يقول «...أقترح الالتفاف من خلال صيغ السرد الخيالية، لا ريب أنّ إشكالية التماسك والبقاء في الزمان، أو بعبارة وجيزة إشكالية الهوية توجد هناك، وقد ارتفعت لمستوى جديد من الوضوح، هناك يرتفع سؤال الهوية ويصل إلى جوهر السرد، استناداً على أطروحتي، يُولف السرد الخواص الدائمة لشخصية ما، هي ما يُمكن أن يسميها المرء هويته السردية، بناء نوع من الهوية الديناميكية المتحركة الموجودة في الحكمة التي تخلق الهوية الشخصية»<sup>2</sup>، فالهوية إذن هي ذلك المدى الرمزي الذي ننتمي إليه، يُشكلنا ونشكله بلا هوادة.

أمّا "الفارابي" (ت595هـ/950م) فيشير إلى أنّ «هوية الشيء: عينته وتشخصه، وخصوصيته ووجوده المتفرد له الذي لا يقع فيه إشراك، قال الهو هو معناه الوحدة والوجود...»<sup>3</sup>، وفي هذا السياق برزت العديد من المفاهيم حول الهوية، فيقول "ابن رشد" (ت1126م/1198م) في كتابه (تلخيص ما بعد الطبيعة): «إنّ الهوية تُقال بالترادف للمعنى الذي يُطلق على اسم الموجود إلّا أنّها ليست تنطلق على الصادق، وهي أيضاً من الألفاظ المنقولة، لأنّها عند الجمهور حرف وهنا اسم، ولذلك ألحق بها الطرف المختص بالأسماء، وهو الألف واللام»<sup>4</sup>، ومن هنا تعود كلمة الهوية إلى الذاتية، أي أنّ هوية الإنسان هو جوهره وحقيقته ومن ثمة يوجد «تكافؤ بين الهوية والذات والأنا»<sup>5</sup>، وبذلك نجد أنّ مصطلح الهوية يشمل معانٍ متنوعة بحسب سياقها المعرفي.

<sup>1</sup> -فتحى المسكيني، الهوية والزمان، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، ط1، 2001، ص7، 8، 9.

<sup>2</sup> -بول ريكور، الذات عينها الآخر، تر: جورج زيناني، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط1، 2005، ص149.

<sup>3</sup> -أبو نصر الفارابي، التعليقات، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر أباد الركن، 1349، ص21.

<sup>4</sup> -ابن رشد، تلخيص ما بعد الطبيعة، تح: عثمان أمين، القاهرة، مصر، د. ط، د.ت، ص11.

<sup>5</sup> -محمد مسلم، الهوية في مواجهة الاندماج عند الجيل المغاربي الثاني بفرنسا، وزارة الثقافة الجزائرية، الجزائر، د. ط، 2009، ص86.

لم يتوقف بحث الفلاسفة عند هذا الحد بل نجد "ستيوارت هول" (Sturt Hall) يُلخص صيرورة مصطلح الهوية عبر تطوره التاريخي من خلال ثلاث مراحل والتي تمثل ثلاث مفاهيم تلون بها عبر تاريخه: بداية بمرحلة ما قبل الحداثة ثم التنوير ثم علم الاجتماع، وأخيراً مرحلة ما بعد الحداثة «ففي المرحلة الأولى-وهي مرحلة ما قبل الحداثة-يرى "ستيوارت" أنّ موضوع الفرد والهوية الفردية كان يُمثل المحور الأساسي في التفكير وعموماً ترتبط فكرة هوية الفرد بالديانة والموقع الذي ولد فيه من خلال النظرة الكلاسيكية لتنظيم المجتمعات القائمة على إرادة الإله في وضع نظام ترتيبي للمجتمعات»<sup>1</sup>، فبرزت الهوية كعلم معرفي مستقل تعود جذوره البعيدة للفكر الإنساني بمعنى أنّها تقوم على فرز المجتمعات في مؤسسة القبيلة على أساس عرقي ونشأة المجتمعات الأولية القديمة على أساس من الدين والمعتقد.

وخلال هذه المرحلة تكون البدايات الأولى لتحديد مفهوم الهوية حسب "ستيوارت هول" بحيث تُحدّد معالم هوية الشخص حسب الثقافة السائدة وسبل تنظيم المجتمعات السائدة آنذاك فهوية الشخص تُحدّد حسب النظام الترابي وسط المجتمع أو بحسب القبيلة أو على الأساس العرقي.

ثم ينتقل إلى مرحلة التنوير والتي تمثل بداية الحداثة فيشير ستيوارت هول إلى تغير المفهوم ويحدد هذه الفترة «بالقرنين السادس عشر والثامن عشر حيث ظهر مفهوم جديد للهوية وأصبح هو المسيطر وهذا المفهوم الجديد للهوية له خاصيتان رئيستان: 1/ موضوع الفرد كان ينظر إليه كونه غير قابل للقسمة. فكل فرد له هوية بذاته وهذه موحدة ولا يمكن تجزئتها إلى وحدات أصغر، 2/ إنّ هوية كل فرد كانت متميزة (Unique) فالفرد لم يكن جزءاً من شيء أكبر (من السلسلة العظيمة للوجود) وإمّا كان يُنظر إليه باعتباره ذو هوية متميزة قائمة بذاتها»<sup>2</sup>، أشار "هول" إلى النقلة النوعية التي تعرض لها مصطلح الهوية في عصر التنوير فقد كان ينظر لها نظرة جامدة تتوجه إلى الفرد وتصنعه من خلال صفة واحدة

<sup>1</sup>-هارلبس وهولبورن، سوسيولوجيا الثقافة والهوية، تر: حاتم حميد محسن، دار كيوان للطباعة والنشر، دمشق، سوريا، ط1، 2010 ص94،95.

<sup>2</sup>-المرجع نفسه، ص95.

لكن هذه المرحلة حررت الفرد وسط المجتمع من خلال المفهوم الجديد للهوية والتي كان أساسه الفكر الديكارتي.

وبمجيئ القرنين التاسع عشر والعشرين (ميلادي) جاءت مرحلة جديدة سماها "هول" (علم الاجتماع) وبحسب رأيه في هذه الفترة التي أخذت فيها مفاهيم موضوع الهوية تتطور نتيجة تطور المجتمع، وتداخل العلاقات بين الأفراد ولم يعد الانتماء الطبقي مؤشراً كافياً لتحديد هوية الشخص نظراً لتعدد العلاقات الاجتماعية في المجتمعات بصفة عامة «ففي الماضي وفرت الطبقة الاجتماعية شيئاً من الهوية العليا (Master Identity) همشت الهويات الأخرى وكونت الأساس للصراعات السياسية وفي الستينيات والسبعينيات بدأ الناس بالاهتمام والتمحور حول قضايا غير الطبقة في تحديد هويتهم، فالحركات الاجتماعية الجديدة نشأت وهي مهمة بالعديد والهويات منها مثلاً صراع السود، التحرير الوطني، الحركات المناهضة للأسلحة النووية وحركات البيئة. وبدلاً من أن يشعر الناس بكونهم جزءاً من طبقة واحدة أصبحت هويتهم مجزأة طبقاً لجنسهم، قوميتهم، دينهم، أو العمر أو الوطن أو الرؤية نحو البيئة وغيرها»<sup>1</sup>.

ومع التطورات التي تشهدها الفلسفات المعاصرة فإن انعطاف الهوية نحو أسئلة بناء الذات وتشكلها يجعل من إشكالية الهوية معضلة فلسفية تحتاج إلى تسليط الضوء عليها في الدراسات المعاصرة.

### ج/الهوية من المنظور الاجتماعي (السوسيولوجي)

شغل مفهوم الهوية حيزاً كبيراً في مختلف العلوم الاجتماعية «مما زاد في صعوبة المفهوم وتعقيده وعدم إمكانية تحديده وكذا عدم القدرة على إعطائه مدلولاً صالحاً لكل هذه الميادين»<sup>2</sup>، فجاءت إرهابات المفكرين تتناول صعوبة هذا المصطلح ومدى تطوره عبر العصور، فارتبطت مشكلة الهوية حسب هذا الاتجاه «بهوية الشخص في الإطار الاجتماعي، أن يشعر بالهوية مع أشخاص المجتمع الذي يعيش

<sup>1</sup> - هارلمس وهولبورن، سوسيولوجيا الثقافة والهوية، ص 97، 98.

<sup>2</sup> - محمد مسلم، الهوية في مواجهة الاندماج، ص 82.

وينحو فيه الإطار وهو ما يسميه «جورج ميد G.mead» باسم "تعميم الغير" Generalized Other واندماج الذات فيه»<sup>1</sup>.

ومما زاد من صعوبة تحديد تعريف واضح للهوية في هذا المجال كونها تتعلق بالجماعة أو الاجتماع، وهذا ما نستشفه من خلال ما أكده "دونني كوش" «Denys Cuche» «إن ظاهرة الهويات تكون غالبًا خارجة عن نطاق الفكر العلمي»<sup>2</sup>، وبما أن علم الاجتماع يُعنى بكل ما هو جماعي كانت العادات والتقاليد والأعراف محط دراسته، وعلى هذا الأساس انبثقت الهوية من رحم السوسولوجيا، بمعنى «أنّ الهويات الاجتماعية تصنع وتشكل بواسطة الناس أنفسهم، وأنها أمر مكتسب ويجتهد في الحصول عليها، وأنّ الهوية تنتج ويُعاد إنتاجها من خلال التفاعل الاجتماعي وقد أشارت كلمة الهوية في عديد المرات إلى الكلمة العادية التي ترمز إلى معنى ماهية الناس»<sup>3</sup>، ولم يلبث مفهوم الهوية يُجدد انتماءه الدقيق، فكل باحث، أو مفكر، أو منظرٍ أعطى رؤيته الخاصة، فنجد "كيلبي هانوم" يستخدم «الهوية الاجتماعية في تصنيف الناس إلى مجموعات والانتساب إلى مجموعات معينة نرى أنّها مطابقة لنا والمقارنة بين المجموعات التي تنتمي إليها مع المجموعات الأخرى، والاعتقاد بأفضلية المجموعات التي تنتمي لها...»<sup>4</sup>، والحقيقة أنّ الهوية الاجتماعية أصبحت مركزًا مهمًا وبؤرة اتصال بين الأفراد داخل المجتمع، من خلال تعزيز الهوية في مختلف مناحي الحياة السوسولوجيا لهذا ربطها البعض بالخصائص الحضارية، والاجتماعية والشخصية للأفراد، ومن ثمة عبّر "أحمد بن النعمان" عن مفهوم الهوية بقوله: «اسم الكيان أو الوجود على حاله.. والهوية هي مجموعة الصفات أو السمات الثقافية العامة التي تمثل

<sup>1</sup> -عبد الرحمان بدوي، الموسوعة الفلسفية، المؤسسة العربية لطباعة والنشر، بيروت، ط1، 1984، ج2، ص569، 570.

<sup>2</sup> -d.cuche. la notion de la culture dans les sciences-sociales, casbah editions .alger, 1983,p83.

<sup>3</sup> -جون جوزيف، اللّغة والهوية (قومية، إثنية، دينية)، تر: عبد النور خراقي، عالم المعرفة، الكويت، أغسطس، د. ط، 2007، ص12.

<sup>4</sup> -كيلبي هانوم، الهوية الاجتماعية (معرفة الذات وقيادة الآخرين)، نق: خالد بن عبد الرحمن العوض، دار العتيكان للنشر، ط1، 2009، ص39.

الحد الأدنى المشترك بين جميع الأفراد الذين ينتمون إليها، والتي تجعلهم يعرفون ويتميزون بصفاتهم تلك عمّا سواهم من أفراد الأمم الأخرى»<sup>1</sup>.

ويضيف قائلاً: «الهوية هي البصمات الخاصة التي تجعل كل أفراد هذه الأمة أو تلك يتميزون بهويتهم الجماعية عن غيرهم من الشعوب والأمم»<sup>2</sup>، حين يستقرأُ الدراس هذه المفاهيم يجدها تتشعب وتتلون لتشمل الجوانب التاريخية، والنفسية، والسياسية، لتُقدم منظومة عناصر تُميز شعباً من الشعوب أو أمة من الأمم.

تبلور مفهوم الهوية عند "تايلور" **E. Taylor** بأنها: «الكلّ مركّب يشتمل على المعرفة والمعتقدات والفنون، والأخلاق، والقانون، والعرف، وغير ذلك من الإمكانيات، والعادات التي يكتسبها الإنسان باعتباره عضواً في مجتمع»<sup>3</sup>.

تعلق مفهوم الهوية من المنظور الاجتماعي بثقافة الأفراد التي يحيو فيها، إذ من خلالها كُرس هوية ثقافية عبرت عن مجموعة القيم والصفات الاثنوغرافية<sup>(\*)</sup> فجاء مفهوم الهوية البيولوجية كأحد أبرز التعاريف الذي فرض نفسه في علم الاجتماع.

يُقدم عالم الاجتماع "ميلر" (Miller) فإنه «يُعتبر مفهوم الهوية من المفاهيم الاجتماعية التي حفل بها التراث الاجتماعي التربوي، والهوية هي نمط الصفات الممكن ملاحظتها أو استنتاجها، والتي تظهر الشخص وتعرفه وتحدده لنفسه وللآخرين، وبهذا تقسيم الهوية إلى الهوية الذاتية (Self Identity) أي الشخص كما يرى نفسه، والهوية العامة الذاتية (Subjective Public

<sup>1</sup>- أحمد بن نعمان، الهوية الوطنية الحقائق والمغالطات، دار الأمة، الجزائر، د. ط، 1996، ص 21.

<sup>2</sup>- المرجع نفسه، ص 22.

<sup>3</sup>- علي سيد الصاوي، نظرية الثقافة، عالم المعرفة، الكويت، د. ط، 1997، ص 09.

(\*) الإثنوغرافيا: تُعنى بدراسة المظاهر المادية والثقافية للجماعة في مختلف الأمكنة، والأزمنة، والتي تبرز نتاج جهد الإنسان والسيطرة على بيئته الطبيعية، ومحاولة استغلال مواردها في سبيل قضاء حاجاته الأولية والضرورية والاجتماعية، كما تُصوّر التقدم العام الذي يظهر ديناميكية العقل الإنساني في محاولته السيطرة على الطبيعة. يُنظر: أحمد زكي بدر، معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية، ساحة رياضي الصلح، بيروت، د. ط، 1987، ص 140.

(Identity)، أي الشخص كما يتصوره الآخرون، والهوية العامة الموضوعية (Objective Public Identity)، أي الشخص كما يراه الآخرون»<sup>1</sup>، إذا «فالهوية شيء قابل للنقاش وتأثير عمليات التفاعل الإنساني، وهي تستلزم عمل مقارنات بين الناس كي تؤسس أوجه التشابه والاختلاف بينهم، فأولئك الذي يعتقدون بوجود التشابه بينهم وبين الآخرين يشتركون في هوية تتميز عن هوية الناس الذين يعتقدون أنهم مختلفون ولا يشتركون بذات الهوية»<sup>2</sup>، أي يجب تحديد الميزات الشخصية للفرد من خلال مقارنة حالته الاجتماعية العامة المعروفة في ذلك المجتمع، وهذه الميزات هي التي تُميز الأمم عن بعضها البعض، والتي تُعبر عن شخصياتها، وحضارتها، ووجودها.

وعليه يتأرجح مفهوم الهوية، إذا بين عدة مدلولات أهمها السمات التي تميز الفرد أو الجماعة عن غيره، كما ترمز من جانب آخر إلى ما هو أكثر خصوصية كاللغة، والثقافة، والتاريخ، والعرق «أي أُمَّة الشفرة التي يمكن للفرد عن طريقها أن يتعرف عليه الآخرون باعتبارها منتمياً إلى تلك الجماعة، وهي شفرة تتجمع عناصرها العرقية على مدار تاريخ الجماعة (التاريخ) من خلال تراثها الإبداعي (الثقافة) وطابع حياتها (الواقع الاجتماعي). بالإضافة إلى الشفرة تتجلى الهوية كذلك من خلال تعبيرات خارجية شائعة مثل: الرموز، الألحان، العادات، التي تنحصر قيمتها في أُمَّة عناصر معلنه تجاه الجماعات الأخرى، وهي أيضاً التي تُميز أصحاب هوية مشتركة عن سائر الهويات الأخرى ولكن الملامح الحقيقية للهوية هي التي تنتقل بالوراثة داخل الجماعة، وتظل محتفظة بوجودها وحيويتها بينهم مثل: الأساطير، والقيم، والتراث الثقافي»<sup>3</sup>، انطلاقاً من هذا فالهوية إذن نسق من المعايير يُعرف بها الفرد والمجتمع والجماعة.

ارتبط النظام الثقافي في تشكيلاته عبر العصور بدهنية الجماعة التي هي نتاج حاصل للموروثات الإنسانية وصور الحياة الاجتماعية، والسياسية في مراحلها المختلفة، «حيث تتشكل هوية الجماعة عبر

<sup>1</sup>-Dr Miller: the Study of social relations hips situation، identity and social interaction، in s. koch (ed) psychology، A Study of science، New York، Mc crow Hill، 1971، p673.

<sup>2</sup>-هارلمبس وهولبورن، سوسولوجيا الثقافة والهوية، ص93.

<sup>3</sup>-عبد الله الشامي، إشكالية الهوية في إسرائيل، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، ع224، أغسطس 1978، ص07.



عملية تمثل مستمر لتاريخها، ومن ثم فإنّ عملية التحويل الثقافي واستحضار الماضي الجمعي وتجارب النجاح والفشل للجماعة، وسلوك أبطائها النموذجي عوامل تسهم في عملية بناء الهوية الثقافية للجماعة»<sup>1</sup> نجد أنّ مفهوم الهوية وليد علم الاجتماع باعتباره منظومة متكاملة من النظم، والمعارف والأفكار، والأعراف فهو يُعنى بدراسة ملامح ثقافة المجتمع المادية والمعنوية على السواء.

جاءت الهوية «بمفهومها السوسولوجي مركب مبني ومعترف به اجتماعياً، وذلك من دلالات الذات المستمدة من عضوية الفرد في فئات كالطبقة، والعرق، والديانة، والأمة... إلخ، يتصرف المرء من خلالها انطلاقاً من وضعية معينة أو على ضوء مجموعة من القيم والمعايير والتصورات المسبقة»<sup>2</sup>.

تُعبّر الهوية باعتبارها ظاهرة اجتماعية عن سلوك ممارس من طرف الأفراد، قبل أن تكون مفهوماً ذهنياً متعلقاً بالأفكار القبلية الخاصة بالمجتمع.

### ثانياً: - خصائص الهوية:

إنّ تحديد هوية مجتمع ما، أو جماعة، أو فرد، يقتضي العودة إلى جملة من العناصر التي يُمكن تصنيفها في المجموعات الآتية<sup>3</sup>:

#### أولاً/ عناصر مادية وفيزيائية: وتشتمل على:

الحيازات: كالاسم، والآلات، والموضوعات، والأموال، والسكن، والملابس، كما تتضمن القدرات: ومنها القوة الاقتصادية، والمالية، والعقلية. يضاف إلى ذلك التنظيمات المادية: والتي تشمل

<sup>1</sup>- عبد الله العروي، مفهوم الأيديولوجيا، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط8، 2012، ص13/11.

<sup>2</sup>- نihal مهيدات، الآخر في الرواية النسوية العربية (في خطاب المرأة والجسد والثقافة)، عالم الكتب الحديث، إربد الأردن، ط1، 2008، ص11.

<sup>3</sup>- أليكس ميكشيللي، الهوية، ص20.

التنظيم الإقليمي، نظام السكن، نظام الاتصالات الإنسانية. والانتماءات الفيزيائية: كالانتماء الاجتماعي، والتوزعات الاجتماعية، والسمات المورفولوجية الأخرى المميزة.

### ثانياً/عناصر تاريخية: وتتضمن:

**الأصول التاريخية:** ويندرج ضمنها الأسلاف، الولادة، الاسم، المبدعون، الاتحاد، القرابة، الخرافات الخاصة بالتكوين، الأبطال الأوائل. الأحداث التاريخية الهامة: كالمراحل الهامة في التطور، والتحويلات الأساسية، والآثار الفارقة، التربية والتنشئة الاجتماعية، أما الآثار التاريخية: وتشمل؛ العقائد والعادات، والتقاليد، والعقد الناشئة عن عملية التطبيع أو القوانين والمعايير التي وجدت في المرحلة الماضية.

### ثالثاً/ عناصر ثقافية نفسية:

**النظام الثقافي:** ويشمل المنطلقات الثقافية، والعقائد، والأديان والرموز الثقافية، والايديولوجيا، ونظام القيم الثقافية، ثم أشكال التعبير المختلفة (فن، أدب). العناصر العقلية: كالنظرة إلى العالم، ونقاط التقاطع الثقافية، والاتجاهات المغلقة، المعايير الجمعية، والعادات الاجتماعية. النظام المعرفي: كالسمات النفسية الخاصة، واتجاهات نظام القيم.

### رابعاً/عناصر نفسية اجتماعية:

**الأسس الاجتماعية:** اسم، وكز، عمر، جنس، مهمة، سلطة، واجبات، أدوار اجتماعية، نشاطات، انتماءات اجتماعية. القيم الاجتماعية: الكفاءة، النوعية، التقديرات المختلفة. القدرات الخاصة بالمستقبل: القدرة والإمكانية، الإثارة الاستراتيجية، التكيف، نمط السلوك.

عندما يريد فرد ما أن يعرف نفسه أو الجماعة التي ينتمي إليها أو هوية شخص آخر أو جماعة ما، يجب عليه أن يختار بعض السمات الموجودة في الفئات السابقة.

ثالثاً- الهوية والمصطلحات المتداخلة:

يتداخل مصطلح الهوية مع مصطلحات كثيرة نذكر منها:

1/الهوية والأنا:

تلحّ الضرورة على معاناة مصطلح الهوية من الجانب النفسي الذي يُشكل أنا الفرد إذ انزاح هذا المفهوم بدلالاته الثقافية، والاجتماعية الأنثروبولوجية نحو شخصية الفرد وتطورها، وعُدّ الفرد محل دراسات وأبحاث عديدة شملت علم النفس الطفل... إلخ.

وقد برزت «إشكالية الهوية ضمن تطور الحياة النفسية بشكل جلي أثناء المراهقة (...)، فعملية اكتساب الهوية لا ينبغي أن تبدو لنا في الاحتفال الساذج بالدمج المستمر لذات فردية أو جماعية وحسب، بل تتجلى أيضاً في ذلك القرار المعلن عنه، والسري في كثير من الأحيان بفعل تهديمي تفكيكي، ولهذا تتأرجح الذات بين الإحساس المؤلم بتبعتها لما هو سائد والاعتراف به كواقع وبين الانصات إلى رغبات الجسد السالبة»<sup>1</sup>، تظهر حاجة الفرد إلى تشكيل هويته من خلال سعي المراهق إلى تحديد معنى لوجوده، «وأهدافه في الحياة، وخططه لتحقيق الأهداف (من أنا، ماذا أريد، وكيف أحقق ما أريد). وهنا تبدأ اضطرابات الهوية لدى المراهق، وأول ما يُثار في علم النفس عن الهوية هو كل ما يتعلق بوحدة ذات الفرد أو الشباب. رغم اختلاف أطواره وما يقوم به من أدوار»<sup>2</sup>.

فإشكالية الهوية وتجلياتها في حياة الأفراد، إذا، دائماً، بمرحلة معينة (المراهقة) وما يُصاحبها من تغيرات فيزيولوجية وقد أوضح "محمد عبد الجابري" «أنه لا هوية دون وجود شعور بذلك الوجود، وهذا ما يقوم على وعي للذات ينطوي على إدراك لتمايزها عن الآخر ولخصوصيتها في آن معاً، مهماً كانت درجة ذلك الإدراك حتى لو كان إدراكاً أولياً أو بدائياً»<sup>3</sup>، ومن المتعارف عليه أن هوية الشخص

<sup>1</sup>-محمد نورالدين أفاية، الهوية والاختلاف (في المرأة، الكتابة والهامش)، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، د.ت، ص19.

<sup>2</sup>-عبد الرحمن بدوي، الموسوعة الفلسفية العربية، ص569.

<sup>3</sup>-محمد عبد الجابري، الموسوعة الفلسفية العربية، معهد الانماء العربي، بيروت، ط1، 1986، ص723.

هي تلك الخصائص الجسدية والنفسية، والأخلاقية، والقانونية، والثقافية، والاجتماعية، لذلك نجد مصطلح الهوية في كثير من الأحيان يُشير إلى «تنظيم دينامي داخلي مُعَيّن للحاجات، والدوافع، والقدرات، والمعتقدات، والإدراكات الذاتية بالإضافة إلى الوضع (Stance)، الاجتماعي السياسي للفرد، وكلّما كان هذا التنظيم على درجة جيدة، كلّما كان الفرد أكثر إدراكاً أو وعياً بتفرده، وتشابهه مع الآخرين وأكثر إدراكاً لنقاط قوته، وضعفه أمّا إذا لم يكن التنظيم على درجة جيدة، فإنّ الفرد يصبح أكثر التباساً فيما يتعلق بتفرده عن الآخرين ويعتمد بدرجة كبيرة على الآخرين في تقديره لذاته كما ينعدم الاتصال بين الماضي، والحاضر، والمستقبل بالنسبة له، فيفقد الثقة في نفسه وفي قدرته في السيطرة على مجريات الأمور، وبالتالي ينعزل عن حياة غالبية المجتمع الذي يحيا فيه، وهو ما يُعرف بأزمة الهوية (Identity Crisis)»<sup>1</sup>.

الظاهر أنّ الهوية هي العنصر الذي يحس الفرد بواسطتها بأنه موجود، وأنّه شخص يُؤدي كل أدواره ووظائفه، وهذا يدفعنا إلى تجاوز النظرة التقليدية التي ترى بأنّ هوية الشخص هي كل ما تعلق بالإنسان وشخصيته كالمعلومات المسجلة حوله والتي تُبرز «اسم الأب، والأم، عنوان الإقامة بالإضافة إلى العلامات الجسمية كالطول، ولون الشعر، ولون العينين، ويُضاف إلى هذا كله ديانة الشخص أو الطائفة التي ينتمي إليها ولون بشرته»<sup>2</sup> إلى التغلغل في ذاته وإبراز سلوكياته وأثرها في المجتمع الذي يؤثر به.

وقد اقترنت الهوية بالصفات السيكولوجية المتطابقة، والموجودة والمشاركة بين الناس، التي تُكسبهم تطابقاً فكرياً وعقلياً، بمعنى إحساس الشخص بالانتماء لنفسه وذاته أولاً، ومن ثمة انتماءه وعضويته لهذه الطبقة، من هنا يمكن اعتبار الهوية هي الشعور بأنّ المرء هو نفسه، «... فالنفسانيون غالباً ما فهموا الهوية مفهوم الذات... ودرس الأطباء النفسيون فقدان الهوية في الأمراض الفصامية،... وببحث

<sup>1</sup>- عادل عبد الله محمد، دراسات في الصحة النفسية (الهوية، الاغتراب، الاضطرابات النفسية)، دار الرشاد، القاهرة، ط1، 2000،

<sup>2</sup>- أحمد منور، الأدب الجزائري باللسان الفرنسي، نشأته، وتطوره وقضاياها، ديوان المطبوعات الجامعية، د. ط، 2007، ص14.

المحللون النفسيون الأجزاء اللاشعورية للهوية السلبية»<sup>1</sup>، في إشارة واضحة إلى أن إحساس المرء بنفسه وذاته الشخصية إحساسٌ مجرد بضرورة الانتساب إلى مجموعة يتشارك معها الميول والتطلعات، والأفكار، على أن لا يكون مطابقاً لبقية الناس حتى لا يكون نسخة عنهم.

وقد أكد "جيمس" (JAMES) أن الأنا هي «ذلك التيار من التفكير الذي يُكون إحساس المرء بهويته الشخصية، وقد رأى "كولي" (COOLY) أن طبيعة "الأنا" هو شعور أو خبرة شعورية يمكن أن نطلق عليها شعوري (MY FELLING) أو الشعور، والاستحواذ (SENS OF APPEOPRITON) وهذه المشاعر غريزية، ووظيفتها الرئيسية هي توحيد ضروب نشاط الفرد، ودفعها إلى الأمام، وتنتج الجوانب المختفية للأنا من خلال التعامل مع الآخرين»<sup>2</sup>.

نرى بأن الأنا شعورية بالدرجة الأولى، وهذا الشعور يُولد الهوية الشخصية للأفراد فمهما اختلفت انتماءاتهم، وتعددت وجهات نظرهم يبقى الأنا هو الشعور الخفي الذي بواسطته يتعامل مع الآخر.

ويقول "كلفت هال" «في الشخص السوي نجد أن الأنا هو الجهاز التنفيذي للشخصية، وهو الذي يتحكم في (الهو) و(الأنا الأعلى)، ويدبر شؤونهما وهو الذي يحفظ الاتصال بالعالم الخارجي من أجل مصالح الشخصية كلها ومطالبها البعيدة، وحين ينجز الأنا وظائفه التنفيذية بحكمة يسود الانسجام ويعم الاتزان، وحين يستسلم الأنا للهو، أو الأنا الأعلى، أو العالم الخارجي أو يتنازل عن كثير من سلطته لأي منها ينجم عن ذلك الاضراب والشذوذ»<sup>3</sup>، إن الأنا مركز الأفكار الواعية التي تتشكل منها الذات الإنسانية وأي استسلام من طرفه ينجم عنه سلوكيات غير سوية.

<sup>1</sup> - بيتر قوزن، البحث عن الهوية وتشتتها في حياة ايريك ايركسون وأعماله، تر: سامر جميل رضوان، دار الكتاب الجامعي، الإمارات العربية المتحدة، ط1، 2010، ص92، 93.

<sup>2</sup> - أحمد أبو زيد، سيكولوجية الذات والتوافق، دار المعرفة الجامعية، د. ط، بدون بلد، 1997، ص87.

<sup>3</sup> - كلفت هال، أصول علم النفس الفرويدي، تر: محمد فتحي الشنيطي، دار النهضة العربية، بيروت، ط2، 1980، ص32.

ذهب "كولي" إلى أنّ الذات أو الأنا هي مركز شخصيتنا، وهويتنا، وإيّاها لا تنمو، ولا تفصح عن قدرتها إلاّ من خلال البيئة الاجتماعية، «وأنّ الشعور بالأنا، لا يبرز دون أنّ يكون مصحوباً بذوات الآخرين... كما أنّ هناك الذات الجماعية (Group self) أو نحن (we)، وتُشير إلى صيغة معينة للأنا تتحقق في صلة وجود جماعية تضم في عضويتها عدد من الأفراد يشعرون بالتعاون فيما بينهم، وباختلافهم عن أو تعارضهم مع جماعات أخرى»<sup>1</sup>.

إنّ تعريف موضوع ما يتطلب معرفة محددة بخصائصه، فهناك مجموعة من الأشياء المتماثلة التي تنطوي على خصائص متجانسة، ولذلك يمكن للإنسان أن يكتفي بتحديد منظم يدل على معطيات التجانس في الأشياء، ويتم ذلك من خلال نموذج يشتمل على جملة من العناصر المنظمة في إطار كل واحد متكامل، ويسمح لنا مثل ذلك النموذج أن نُميّز بين أشياء متباينة، وخاصة هذه التي تعيننا بشكل مباشر.

## 2/ الهوية والانتماء:

يُعاني الإنسان العربيّ المعاصر أزمة هويّة وانتماء تتصف بطابعي العمق والشمول وتعود هذه الأزمة إلى وجود الإنسان العربيّ في ظل كيانات اجتماعية متعددة، ومتعارضة، تبدأ بالقبيلة والطائفة حيناً، وتنتهي بالدين والقوميّة أحياناً، فالوطن العربيّ كما تعلن إحدى الدّراسات العربيّة «كيان مركب معقد، تتداخل فيه عناصر الولاءات المحلية بالولاءات الوطنية، ولا تتطابق فيه حدود الجغرافيا مع حدود المشاعر، ولا حدود السياسة مع حدود الأمة»<sup>2</sup>، وبالتالي فإنّ تعدد الانتماءات وتناقضاته تُؤدي إلى حالة من الانشطار في الهويّة الاجتماعيّة، وإلى حالة من التمزق الوجداني الداخلي عند الإنسان.

يتداخل مصطلح الهويّة مع مصطلح الانتماء، وسنعمد إلى تعريف الانتماء وإبراز مؤشرات.

<sup>1</sup>- كلفت هال، أصول علم النفس الفرويدي، ص33.

<sup>2</sup>- رمزي بعلبكي وآخرون، الهوية وقضاياها في الوعي العربي المعاصر، 154.

أ- مفهوم الانتماء: (Appartenance)

اتخذ مفهوم الانتماء العديد من المناحي، وإن كان في مجمله يدور حول نسبة الشيء إلى شيء آخر، كنسبة الولد إلى أبيه، ونسبة الشخص إلى دينه ووطنه؛ وعليه «يمتلك مفهوم الانتماء طاقة علمية كاشفة في مستوى الحياة الاجتماعية برمتها، حيث تتعدى طاقته الكشفية هذه حدود السياسة، والدين إلى مختلف التحوم الاجتماعية التي تُحيط بالوجود الإنساني. يقول مجدي أبو زيد مؤكداً أهمية هذه القدرة الكشفية والتحليلية لمفهوم الانتماء: يُعدُّ الانتماء محوراً مفصلياً يكشف الكثير عن الآلية النفسية التي تتحكم في علائقية المجتمع بأفراده، وما زال الكثيرون ينظرون إلى الانتماء على أنه يخص الجانب السياسي وتجلياته في حين أنه يتجذر في كافة الجوانب الاقتصادية، والثقافية، والاجتماعية»<sup>1</sup> إذن فالانتماء يؤكد على حضور مجموعة من المعايير المتكاملة كالأعراف، والتقاليد، والعادات، التي تتغلغل في أعماق الفرد، ومن هنا تتغير انتماءات الفرد بتغير الظروف المحيطة: «قد ينتمي الفرد بالضرورة إلى قبيلة ولكنه لا يشعر بالولاء لها، وعى خلاف ذلك فقد لا ينتمي المرء إلى قبيلة محددة ولكنه قد يكون قلبياً بمفاهيمه وتصوراتهِ. فالانتماء الفعلي يفرض نفسه ويتجاوز حدود وأبعاد العامل الذاتي، وذلك كله اعتبار إمكانية التطابق بين العنصرين...»<sup>2</sup>.

يُعرف الانتماء «بأنه النزعة التي تدفع الفرد للدخول في إطار اجتماعي فكري معين، لما يقتضيه هذا من التزام بمعايير وقواعد هذا الانتصار وبنصرتِه والدفاع عنه، وفي مقابل غيره من الأطر الاجتماعية والفكرية الأخرى»<sup>3</sup>، ولأنَّ «الواقع الموضوعي يفرض على الإنسان مجموعة من الانتماءات فإنَّ هذه الانتماءات تأخذ نسقاً متكامل فيه أو تتعارض فيه، فنسق الانتماء يعني الوضعية التي يأخذها الإنسان إزاء وضعيات انتماءات متعددة، والتي تأخذ سلماً ترتسم على مدرجاته اتجاهات الانتماء المختلفة،

<sup>1</sup> -رمزي بعلبكي وسخرون، الهوية وقضاياها في الوعي العربي، ص 155.

<sup>2</sup> -المرجع نفسه، ص 156.

<sup>3</sup> -نجلاء عبد الحميد راتب، الانتماء الاجتماعي لشباب المصري: دراسة سوسولوجية في حقبة الانفتاح، مركز المحروسة للنشر القاهرة، مصر، د. ط، 1999، ص 57.

فالإنسان محكوم بعدد من الانتماءات التي قد تتعارض أحياناً وتتناسق أحياناً أخرى»<sup>1</sup>، وبالتالي يكون الانتماء أوسع وأشمل لما يحتويه من معانٍ متنوعة ويذهب "أمين معلوف" في كتابه "الهويات القاتلة" إلى تأكيد طرحه في مسألة الانتماء فيقول: «تشكل هوية كل شخص من جمهرة العناصر لا تقتصر بالطبع على تلك المدونة على السجلات الرسمية، هناك بالتأكيد بالنسبة للغالبية العظمى من الناس، فالانتماء إلى تقليد ديني وإلى جنسية، وأحياناً جنسيتين، وإلى مجموعة اثنية أو لغوية، وإلى عائلة أكثر أو أقل اتساعاً، وإلى مهنة ومؤسسة ووسط اجتماعي ما، ولكن القائمة أطول من ذلك أيضاً، ويفترض أنها غير محدودة، إذ نستطيع أن نستشعر بانتماء أكثر أو أقل قوة إلى ريف أو قرية، أوحى، أو عشيرة، أو فريق رياضي، أو مهني، أو إلى جماعة من الأصدقاء، إلى نقابة أو شركة أو حزب، أو رابطة، أو رعية، أو جماعة من الأشخاص يمتلكون الأهواء ذاتها أو الميول الجنسية ذاتها، أو العاهات الجسدية ذاتها أو الذين واجهوا الأذيات ذاتها»<sup>2</sup>. إن دلائل انتماء الإنسان لا يمكن حصرها في بوتقة معينة وإنما يتعدى جميع المؤثرات الاجتماعية التي تُحقق كينونته، وتُشعره بانتمائه، ومن هنا تختلف درجة الشعور بالانتماء قد تأخذ مسارات متباينة حيث تتباين درجات شدتها بين شخص وآخر.

نستخلص بأنّ الانتماء ضرورة ملحة تفرضها الحاجة الاجتماعية، لها أبعاد كثيرة، سياسية، واجتماعية، وطائفية، وعرقية هذه الأبعاد تُحدد انتماء الفرد، وتُشكل هويته، التي باتت تتنازعها أمور شتى.

### ب- مؤشرات:

من البديهي أنّ للانتماء مؤشرات تُحدد عناصره، وتؤكد وجوده، لعل أهمها<sup>3</sup>:

<sup>1</sup> - رمزي بعلبكي وآخرون، الهوية وقضاياها في الوعي العربي المعاصر، ص 157.  
<sup>2</sup> - أمين معلوف، الهويات القاتلة-قراءات في الانتماء والعولمة-تر: نبيل محسن، ورد للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، ط1، 1999، ص 14.  
<sup>3</sup> -نادية مصطفى وآخرون، دوائر الانتماء وتأصيل الهوية، ص 15.



- 1-ثقافة الجماعة: فالفردانية هي ألد أعداء الانتماء الصغير والكبير.
- 2-الرؤية الحضارية: فالرؤى المتسرة والجزئية لا تضع انتماء حقيقياً، وإن أعمت ارتباطاً ما.
- 3-الثقة في الوطن.
- 4-الأمل الفسيح في مستقبل الوطن والأمة.
- 5-الانتماء بالعمل، فالقعود عن أداء الواجبات لاسيما ذات البعد العام وإنما هو أمانة الاغتراب أو الخيانة.
- 6-المشاركة العامة.
- 7-العمل التطوعي والتنموي.
- 8-التماسك الأسري والاجتماعي.
- 9-ثقافة المجال العام.
- 10-التضامن عبر الأقطار نحو الأمة والإنسان.
- 11-مقارعة الفساد والاستبداد.

وإذا كان الانتماء حقيقة معنوية، فإنّ الذي أكد عليه المتلقي أنّه بلا تجسيد لروح الانتماء، فإنّها تتلاشى شيئاً فشيئاً.

### ج-علاقة الانتماء بالهوية:

من بين القضايا التي شغلت الفكر على مر العصور قضية الهوية والانتماء إذ احتدم السجال بينهما مدى ترابط كل منهما، ونظراً لأهميتهم في الدراسات المعاصرة.

«يتشاكل مفهوما الهوية والانتماء في تقاطعات عدة تُطرح منذ زمن بعيد على بساط البحث العلمي، إذ غالبًا ما يستخدم أحدهما في مكان الآخر في الأدبيات الاجتماعية المعاصرة. وإذا كان كلٌّ من هذين المفهومين يطرح إشكالية بمفرده، فإنَّ الإشكالية التي يطرحها التداخل بينهما تتجلى بقوة يعلن كثيرون من المفكرين عن صعوبة في تعريف الهوية، وليس غريبًا أن يعلن "غوتلوب فريغة" (Gotlob Frege) بأنَّ الهوية مفهوم لا يقبل التعريف، وذلك لأنَّ كل تعريف هو هوية بحد ذاته، فالهوية مفهوم أنطولوجي وجودي يمتلك خاصية سحرية تؤهله للظهور في مختلف المقولات المعرفية، وهو يتمتع بدرجة عالية من العمومية والتجريد، تفوق مختلف المفاهيم الأخرى المتجانسة والمقابلة له، ومع ذلك كله وعلى الرغم من الغموض الذي يلف مفهوم الهوية، ويحيط به يمتلك هذا المفهوم طاقة كشفية لفهم العالم بما يشتمل عليه من كينونات الأنا والآخر»<sup>1</sup>، إذن لا يُمكن أن تكون الهوية مجرد مفهوم زئبقي لذا نجد تداخل كبير بين الهوية والانتماء في العديد من المواقف. «إنَّ الهوية والانتماء هما عمليتان ديناميكيتان، وهذه الحدود الفاصلة بين الجماعات غير جامدة، وهي قابلة للتغير، تُبرز أحيانًا وقد تهبط أو تحبو أحيانًا أخرى، مما يُؤشر إلى أنَّ الهوية يمكن أن تتغير بحسب السياق السياسي- الاجتماعي»<sup>2</sup>، لقد فرض مصطلح الهوية نفسه في معظم الأبحاث لهذا «لا يُمكن أن تكون هناك موضوعات تنطبق هويتها بصورة مطلقة على ذاتها، حتى في صفاتها الجوهرية والأساسية، والهوية متعينة وليست مجردة، أي أنَّها تحتوي على تمايزات كامنة، وتناقضات يتم حلها خلال عملية التطور، والتي ترجع إلى شروط معينة، ويتطلب تعيين هوية الأشياء أن يكون قد تم تمييزها مسبقًا. ومن ناحية أخرى فإنَّ الموضوعات المختلفة غالبًا ما تحتاج إلى تحديد هويتها (بهدف تصنيفها مثلاً)، وهذا يعني أنَّ الهوية ترتبط ارتباطًا لا يُمكن فصمه بالتمييز، كما أنها نسبية، وكل هوية للأشياء مؤقتة وانتقالية، بينما تطورها وتغيرها مطلقان»<sup>3</sup>، فالهوية والانتماء قوة دافعة للإنسان، أي أنَّهما نابعان من شعور الفرد تجاه نفسه «فالانتماء إلى المضرِّ

<sup>1</sup> - رمزي بعلبكي وآخرون، الهوية وقضاياها في الوطن العربي، ص 159.

<sup>2</sup> - الطاهر لبيب (صورة الآخر-ناظرًا ومنظورًا إليه)، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، ط1، 1999، ص 701.

<sup>3</sup> - م/ روزنتال، ب/بودين (الموسوعة الفلسفية)، تر: سمير كرم، مر: صادق جلال، جورج طرايشي، دار الطليعة للطباعة والنشر، لبنان، ط1، 1974، ط2، 1987، ص 565.

والفاسد من كل وجه محال، والانتماء إلى عديم النفع والإفادة لا يكون قويًا وفعالاً... وما انتماء الإنسان إلى ما هو ظاهره غير صالح ولا مفيد، إلا لأنه يُحقق له في الباطن مصلحة معنوية، وجانبًا من جوانب تكوينه الضروري، فلانتماء جناحان على قدر قوتهما يكون تحليقه، وارتقاؤه: جناح جواني ينطلق من الهوية وتحقيق الذات وهذا ضروري وغير مكتسب كالانتماء للأبوين أو للأرض التي نشأ الإنسان عليها، وبعضه يكسبه الإنسان عن رؤية وقناعة كالانتماء للدين والاتجاه الفكري، والسياسي، والحضاري وما ينطوي عليه من قيم، وجناح برّاني يتعلق بالمصالح المتبادلة والمنافع المحصّلة بين الإنسان المنتمي، ودائرة انتمائه، وكلما ضعف أحد الجناحين في نفوس المجتمعات وأفرادها، أو في واقع حياتهم ومعاشهم كلما وهن حبل الانتماء وتعرض للترهل والانتماء»<sup>1</sup>.

هناك تداخل كبير بين الانتماء والهوية، فالخصوصية الفردية التي تُميز الإنسان هي ما يسمى هوية وهي في الوقت نفسه انتماء، فمثلاً «لقد كانت الملابس مؤشراً دقيقاً يُحدد الانتماء المهني للشخص والمستوى الاجتماعي، وذلك يعني أنّ الملابس كانت مقننة حيث كان يمنع على أصحاب هذه المهنة أو تلك من ارتداء مثل هذه الملابس. ولكن هذه المعايير ليست واضحة في أيامنا وذلك لأنّ الميل إلى تحقيق المساواة يُذيب الفوارق الظاهرة، ولكن أحدا ما لا يُخطئ في تحديده الاجتماعي الخاص بالآخرين، ولكن شبكة التقييم الثقافي أصبحت متقاربة جداً ومعقدة...»<sup>2</sup>، والأمر نفسه مع الهوية فالملابس عادة ما تُبين هوية الأشخاص، الذين ينحدرون إلى بيئة واحدة، أو إلى بيئة مختلفة وهذا التقاطع يشتركان فيه كلاهما.

ولا يظهر ذلك الاشتراك على مستوى اللباس فقط بل يتعداه إلى أشياء أخرى، «فكل من يتبنى هوية أكثر تعقيداً سيجد نفسه مهمشاً، إنّ شاباً يولد في فرنسا من أبوين جزائريين يحمل في داخله انتمائين بديهيين، ويجب أن يكون قادراً على الاضطلاع بكليهما، ... لكن مكونات شخصيته أكثر بكثير. سواء تعلق الأمر باللّغة أو المعتقدات أو نمط العيش، أو العلاقات العائلية أو الأذواق الفنية أو

<sup>1</sup>-نادية مصطفى وآخرون، دوائر الانتماء وتأسيس الهوية، ص 11.

<sup>2</sup>-أليكس ميكشيللي، الهوية، ص 32.

المأكولات، فإنَّ التأثيرات الفرنسيَّة والأوروبيَّة، والغربيَّة تختلط عنده بالتأثيرات العربيَّة والبربريَّة والأفريقيَّة والمسلمة... إنَّها تجربة غنية وخصبة إذا شعر هذا الرجل الشاب أنَّه حر ليحيها كليًا، إذا شعر بتشجيع يضطلع بكل تنوعه، على العكس، قد يكشف أن مساره يُسبب له الاضطراب، إذا نظر إليه البعض، كلما أكد أنه فرنسي، على أنه خائن، بل مرتد، وإذا اصطدم بعدم التفهم والحذر والعداء، كلما أعطى الأولوية لروابطه مع الجزائر، وتاريخه، وثقافته، وديانته<sup>1</sup>. مثل هذه المواقف تجعل الإنسان العربي عامة، والجزائري بصفة خاصة يُعاني من أزمة هويَّة وانتماء، فقد قدّم "أمين معلوف" أدلة عن ذلك حينما قال: «أنَّ أكون مسيحيًا وأنَّ تكون لغتي الأم اللُّغة العربيَّة لغة الإسلام المقدسة أحد التناقضات الأساسية التي شكلت هويتي، فالتحدث بهذه اللُّغة ينسج لي روابط مع كل الذين يستخدمونها يوميًا في صلواتهم، ومعظمهم يعرفها أقلَّ ممَّا أعرفها أنا... فهذه اللُّغة المشتركة بيننا، أنا وهو أكثر من مليار شخص آخر. أضف إلى أنَّ انتمائي إلى المسيحية، سواء كان دينيًّا بعمق أو سوسولوجيًّا فقط، والمسألة ليست هنا، يخلق بدوره رباطًا هامًا بيني وبين ملياري مسيحي في العالم، هناك الكثير من الأشياء التي تفصلني عن كل مسيحي، وكذلك عن كل عربي وكل مسلم، ولكن هناك أيضًا مع كل منهم قرابة لا يُمكن إنكارها وهي دينية وفكرية في الحالة الأولى، ولغوية ثقافية في الأخرى»<sup>2</sup>. إنَّ مقارنة هذين العنصرين من الهويَّة هو قريب من قسم كبير من الإنسانيَّة، فكل انتماء يربطه بعدد كبير من الأشخاص تتحد خصوصية هويَّته أكثر. «ويُمكن أن يكون الانتماء لعضوية كل واحد من الجماعات مهمًّا لغاية، اعتمادًا على سياق معين، وعندما تتنافس هذه الجماعات لجذب الانتباه ونيل الأولوية التفضيلية فيما بينها، فعلى الفرد أن يُقرر الأهمية النسبية التي يعلقها على كل هويَّة بمفردها... ويُمكن أن يكون الاشتراك في الهويَّة مع آخرين، بوسائل مختلفة متنوعة، مسألة شديدة الأهمية، من أجل العيش في مجتمع ما، ولكن ليس من السهل دائمًا إقناع المحللين الاجتماعيين بالتوفيق بين الهويَّات بأسلوب مرضٍ، على وجه الخصوص»<sup>3</sup>، يستدعي الانتماء الحاجة إلى الارتباط والانسجام إلى المنتمي إليه لخلق نوع من المشاركة

<sup>1</sup>-أمين معلوف، الهويَّات القتالة، ص4.

<sup>2</sup>-المرجع نفسه، ص10.

<sup>3</sup>-أمارتيا صن، الهويَّة والعنف، تر: سحر توفيق، عالم المعرفة، الكويت، د. ط، 2008، ص36.

والتبادل، ومن أجل تحديد ظلال التمايز بين الهوية والانتماء يُمكن أن نسجل ثلاثة عناصر من عناصر التباين بينهما<sup>1</sup>:

- يتميز مفهوم الهوية بطابع الشمولية ويُشكل الانتماء عنصراً من عناصر الهوية، فالهوية تتكون من شبكة من الانتماءات والمعايير.

- يأخذ مفهوم الهوية طابعاً سيكولوجياً وفلسفياً بالدرجة الأولى، حيث يوظف بشكل واسع في مجال الفلسفة، ويُشكل مبدأ الهوية واحداً من أقدم المبادئ الفلسفية وقوامه أ=أ، أي أنّ الشيء هو نفسه. وعلى خلاف ذلك يأخذ مفهوم الانتماء طابعاً سوسولوجياً، ويوظف غالباً في مجال الأدب والسياسة وعلم الاجتماع.

- مفهوم الهوية شامل يُوظف للدلالة على ظواهر مادية غير إنسانية بينما ينفرد مفهوم الانتماء بالدلالة على الظاهرة الإنسانية دون غيرها من الظواهر.

إنّ الهوية كيان يجمع بين انتماءات متكاملة وهوية المجتمع تمنح أفرادها مشاعر الأمن والاستقرار والطمأنينة، فالهوية القومية تمنح أبناء الأمة الشعور بالثقة والأمن والاستقرار، وفي الوقت الذي يكون فيه المجتمع متعدداً بانتماءات وفئات وجماعات عرقية، أو دينية، أو سياسية، أو اجتماعية.

بناءً على ما تقدّم، يُمكن القول إنّ العلاقة بين الانتماء والهوية ضرورة لا بدّ من تقبلها، في ظل اجتياح ظاهرة العولمة التي جعلت الفرد يتخبط ضمن دائرتي الهوية والانتماء، وعليه وجب تقوية البعد الثقافي لحقوق الإنسان، من عادات، وتقاليد، وديانات، لضمان استمرارية التمتع بالهوية الثقافية.

### 3/ الهوية والعولمة:

يكثر في الآونة الأخيرة الحديث عن العولمة، وعن نظام عالمي جديد وعن ظهور العالمية، وعن كرة أرضية صغيرة بمثابة قرية، وعن ثورات في عالم الاتصال، وعالم المعرفة وفي القيم، والأخلاق بحيث ما

<sup>1</sup>- رمزي بعلبكي وآخرون، الهوية وقضاياها في الوعي العربي المعاصر، ص 159.

يبدو جديداً اليوم قد لا نتعرف إليه في المستقبل القريب وبالتأكيد لن نتعرف إليه الأجيال اللاحقة، وهذا ما يسبب يضع الهوية في مأزق لدى الأفراد فالعولمة من هذا المنطلق «ليست بالأمر الطارئ، إنما ليست بالجديد الذي أوجدته ثورة الاتصالات، ولا رحابة رأس المال، ولا منظمة التجارة العالمية، واكتساح الأسواق، العولمة هنا شد حبال بين حضارات، واكتشاف حضارات لأخرى، أو ذهاب حضارة لأخرى ومحاولة توطين نفسها في البلد التي تذهب إليه، والحضارة هنا مكونات دين، وفن، وعلوم، وتقنيات، وعادات، وتقاليد، وتوابل، وحرير، ومعدات عسكرية وبحث عن أسواق... إلخ»<sup>1</sup>، من هذا الموقع لا يعود الحديث عن العولمة حديث مستقبل، بل حديث ماضي، «فالعولمة إرث الجميع، فهي تقاسم أفكار تناوبت عليها الحضارات على اختلاف مواقعها ومكانها وجغرافيتها، وتاريخها»<sup>2</sup>، ويذهب البعض إلى أن «العولمة هي اجتياح الشمال للجنوب... اجتياح الحضارة متمثلة في النموذج الأمريكي للحضارات الأخرى... وهي التطبيق العملي لشعار "نهاية التاريخ" الذي أرادوا به الادعاء بأن النموذج الغربي الرأسمالي هو القدر الأبدي للبشرية جمعاء، وهو تطبيق يستخدم في عملية الاجتياح - أسلوب صراع الحضارات - الذي يعنى - في توازن القوى الراهن - أن تصرع الحضارة الغربية ما عداها من الحضارات»<sup>3</sup>، يبدو أن فكرة العولمة وليدة العالم الغربي، والتصدمات التي حدثت بين الحضارات، انعكست على نفسية الفرد فجاءت الهوية سليلة العولمة، ويظهر جلياً عند المثقفين العرب في دعوتهم بالاعتداء بالنموذج الغربي ومن ذلك ما صرح به طه حسين حين انبهر بالنموذج الغربي، وأعجب به أيما إعجاباً فقال عنه: «إنه طريق التقدم والتحضر الفذ، الذي لا تتعدد فيه، أننا يجب أن نسير فيه ونأخذه بجلوه ومره، بما يُحب فيه وما يُكره، وما يحمد فيه وما يُعاب، على هذا الدرب من دروب الهزيمة النفسية، والإحساس بالحجل من ثقافتنا العربية الإسلامية، والدونية إزاء الثقافة الغربية، والعجز عن مقاومة غزوها لبلادنا.. على هذا الدرب البائس الذي تراجع عنه "طه حسين" فيما بعد يسير نفر من

<sup>1</sup> - جيزار ليكلرك، العولمة الثقافية - الحضارات على المحك -، تر: جورج كتورة، دار الكتاب الجديد المتحدة، ط1، 2004، ص19.

<sup>2</sup> - المرجع نفسه، ص19.

<sup>3</sup> - محمد عمارة، مخاطر العولمة على الهوية الثقافية، نضمة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، مصر، ط1، 1999، ص15.

مثقفيها إزاء العولمة داعين إلى التسليم لها، وإلى الاندماج فيها، باعتبار ذلك قضاءً وقدرًا فهي في نظرهم طوفان جارف، أو على الأقل قطار... إما الركوب وإما الضياع»<sup>1</sup>.

إن موجة العولمة التي اجتاحت كينونة الفرد العربي سواء كان مثقفًا أم غير ذلك غيرت من منظومة القيم التي ألفها، فالمجتمعات العربية اليوم مطالبة، بأن تكون واعية تمام الوعي بجوهر هويتها وأصالتها، ومقومات شخصيتها، وأن تكون مدركة وواعية بمكان القوة فيها، وتعي التغيرات التي طرأت عليها، وأن تدرك ما يؤثر على هويتها من عدمه، أي بإمكانها التمييز بين النافع والضار وماهي بحاجة إليه وما يناسبها مما هو غير مناسب لها، ويتناقض أو يتعارض مع هويتها وثقافتها على اعتبار أن مقومات الهوية هي بمثابة حصن منيع أمام أي رياح خارجية تُحاول اقتلاع جذورها.

وتحت تأثير العولمة وسرعة التغيير الذي يشهده العالم اليوم بفعل سياسات التسويق ارتفعت نسبة التجانس بين بني البشر ما أضعف الهويات القائمة على الانتماء لمجموعات اجتماعية معينة، إذ عرفت الهوية نوعاً من التشظي نتيجة انصراف الاهتمام إلى قضايا غير الطبقة، بظهور حركات مهمة بقضايا معينة مثل الحركات النسوية وصراع السود، فما عاد الناس يشعرون بكونهم جزءاً من طبقة واحدة بل أصبحت هويتهم مجزأة طبقاً لجنسهم أو عملهم، أو اهتماماتهم، ما جعل بعض الباحثين يقولون بأن الهوية خلال هذه المرحلة أصبحت مسألة اختيار قصير المدى، ففي عالم ما بعد الحداثة «أصبح هناك معنى للتحوّل من هوية إلى أخرى دون الاستقرار في أي منها، إن مجتمع ما بعد الحداثة جعل إمكانية الاستقرار بالغة الصعوبة»<sup>2</sup>، وقد وضع علي حرب بأن هذه التصورات أو التقسيمات تحضر في العالم العربي وفق ما يسميه «(ثالث الأسملة "الأصولية" والأنسنة والعولمة) فإذا كانت الأولى تمثل فهماً ارتجاعياً للهوية على أساس ديني ارتبط بالوضع الحضاري الضعيف للأمة، فإن الحداثة لم تشكّل قطيعة ماضٍ بقدر ما كانت قراءة حيّة فاعلة له في ظل واقع له خصوصيته، لكن الإشكالية تتعلق دائماً بالمرحلة الثالثة ألا وهي العولمة التي ينظر إليها بتوجس نتيجة الممارسات العقيمة والدفاعات الفاشلة،

<sup>1</sup> -محمد عمارة، مخاطر العولمة على الهوية الثقافية، ص 38.

<sup>2</sup> -هارلبس وهولبورن، سوسولوجيا الثقافة والهوية، ص 102.

ما جعل خطاب الهوية العربي حافلاً بمفردات الغزو والاختراق والاكتماس والمحو<sup>1</sup>. فالهوية وفق هذا المعطى ليست كيانياً ثابتاً، بل ديمومة من القيم والتصورات التي تُشكل جملة من التفاعلات داخل الجماعات وخارجها عبر مسارها التاريخي، وهي بالضرورة تستجيب لمنظومة التغيرات التي تحدثها العولمة على مختلف الأصعدة.

وقد برزت في الآونة الأخيرة ما يُسمى بالعولمة الثقافية التي تُعدُّ بمثابة غزو ثقافي يمس ذاتية الأفراد والأمم، وتحمل بين ثناياها خطاباً ثقافياً خاصاً لشعوب العالم مفاده أنه لا مجال للتعدد الثقافي، وإنما البقاء للثقافة المعولمة المهيمنة على كل الثقافات.

لم تقتصر العولمة الثقافية على جانب بعينه وإنما «تحوّلت الهوية الثقافية من إطارها القومي والخاص على الاندماج والتفاعل والتكامل مع الهويات الثقافية الأخرى في ظل الهوية الثقافية الأحادية، وإن كانت العولمة تفرض نفسها حتى باستخدام القوة، فتصبح العولمة الثقافية بذلك فرض منهج وثقافة غربية أمريكية بالهيمنة على العالم وشعوبه وأفراده، مسخاً لهم وإهدار لخصوصياتهم إلى درجة أن لا يكون لأي مجتمع ثقافة ذاتية وهوية شخصية أو خصوصية»<sup>2</sup>. إن شمولية العولمة أثرت بطريقة خفية على الهوية، فنجد بعض التداخل بين الهوية والعولمة نلخصها في بعض العناصر:

- هناك من يرى أن للعولمة خير ونتائج إيجابية تخدم جميع الناس باغتنام ما يخدم الفرد والشعوب بالحفاظ على خصوصياته وهويته مع كونه أن يكون عالمي وإنساني في إطار التفتح الثقافي لا انفتاح عليه.

- غير أن هناك من يراها ويلاّت كبيرة ولا يُمكن الانخراط فيها، وبذلك وجوب محاربتها ومناهضتها.

- وهناك من يصبغ على ثقافته السلوكية والعملية صفات ومظاهر العولمة الثقافية وبالتالي فهو يمارسها سلوكاً وفعالاً ويُحاربها فكراً ولساناً لا واقعاً وعملاً.

<sup>1</sup> - علي حرب، حديث النهايات فتوحات العولمة ومازق الهوية، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، بيروت، ط1، 2000، ص21.

<sup>2</sup> - زغو محمد، أثر العولمة على الهوية الثقافية للأفراد والشعوب، كلية العلوم القانونية والإدارية، الشلف، الأكاديمية للدراسات الاجتماعية والإنسانية، عدد4، 2010، ص02.



### ➤ الآثار الإيجابية للعولمة على الهوية:

تتفاعل هوية الأفراد مع عديد من الثقافات الأخرى في ظل ما يُسمى بالعولمة الثقافية، فأثرت العولمة إيجاباً على الهوية<sup>1</sup>:

**أولاً: على المستوى التكنولوجي:** العولمة تدر ربحاً على الشعوب والأفراد في اكتساب ثقافة البحث العلمي، والتقدم التكنولوجي والتقني خاصة في مجال الإعلام والاتصال، وبهذا فالعولمة تنتشر بسرعة، ومنه تصبح ثروة علمية وعملية لمن يفتقر للتكنولوجيا وللبحث العلمي وإنتاجياته.

**ثانياً: على مستوى التواصل والتعاون:** تُعَدُّ العولمة الثقافية كسبب كاف للاتصال والشراكة الثقافية بين الأمم والأفراد، بجوار الثقافات وتزويد الشعوب بأساليب إحداث توازن منطقي بين الخصوصيات الثقافية لهم.

وبذلك يكون التعاون بين الأمم بالإطاحة بالحدود ومعوقات الاتصال المباشر والحر بين المؤسسات والأفراد، وهنا تظهر مدى أهمية الاعتراف بالتعددية الثقافية للأمم في العالم الدولي الجديد.

**ثالثاً: على المستوى الاجتماعي:** تُعَدُّ العولمة من خلال وسائلها خاصة وسائل الإعلام وحرية الصحافة، والرأي الحر بمثابة منبراً للحوار والتفتح الثقافي، والاستفادة من ثقافة الغير، وتكامل الثقافات، وبذلك تستفيد الدول الضعيفة من أسباب مهمة للقضاء على المشاكل الاجتماعية خاصة المتعلقة بالأجانب مع الوطنيين.

ثم أنّ الإعلام يُساهم ويثبت ويرفع من مستوى الهوية الثقافية الوطنية، والفردية لإثبات وجودها وبروزها على المستوى الدولي.

<sup>1</sup>- زغو محمد، أثر العولمة على الثقافة للأفراد والشعوب، ص04.

**رابعاً: على المستوى الحقوقي:** تُعدُّ العولمة موضوعاً للتفاعل والتواصل خاصة في مجال الإعلام، الذي يدعم حقوق الإنسان والحريات السياسيّة وثقافة التعبير، والمعارضة ووجهات النظر والدفاع عن السياسات الثقافيّة للشعوب في مفهوم الحقوق عندها والحريات وطريقة المشاركة السياسيّة والتعددية.

حيث أدت العولمة إلى تطبيق ثقافة جديدة مفادها، أنّ للفرد الحرية في اختيار أي الثقافات التي يراها مناسبة بهدف إبراز طاقاته واستثمارها، لأنّ يكون منتجاً وفعالاً والحق في الثقافة معترف به بالنسبة للأمم طبقاً للمادة الأولى من إعلان مبادئ التعاون الثقافي الدولي الذي تقضي بأنّ لكل ثقافة كرامة يجب احترامها والمحافظة عليها ومن واجب وحق كل شعب أن ينمي ويطور ثقافته وكل الثقافات تشكل رغم تنوعها واختلافها جزء من تراث البشرية الذي تشترك في ملكيته.

**خامساً: على المستوى الشخصي والإنساني:** للعولمة تأثير إيجابي بتحويل الشعور بالانتماء إلى حالة تعصب إلى حالة المرونة والاعتراف بالغير في ظل الإنسانيّة بهدف القضاء على التعصب والتشدد والجمود الفكريّ.

**سادساً: على المستوى التربوي والأكاديمي:** أصبحت الحقوق الثقافيّة في ظل العولمة نسبياً مزدهرة بإعطاء مكانة لها على المستوى المؤسسي وفي ظل المناهج التربوية والأكاديمية، بهدف تمثيل ثقافة الأفراد والشعوب لدعم المعارف الخاصة بهم ولا احترام الحقوق الثقافيّة الأخرى.

**سابعاً: على المستوى السياسي:** العولمة تتخطى حدود الدولة الوطنية وشخصية الفرد، وبذلك هي من تساهم في الثقافة السياسيّة والتعددية الفكرية من خلال الإعلام والحوار وحرية التعبير، وبالتالي فهي خير بالنسبة للشعوب المقهورة في ظل السلطة المطلقة والمستبدّة بالحكم.

### ➤ سبل مقاومة الآثار السلبية:

إنّ أساس سلبيات العولمة على الهوية للأفراد والشعوب تكمن فيما قاله "صامويل هنتجتون" «إنّ الاعتقاد بضرورة تبني الشعوب غير الغربية لقيم، ومؤسسات، ولحضارة غريبة، هو أمر غير أخلاقي في

نتائجه بالنظر إلى نتائجه وتوابعه»<sup>1</sup>، هذا وتسعى الثقافة المعولمة إلى إقصاء الخصوصيات والهويات الأخرى إلى حد لا يكون لأي مجتمع ثقافة ذاتية أو هوية شخصية، وعليه يُمكن تلخيص سلبيات العولمة على الهوية في النقاط الآتية:

1/ تعزيز الهوية بأقوى عناصرها، وهو العودة إلى الإسلام، وتربية الأمة عليه بعقيدته القائمة على توحيد -الله سبحانه- والتي تجعل المسلم في عزة معنوية عالية ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾<sup>2</sup>، وبشريعته السمحة وأخلاقه وقيمه الروحية، وتقوية الصلة بالله سبحانه وتعالى واليقين بنصره وتمكينه للمؤمنين إذا استجابوا لربهم وقاموا بأسباب النصر، فالهزيمة الحقيقية هي الهزيمة النفسية من الداخل حيث يتشرب المهزم كل ما يأتيه من المنتصر، أما إذا عززت الهوية ولم تستسلم من الداخل فإنها تستعصي ولا تقبل الذوبان.

2/ العناية باللغة العربية في وسائل الإعلام ومناهج التعليم وتسهيل تدريسها وتحبيبها للطلاب، ومن العناية باللغة العربية تفعيل التعريب والترجمة والتقليص من التعلق باللغات الأخرى إلا في حدود الحاجة اللازمة.

3/ إبراز إيجابيات الإسلام وعالميته وعدالته وحضارته، وثقافته، وتاريخه للمسلمين قبل غيرهم، ليستلهموا أمجادهم ويعتزوا بهويتهم.

فالرد الحقيقي على الطاغوت الحالي الذي يسمى العولمة، هو إبراز النموذج الصحيح الذي يجب أن يكون عليه الإنسان، لكي يصدق الناس -في عالم الواقع- أنه يمكن أن يتقدم الإنسان علمياً وتكنولوجياً، واقتصادياً، وحريةً، وسياسياً وهو محافظ على إنسانيته، محافظ على نظافته، مترفع عن الدنيا، متطهر من الرجس، قائم بالقسط، ومعتدل الميزان ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ

<sup>1</sup> -مراد هوفمان، الإسلام في الألفية الثالثة ديانة في صعود، مكتبة العكييات، ط1، 2003، ص19.

<sup>2</sup> -سورة المنافقون: الآية 8.

الكتاب وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ...<sup>1</sup>، لا بد أن تكون العولمة خادمة للإنسان، في العلوم، والتقنيات، والتعامل الذي يحترم فيه البشر بعضهم، أما الديانات والثقافات، والتقاليد فهي حضارات الشعوب ملك لهم تشكل تنوعاً ممل بشرط أن لا يتعدى أحد على الآخر، «وأن نعلم أن هويتنا وذاتيتنا بعمقها الديني، والحضاري لا بديل لها من أية حضارة أخرى مهما بدا في زينتها، فثقافتنا عالمية، أبدعت وأضافت، وأعطت، ورغم خصوصيتها كانت إنسانية شاملة، لا بتراتها الإسلامي - وهو ذروة عطائها- ولكن بما تجاوزته من عناصر الحضارات الأخرى، وبلغتها العربية وفنونها وآدابها، وكما صنعت الأمة ثقافتها، صنعتها ثقافتها، وحافظت على هويتها عبر أدواتها التعبيرية لغة القرآن، فلا تكاد تملك لغة من اللغات ما تملكه اللغة العربية من تراث فكري مكتوب، لا في الكم، ولا في النوع، ولا في النسق اللغوي المتناسك»<sup>2</sup>.

4/ العمل على نهوض الأمة في شتى الميادين دينياً وثقافياً، سياسياً وعسكرياً، اقتصادياً، وتقنياً، ومحاربة أسباب التخلف والفساد، وقد حث القرآن الكريم على التغيير فقال تعالى: ﴿... إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ...﴾<sup>3</sup>.

5/ مواجهة مساوئ العولمة بالتعليم والتدريب، والتثقيف، والتحصين، ورفع الكفاءة وزيادة الإنتاج ومحاربة الجهل وخفض معدلات الأمية المرتفعة عند المسلمين.

6/ «ضمان الحرية الثقافية وتدعيمها، حيث حرية الثقافة، وإن كانت تنبع من العدالة في توزيع الإمكانيات والإبداعات الإنسانية على الأفراد، فإنها في الوقت نفسه عامل أساسي في إغناء الحياة الثقافية وزيادة عطائها، ولكن لا يجوز فهم الحرية أنها فتح للباب أمام كل تعبير، وقبول كل فكر، ولكن الحرية المقصودة هي الحرية المنضبطة بضوابط»<sup>4</sup>.

<sup>1</sup> -سورة الحديد، الآية: 25.

<sup>2</sup> - علي بن محمد الجرجاني، التعريفات، دار الكتب، بيروت، ط1، 1987، ص15.

<sup>3</sup> -سورة الرعد، الآية: 11.

<sup>4</sup> -حسن حنفي، الثقافة العربية بين العولمة والخصوصية، منشورات فلادلفيا، ط1، 1999، ص45.

7/ أن تتعرف على «العولمة الثقافية، والكشف على مواطن القوة والضعف فيها، ودراسة سلبياتها وإيجابياتها برؤية إسلامية منفتحة، غايتها البحث والدراسة العلمية»<sup>1</sup>، «وإدراك وفهم التناقضات التي تكتنف فكرة العولمة وكشف الزيف الذي تتستر قواها خلفه»<sup>2</sup>.

9/ دور وسائل الإعلام في الحفاظ على الهوية ودعمها، فضلاً عن استيراد البرامج التي تُهدم الهوية دون نظر أو تمحيص، كما يجب على الدول والعلماء وقادة الرأي ورجال الفكر، الضغط على وسائل الإعلام الخاصة كل بما يستطيع لمراعاة هوية الأمة وقيمها.

10/ «تنشيط التفاعل والحوار الثقافي العربي مع ثقافات الأمم الأخرى، أن نثري ثقافتنا العربية بما نراه ينفعنا ولا يضرنا من الثقافات الكونية الأخرى، وفي الوقت نفسه نعرف تلك الثقافات العالمية بما لنا من تراث وتقاليد وقيم اجتماعية عريقة»<sup>3</sup>.

وهنا يستوجب التصدي للغزو الثقافي المعولم بالارتكاز على المرجعية الحضارية للشعوب والأفراد وذلك من خلال:

➤ «التفاعل بين الثقافة المحلية والثقافات الأخرى الخارجية في إطار عالمية الثقافة التي تقتضي بالاعتراف التعددي الثقافي بعدم انصهار ثقافة في ثقافة أخرى، لأنَّ عالمية الثقافة تعني الاحتكاك بالثقافات الأخرى أخذاً وعطاءً بالاحتفاظ بالخلاف الأيديولوجي.

➤ الانفتاح على الثقافات الأخرى في حدود التبادل والتوازن الثقافي على أساس الحوار دون نفي ثقافة الآخر.

<sup>1</sup>- سمير أمين، برهان غليون، ثقافة العولمة وعولمة الثقافة، دار الفكر المعاصر، بيروت، ط1، 1999، ص100.

<sup>2</sup>- أنور الجندي، حتى لا تضيع الهوية الإسلامية والانتماء القرآني، دار الاعتصام، سلسلة الرسائل الجامعية، مصر، د. ط، د. ت، ص03.

<sup>3</sup>- محمد الشبيني، صراع الثقافة العربية الإسلامية مع العولمة، دار العلم للملايين، مصر، ط1، 2002، ص65.

- التعبئة والاستعداد الكامل المبني على أسلوب المواجهة المبني على الاعتقاد والإيمان وعلى الحضارة والرصيد العلمي والتاريخي للنهوض بالهوية الثقافية»<sup>1</sup>.
  - الاستفادة من العولمة في مجالها الإعلامي والتقني والاتصالي وذلك يجلب التكنولوجيا واستخدامها في أغراض من شأنها حفظ الهوية الثقافية، دون المساس سلبا بخصوصية هذه الهوية.
  - يجب التحرك لإبراز الهوية الثقافية دون البقاء مكتوفي الأيدي وانتظار الغزو الثقافي الغربي من أجل استهلاكه والاعتراف به، ودون شروط تفرض نفسها من الهوية الثقافية المحلية.
  - «وجوب الربط بين بين الوعي القومي والهدف الوحدوي من جهة، والوعي اللغوي من جهة، لبلوغ التكامل الذي يكون بالوعي الثقافي والقومي المرتبط بالوعي اللغوي السليم»<sup>2</sup>.
- يمكن القول إنَّ رفع النقاب عن مسألة الهوية والعولمة تثير الكثير من التحديات على مستويات شتى، فقد باتت القضية شائكة بينهما، لأنَّ العولمة باتت خطرا محققا يُهدد هوية الأفراد.

#### 4/الهوية والشخصية:

مازالت الشخصية في الرواية الجزائرية المعاصرة، مصدراً أو مركز المتخيل السردي، إذا لا يكاد عمل روائي معاصر من هذا النسق في التكوين السردي وهو ما يفسر اليوم الاحتفاء بالتكوين الواقعي للشخصية، فالرواية تُقدم شخصياتها في شبكة من العلاقات الاجتماعية ليست خارجة عن التاريخ، ومضمراته بل متأثرة في ذلك بتيار الرواية الجديدة وما استجد فيها من نماذج سردية توحى بأنَّ الإنسان/الفرد مازال يعني كل شيء وأنَّ هذا العالم يتمحور حوله على الرغم من كل معاول الهدم التي أحدثها التاريخ الذي شوه الإنسان وجعله تابعاً، -وهو ما تصوره علاقة الأنا بالآخر-، ليتحول العالم إلى فعلٍ نافٍ للتقييم الإنساني المجسد بالشخصية، لكن الشخصية وبمحكم مركزيتها بقيت رثة العمل الروائي ومسبار يصبو من خلاله الروائي إلى بث أفكاره ورؤاه وتوجهاته.

<sup>1</sup>-أسعد السحراني، ويلات العولمة على الدين واللغة والثقافة، دار النفائس، ط1، 2002، ص09.

<sup>2</sup>-أسعد السحراني، ويلات العولمة على الدين واللغة والثقافة، ص87.

تضطلع الشخصية في العمل السردي بمهام عديدة شكلاً ومضموناً، فهي الأداة التي يُعبر بها الروائي عن منحى فكري، أو اتجاه إيديولوجي، بما في ذلك الاتجاهات السائدة المعبر عنها في المتن السردي، «وتتوقف أهمية الشخصية على هيئة النص، وهيئتها هي فيه، فقد تكون فعالة، أو مستقرة، أو مضطربة، أو سطحية، أو عميقة، ويمكن تصنيفها وفقاً لأفعالها، وأقوالها، ومشاعرها، ومظهرها»<sup>1</sup>، أي أنّ الشخصية من ناحية الشكل هي الرابط الأهم بين المكونات السردية الأخرى.

ومع تطور العالم وبروز الثورة الالكترونية، تحولت الرواية في طريقة بناء معطياتها، وتحول حال الشخصية ومستوى حضورها في الرواية «فإذا كانت الشخصية في الرواية الواقعية ذات حضور مسيطر مهيمن على جميع المجريات، ابتداءً من الشكل والملامح الظاهرة، وصولاً إلى التفكير والمشاعر، فهي محاطة بكل التفاصيل والجزئيات وبكل ضروب الاهتمام»<sup>2</sup>، «أما في الرواية الجديدة فقد أصبحت التفاصيل قليلة ومكثفة، وغدا نرأى ماثوثاً في مواضع متباعدة من الرواية، ولم يعد الوصف يعطينا صورة المرئيات، كما هي في مظهرها الخارجي»<sup>3</sup>. وإنما المهم هو التعبير عن فكرة ما واتجاه واضح، وموقف إيديولوجي معين، «لا يحيل على عالم الأشياء، بل يتصل بالأفكار والخواطر»<sup>4</sup>. هذا وقد تعدد الشخصية داخل المتن الروائي، فتعبر كل منها عن حالة ما أي تمثل جماعة بشرية، تتخذ صفاتها وتقوم بأدوارها.

لم يتوقف الأمر عند هذا الحد، بل اتجهت الشخصية تحت إلهام الحاجة إلى تمكين الذات وتحقيق الهوية نحو تحطيم الشخصية الكلاسيكية، وبناء نموذج أكثر تحراً قصد جعل المتخيل السردي وسيلة لإعادة تشييد هويتها الثقافية. وهذا يؤكد أنّ الابداع الروائي لم يكن بعيداً عن التحولات التي شهدتها الرواية في الآونة الأخيرة، ويحمل هذا النمط من الشخصيات وجهة نظر الكاتب «وطابع الشخصية

<sup>1</sup>-جيرالد برنس، المصطلح السردي، تر: عابد خزندار، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ط1، 2003، ص42.

<sup>2</sup>-الصادق قسومة، النزعة الذهنية في رواية الشحاذ، دار الجنوب للنشر، تونس، د. ط، 1992، ص80.

<sup>3</sup>-المرجع نفسه، ص83.

<sup>4</sup>-المرجع نفسه، ص85.

يسمح للقارئ بالحكم عليها، وبأنَّ يجيها أو يمقتها، وبفضل هذا الطابع ستسلم الشخصية اسمها في المستقبل إلى نمط إنساني، وكأنَّ هذا النمط الإنساني كان ينتظر أن ينتهي المؤلف من تعميده له»<sup>1</sup>.

لهذا لا بدَّ أن تكون الشخصية متميزة بوجودها وعواطفها وبنظرتها إلى الآخرين وإلى العالم المحيط بها، فتساعد في معرفة القوى التي تحرك الواقع، وتُعبّر عن حركة وحيوية الحياة والتفاعل فيها فالشخصية عمود لا يمكن تجاهله في الرواية ومن دون الشخصية لا وجود للرواية.

ترتبط سيطرة الشخصية على العمل الروائي «بهيمنة النزعة التاريخية والاجتماعية»<sup>2</sup>، إلا أنَّ الرواية الجديدة نزعت عن الشخصية تلك الهيمنة وجعلتها صورة وورقية «وبدأت الأفكار تتجه إلى دراستها، أو تحليلها في إطار دلالي حيث تغتدي الشخصية مجرد عنصر شكلي وتقني للغة الروائية»<sup>3</sup>، ومع ذلك تبقى الشخصية الصورة التعبيرية الأقرب للتعبير عن الثقافة والأدب، والقضايا الاجتماعية، والتاريخية، سواء أكان ذلك في الرواية الجديدة أم التقليدية.

ومن معالم الشخصية في الرواية أنَّها لا تتحدد في الغالب، بالعلامة التي تُعلم بها، ولكن بالوظيفة التي توكل إليها، فقد يطلق روائي اسماً جميلاً جداً على شخصية شريرة جداً في عمله الروائي، نكاية في القارئ وتعتيماً للأمر عليه، فلا تراه يهتدي السبيل إلى اللعبة إلا بعد انتهائه من قراءة الرواية.

لقد جاءت الصلة وطيدة بين الهوية والشخصية، ولأنَّ الشخصية تختص بنشر ثقافة الإنسان من علم، ومعرفة، ومواقف حضارية عامة، فقد كانت هناك «مشاكل تتعلق بالهوية تتجلى في أربعة مستويات، الاثني، والديني، والسياسي، والثقافي، وإن خفت جذوة البقية في أيامنا فقد بقيت مشاعر الوحدة والشعور بالانتماء إلى ثقافة واحدة تُعزى للإسلام بوجود الآخر الذي كان مرآة لأنفسنا»<sup>4</sup>.

<sup>1</sup>-آلان روب غرييه، نحو رواية جديدة -دراسات في الآداب الأجنبية-تر: مصطفى إبراهيم مصطفى، دار المعارف، مصر، د. ت، ص 35.

<sup>2</sup>-عبد الملك مرتاض، في نظرية الرواية، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، د. ط، 1998، ص 76.

<sup>3</sup>-المرجع نفسه، ص 78.

<sup>4</sup>-شهلا العجيلي، الخصوصية الثقافية في الرواية العربية، الدار المصرية اللبنانية، مصر، د، ط، 2011، ص 36، 37.



وبسبب هذا التحول بدأت أزمة الإنسان العربي تتجلى في النصف الثاني من القرن العشرين إلى الآن، عكستها شخصيات نجيب محفوظ، والطيب صالح، أما بعد 1967 فعكستها شخصيات يوسف السباعي، ونصرالله إبراهيم، واسيني الأعرج، وأمين معلوف... إلخ، فانعكست الشخصيات التي نسجها الروائي على المتن السردي، فحملت الهوية الشخصية ايدولوجيات كثيرة، تعكس رؤى أصحابها، ما ولد «أزمة ثقافة التي في الحقيقة أزمة هوية»<sup>1</sup>، ومن ثمة فالشخصية تدرس في العمل الروائي من خلال أبعادها السياقية (الاجتماعية، والنفسية، والفكرية)، حيث يتم التفاعل بين الشخصية الإشكالية والإيجابية، الاستبدادية والهامشية/المقهورة، العلمانية والدينية/الصوفية، البسيطة والمعقدة، الجاذبة والمنفرة، الحداثية والتراثية، الإباحية والأصولية، الأيدولوجية (...). وهذا ما نلمسه في الروايات المعاصرة.

### 5/الهوية والاعتراب:

يُعَدُّ الاعتراب من أكثر المفاهيم التصاقاً بالإنسان «فقد ارتبط مفهوم الاعتراب بالانفصال والابتعاد عن الأرض بين كل ما هو موحش وحزين ومسبب للشقاء فتجاوز المدلول المادي إلى ما هو أعمق وأبعد من ذلك والذي يتجلى في المعنى الحسي المتعلق بالنفس والجانب الروحي»<sup>2</sup> والمتأمل للنصوص الروائية يلمس طغيان مشاهد الاعتراب بمختلف أشكالها إضافة إلى الإحساس بالمعاناة جراء البعد عن الوطن أو الشعور بالغربة داخل الوطن بسبب تعلق الذات بكل ما هو بعيد ما دفع الأدباء إلى الكتابة عنه في نصوصهم الإبداعية «وهذه غربة المثقف في كل زمان ومكان، وربما كان المثقفون المعاصرون أكثر عرضة لتصدع الذات والغربة»<sup>3</sup>، فجاء الاعتراب سليل الهوية لأنه وثيق الصلة بثقافة المجتمعات الإنسانية التي تُشكل ذات الفرد وتُحدد هويته المفقودة «فالاعتراب مقولة غير محدودة المعالم يختلف معناها باختلاف استعمالاتها فهناك اعتراب بالمعنى الحقوقي وهو التنازل عن الملكية لصالح الآخر، كما تعني في الطب الاضطراب العقلي الذي يجعل الانسان غريبا عن ذاته ومجتمعه، أمّا في الفلسفة فتشير إلى

<sup>1</sup> -محمد العربي ولد خليفة، المسألة الثقافية وقضايا اللسان والهوية، منشورات ثالة، الجزائر، ط1، 2007، ص83.

<sup>2</sup> -فيصل عباس، الاعتراب، الإنسان المعاصر وشقاء الوعي، دار المنهل اللبناني، لبنان، ط1، 2008، ص21.

<sup>3</sup> -بوشوشة بن جمعة، أسئلة الكتابة والصور، دار سحر لنشر، تونس، ط1، 1998، ص15.

غربة الإنسان عن جوهره»<sup>1</sup>، ومن هذه الناحية يتقاطع الاغتراب مع الهوية حين يتعد الإنسان عن جوهره ويندمج في ثقافة تجعله غريباً عن ذاته وقد أكد العديد من الباحثين على أنّ الاغتراب «وثيقاً بالإنسان الذي فقد روح التناغم والانسجام في حياته، فلا يوجد من البشر من لم يعاني من هذه الحالة في أبسط معانيها، وفي ظل ظروف لا إنسانية فرضتها التعفّنات التي فرضتها المجتمعات وتسببت في اندثارها»<sup>2</sup>، إذن فالهوية صارت تُعبر عن بواطن الإنسان فكشفت عن واقعه بكل رهاناته، فنجد كثير من حالات التشظي التي أضحت سمة طافحة في الأعمال السردية، وهو ما يجعلنا نقف أمام مصطلح الاغتراب الذي يعنى بحالة الانفصال بين الفرد والموضوع، وبين الفرد والأشياء المحيطة به، وبين الفرد والمجتمع، مما يعني أنّ علاقة الفرد بالأشياء أو بالموضوع علاقة سوية، فهو يعيش بين أهله وفي مجتمعه ولكن في دائرة الغربة والانفصال، إنّه يعيش في عالم مجرد من القيم لدرجة أنّه لا يرفض الحياة فقط بل يعاديه، فيدخل الفرد إلى عالم اللانتماء ويفقد الحس والوعي، ما يحيل بنا إلى القول أنّ «الاغتراب ظاهرة اجتماعية ذات جذور تاريخية وواقعية، حيث تدخل القوى المنتجة في الصراع مع علاقات الإنتاج وأصبح العمل الأخلاقي مغترباً ولم يعد الإنسان يتعرّف على نفسه في إنتاجه وبدا له عمله كقوة معادية له»<sup>3</sup>، يبدو أنّ الاغتراب هو الحالة التي يفقد فيها الإنسان القدرة على القيام بأدواره الاجتماعية الغير مستعصية، فينجر عنه انهيار لذات الشخص، وتمزق مشاعره، ويفقد نفسه بوصفه موجوداً له خصائصه الإنسانية، فيمضي في الحياة على نحو لا إنساني لأنّ الاغتراب «يُشكل أكبر مشكلة لدى الإنسان عبر العصور المختلفة، وفي هذا العصر وبالذات حيث انفصل الإنسان على الإنسان في المكان، وتباعد في الزمان فالمعاناة والشعور بالوحدة وبالغناء المحتوم، تُشكل سمة واضحة في شخصية المغتربين وسلوكهم، فالاغتراب نمط من التجربة يعيش الإنسان المغترب من خلال هذه الظاهرة المرضية كشيء غريب،

<sup>1</sup> - سناء خضر، النظرية الخلقية عند أبي علاء المعري بين الفلسفة والدين، دار الوفاء للطباعة والنشر، الإسكندرية، ط1، 1999، ص98.

<sup>2</sup> - مراد العبد لله، جيوبوليتيكا النص الأدبي، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية، ط1، 2008، ص75.

<sup>3</sup> - سمية بن عمارة، منصور بن زاهي، الشعور بالاغتراب الاجتماعي لدى الشباب مستخدم الانترنت، دراسات نفسية تربوية، مخبر تطوير الممارسات النفسية والتربوية، جوان 2013، عدد10، ص53.

والاغتراب يُشكل تنافراً بين الطبيعة الجوهرية للشخص المغترب ووضعه وسلوكه الفعلي»<sup>1</sup>، وهو يتعلق بالهوية كظاهرة شكّلت خللة واضحة في كيان الإنسان، فالهوية محصلة الأحداث التي تنسج منها حياتنا لذلك تتعالق بشكل كبير مع الاغتراب.

إنّ ما نشهده اليوم من صراعات أيديولوجية في مجتمعنا هو اغتراب وفقدان الهوية ينم عن الجهل بثوابت حضارتنا التي تدعو لتقبل الآخر، ولا تجد غضاضة في الاختلاف بل وتعتبره من المظاهر الصحية في العلاقات بين الأفراد، ما يؤكد على أنّ الاغتراب «هو التجاذب النفسي بين الرضا والرفض، بين الحرية والقهر، بين الانفتاح والانغلاق، بين الرجاء والإحباط، بين سقوط الإنسان ومحاولة تجاوز هذا السقوط أو الانحراف، بين التوازن والاضطراب، إنّه تعبير عن التوتر والقلق النفسي، وضياع الذات أو استشعار الخوف من فقدان الأمن والأمان، والفرح والسعادة، والتواصل مع الجوهر الطبيعي»<sup>2</sup>. استطاعت الهوية أن تخلق للفرد عالماً اغترابياً، فكلاهما يرتبطان ببعضهما، ارتباطاً وثيقاً فيشتركان في العديد من الخصائص والمزايا التي تحدد هوية الإنسان وفي الوقت ذاته تبرز علامات اغترابه.

نستنتج من كل ما سبق أنّ مفهوم الهوية مفهوم مرّن تتجاوزه مفاهيم كثيرة كالأنا، والانتماء، والعولة، والشخصية، والاغتراب، ويتوزع على بنيات مختلفة منها ما هو نفسي، ومنها ما هو اجتماعي، ومنها ما هو ثقافي، ومنها ما هو لغوي، ومنها ما هو ديني، كما تباينت مكوناته بين المكونات المادية والمكونات المعنوية.

وإذا كان حال مفهوم الهوية بهذه المرونة والاتساع على المستوى النظري فإنه في الخطاب الروائي يتخذ معنى آخر سمته الأساسية التجاوز والإبداع الناجمين عن تفاعل ذات المبدع مع العالم الخارجي.

<sup>1</sup> -دراسة محمود، الغربية في شعر حسن بكر الغزالي، مجلة تشرين للدراسات والبحوث العلمية، 1992، ع1، م14، ص115.

<sup>2</sup> - حسين جمعة، الاغتراب في حياة المعري وأدبه، مجلة جامعة دمشق، 2011، م27، ص24.

## الفصل الثاني

تجليات الهوية في رواية "كيف ترضع من الذئبة دون أن تعضك"  
لـ: "عمارة لخصوص"

المبحث الأول: الهوية والتاريخ في رواية "كيف ترضع من الذئبة دون أن تعضك" لعمارة لخصوص  
المبحث الثاني: الهوية اللغوية في رواية "كيف ترضع من الذئبة دون أن تعضك" لعمارة لخصوص.  
المبحث الثالث: الهوية الاجتماعية في رواية "كيف ترضع من الذئبة دون أن تعضك" لعمارة  
لخصوص.

المبحث الرابع: الهوية الثقافية في رواية "كيف ترضع من الذئبة دون أن تعضك" لعمارة لخصوص.

## تمهيد:

شكل موضوع الهوية هاجساً لدى الروائي "عمارة لخصوص" نظراً لكونه يمثل مرحلة هامة من حياته قضاها في إيطاليا بين الدراسة والعمل، ولامس قلق الهوية وتشظي الذات على أرض الواقع فكانت جل أعماله الروائية ترجمة لأزمة الأنا في مواجهة الآخر، وانعكاساً لتمزق الذات المهاجرة في أرض أجنبية وتصدي لما لاقته من معاناة واضطهاد أفرزته نظرة الآخر الدونية للوافد الأجنبي، ومن ثمة طرح الكاتب موضوع الهوية في سياق تساؤلات ملحة أفرزتها الظروف السياسية، والاجتماعية، والثقافية التي شكلت مرجعية متونه السردية.

جمع "عمارة لخصوص" في رواية "كيف ترضع من الذئبة دون أن تعضك" ثقافات إنسانية شتى، واتخذ من شخصياته رمزاً للحوار والتفاعل الحضاري بين ثنائيي الشرق والغرب، وبحث في أزمة الهوية من خلال التنوع الهوياتي الذي يزخر به النص كاشفاً عما يُضمره من صراع أنساق ثقافية قوامها الهجرة، والعنصرية، والكراهية، وداعياً إلى حوار الحضارات وتعايش الثقافات في ظل نسيج روائي يتخذ من السرد البوليسي بكل سماته الفنية سبيلاً لتفاعل شخصيات متعددة الجنسيات، ومختلفة الأعراق ومتنوعة الثقافات، والهويات.

أثار "عمارة لخصوص" سؤال الهوية استناداً على تقنية تعدد الأصوات، وكشف عن أزمة الانتماء القومي التي تواجهها الذات المعاصرة في تفاعلها مع الآخر، فكانت الرواية حقلاً خصباً لرصد تمثلات خطاب الهوية، ومعيناً توسل الكاتب به للإجابة عن سؤال فلسفي قديم جديد هو: "من أنا؟" "ومن هو الآخر؟" لتأتي الإجابة من خلال إبراز مكونات الهوية التي تتعالق مع التاريخ، واللغة، والعادات والتقاليد، والرموز الثقافية، وكلها عناصر هوياتية مشكلة للأنا المتميزة عن الآخر.

## المبحث الأول: الهوية والتاريخ في رواية كيف ترضع من الذئبة دون أن تعضك لعمارة لخصوص:

لا مرأ أن ارتباط الهوية بالتاريخ، ارتباط الجزء بالكل، فالتاريخ مقوم أساسي من مقومات أيّ أمة، وهو مكون أساسي من «مكونات الشخصية الجمعيّة للشعوب، به ترتبط الجماعات ومن خلاله تتمايز، وقد أدرك الروائي تورط الهوية القوميّة في تشكيل الرؤية السردية على حد تعبير إدوارد سعيد»<sup>1</sup>، فاتسمت نصوصه باستدعاء التاريخ-من خلال ثيمات كثيرة أبرزها الأرض، والمدينة، والأحداث التاريخية-باعتباره أحد أهم مقومات الهوية الفرديّة والجماعيّة.

### أولاً-المكان مكوناً للهوية:

حضر "المكان" باعتباره موضوعاً مهماً في المتن الروائي، وارتبط بالهوية ارتباطاً شديداً، وجسد علاقة الإنسان بالأرض، والوطن، والتاريخ، وصور في إطار الصراع بين ثنائيي المستعمر/ المستعمّر نظراً لتوالي الولايات، والحروب، والنكسات على أرض "الجزائر" «إذ باتت الشخوص تبحث عن أراضي وأوطان إنسانيّة لها خارج مفهوم الخرائط السياسيّة، والجغرافيّة...، أوطان بأبعاد اجتماعيّة، وبشروط إنسانيّة، أوطان لا تُعبر في مضمونها عن ولاء غير بشري... ولاء سياسي، أو قومي، أو شعوبي... لقد باتت الشخوص مع أوجاعها الجديدة الواعية، ومع تطور البنية الاجتماعيّة وتعقدتها، تبحث عن الترجمة الحقيقية لأرض الوطن، الذي ينبغي أن يحتضن إنسانيتها، وفيه يكشف عبر أبطاله صورة المثقف المدمرة الذي يعيش بسبب وعيه الاغتراب عن وطنه، والتهديد من أبناء جلدته مؤسسات وأفراد»<sup>2</sup>.

حينما نتحدث عن الأرض، فنحن بصدد الحديث عن تاريخ أمة ونضال شعب رسم عبر تاريخه النضالي وقائع أحداث تاريخية، فهي الشاهد على كفاح الأمم المستعمرة من أجل نيل الحرية، والقضية التي ضحّت الشعوب بالنفس والتّيفيس من أجلها، وهي الإرث الأسمى عند الفرد الجزائريّ الذي كشف تاريخه عن ارتباطه بالأرض، وعن سياسة الاستعمار الغاشم الذي حاول بشتى الطرق طمس معالم

<sup>1</sup> -إدوارد سعيد: التلقيق، الذاكرة، والمكان. تر: رشاد عبد القادر، مجلة الكرمل، قبرص، ع 71-70، 2002، ص94.

<sup>2</sup> -سليمان الأزريقي، البحث عن وطن، دراسة في رواية ما بعد حزيران، مطبعة السفير، عمان، ط1، 2005، ص16.

## الفصل الثاني: تجليات الهوية في رواية "كيف ترضع من الذئبة دون أن تعضك" عمارة لخص.

الهوية الوطنية بكلّ ما تتضمنه من تاريخ، ولغة، وعادات وتقاليد، ودين، وأرض التي شكّلت: «إنّ القيمة الأكثر أهمية بالنسبة للشعب المستعمر، هي الأرض لأنّها شيء محسوس، فالأرض تؤمن الحبز وتضمن الكرامة»<sup>1</sup>. وهي رمز العراقة والأصالة، ومنبع الثبات والاستقرار.

لقد تعلق الأدباء الجزائريون بأرضهم فاستنطقوها في أعمالهم، فكانت الرواية المكتوبة باللّغة الفرنسيّة سبّاقة لطرح هذا الموضوع بالنّظر إلى حتميّة «ميلاد أدب جزائريّ بلسان فرنسيّ بعد تسعين عامًا من حرب شاملة شنّها الاستعمار الفرنسيّ على الشعب الجزائريّ أرضًا، ووجودًا، ومقومات روحية ومادية، وانطلاقًا من هذه الحقيقة التاريخيّة فإنّ هذا الأدب قد حملته أمة كرهًا، ووضعته كرهًا، ولم يأت نتيجة احتكاك حضاري مؤثر، ولا نتيجة تبادل ثقافي مثمر، ومن هنا جاء منذ اللحظة التي ولد فيها يحمل سؤال وجوده، ويطرح إشكاليّة هويته»<sup>2</sup> خاصة ما يتعلق بأرضه الأم، وأهم المقومات التي تتميز بها. ومن هؤلاء مولود فرعون في روايته "الأرض والدم"، و"يوميّات بلاد القبائل" و"نجل الفقير"، الذي صور الأرض الجزائريّة المسلوّبة الحقوق من خلال بلاد القبائل مسرح أحداث قصته، وشاهد عيان على مجازر دموية إذ يقول في مقدمة روايته "الأرض والدم": «إنّ القصة التي سوف نقصّها عليكم قد وقعت فعلاً في زاوية صغيرة من بلاد القبائل، زاوية تفضي إليها طريق جبلية ملتوية، إنّها قرية بها مدرسة صغيرة، وعدد من المنازل بطابق، ومسجد أبيض اللون يلوح من بعيد، ربما يقول قائل: إنّ مكانًا متواضعًا كهذا لا يمكن أن يكون شاهدًا إلاّ على حياة عادية مبتذلة، وشخصيات رئيسية في حكاية لا شيء فيها غريب، ولا عجيب، أليس من المدهش، أن تكون إحدى هذه الشخصيات باريسية الأصل؟ فعلاً كيف تتصور أنّ فرنسية من باريس يُمكنها أن تعيش حبسة قرية إغيل نزمان؟»<sup>3</sup>.

اهتمّ "مولود فرعون" بالبيئة القبائلية أيما اهتمامًا، فصور عاداتها، وتقاليدها، كما عمد إلى إبراز حالة البؤس التي يعيشها الشعب الجزائريّ، ومعاناته الطويلة خلال الحقبة الاستعماريّة، فهو عند الحديث

<sup>1</sup> - أم الخير جبور، الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية، دار ميم للنشر، ط1، 2013، ص93.

<sup>2</sup> - أحمد منور، الأدب الجزائري باللسان الفرنسي، نشأته وتطوره وقضاياها، دار التنوير الجزائر، ط1، 2013، ص363.

<sup>3</sup> - مولود فرعون، الأرض والدم، تر: عبد الرزاق عبيد، دار تانتقيت للنشر والتوزيع، بجاية، د. ط، 2014، ص05.

## الفصل الثاني: تجليات الهوية في رواية "كيف ترضع من الذئبة دون أن تعضك" عمارة لخصوص.

عن مشاعره اتجاه قريته يقف إجلالاً لها إذ يقول: «لم يكن ممن يحملون آية ضغينة بقريتهم على الرغم مما لدي من أسباب وجيهة تجعلني أزهد فيها، تعلم قريتي بأني تغربت كثيراً، وعشت بعيداً عنها أكثر، غير أنّها تكون قد ألفت إياي لها في كل دورة، وتعودت على رجوعي إليها في كل مرة، صارت لا تعير في أدنى انتباه لتناوب اختفائي تارة، وظهوري تارة أخرى، أو لنقل لم تعد تخشاني، تتلقاني في كل مرة بلقاء غاية في البساطة، تتلقاني كوجه مألوف تماماً مثلما تتلقى أبناءها الذين غادروها صباحاً، وعادوا إليها من الحقول مساءً، إنّ هذه العلامة من علامات الثقة، تؤثر في مشاعري تأثيراً بليغاً، وتجعلني أقدر منها ذلك الثناء تقديرًا مرهفًا»<sup>1</sup>. تعددت الروايات التي قيلت في أرض الجزائر، وشارك معظم الكتاب، والأدباء في تناول هذا الموضوع، فما من «روائي إلاّ وكانت له التفاته إلى هذه الأرض»<sup>2</sup> المقدسة الضامنة للكرامة الجزائري، ونظراً لما تمتلئه الأرض من قيمة اقتصادية، واجتماعية، وثقافية أدركت «فرنسا (...) هذه المعادلة الحساسة بين الأرض، والكرامة، [ف] كانت تسعى إلى إذلال الجزائريين، فتصادر الأراضي، وتحرم أصحاب الحقوق من العيش والعمل، لأنّ مصادرة الأرض تنزع عن العربي لباس الكرامة، وتلبسه لباس الذل والإذلال»<sup>3</sup>، وهو ما تعكسه رواية نجّل الفقير من خلال شخصية فورلو إذ وصف فيها «الفقير المعوز، العزيز النفس على أنّه لا يملك أرضاً أو يملك قطعة صغيرة بما يشغل نفسه عند البطالة، ولا توجد في مسكنه إلاّ غرفة واحدة، ويُقاسم الفناء مع جيران فقراء مثله، والجماعة مع كل الناس»<sup>4</sup>، ومنه نستشف ما للأرض من قيمة لدى أهل القرية لأنّها مصدر رزقهم، وعيشهم.

كثّف الكتاب حديثهم عن البعد الوطني، فتوقفوا في أعمالهم عند الاستعمار، وجرائمه المقترفة بحق هذه الأرض، وأهلها، وقد ركزوا على بطولات الشعب الجزائري، ومقاومته للأعداء في ثوراته المتعددة، وما حلّ بالشعب من رحيل، وتشرد، ولجوء نتيجة تلك النكبة.

<sup>1</sup> -مولود فرعون، يوميات بلاد القبائل، تر: عبد الرزاق عبّيد، دار تلاتتيق لت النشر والتوزيع، الجزائر، د. ط، د.ت، ص 07.

<sup>2</sup> -محمد عبدة بدوي، الشاعر والمدنية في العصر الحديث، عالم الفكر، 1988، م 19، ع 3، ص 193.

<sup>3</sup> -أم الخير جبور، الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية، ص 93.

<sup>4</sup> -مولود فرعون، ابن الفقير، تر: سيد أحمد طرابلسي، دار تلاتتيق لت النشر والتوزيع، الجزائر، د، ط، 2013، ص 22.



## الفصل الثاني: تجليات الهوية في رواية "كيف ترضع من الذئبة دون أن تعضك" عمارة لخصوص.

ومن بين الروائيين الجزائريين الذين صوروا الأرض بأبعادها المختلفة، نجد "مالك حداد" في روايته "الانطباع الأخير"، فجعل من مدينة قسنطينة مسرحاً رئيسياً لأحداث روايته، وهي المدينة التي وُلد بها، وعاش طفولته، وشبابه فيها، أحبها كثيراً، وتغنى بها في أشعاره، «فبنى الحدث الرئيسي فيها على عملية تفجير الثوار لأحد الجسور الذي بنى حديثاً في منطقة غير بعيدة عن المدينة، لمنع قوافل الجيش الفرنسي من استعماله لمرور الدبابات والأسلحة الثقيلة التي تستعمل لزرع الموت في القرى والأرياف»<sup>1</sup>، ولا يفوتنا هنا ما لهذا الاختبار من علاقة بالميّزة التي اشتهرت بها مدينة قسنطينة من الناحية الدلالية، والجمالية، ألا وهي الجسور، حتى لُقبت بمدينة الجسور، «ومن هنا تتخذ عملية نسف الجسر في الرواية على المستوى الرمزي دلالة قوية، تُعبر من جهة عن جو الحرب الذي أصبح يطبع المدينة العريقة، ويؤثر على هدوئها، وعلى جمالها الطبيعي الأخاذ، وتعرض من جهة أخرى إلى القطيعة الكاملة والنهائية التي أحدثتها الثورة مع النظام الاستعماري، الذي برهن طوال تاريخه أنّ لا فائدة تُرجى من إبقاء الجسور ممدودة معه»<sup>2</sup>، وهكذا فالأرض المضطهدة، والمستعمرة لم تقتصر على الأرياف فقط، بل طالت المدن العريقة. كتب مالك حداد باللغة الفرنسية، وظلت كتاباته تمثل وثيقة تاريخية ثورية تبين مدى إخلاصه، وإيمانه بالقضية الوطنية.

لم يتوقف الأمر عند "مالك حداد"، بل تعداه إلى "محمد ديب" الذي اتخذ في رواية "صيف إفريقي" من مدينة تلمسان فضاءً مكانياً له «ليروي جملة من الوقائع، والأحداث المتفرقة التي وقعت في هذه النواحي، في صيف إحدى السنوات الأولى لثورة التحرير»<sup>3</sup>، بيد أنّه، وكما تقتضي قواعد الفن الروائي، الواقعي بالخصوص «فإنّ هذه الأحداث لا يُقدمها المؤلف بمعزل عن الحيز الزماني، والمكاني الذي وقعت فيه، ولا بمعزل عن الوسط الاجتماعي الذي يتجسد من خلال شخصيات روائية تصنع الحدث أو يتأثر به بشكل من الأشكال، ومن خلال شبكة العلاقات التي تربط تلك الشخصيات

<sup>1</sup>- أحمد منور، الأدب الجزائري باللسان الفرنسي، ص 328.

<sup>2</sup>- المرجع نفسه، ص 329.

<sup>3</sup>- المرجع نفسه، ص 334.

## الفصل الثاني: تجليات الهوية في رواية "كيف ترضع من الذئبة دون أن تعضك" عمارة لخصوص.

بوسطها الاجتماعي، وبععضها بعضًا، ومن هنا تأتي الأحداث المتعلقة بالثورة متفرقة في الرواية، وضمن سياق الحياة اليومية العادية التي تتحرك فيها الشخصيات بحيث لا تحتل تلك الأحداث في واقع الأمر - على أهميتها - إلا حيزًا صغيرًا من الانشغالات اليومية الخاصة بالأبطال»<sup>1</sup>، لا يفصل "محمد ديب" في رواياته بين الأرض، والإنسان، فهما يُشكلان كائناً واحداً وموحداً، فالمساس بالأرض هو مساس بالفرد الجزائري.

لقد التزم هؤلاء الكُتّاب بقضايا الشعب الجزائري، وبرهنوا على انتمائهم لهذا الشعب، وذلك «عن طريق الأدب الاحتجاجي الذي كتبوه»<sup>2</sup>، وعبروا فيه عن الأوضاع المزرية التي آل إليها الجزائريون، فكانت الأرض، بؤرة الوطن ومحوره، ونقطة التقائه، وبمساسها مساساً بهويته، فالأرض كانت مازالت شامخة بمقدساتها، وأبنائها.

### ثانياً: الهوية/المكان.

لم يجد "عمارة لخصوص" عن غيره من الروائيين في اعتبار المكان/ الأرض مقوماً أساسياً من مقومات الهوية الجزائرية فوظفه في متنه السردي رمزاً للتنوع الثقافي، وجعله قالباً يحتوي هويات متعددة تُحافظ كل هوية على خصوصيتها، وتنصهر في بوتقة الهويات الأخرى مشكلة تلاقحاً حضارياً وسم رواية "كيف ترضع من الذئبة دون أن تعضك" بسمة متميزة قوامها الانفتاح والتفاعل والحوارية.

ارتأى "عمارة لخصوص"، أنّ تكون إيطاليا مسرحاً لأحداث روايته، جمعت هذه الأرض أجناساً متعددة، من أوطان مختلفة فجاءت رمزية الأرض مشحونة بدلالات الغربة والاعتراب، وعكست منطلقات الكاتب الفكرية، وآراءه السياسية، وانتماءاته القومية، فكانت إيطاليا نقطة انطلاق الكاتب ليعبر عن قضية مهمة تُجسد تجاربه الحياتية.

<sup>1</sup>-عمارة لخصوص، الرواية، ص 334.

<sup>2</sup>-المصدر نفسه، ص 326.

## الفصل الثاني: تجليات الهوية في رواية "كيف ترضع من الذئبة دون أن تعضك" عمارة لخصوص.

عبر "عمارة لخصوص" من خلال الأرض، عن همومه الوطنية، وقضاياه الإنسانيّة، ومواقفه القوميّة، وانتماءاته الإيديولوجيّة، فكان لفكره أثر واضح في روايته، ومن خلال هذه الأرض، تحدث عن قضايا الإنسان، والمكان معًا، فطغى وجه الوطن وهموم المواطن (سواء أكان أجنبيًا غربيًا، أو إيطاليًا)، كما أظهر الأرض الإيطالية في صورة مغايرة مشحونة بدلالات العنصرية والتمييز الذي طال كل الشخصيات.

ترتبط إيطاليا في الذاكرة الجماعيّة العربيّة بدلالات متعددة وإيحاءات مشرقة، فهي أرض تاريخيّة تعقب بالحضارة والعلم، والتراث الثقافي الأصيل، حيث برهنت بعد عدّة قرون بأنّها مهد النهضة، التي كانت عبارة عن حركة فكرية مثمرة أثبتت قدرتها على تشكيل مسار الفكر الأوروبي لاحقًا، بيد أنّ هذه الأرض، وعلى الرغم من مزاياها المتنوعة، - كانت في الرواية- طافحة بملامح الاضطهاد والعنف تجاه الآخر المختلف وهو ما تجسد من خلال الطابع البوليسي الذي كشفت خيوط البحث عن القاتل صراعات ثقافيّة، ودينية، واختلافات عرقيّة، ولغوية صبغت الجسد الروائي بفسيفسائيّة متفردة، فهي تنطلق من حدودها المكانية، وتتسع وتمتد لتصبح مكانًا مميزًا في وجدان الإنسان العربيّ لتشكل بذلك المتنفس الذي يلجأ إليه الفرد، طمعًا في كسب حياة أفضل، ولطالما كان الغرب أرضية صلبة لاستقطاب أكبر عدد من الجنسيات نظرًا للمزايا التي تتمتع بها هذه الدول، وهو ما دفع إلى هوس شبابنا بالهجرة ظنا منهم أنّهم سينعمون بحياة كريمة، ليصطدموا بالواقع المرير الذي يتستر خلف الخلفية الجميلة لتلك البلدان.

تظهر هذه الأرض بصورة سلبية من خلال ما تحمله شخصياتها من تعصب تجاه الآخر المهاجر، ومن خلال تصريح هؤلاء نستشف بأنّ إيطاليا تأبى أن تضم الغير، وهو ما يتجسد في حديث "بارونيز" مع "الغلادياتور" حول طريقة استعمال المصعد استعمالاً صحيحًا: «أنت في بيتي، لا حق لك في الكلام، هل فهمت أيها الأجنبي الحقير؟ ... ثم أخذ يصرخ في وجهي: إيطاليا للإيطاليين! إيطاليا

## الفصل الثاني: تجليات الهوية في رواية "كيف ترضع من الذئبة دون أن تعضك" عمارة لخصوص.

للإيطاليين! إيطاليا للإيطاليين»<sup>1</sup>، وهنا تأكيد صريح على ملكية هذه الأرض التي تخص الإيطاليين دون غيرهم.

تظهر إيطاليا بهويّتها الضيقة - في منظور الروائي - نتيجة تعصب أفرادها لأرضهم، فلم يتوان الروائي في إظهار تلك الحقيقة المضمرة، فنجد خطاب التهجين واضحاً في قول "بندتا" البوابة: «أنا من نابولي، أقولها بصوت مرتفع دون خجل؟ ثم لماذا أخجل؟»<sup>2</sup>، يبدو أنّ "عمارة لخصوص" اتخذت من إيطاليا رمزاً للصراع بين أراضيها، فثنائية شمال / جنوب تتجسد كظاهرة مهيمنة على الخلفية الثقافية لأبناء الذئبة، وهذا ما أكدته بعض الشخصيات في الرواية ومنها "بندتا" التي تؤكد على أصالة انتمائها إلى إيطاليا واستحالة انتمائها لبلد آخر.

إنّ المعنى العميق الذي يُشير إليه "عمارة لخصوص"، من خلال نقل أحداثه على هذه الأرض، هو ضرورة التمسك بالأرض والوطن، مهما اشتدت الأزمات، واشتدت وطأة من يملكون المال والسلطة إلا أنّ الوطن الأصلي يبقى القلب النابض للإنسان، فالأرض في هذه الرواية تنكرت لأبنائها، كما تنكرت للمهاجرين الذين فضلوا العيش تحت وطأة الدّل والمهان.

إذا نظرنا إلى تاريخ إيطاليا، وبخاصة الفترة ما بعد الحقبة الرومانية، والتي كان فيها هذا البلد مجزأً إلى عديد من ممالك كثيرة ودول المدن، مثل مملكة سردينيا، ومملكة الصقليتين، وميلانو، بعدها توحدت هذه الدول، لكن هذا التقسيم ترك أثراً سيئاً في مخيلة الشعب الإيطالي، وعمل على التمييز بين أبناء الذئبة فنجد أغلب الشخوص داخل الرواية يؤكدون ذلك الانقسام، يقول "أنطونيو ماريني": «أنا من ميلانو ولست متعوداً على هذه الفوضى...»<sup>3</sup>. إنّ الواقع المر الذي عاشه الكاتب وصورة العنصرية التي شهدتها بين أبناء البلد الواحد، جعله يعي وضع المهاجر في ظل هذا المحيط الموبوء، فمسألة شمال/

<sup>1</sup>- عمارة لخصوص، كيف ترضع من الذئبة دون أن تعضك، ص 25.

<sup>2</sup>- المصدر نفسه، ص 35.

<sup>3</sup>- المصدر نفسه، ص 83.

## الفصل الثاني: تجليات الهوية في رواية "كيف ترضع من الذئبة دون أن تعضك" عمارة لخصوص.

جنوب، شديدة الحساسية بالنسبة إلى الفرد الإيطالي، وعلى الرغم من أنّ "أنطونيو" ينبذ هذا التقسيم باعتباره مثقفاً وأستاذ مادة التاريخ بإحدى جامعات إيطاليا يقول: «بالنسبة إليّ لا فرق بين روما ومدن الجنوب كنبولي، وبلزمو وباري وسيراكوزا...»<sup>1</sup> ولا يعترف به، إلاّ أنّه يدرك أنّ هذا التمييز أمر واقع، فسكان الجنوب ليسوا إلاّ حيوانات مفترسة في نظره يمارسون الخبث واستغلال أهل الجنوب، يتضح هذا في قوله: «... هكذا أهل الشمال يعملون ويتحججون ويدفعون الضرائب وأهل الجنوب يستغلون هذه الأموال في إنشاء العصابات الإجرامية»<sup>2</sup> وهو ما شكّل احساساً بتمزق الهوية الإيطالية لدى هذه الشخصية، وعمق الهوة بين شمال/ جنوب.

سعى المؤلف إلى تصوير إيطاليا من منظوره الخاص فأبرز سلبياتها وعرى عيوبها، ولم يتوقف عند ما تلتقطه عدسة السائح من جمال، ولم تأسره بطعامها بل رآها بعين الساكن الأصلي الذي يمقت سلوكات أهلها السيئة يقول: «روما! المدينة الخالدة! روما الجميلة! روما الحب! ... أنا لا أرى روما بعين السائح الذي يأتي إليها أسبوعاً أو أسبوعين يطوف على ساحة نافونا وساحة دي سبانيا وفونتنا دي تريفني، يلتقط بعض الصور التذكارية، يأكل البيتزا والسباغيتي ثم يعود إلى بلده، أنا لا أعيش في جنة السياح وإنما في جحيم الفوضى (...). أهل روما كسالى...»<sup>3</sup>. ومن خلال شخصية "أنطونيو ماريني" غاص الكاتب في عمق المجتمع الإيطالي، وكشف عن كل تناقضاته السلبية، وسعى إلى نبذ الصراع شمال/ جنوب يقول «أنا لست عنصرياً...»<sup>4</sup> وهو إعلان صريح بنبذ العنصرية.

إنّ قضية الأرض لم تولد من العدم، وعلى نحو مفاجئ في هذه الرواية، بل إن "عمارة لخصوص" تناولها من خلال وجهين، أحدهما جاء قائماً، وفيه تحدث عن سياسة الانقسام التي يُمارسها أبناء البلد الواحد اتجاه بعضهم، فحاول إظهار ملامح التشظي، والانكسار في هذا الجزء من الوطن، ويظهر جليا

<sup>1</sup>-عمارة لخصوص، الرواية، ص84.

<sup>2</sup>-المصدر نفسه، ص85

<sup>3</sup>- المصدر نفسه، ص84.

<sup>4</sup>-المصدر نفسه، ص86.

## الفصل الثاني: تجليات الهوية في رواية "كيف ترضع من الذئبة دون أن تعضك" عمارة لخص.

في بعض المقاطع من الرواية، «أليست الذئبة هي رمز روما؟ أنا لا أثق أبداً في أبناء الذئبة، لأنهم حيوانات مفترسة متوحشة، إنَّ الحيلة الخبيثة هي وسيلتهم المفضلة في استغلال عرق الآخرين»<sup>1</sup>، وقد ركز الروائي على هذا الوجه، وتمكن من كشف الخلفية الحقيقية لهذه الحضارة.

أمَّا الوجه الآخر فبدأ عكس سابقه، فقد رد للمهاجر الاعتبار وصور روح التضامن والانسجام بين المهاجرين وهو ما يظهر في وصف الشاب الهولندي "يوهان لأمديو" يقول: «أمديو أجنبي هل يعقل أن يكون الشخص الذي يمثل إيطاليا العظيمة أجنبياً؟ إنه الوحيد الذي يجب عن أسئلتى المتعلقة باللغة الإيطالية والسياسة، والمافيا، والطبخ، والسينما...»<sup>2</sup> فعلى الرغم من أن "أمديو" مهاجرٌ إلا أن معرفته بأساسيات الهوية الإيطالية من لغة، وسياسة، وفن جعلت يوهان يتعجب من كونه أجنبياً.

إنَّ الحقائق التي عمد الكاتب إلى إبرازها، تُوحى بعدم التشبث بالأرض وبالهوية الوطنية، فقد لامس خوف أبناء الذئبة، من أهل الشمال، وخوفهم من الغريب الوافد في أن يتقلد مناصب عمل أفضل، وينعم بحياة كريمة، لهذا نجد نظرة الاحتقار، والظلم، والعنصرية تُلازم هؤلاء أينما كانوا وحيثما وجدوا تقول "بندتا" في معرض حديثها عن المهاجرين: «...ثم لماذا لا يأتون إلى إيطاليا؟ لا أفهم. البطالة منتشرة بكثرة عندنا لا يزال ابني جنارو عاطلاً عن العمل لولا زوجته مارينا الخياطة ومساعدتي المتواصلة له لصار متسولاً على باب كنيسة ساندومينكو ماجوري في نابولي...»<sup>3</sup> من هنا شكلت الهجرة رديف الهوية في الرواية، فاقترنت بها، وأبرزت تناقضات إيطاليا وصراعاتها، وكانت عبئاً على اقتصاد أهلها وعلى عادات وتقاليد السكان الأصليين.

ومثلما اقترنت موضوع الهوية بالهجرة، اقترنت -عن طريق سرد الذاكرة- بأرض الوطن، وعلى الرغم من الغربة يسترجع "أمديو" هويته المدفونة في أعماقه، تلك الهوية التي تتداعى إلى الذاكرة في شهر

<sup>1</sup>-عمارة لخص، الرواية، ص85.

<sup>2</sup>-المصدر نفسه، ص98.

<sup>3</sup>-المصدر نفسه، ص40.

## الفصل الثاني: تجليات الهوية في رواية "كيف ترضع من الذئبة دون أن تعضك" عمارة لخصص.

رمضان بكل ما يحمل من عبق الأصالة، وسحر العادات والتقاليد، فنجد نبرة الحزن طاغية على حديثه حين استحضر وطنه الأم قائلاً: «ما أقسى أن تصوم رمضان في روما بعيداً عن البهجة...»<sup>1</sup>، إنَّ الحنين إلى أرض الوطن يمزق شريانته، فالأرض بالنسبة له هي الأم، والأحبة والخلان، كما أنَّها الذكرى الجميلة التي يحتفظ بها، بعد أن اغتالها أياد خفية، واغتصبها إرهاب مستبد، يقول "أمديو": «ما الفائدة من الامتناع عن الأكل والشرب، ثم الأكل وحيداً،... كيف أنسى سهرات رمضان في الأحياء الشعبية والعودة إلى البيت في وقت متأخر من الليل؟... قالوا لي: لماذا لا تذهب إلى المسجد الكبير بروما لصلاة العيد؟ قلت لهم: لا شكرًا. لا أريد رؤية مئات المحرومين مثلي أي المحرومين من رائحة الأحبة»<sup>2</sup>.

لقد طغى شعور الاغتراب على نفسية "أمديو"، فروما بالنسبة إليه مكان غريب يشعر فيه بالوحشة والرهبنة، أرض تضع الذات موضع الحرج والضيق، فتغيب روما في صورتها الإيجابية باعتبارها موطن الانفتاح والتحرر والتحضر، ليجد "أمديو" نفسه أمام مدينة أخرى تُعاني الاختناق على الرغم من انفتاحها، وذلك بسبب الفراغ القاتل الذي يشعره. لتأتي صورة الوطن محملة بحنين جارف اتجاه تفاصيل صغيرة فقدتها الإنسان في غربته.

كان "أمديو" جزائرياً لأنه أدرك انتماءه، عن طريق تفاصيل حياته اليومية، التي تلاشت مع الحضارة الإيطالية، وتماهى في حياة جديدة تفتقر لأبسط معاني الأرض، «كان جزائرياً لأنه كان جزائرياً ولتوضيح مبدأ الهوية وهذه المعلومة البديهية التي احتفظ بها في عقله... كان جزائرياً لأنَّ اثنين واثنين يساوي أربعة، رغم أن لا دليل يثبت صحة هذه العملية. الوطنية لا نتعلمها كما نتعلم دروس الحساب، ولا تشرح أو تسرد قصتها، فالإنسان إما أن يكون أو لا يكون»<sup>3</sup>، ولا يكتمل الانتماء للأرض إلا بانتماء الفرد لها، ولا يحقق الإنسان وجوده إلا ضمن الجماعة التي تشبهه.

<sup>1</sup>-عمارة لخصص، الرواية، ص136.

<sup>2</sup>-المصدر نفسه، ص136.

<sup>3</sup>-أم الخير جبور، الرواية الجزائرية المكتوبة باللغة الفرنسية، ص115.

## الفصل الثاني: تجليات الهوية في رواية "كيف ترضع من الذئبة دون أن تعضك" عمارة لخصوص.

يمكن القول إن صورة الأرض/ الوطن في هذه الرواية، فضاء للمأساة الإنسانية، ومساحة تتشرد فيها الشخصيات مادياً ونفسياً، فما يميز هذا الفضاء الغربة وتشظي الهوية، واللا أمن وخصوصاً عدم الاستقرار، فالشخصيات تحيا في فضاء يُشعرهم بالضياع، حيث يستحيل عليهم إيجاد مكانهم، فالعالم التي تساعدهم لذلك مفقودة.

إنّ المتأمل لرواية "كيف ترضع من الذئبة دون أن تعضك" لـ "عمارة لخصوص" يجد أن مسألة الهوية طرحت من منظور متعدّد يضع بعين الاعتبار الصراعات الأيديولوجية، والقضايا السياسية، والاقتصادية، والمعطيات الثقافية، والتبعات النفسية، ويقرن المحلي بالوافد الأجنبي، ويجعل الهجرة عبئاً على الهوية، وعليه تفاعلت شخصيات الرواية وتصارعت في محاولة كلّ واحدة منها إثبات الذات وإلغاء الآخر، أنّه صراع حضاريّ وقف منه الكاتب موقف المستنكر داعياً إلى تجاوز كلّ أشكال العنصرية والاضطهاد، ومؤكّداً أنّ الاختلاف فضيلة، وأنّ الأنا يمكن أن تكمل الآخر وتتفوّق عليه.

### ثالثاً: الهوية/التنوع المكاني.

ترتبط الهوية في الرواية -موضوع الدراسة- بالمكان ارتباطاً وثيقاً، حيث أدرك الكاتب أنّ لكل مكان هويته المتفردة ورائحته الخاصة، ومن ثمة عمد إلى إبراز التنوع الثقافي وصراع الأنساق، وتعدد الهويات انطلاقاً من تعدد الأمكنة نفسها، إنّ المكان عند "عمارة لخصوص" ليس مجرد كينونة مادية جامدة بل هو روح وحياة، وثقافة، وتاريخ، فيه تتمظهر السمات الفردية للشخصية، وهو يؤثر فيها ويتأثر بها.

ولعل الملاحظة الأولى التي يمكن رصدها على توظيف المكان في رواية "كيف ترضع من الذئبة دون أن تعضك" هو التنوع من حيث البلدان والمدن التي تحضر بأسمائها الأجنبية المتعددة وأوصافها، وثقافتها وهو ما يساعد في الكشف عن هوية ساكنيها.



## الفصل الثاني: تجليات الهوية في رواية "كيف ترضع من الذئبة دون أن تعضك" عمارة لخصوص.

تدور أهم أحداث الرواية بين وطنين هما إيطاليا، والجزائر، فأما البلد الأول فيظهر لنا في كافة أنحاء المتن السردي، بل يُعدُّ هذا البلد أهم مكان تظهر فيه الشخصيات، وتتمحور حوله الأحداث، فيظهر بحلة جديدة تكشف أنساقا مضمرة خلف حضارة امتدت مدة من الزمن، في حين أنّ البلد الثاني الذي استحضره الناص يبرز كلفتة فقط من خلال الشخصية البطلة. ولكن هذا التنوع الجغرافي، لا يقتصر على هذين البلدين فقط، بل يتعدى ذلك لأنّ الأحداث تتضمن ذكرا للأماكن متعددة، فشكّل هذا التنوع رؤية الكاتب ونظرتة إلى الواقع الذي عاش فيه، ونقل تجربته.

تحضر إيطاليا في الرواية من خلال ساحة "فيتوريو في ميلانو" مشاهد أفلامها السينمائية، كما تحضر من خلال «التعلق المرضي بالماضي»<sup>1</sup>، وباعتبارها وجها مشرقا للعلم في مقابل الفوضى والكسل، والتخلف، وتصور بحمولتها الثقافية، فالسينما جزء من إيطاليا، والسباغيتي، والخمر، والموسيقى يُكسبها سمته المتفردة، وللمافيا حضور واضح في الرواية يستدعي إلى الذهن ظلام روما وقسوتها، كما للمرخوانيا، والمخدرات والاختطاف في سردينيا حضور لافت في الرواية يعكس واقع سكان هذا البلد الذي ضم الإيطالي وغير الإيطالي.

يشي المكان بتفاعل الأنساق السياسيّة، والاجتماعيّة، والثقافية، والدينية في الرواية؛ صراعٌ تجسده ثنائيات كثيرة أهمها شمال/جنوب، مسجد/كنيسة، تطور/تخلف، علم/جهل، كما يبرز الصراع الحزبي عبر صفحات الرواية لتكون إيطاليا بشوارعها ومدنها فضاء يجمع مختلف الأعراق، والجنسيات، والثقافات، ولعل أهم ثنائية فرضت حضورها على قارئ الرواية هو الصراع بين إيطاليا الشمالية، وإيطاليا الجنوبية، والذي يستدعي تنوع في الأمكنة، «روما مدينة جنوبية ولا علاقة لها بميلانو أو طورينو أو فلورنسا...»<sup>2</sup> إنّ هذا التمييز الذي تشهده إيطاليا، نابع من الخلفية الفكرية لسكانها، فالناصر عبر من خلال عمله عن الفرق الشاسع بين مدن الشمال ومدن الجنوب والتناقض الكبير بينهما، يقول:

<sup>1</sup> -عمارة لخصوص، الرواية، ص90.

<sup>2</sup> -المصدر نفسه، ص84.

## الفصل الثاني: تجليات الهوية في رواية "كيف ترضع من الذئبة دون أن تعضك" عمارة لخص.

"أنطونيو ماريني" «لم يكن قرار ترك ميلانو والقدوم إلى روما صائبًا رضحت لضغوط والذي يجب أن تذهب إلى روما يا أنطونيو يجب أن لا تفرط في فرصة عمل تتاح لك...»<sup>1</sup>، رغم مميزات مدينة روما الإيطالية، وموقعها الاستراتيجي الممتاز، وعاصمة البلاد الكبرى، إلا أن الأستاذ الجامعي "أنطونيو ماريني" لم يشأ أن تكون روما وجهته في العمل، وفضل مدينة ميلانو الحضرية لاعتبارات شتى، كونها مدينة عالمية رائدة، وهي مركز صناعي، وتجاري، ومالي، بالإضافة إلى ذلك توجد بها أكبر البنوك والشركات الوطنية، من أكبر عواصم الموضة والتصميم في العالم، فهي تجذب حوالي مليوني زائر سنويًا، بفضل متاحفها الهامة، ومسارحها، ومعالمها العديدة، وتكشف هذه المفاضلة بين المدن على ما تتميز به كل مدينة من هوية ثقافية، أو اقتصادية، أو اجتماعية.

وهذا الاختلاف لم يشمل المدن فقط، بل طال حتى الدول فيما بينها، وهو ما يظهر جليًا في قول "إلزابتا فاياني": «أنا أقول إن هذا البلد ليس بلدًا متحضرًا، قبل سنة زرت مدينة سويسرا وشاهدت بعيني كيف تُعامل الكلاب، ما أكثر محلات الحلاقة والعيادات والمطاعم المخصصة لها، بل رأيت مقبرة صغيرة في جنيف يدفن فيها الكلاب... متى تصير إيطاليا بلدًا متحضرًا كسويسرا»<sup>2</sup>، إن هذا النوع الجغرافي يُبرز الخلفية الضيقة لشخصيات الرواية، فإيطاليا في نظرهم، مجرد محيط موبوء، يشوبه تخلف كبير، لأن طريقة التعامل مع الإنسان، أو الحيوان، توحى بالعصبية المفرطة، وفي مقابل ذلك تظهر الأنا المعجبة بالآخر الغريب، فسويسرا رغم أنها بلد أوروبي إلا أنها تمتاز عن معظم الدول المجاورة لها بتنوعها الديني، واللغوي، وتمسكها بمبادئها الديمقراطية، فهي موطن الصليب الأحمر، وعديد من المنظمات الدولية التي تُدافع عن حقوق الإنسان والحيوان، تزخر بتنوع لغوي ثري، لكنها لا تُشكل أمة في معنى هوية عرقية يحكمها شعور الانتماء فقط للموطن الأصل، وبالتالي "إلزابتا فاياني" كانت على دراية بقيمة هذا البلد في احترام الغير.

<sup>1</sup>-عمارة لخص، ص84.

<sup>2</sup>-المصدر نفسه، ص61.

## الفصل الثاني: تجليات الهوية في رواية "كيف ترضع من الذئبة دون أن تعضك" عمارة لخصوص.

بدأت روما تفقد هويتها الثقافية، نتيجة الاكتظاظ التي تشهده، فقدت هذه المدينة روحها الجمالية، وأصبح أسلوب الحياة فيها لا يُطاق، نتيجة التفاعل الاجتماعي والمجرة الشرعية وغير الشرعية، التي تزداد يوماً بعد يوم، وهذا المشهد كفيل بترجمة معاناة الإيطاليين: «وصلت ثلاثة أوتوبيسات بالتتابع، نزل السائقون دون أن يكثرثوا لاحتجاجات المنتظرين بل قصدوا البار المقابل للمحطة وجلسوا على الطاولة الخارجية لشرب القهوة وتدخين بعض السجائر، بقينا نصف ساعة أخرى ننتظر انطلاق الأوتوبيس... قولوا لي: هل نحن في مقديشيو أم في أديس أبابا؟ هل نحن في روما أم في بومباي؟ هل نحن في العالم المتقدّم أم في العالم الثالث؟ أين نحن؟ عمّا قريب سنطرد من نادي الدول المصنّعة...»<sup>1</sup> فقد بدأت مظاهر التخلف تظهر في إيطاليا وهو ما يطرح سؤال الأنا بقوة فمن تكون إيطاليا ضمن الدول المصنّعة؟ وهل هي بلد ينتمي جغرافياً إلى الدول المتقدمة وينتمي سلوكياً إلى دول العالم الثالث.

لقد قدم الروائي، لوحة واسعة عن تلك الممارسات غير الأخلاقية، اللاّ إنسانية، وجل مظاهر العنصرية، والتفكك الأخلاقي، والانحراف الخلقي، الذي خصه في روايته تجاه الآخر، فكان لتغير الأمكنة وتنوعها دلالة جوهرية في بيئة المكان السردي، فالإضافة التي قدمتها رواية "كيف ترضع من الذئبة دون أن تعضك"، هي أنّها اتجهت صوب المختلف ولم تتعاط مع هذا التنوع بصدر رحب، بل كان هدفها هو تعرية الواقع، وإزالة الغطاء عن الوجه السياسي، والاقتصادي، والاجتماعي، لبلدان شتى.

تحضر الجزائر في هذه الرواية حضوراً يُعبر عن عمق التعلق بها، لاسيّما وأنّ الروائي ابن هذا البلد، وبالتالي تأخذ البهجة أبعاداً متعددة وفق منظوره، تبدأ بكونها محل الانتماء والانتساب للشخصية البطلة، وتنتهي بالحنين والاشتياق لها. بيدي "أمديو" تعلقه بالجزائر من خلال الكوايس التي تُلاحقه تقول "ستيفانيا مسّارو" في هذا الصدد: «سمعت مراراً يتمم أثناء النوم بكلمات غير مفهومة، في إحدى المرّات استيقظ من نومه مفزوعاً وهو يردّد: بجة، بجة، بجة، كان العرق يتصبب من جبينه كأنّه قرّ من

<sup>1</sup> -عمارة لخصوص، الرواية، ص83.

## الفصل الثاني: تجليات الهوية في رواية "كيف ترضع من الذئبة دون أن تعضك" عمارة لخص.

الحكيم، في اليوم التالي لم أقدر على كبت فضولي فسألت عن مدلول كلمة بجة لكنه لم يرد علي ونظر إليّ بعتاب... بقيت كلمة بجة عالقة في ذهني فحاولت أن أكتشف معناها، سألت بعض الزبائن العرب الذين يرتادون على وكالة السياحة عن معنى هذه الكلمة لكنهم لم يقدرُوا على فك ألغازها<sup>1</sup>. إنَّ هذا الحضور الخفي للجزائر، أريك "ستيفانيا" حول مدول كلمة بجة، التي عزمت أن تعرف فحواها، فالانتماء إلى الجزائر جاء عفويا تلقائياً يحمل دلالات كثيرة تنص على أهمية هذا المكان، في الذاكرة الجماعية للشخص المتن السردى، يقول "أمديو": «لا يزال الكابوس المشؤوم يلاحقني، قالت لي ستيفانيا هذا الصباح إنني صرخت أثناء النوم وكررت مرات اسم (بجة)، لا شك أنها تعني بهجة، لم أرغب في إخبارها بتفاصيل الكابوس، ما الفائدة من إشراكها في لعبة الكوايبس؟ ذاكرتي جريحة تنزف، يجب أن أضمد جراح الماضي في عزلة، ياللعسرة، صارت بهجة تحضر في الكوايبس فقط ملفوفة بكفن ملطخ بالدم، آه يا جرحي المفتوح الذي لا يندمل أبداً، لا عزاء لي إلاّ العواء...»<sup>2</sup>.

أراد الكاتب أن تحيا البهجة في غياهب مظلمة، غموض عاتم يعتريها، فبقيت رهينة الذاكرة، ومن خلال "أمديو" نستخلص ذلك التنوع الذي تمتاز به الجزائر، ويتجلى في البعد الاجتماعي للتقاليد الجزائرية العاصمة، وتظهر الرواية بعض ذلك التنوع من خلال بعض العادات، كالكسكس، والحريية، المقروط، البوراك، وقلب اللوز وكلها أصناف أكلات جزائرية أصيلة، توحى بسخاء المطبخ الجزائري وحضوره القوي في السرد الجزائري، وبالرغم من هذه الذكريات المرة والقاسية التي شعر بها الناص لمواجهة الواقع المغترب والحاضر البائس، إلاّ أنّها تظل أكثر قرباً وحميمة مقارنة بمعاناة الحاضر وحزنه، حاضر تمضي أيامه متشابهة مجسدة لمعنى الضياع، والشعور الدائم بعدم الانتماء إلى المكان، وبالتالي تكون الكتابة السردية مرتكزا فعلياً للهوية في الوقت التي تجعل «مكان مداراً للهوية، أو مبعثاً لدلالاتها ومازقتها، والهوية حين تفعل ذلك تدفعنا لمواجهة إحدى أكبر المشكلات التي تعيشها المجتمعات الإنسانية في

<sup>1</sup>-عمارة لخص، الرواية، ص122.

<sup>2</sup>-المصدر نفسه، ص127، 128.

## الفصل الثاني: تجليات الهوية في رواية "كيف ترضع من الذئبة دون أن تعضك" عمارة لخص.

سعيها لتحقيق إنسانيتها الصحيحة والمكتملة...»<sup>1</sup>، إذن فالتنوع الجغرافي بمختلف تفاصيله ما هو إلا صورة عن الهوية التي تميز مجتمع عن آخر، وفرد عن آخر.

شكل المصعد بؤرة الحدث في الرواية وعلى الرغم من أنه مكان مغلق، إلا أنه انفتح على العديد من الدلالات التي ترتبط بالشخصيات الروائية، وتعكس هوياتها العرقية والثقافية، وقد ركز الروائي على هذا المكان الصغير والضيق فجعله بؤرة الحدث تبدأ به الأحداث وتتصارع فيه الشخصيات وتبرز فيه الآراء والمواقف، وهو ما يدفع إلى التساؤل عن دلالة المصعد في الرواية وما مدى ارتباطه بالحمولة الثقافية والنفسية، والاجتماعية لكاتبها وما مدى قدرته على تعرية إيطاليا حضارياً، والكشف عما يعترها من تناقضات سياسية وعرقية، وثقافية.

يحمل المصعد، في الرواية، دلالات سلبية كثيرة تحيل إلى التناقض؛ فهو مكان للاختباء والصدام يقول: "باروينز" عن "بندتا" «كلما رأني متوجهاً نحو المصعد تطلق العنان لحنجرتها: وايو! وايو! وايو! من عادتنا في إيران احترام الشيوخ والعجائز وتجنب الألفاظ البذيئة»<sup>2</sup>، وكثيراً ما أكد الناص على دلالة الاختباء وراء المصعد باعتباره عازلاً تمارس البوابة "بندتا" صراعها مع الآخر، وتجذ فيه الملاذ والحماية لتقول ما يخطر ببالها يقول: «من عادة هذه الملعونة الاختباء وراء المصعد وهي كلها عزم واستعداد للتشاجر مع كل من يهجم باستعماله»<sup>3</sup>، وهو رمز التخلّف والممارسات اللا حضارية يقول "أنطونيو ماريني": «هناك فضيحة لا يمكن السكوت عنها: هل تعرفون أنّ سكان عمارتنا يبولون في المصعد. إنه أمر مؤسف حقاً...»<sup>4</sup> ويرتبط بالضحية "الغلادياتور" بكل ما يحمل من صفات الانحراف واللاأخلاق يقول "باروينز منصور صمدي" نافية تهمه الاشتباه بتورط أمديو في الجريمة «...أنا متأكد من براءته. ما علاقة أمديو بذلك المنحرف المقتول الذي بالمصعد؟ رأيتته بعيني يبول في المصعد، قلت

<sup>1</sup> - سعد البازغي، سرد المدن (في الرواية والسينما)، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2009، ص49.

<sup>2</sup> - عمارة لخص، الرواية، ص18.

<sup>3</sup> - المصدر نفسه، ص17.

<sup>4</sup> - المصدر نفسه، ص87.

## الفصل الثاني: تجليات الهوية في رواية "كيف ترضع من الذئبة دون أن تعضك" عمارة لخص.

له: «قلت له هذا المصعد ليس مرحاضاً عمومياً» نظر إلي بوقاحة قائلاً: «لو قلت لي هذا الكلام مرة أخرى فإنني سأبول في فمك...»<sup>1</sup> وتتحول مشكلة البول في المصعد بالنسبة إلى مجتمع الرواية إلى مشكلة حضارية وأخلاقية تؤرق هدوء سكان العمارة، وتكشف عم بواطنهم التي تتسم بالعنصرية، والاضطهاد ونظرة الإيطالي الدونية للأجنبي المهاجر.

تتسع مساحة المصعد السردية على الرغم من محدودية مساحته المادية حين يصبح مسرح الجريمة فتركز الأحداث فيه لتبدأ منه وتنتهي إليه، ويتحول من مكان يُفترض أن يوفر الراحة لمستعمليه (سكان العمارة) إلى مصدر إزعاج لهم يقول الشاب الهولندي "يوهان" «...أنا متأكد من شيء واحد: العثور على القتل في المصعد يحمل دلالة معينة. أغلب المشاكل بين سكان العمارة سببها المصعد. كانت كل الاجتماعات المعقدة تدور حول المصعد...»<sup>2</sup>.

كما يحمل دلالات إيجابية ترتبط بطبيعة رؤية شخصيات الرواية للعالم، وطريقة تفاعلهم مع بعضهم البعض أولاً ومع الأحداث ثانياً يقول "بارويز" «...أنا أعشق المصعد، لا أستعمله بدافع الكسل وإنما من أجل التأمل. تضع إصبعك على الزر دون أي جهد، تصعد إلى الأعلى أو تنزل إلى الأسفل، قد يتعطل وأنت قابع فيه، إنه كالحياة تماماً لا يخلو من العطب...»<sup>3</sup> فمن خلال هذا القول يكشف الناص طبيعة شخصية بارويز الفلسفية، ويعري داخله مبرزا الحمولة الفكرية، والنفسيّة المكونة للأناه.

تتجاوز دلالة المصعد في الرواية باعتباره رمزاً لحضارة إيطاليا وريقيها، لترتبط بالهوية السياسيّة لشخصية ما وهو ما نستشفه من قول "أنطونيو ماريني" محاولاً التعريف بأمديو «يجب أن أعترف أن امتناع أمديو عن استعمال المصعد والأتوبيس والمترو وتعلقه بالمشي جعلني أشك في انتماءه إلى تيار سياسي النازية

<sup>1</sup>-عمارة لخص، الرواية، ص 87.

<sup>2</sup>-المصدر نفسه، ص 99.

<sup>3</sup>-المصدر نفسه، ص 17.

## الفصل الثاني: تجليات الهوية في رواية "كيف ترضع من الذئبة دون أن تعضك" عمارة لخص.

والفاشية والستالينية أولاً وهو تيار الخضر...»<sup>1</sup> وهو تيار يعيق [في نظر أنطونيو ماريني] تطور إيطاليا بحجة حماية البيئة من مخاطر التكنولوجيا.

يسهم المصعد في الكشف عن هوية الشخصيات، فبين الهوية السياسية والهوية الأخلاقية تبرز الهوية الحضارية حين يغدو استعمال المصعد علامة على مدى تطور هذه الشخصية أو تلك يقول "أنطونيو ماريني" رداً "أمديو": «أعرف أنك المتحضر الوحيد في هذه العمارة ساعدني في هذه المعركة ضد البرابرة الجدد إني سأبذل كل ما في وسعي لإقناع جميع سكان العمارة بأهمية استعمال المصعد»<sup>2</sup>.

وهكذا يسهم المصعد في تحديد هوية الشخصيات ويتحول من مكان مغلق إلى مكان للحوار والتفاعل، يعري من خلاله الكاتب بواطن الشخصيات، ويكشف عن حمولاتها الفكرية، والسياسية، والأيدولوجية، ويبرز، اعتماداً عليه نظرة الأنا للآخر، وصراع الهويات والأنساق.

### رابعاً/ الأحداث التاريخية:

تشهد الأعمال السردية الجزائرية المعاصرة نقلة نوعية في توظيفها للتاريخ ليس باعتباره خطاباً جاهزاً وإنما باعتباره خطاباً ينم عن وعي الكاتب بماضيه الذي يحدد هويته «ومن هنا غدت الكتابة الروائية لا تكتفي بمجرد سرد حكايات شخصياتها، وتتبع ما يأتون به من أحداث وحسب، وإنما تعمل على تقديم حكاية وعي الكاتب نفسه في محاولته لاكتشاف ذاته ومساءلة أدوات وطرائق إبداعه، بما يجعل الكتابة نوعاً من اللعب المبدع الواعي المتخفي بالكتابة ذاتها على حساب المكتوب عنه»<sup>3</sup>، وبهذا تكون الرواية أداة طيعة تعبر عن الماضي، وتخدم الحاضر بكل توجهاته، وأفكاره، وتطلعاته.

وعلى الرغم من أن حضور التاريخ في الرواية هو حضور محتشم لا يشكل ظاهرة في حد ذاته نظراً للتركيز الروائي على إبراز مسألة التأثير والتأثر بين الشرق والغرب، إلا أن الوقوف على بعض الأحداث

<sup>1</sup>-عمارة لخص، الرواية، ص 89.

<sup>2</sup>-المصدر نفسه، ص 93.

<sup>3</sup>-محمود الضبع، الرواية الجديدة، قراءة في المشهد العربي المعاصر، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ط 1، 2010، ص 92.

## الفصل الثاني: تجليات الهوية في رواية "كيف ترضع من الذئبة دون أن تعضك" عمارة لخصص.

التاريخية الموظفة في الرواية يكشف عن صراع نفسي (علاقة الأنا بماضيها)، وصراع تاريخي تجسده ثنائيتي الماضي/ الحاضر، المستعمر/ المستعمر، وهو ما يحدد هوية كل شخصية ويكشف عن نظرتها لذاتها ونظرة الآخر لها.

تبرز هوية الكاتب العربية من خلال توظيفه لبعض الأحداث التاريخية وعلى رأسها حرب إيران ضد العراق، وهي حرب أترث سلبا على المواطن البسيط، ودفعته إلى الهجرة يقول "بارويز" في هذا الصدد: «هربت من شيراز لأني كنت مهدداً، لو عدت إلى إيران سأجد جبل المشنقة في انتظاري، عليهم اللعنة، اعتقدوا أنني غشاش وكاذب، لم يخطر ببالي أبداً ترك إيران، أثناء الحرب مع العراق حاربت في الصفوف الأولى، جُرحت أكثر من مرة، ثم كيف أتخلى عن أطفالي وزوجتي وبيتي ومطعمي وشيراز، إذا لم يكن السبب هو الهروب من الموت، أنا لاجئ ولست مهاجراً»<sup>1</sup>، إنَّ هذا المشهد المأساوي الذي صورته الروائي، ما هو إلا صورة حية عن الوضع المزري الذي شهدته تلك البلدان، فأُسفرت هذه الحرب (الإيرانية/العراقية) عن خسائر فادحة، قتل فيها ملايين الأشخاص، شُرد بعضهم، فضلاً عن الخسائر المالية التي بلغت ملايين من الدولارات.

جلبت هذه الحرب مأساً لا توصف فضلاً عن عدم الاستقرار السياسي، والاقتصادي، فكانت حياة الناس تحت تأثير التهديد، أمام هذا الوضع المزري لم يكن للأفراد خيار آخر إلا الهجرة، للبحث عن وظائف عمل والعيش بسلام، فهذه الأوضاع خلفت ضرراً عاطفياً وجسدياً لبارويز. وكانت سبباً في فقدان الأحبة والخلان، وأثناء لجوئه إلى إيطاليا، واجه بارويز مشاكل في مقر الهجرة الإيطالية، عندما طالب بالرجوع إلى وطنه الأصلي، أخبرهم بأنه لاجئ وأنَّ هروبه من إيران كان خوفاً من قتله لكن لم يصدقوه وقالوا بأنَّ هذه القصة ملفقة لا تمت للحقيقة بصلة، «لم يصدّقوا أنه هرب من شيراز بعد أن عشر حراس الثورة على بعض المناشير السياسية التابعة لمجاهدي خلق في مطعمه، صحيح أنَّ بارويز بعيد

<sup>1</sup>-عمارة لخصص، الرواية، ص23.



## الفصل الثاني: تجليات الهوية في رواية "كيف ترضع من الذئبة دون أن تعضك" عمارة لخص.

عن النضال السياسي ولا علاقة له بأحزاب المعارضة لكنه كان مهددا بالموت الأكيد، لقد فرّ في ليلة مشؤومة دون أن يقبل صغاره وزوجته، لم يكن لديه الوقت الكافي لتوديع حبيبته شيراز<sup>1</sup>.

استحضرت الرواية بعض المحطات التاريخية التي تركت انطبعاً لدى شخصيات الرواية، فنجد أنّ الهيمنة الاستعمارية بكل تجلياتها أثرت على طبيعة الفرد من الناحية النفسية والاجتماعية وحتى الاقتصادية، والفكرية مما انعكس على تكوين هويته، وهذا ما نستخلصه من "بندتا" حينما برزت حقيقة الإنسان «هكذا نحن: في وقت الشدائد نتنكر لبعضنا البعض، بدل أنّ نتعاون ونتآزر، نسعى بشتى الوسائل للإساءة إلى أنفسنا، هل نحن شعب مجبول على الخيانة؟ في الحرب العالمية الثانية قاتلنا مع الألمان ثم انقلبنا عليهم وتحالفنا مع الأمريكيين، لا أزال أذكر الجنود الأمريكيين في شوارع نابولي، آنذاك كنت شابة جميلة في مقتبل العمر...»<sup>2</sup>. شكّل العامل السياسي عموماً تحدياً للروائيين الجزائريين، فكان في أغلب الأحيان عامل هدم وإرباك للهوية الثقافية للشعب الإيطالي، وفي معظم الحالات والمواجهات أثر الأديب الهرب من السياسة، واكتفى بفضح مكائد الاستعمار وما خلفه من تبعات استعمارية، فقدمت بندتا لمحة مختصرة عن مجريات الأحداث في إيطاليا، فالخيانة، والغدر، كلها صفات غريبة لم نألّفها عن المجتمع الغربي، الذي يستتر خلف خبايا نجهلها، وبالتالي تسقط مقولة المركز والهامش التي تغنت بها الشعوب الغربية منذ بداية الصراع واللقاء غير المرغوب بين الشرق والغرب.

إنّ الأحداث التاريخية المذكورة في الرواية، تقترن دائماً بالشخصية التي عاشت هذه الأحداث وتعايشت معها، فنقل الناص معاناة الأفراد والجروح العميقة التي طبعت على ذات الشخصية وهو ما نستحضره في حديث إقبال "أمير الله": «في حرب الاستقلال عام 1971، قام الجنود الباكستانيون باغتصاب الكثير من نساءنا، لا أزال أذكر عمتي المسكينة التي انتحرت حتى لا تجلب العار لعائلتنا، آه لو كنا نملك القنبلة الذرية، أنا أقول إن الباكستانيين يستحقون الموت بالقنبلة الذرية كما حدث مع

<sup>1</sup>-عمارة لخص، الرواية، ص32.

<sup>2</sup>-المصدر نفسه، ص44.

## الفصل الثاني: تجليات الهوية في رواية "كيف ترضع من الذئبة دون أن تعضك" عمارة لخصوص.

اليابانيين في الحرب العالمية الثانية...»<sup>1</sup>. لقد مزق الاحتلال شريان العلاقات الأسرية، وبات وصمة عار طبت على جبين الإنسانية، وتحمل الفرد نتائج هذه المعاملات اللاإنسانية، وما نلاحظه هو مأساة حقيقة قام بها محتل غاشم، لهذا نجد أن إقبال يعلن كرهه الشديد تجاه الباكستانيين لما تركوا من أضرار جسيمة في حق عائلته يقول: «أنا أكره الباكستانيين كرهاً لا حدود له...»<sup>2</sup>.

تتعدد الانتماءات في هذه الرواية، لتبرز اختلافاتها عند كل شخصية، والواضح أن "إقبال أمير الله" حدد انتماءه إلى بلده من خلال عبارة واحدة "أنا من بنغلادش" وكأنه يتبرأ من كل مستعمر قام بتعذيب وتنكيل عائلته.

تعمق "عمارة لخصوص" في طرحه لمسألة الهوية عندما ناقش "أمديو" مع الأستاذ الجامعي "أنطونيو" مسألة الاستعمار فيما كشف "أنطونيو" سابقاً عبر سجله أن أمديو كان على دراية بتاريخ الاستعمار الروماني في إفريقيا، يقول "أمديو": «اليوم التقيت صدفة بالأستاذ أنطونيو في مكتبة جامعة روما، تحدّثنا طويلاً عن الإمبراطورية الرومانية وتناقشنا في قضية الاستعمار عموماً، قلت له إن الشعوب التي خضعت للاستعمار عبر التاريخ تتحمل مسؤولية كبيرة فيما أصابها، ثم رحت أفكر في مصطلح (القابلية للاستعمار)، للمفكر مالك بن نبي، هذه القابلية هي نتاج الخيانة الداخلية: خيانة الأخ لأخيه، اللعنة على الخائن بؤكو الذي غدر بيوغورطة وكل من اقتدى به، والمجد والخلود لجدي يوغورطة...»<sup>3</sup>.

منح "أمديو" للمتلقى فرصة التعرف عليه من خلال ذكر رمز "يوغورطة" فهو ابن الصحراء الكبرى التي قاومت المحتل زمناً طويلاً، والملفت للنظر أنه على حذق تام بالثقافة الجزائرية وروادها، فكان الغرض من توظيف رموز التاريخ وأحداثه، هو التذكير بتاريخ الشعب المجيد، والتمسك بالهوية الوطنية التي سعى الاستعمار جاهداً لطمسها، والرغبة الجارحة في خلق جيل مماثل في القيم والمثل السامية التي تتحلى بها

<sup>1</sup>-عمارة لخصوص، الرواية، ص 52.

<sup>2</sup>-المصدر نفسه، ص 51.

<sup>3</sup>-المصدر نفسه، ص 92.

## الفصل الثاني: تجليات الهوية في رواية "كيف ترضع من الذئبة دون أن تعضك" عمارة لخصوص.

هذه الشخصيات التاريخية، فالنّاص أراد أن يبرز أنّ للجزائر قبل الفتح العربي تاريخ حافل بالبطولات، زاخرٌ بشخصيات لعبت دوراً خالداً في الدفاع عن التراب والتصدي للاستعمار، بل أنّه جعل من التاريخ ستاراً يخنفي وراءه وجعل من شخصياته رموزاً وإيجاءات وتلميحات، استعارها ليحمّلها آراءه وأفكاره التي لا يجرؤ على التصريح بها باسمه ووردت على لسان أبطاله.

ضمّن الكاتب روايته بعض التواريخ التي تدل على الرياضة، والثقافة، والفن ليرز التنوع الحاصل في إيطاليا، وفي بعض الدول الأخرى.

إنّ التاريخ منبع ينهل منه الروائي موضوعاته، كما أنّه أداة فعالة في مقاومة أي ارتداد خارجي، فشكّل بذلك مصدر رئيسي لمرجعية الأمة وهويتها، فالدور التوعوي الذي يلعبه داخل المتن السردي كشف العديد من المعطيات، فكان بمثابة إضافة فنية في هذه الرواية.

المبحث الثاني: الهوية اللغوية في رواية "كيف ترضع من الذئبة دون أن تعضك" لعمارة لخص.

تمهيد:

تعدّ اللغة مكوناً أساسياً من مكونات الهوية الثقافية للشعوب، بها تتمايز المجتمعات بعضها عن بعض، وانطلاقاً من وحدتها يرتبط الأفراد فيما بينهم، واللغة مثل التاريخ والدين مقوم أساسي من مقومات الأمم، فهي تعكس - إلى جانب كونها وسيلة للتفكير والتعبير - روح الشعب وروح الحضارة التي ينتمي إليها الفرد والأمة. وعليه تستخدم اللغة «رمزاً للانتماء إلى جماعة بعينها، فالناس يستخدمون الكلام حتى يحدد الجماعة الاجتماعيّة التي ينتمون إليها»<sup>1</sup> وانطلاقاً من اللغة تتحدد هوية الشعوب الثقافية والاجتماعية.

وقد أقر العديد من الدارسين أنّ هناك علاقة وثيقة بين الهوية واللغة؛ فمن خلال هذين المفهومين الشاملين نتج مفهوم جديد هو الهوية اللغوية، التي أضحت مشكلة يُعاني منها معظم الكتاب وبخاصة الكتاب الفرانكفونيين الذين اتخذوا من لغة الآخر وسيطاً تعبيرياً، فاتسمت كتاباتهم بحساسية لغوية مردها التعبير عن الواقع المعيش بلغة غير اللغة الأم مما أفرز حساسية نقدية اتجه هذا النوع من الكتابات.

أدرك الكتاب الجزائريون العلاقة الوثيقة بين اللغة والهوية على اعتبار أنّ «اللغة ثقافة وحضارة وليست أداة تواصل فحسب: إنها ليست أداة للفكر بل هي الفكر بذاته وهي مرشحة بالتالي لأنّ تُشكل إحدى أهم الهويات للفرد المعاصر المتعدد الهويات، بل إنّ الهويات الأخرى كلها تُصاغ بواسطتها»<sup>2</sup> فتمثلوا هويتهم من خلالها عن طريق توظيف ألفاظ وتعابير وأسماء أعلام، وأسماء أماكن تحمل عقب التاريخ، وتجسد مخزون الذاكرة الشعبية، فكانت النصوص الروائية مجالاً لغوياً خصباً يترجم المقولات الثقافية، والدينية، والاجتماعية، والنفسيّة، والسياسية التي تسم هوية الفرد بسمة خاصة.

<sup>1</sup> - هادسون، علم الاجتماع الأدبي، تر: محمود عياد، عالم الكتب، القاهرة، مصر، ط3، 2002، ص304.

<sup>2</sup> - حسن حنفي وآخرون، اللغة والهوية في الوطن العربي (إشكاليات تاريخية، وثقافية، وسياسية)، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، بيروت، ط1، 2013، ص14.

## الفصل الثاني: تجليات الهوية في رواية "كيف ترضع من الذئبة دون أن تعضك" عمارة لخص.

تحيل اللغة العربية إلى الهوية الدينية كونها لغة القرآن الكريم، وعليها قامت الحضارة الإسلامية إنَّ «خصوصية اللغة [تكمُن] في ارتباطها الوثيق بحضارة الأمة وتاريخها الحافل فضلاً عن كونها لغة القرآن الذي شكل أحد أهم عناصر نشرها، ولغة الملايين من البشر، وقد ارتبطت اللغة بالهوية منذ أزل بعيد، فكانت تُستخدم لغة المستعمر لصهر لغتنا الأم وذوباننا فيها، وانحلال شخصيتنا، وأيقن المستعمر المستدمر بأنَّ للتوغل في بلد ما لا بدَّ أن يُسيطر على لغته، وبث لغة أخرى وهذا حال وطننا العربي، وخاصة -المغرب الغربي- الذي عانى ويلات الاستعمار، فصارت المشكلة حقيقة مرتبطة بالإرث الاستعماري، وهذا ما جعل الموقف من خيار اللغة الفرنسية أو العربية موقفاً إيديولوجياً سياسياً، ما زاد الإشكالية حدّة»<sup>1</sup> في ترسيخ مبادئ الهوية اللغوية التي تُميز شعباً ما عن غيره خاصة من جهة التقاليد، والأعراف، والتراث الفكري والمقومات الثقافية الأخرى، التي تجسد سلطة البقاء، اتجاه كل ما تتعرض له ثقافة أمة معينة، فشكّلت الهوية في «أدغال الذات، حيث تتجسد عبر انتماءات ومكونات تتعلق بالجنس، والعمر، والطبقة الاجتماعية والموروث الثقافي، الذي يشكل ركيزة أساسية فيها مما يجعل الآخر المعتدي، يهتم بالقضاء عليها، أي كل الثوابت التي تُشكل الروح والوعي»<sup>2</sup>.

لذلك ارتبط مفهوم اللغة ارتباطاً وثيقاً بهوية الأمة «فاللغة أكبر من مجرد معناها التقني المحدد وأوسع من كونها مشكلة لغوية، فهي في التحليل النهائي رمز للمجتمع العربي، وأداة تفاعل وتواصل، وطريقة في التفكير والتعبير، ونمط من الجمال، وفوق هذا كله هي قضية اجتماعية حضارية ذات علاقة وثيقة بكل من هوية الأمة وشخصية المواطن وتمايزها، ومن تم فهي عامل حاكم في تقوية الانتماء والولاء لدى هذا المواطن»<sup>3</sup>.

لعل تلك التحديات هي ما يُهدد هوية الأمة، «لأنَّ أخطر ما نشهده اليوم هو وجود ما يُشبهه بالانفصام اللغوي الذي أفرز لغات ثلاثة: فصحي، فصيححة، وعامية، إلى جانب لهجات ولغات فرعية

<sup>1</sup>-عمارة لخص، الرواية، ص14.

<sup>2</sup>-ماجدة حمود، إشكالية الأنا والآخر، عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، د. ط، 2013، ص15.

<sup>3</sup>-ضياء الدين زاهر، اللغة ومستقبل الهوية، وحدة الدراسات المستقبلية، الإسكندرية، مصر، د. ط، 2017، ص09.

## الفصل الثاني: تجليات الهوية في رواية "كيف ترضع من الذئبة دون أن تعضك" عمارة لخص.

أخرى ارتبطت بالمتحدثين باللغات الأجنبية والمتعاملين مع تكنولوجيات وأدوات الاتصال الاجتماعي، ويعكس هذا الانفصام بالضرورة انفصاماً طبقيًا واجتماعيًا له، مخاطره وتداعياته المجتمعية الخطيرة، وكذلك ما يشيع من دعوة لشعبوية جديدة تدعو إلى استخدام العامية للطعن على اللغة العربية ونعتها بالجمود»<sup>1</sup>.

ويرجع البعض هذه الهانات الحادثة في الأداء اللغوي إلى سبب وجيه وهو طريقة تعليم اللغة وتداولها وفقًا لنظريات ونماذج فكرية وممارسات عملية متخلفة، فينشأ تذبذبًا لغويًا لدى الفرد، يصحبه خللٌ في تأصيل هويته الذاتية. فكانت اللغة سلاحًا ذا حدين ينعكس بالدرجة الأولى في تكوين فكر، ووجدان، وسلوك الأشخاص، «فاللغة منظورًا إليها من زاوية الهوية، ليست مجرد إنتاج ذات الهوية، وتطويرها، أو على العكس من ذلك، تدهورها وتحللها إضافة إلى أنها أحد أركانها وأنحائها الكبرى»<sup>2</sup>. صارت اللغة كالمرفأ الجميل الذي يُحجر منه الأدباء، لتفريغ مكنوناتهم، فأبدعوا في طرق التعبير، ليأكدوا، على مدى أهميتها في حياتنا.

إذا ذكرنا الهوية اللغوية يتبادر إلى مخيلتنا ذلك الأدب الجزائري الذي كتبه الجزائريون منذ القرن المنصرم، والذي كان أرضاً خصبا لظهور الهوية اللغوية كقيمة أساسية طبعت النصوص الأدبية، هذا والمتأمل للأدب الجزائري المكتوب باللغة الفرنسية يُبرز بجلاء طبيعة انتماء هذا الجنس، «وهو الانتماء الذي يستمد هويته الدالة على جزائريته التي تُشكل خصوصيته المحلية»<sup>3</sup>، فالكتاب الجزائريون اتخذوا من اللغة وسيلة لفضح مكائد الاستعمار ومن هنا برزت إشكالية انتماء هذا الأدب كقيمة أساسية في المتن السردي، وقد كشف عديد من الأدباء أنّ الكتابة بلغة المستعمر، لم تكن بمحض إرادتهم، وأنّ المضامين المعروضة، ذات انتماء جزائري، وهو ما أكده "محمد ديب" حينما قال: «هو أدب عربي كان مضطرًا

<sup>1</sup>- ضياء الدين زاهر، اللغة ومستقبل الهوية، ص 10.

<sup>2</sup>- رمزي بعلبكي وآخرون، اللغة والهوية في الوطن العربي، ص 120.

<sup>3</sup>- بوشوشة بن جمعة، سردية التجريب وحادثة السردية في الرواية العربية الجزائرية، المطبعة المغاربية للنشر والإشهار، تونس، ط 1، 2005، ص 09.

## الفصل الثاني: تجليات الهوية في رواية "كيف ترضع من الذئبة دون أن تعضك" عمارة لخصوص.

إلى استعارة اللسان الفرنسي، لظروف يعلمها الفرنسيون قبل غيرهم»<sup>1</sup>، وهنا إشارة واضحة إلى أن اللغة لا يمكن أن يعتمد عليها كمعيار لتحديد هوية النص، مادام النص الأدبي يُعبر بصدق عن واقع المجتمع الجزائري، ويصور بواقعية حالة الفرد المأزوم فيظل وجود الاستعمار الفرنسي، و نجد ذلك في معظم الروايات التي عكفت على تصوير حالة البؤس، والفقر، والحرمان، التي يعاني منها الشعب الجزائري، كرواية الفقير "لمولود فرعون"، ثلاثية "محمد ديب"، الربوة المنسية "لمولود معمري"، الطاعون "الألبير كامو"، ومادام مضمون هذه الروايات جزائرية، فإنه أدب جزائري خالص.

لا يخفى على الدارس لهذا النوع من الأدب، أن هذه الظاهرة، ظاهرة الكتابة بلغة المستعمر، «ليست خاصة بالجزائر وحدها، فقد عرفت بنسب متفاوتة معظم بلدان إفريقيا وآسيا، وأمريكا اللاتينية، التي كانت خاضعة في يوم من الأيام للاستعمار الفرنسي ومازال بعضها خاضعاً لهذا الاستعمار حتى اليوم كما أنّها ليست ظاهرة خاضعة بالاستعمار الفرنسي وحده، فقد وجدت في أغلب البلدان التي احتلتها الدول الأوروبية في القارات الثلاث، حيث تُوجد اليوم آداب مختلفة كتبت وتكتب في تلك البلدان باللغات الإنجليزية، والفرنسية، والإسبانية، والبرتغالية، وإلى حد ما باللغة الهولندية، أي بلغات الدول الاستعمارية الأوروبية التقليدية التي بدأت هجمتها على القارات الأخرى...»<sup>2</sup>، نوه إلى أن الأسئلة التي طُرحت وتطرح فيما يتعلق بالأدب الجزائري المكتوب باللغة الفرنسية هي أسئلة مطروحة أيضاً بالنسبة للأدب الآسيوي، والإفريقي، والأمريكي المكتوب باللغات الأوروبية، لذا يجب أن نأخذ بعين الاعتبار ظروف كل بلد، وخصوصياته اللغوية والثقافية، والاستعمار الذي خضع له.

إنّ هذا التمييز له أهمية كبيرة، فهناك فرق كبير بين بلد له لغة وطنية واحدة مشتركة، مكتوبة، كما هو الحال في الجزائر، وبلد له لغات متعددة كإندونيسيا أو باكستان أو سويسرا مثلاً، وبلد ثالث ليس له إلا لهجات غير مكتوبة مثلما هو الشأن في بعض البلدان الإفريقية، ففي الحالة الأولى تكون لغة المستعمر

<sup>1</sup> - محمد ديب، ثلاثية محمد ديب (الدار الكبيرة، الحريق، النول)، تر: سامي الدروبي، دار الوحدة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، د. ط، 1958، ص4.

<sup>2</sup> - أحمد منور، الأدب الجزائري باللسان الفرنسي، ص107.

## الفصل الثاني: تجليات الهوية في رواية "كيف ترضع من الذئبة دون أن تعضك" عمارة لخصوص.

عاملاً سلبياً يعمل على زحزحة لغة البلد، وعلى إضعاف مركزها الاجتماعي، ودورها الحضاري والثقافي الذي يؤدي إلى ازدهار البلد، فخلق ازدواجية لغوية وثقافية بين فئات المجتمع، في حين يُمكن أن تلعب لغة المستعمر في الحالة الثانية دوراً إيجابياً، كعامل توحيد ثقافي، ووسيلة تفاهم مشتركة كانت مفقودة من طرف أبناء البلد الواحد... إلخ، وهذا ما يُفسر أنّ العديد من هذه البلدان اتخذت لغة المستعمر لغة وطنية رسمية.

إذن فالتضارب الذي شهده الأدب الجزائري المكتوب باللغة الفرنسية نابغ عن وجود العديد من الاضطرابات، تخص عروبة هذا الأدب وانتمائه الجزائري.

لقد أعطى هذا الأدب للإنسان الجزائري لأول مرة فرصة التعبير عن ذاته كإنسان ينتمي إلى أرض، وكشعب له كيان وله قيم، وتقاليد وآمال، وهموم، فارتبط بتاريخ الجزائر، وبالمقاومة الوطنية، وبكفاح الشعب الجزائري ضد الاستعمار الغاشم، ولهذا ليس من المنطق أن نعتبر هذا الأدب فرنسياً، بل أن «أدباء الجزائر استخدموا الفرنسية كسلاح لمواجهة الاستعمار»<sup>1</sup>، وفي مواقف كثيرة لجأ الأدباء إلى تأكيد رؤيتهم الوطنية وهو ما تجلّى في قول عبد الله الركيبي: «وجملة القول فإنّ الأدب الجزائري المكتوب بالفرنسية، قد أوجد لظروف وأسباب في مرحلة معينة، وهو إن كتب بلغة أجنبية، فإنه عبر عن مضمون جزائري وواقع وطني الأمر الذي يجعل منه أدبا محليا وطنيا»<sup>2</sup>.

إنّ استعمال اللغة الفرنسيّة لا ينقص من قيمة هذا الأدب ومن جزائريّته، فهو يظل يحمل روح المقاومة الوطنية، وتاريخها النضالي الطويل، وهذا ما يتضح في قول "محمد ديب" حينما قال: «بل قولوا إن أدباً قومياً يظهر الآن في المغرب عامة، وفي الجزائر خاصة، غير أنّ هذا الأدب يكتب باللغة الفرنسية في بلاد ذات تراث ثقافي إسلامي لا تزال تُحاول، ولو في كثير من العناء، أن تُقدم إنتاجاً أدبياً باللغة العربيّة»<sup>3</sup>. فالدلالة البليغة التي أشار إليها "محمد ديب"، هي أنّ هؤلاء الكتاب العرب قد

<sup>1</sup> - عبد العزيز شرف، المقاومة في الأدب الجزائري المعاصر، دار الجيل، بيروت، لبنان، ط1، 1991، ص157.

<sup>2</sup> - عبد الله الركيبي، القصة الجزائرية القصيرة، المكتبة الوطنية للكتاب، الجزائر، ط1، 1983، ص249.

<sup>3</sup> - محمد ديب، ثلاثية محمد ديب (الدار الكبيرة، الحريق، النول)، ص4.



## الفصل الثاني: تجليات الهوية في رواية "كيف ترضع من الذئبة دون أن تعضك" عمارة لخصوص.

كشفوا أساليب القمع، والتجهيل التي مارستها فرنسا في الجزائر، فانتزعت منهم أداة التعبير باللغة الأم، ووضعت بين أيديهم أداة أخرى هي اللغة الفرنسية، فلا حيلة لهم في الإعراض عنها إذا أرادوا أن تدور ألسنتهم بكلام أو أن تجري أقلامهم بكتابة.

هناك عامل آخر دفع بالكتاب إلى اختيار اللغة الفرنسية كوسيلة للكتابة، هو «تأخر الثقافة العربية في الجزائر، أوجد تخلفاً في اللغة العربية، مما أوجد فجوة كبيرة في الحصول على أسلوب لغوي مرن- في الأدب الجزائري بعامة، والقصصي بخاصة، فكان من البديهي أن يلجأ الكتاب الجزائريون إلى استخدام الأداة الأجنبية ملء الفراغ، فساهموا بطريقة غير مباشرة في تطور الفن الروائي نسيباً<sup>1</sup>، ومن أجل ذلك نجد الروائي والشاعر "مالك حداد" يصيح ذات يوم صيحته الموجهة في إحدى قصائده قائلاً «أنا أرطن ولا أتكلم، إنَّ في لغتي لكنة، إني معقود اللسان...، ويسمعه نقاد الأدب في فرنسا الذين قرأوا شعره فأحلوه بلغته الفرنسية الرائقة في قمة، فيحملقون، ويقولون: ما هذا التواضع، إنَّ لك لفرنسية رائعة، ولكن مالك حداد يظل يصيح صيحته الموجهة، أنا أرطن ولا أتكلم، إنَّ في لغتي لكنة، إني معقود اللسان... أنا لا أغني، أنا لا أغني... فلو كنت أعرف الغناء لقلت شعراً عربياً، نعم يا أرجوان هذه هي مأساة اللغة...»<sup>2</sup>، هكذا أحس الأدباء، الذين أراد الاستعمار أن يكون في لسانهم عقدة، كذلك يحسون بالمأساة إحساساً عميقاً أليماً، أنهم من بعدهم عن العربية في غربة ووحشة.

الحقيقة أن "مالك حداد" كان بنظره الاستشراكية للمستقبل سباقاً لطرح مشكلة هوية الأدب الذي كتبه الجزائريون باللغة الفرنسية في الفترة الاستعمارية، فهو لا ينفي جزائريته بحكم جزائرية من كتبه، والتي عكست في الغالب الأعم، وبشكل تلقائي، القيم الروحية، والأخلاقية الأصيلة للشعب الجزائري، ولكنه في نفس الوقت لم يعده أدبا قومياً (Une littérature Nationale) أصيلاً،

<sup>1</sup> - عبد الله الركبي، القصة الجزائرية القصيرة، ص 273.

<sup>2</sup> - محمد ديب، ثلاثية محمد ديب (الدار الكبيرة، الحريق، النول)، ص 6.

## الفصل الثاني: تجليات الهوية في رواية "كيف ترضع من الذئبة دون أن تعضك" عمارة لخصوص.

كما هو الحال بالنسبة للأدب المكتوب باللغة العربيّة، ونظر على أنه أدب ظرفي وانتقالي، يمثل مرحلة عابرة في تاريخ الجزائر.

وقد أكد "مالك حداد" في أكثر من موقف رأيه حينما قال: «إننا كتاب جزائريون منفيون في اللغة الفرنسية»<sup>1</sup>، أما عن تسميته "بالأدب الجزائري المكتوب بالفرنسية"، أو "الأدب الجزائري ذو التعبير الفرنسي"، وقد عبر عن هذا الرفض ومنح له اسمًا مغاير ليصبح: "الأدب الفرنسي ذو التعبير الجزائري"، وهو اسم لم يتعرض له أحد قبله، ومن خلال هذه التسمية فهو يؤكد على الروح الجزائرية التي كتب بها، وتجلت من خلال المضمون الذي عبر عنه، ولكنه يعده فرنسا بالنظر إلى وسيلة التعبير (اللغة) التي كتب بها.

لكن نظرة "محمد ديب" سرعان ما تغيرت بعد ثلاثين عامًا من المنفى والاعتراب، وهو ما عبر عنه في أحد تصريحاته سنة 1993: «إنّ رغبة التجذر في عالم غير عالمك تتكسر أمام عدم تمكنك أبدًا من لقاء مجتمع، يجب الاعتراف بما هو بديهي: ستبقى دائمًا جزءًا من أولئك المهاجرين البوهيميين الذين نصبوا خيامهم على مشارف مدينة، فإذا هم متهمون بسرقة دجاج السكان الأصليين»<sup>2</sup>.

وتمر "آسيا جبار" بالأزمة نفسها، وتعترف بها صراحة، بل وتردد تعبير "مالك حداد" عن هذه الأزمة حين تستعمل لفظ "المنفى" فتقول: «لقد كان منفانا الأول لغويا، وكان ذلك منذ عهد الصبا»<sup>3</sup>، وكانت "آسيا جبار" تُعدّ الازدواجية اللغوية نوعًا من العرج المزدوج، لأنها نوع من الإعاقة.

إنّ تباين العديد من الآراء والمواقف حول هوية هذا الأدب، جعل البعض ينظر إليه على أساس الروح الجزائرية التي كُتبت بها، بغض النظر عن باقي الأشياء الأخرى، وحتى ندرك أبعاد المشكلة من أساسها، ونتعمق في فهمها، ينبغي أن نذكر بأنّ مسألة الانتماء إلى الجزائر قد طرحت، من الناحية

<sup>1</sup> - أحمد منور، الأدب الجزائري باللسان الفرنسي، ص 128.

<sup>2</sup> - المرجع نفسه، ص 129.

<sup>3</sup> - Jean déjeux, situation de la littérature maghrébine de langue française, p87

## الفصل الثاني: تجليات الهوية في رواية "كيف ترضع من الذئبة دون أن تعضك" عمارة لخصوص.

التاريخية قبل مطلع القرن العشرين من قبل المستوطنين الفرنسيين، وكان هناك من بينهم من ولد في الجزائر، الذين أرادوا، بعد أن تم لهم انتزاع الأرض من أهلها، أن ينتزعوا منهم الانتساب إليها أيضاً، فوصفوا أنفسهم بالجزائريين، وكتبوا أدباً أرادوه أن يكون من داخل الجزائر، يتمتع باستقلالته، في مقابل الأدب الذي كتبه عن الجزائر ككتاب من الخارج.

كل هذا يُمثل الفئة التي «تُعبّر عن الأدب المكتوب باللغة الفرنسية أدبا جزائرياً بدون نقاش ولكن كانت وجهة رأي آخر تماثلها فئة تؤكد أنه فرنسي نظراً إلى اللغة التي كتبها»<sup>1</sup>.

ما من مرة في أن الأدب الجزائري المكتوب باللغة الفرنسية ظلت تتنازعه أمور شتى، فبين مؤيد ومعارض، يبرز ذلك التناقض في تحديد هويته، وانتمائه، فاتجه أصحاب هذا الرأي إلى أن اللغة معيار أساسي في تحديد انتمائه، وإثبات هويته، ولأن اللغة التي كُتبت بها ليس لغة وطنية فهو ليس من الجزائري في شيء ولن يكون جزائري، وإذا تأملنا تلك البدايات المذكورة آنفاً، نجدتها تُعبّر في مجملها عن الأفكار التي يروج لها المستعمر الفرنسي، ويعمد على ترسيخها داخل المجتمع الجزائري، كروايات عبد القادر الحجاج حمو، محمد ولد الشيخ، رابح زياتي، وهؤلاء يُجدون بطريقة أو بأخرى سياسة الإدماج، وهم نتاج المدرسة الفرنسية، التي تُبيح نشر الرذائل، ونشر الفاحشة، بين أفراد المجتمع وهذا يتنافى والدين الإسلامي.

وفي ظل هذه المناوشات، صرح أحد الباحثين الجزائريين قائلاً: «إنّ هذا الأدب غريب في نفسه ومنفي عن وطنه الذي كتب فيه، ولم يستطيع أن يلعب دوراً كبيراً في نهضة الأدب المعاصر بالجزائر، فضلاً على أنه يلعب دوراً كبيراً خطيراً في إذكاء نار الثورة التي قيضت للشعب الجزائري أن يكسر قيود الاستعمار الثقيلة»<sup>2</sup>، وهو ما يفند جزائرية النص.

<sup>1</sup>-محمد الطمار، تاريخ الأدب الجزائري، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، د. ط، د.ت، ص60.

<sup>2</sup>-عبد المالك مرتاض، نهضة الأدب العربي المعاصر في الجزائر (1945/1925)، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ط1، 1983، ص6.

## الفصل الثاني: تجليات الهوية في رواية "كيف ترضع من الذئبة دون أن تعضك" عمارة لخص.

وقد نحى هذا المنحى العديد من الكتاب، فنجد "إدوارد خراط" يعتقد بأن «الأدب الذي يكتبه عرب باللغة الفرنسية هو في النهاية أدب فرنسي أيا كانت الحساسية الكامنة العميقة فيه، وأيا كان دوره الاجتماعي، وأيا كان مضمونه الذي يُعالج همومًا، ومشاكل، ومشاهد أو شخصيات عربية»<sup>1</sup>، ويرجح البعض أن السبب وراء تسمية هذا الأدب، بالأدب الفرنسي كون «المراجع والقواميس التي تُشير إلى الكتاب الجزائريين ذوي التعبير الفرنسي تصنفهم من الكتاب الفرنسيين أصلاً خاصة قبل 1962 وحتى بعدها»<sup>2</sup>.

إنّ موقف الكتاب المخضرمين الذين بدؤوا الكتابة في العهد الاستعماري عانوا من مشكلة التعبير، فلم يكن لهم خيار في مسألة استعمال اللغة الفرنسية، لأنها كانت اللغة الوحيدة عدا العامية التي يتقنونها، ويستطيعون الكتابة بها، ولم يكن باستطاعتهم الكتابة بالعربية حتى لو أرادوا ذلك، ما وجهت لهم انتقادات عديدة، فرأى بعضهم أن «هؤلاء لا يُمثلون المجتمع الجزائري لأن لغتهم المستخدمة بعيدة عن لغة المجتمع (اللغة الفرنسية)، أو لأن أعمالهم تنشر في فرنسا، أو لأنهم تلقوا جوائز وتكريمات من الخارج»<sup>3</sup>، لم يتمكن الكتاب الجزائريون من إرضاء جمهورهم سواء الفرنسي أو الجزائري، وبالتالي وقف الأديب على الهامش، بين مجتمعين متصارعين في إثبات هوية هذا الأدب.

لعل ما يدعم فكرة أنّ هذا الأدب هو أدب فرنسي، تضارب كبار الروائيين، وإعجابهم بالحضارة الفرنسية، فمولود معمري لم يتوان في الرد على عبارة "مالك حداد" الشهيرة بقوله: «يجب أن لا نبكي ونشعر بالضياع لأننا نكتب باللغة الفرنسية، فأنا شخصياً إذا كتبت باللغة الفرنسية فإنني لا أشعر بأية عقدة نقص، فالكاتب مهما كانت اللغة التي يكتب بها إنما يقوم بعملية ترجمة لعواطفه وأفكاره هو (...).

<sup>1</sup> -عزالدين المناصرة، الهويات والتعددية اللغوية، قراءة في ضوء النقد الثقافي المقارن، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2004، ص386.

<sup>2</sup> -عبد الله الركبي، الفرنكوفونية مشرقاً ومغرباً، دار الكتاب العربي، الجزائر، د. ط، د.ت، ص95.

<sup>3</sup> -أم الخير جبور، الرواية الجزائرية المكتوبة باللغة الفرنسية، ص46.

## الفصل الثاني: تجليات الهوية في رواية "كيف ترضع من الذئبة دون أن تعضك" عمارة لخص.

إني أقول إن هذه فرصة، بل إنها ثروة للثقافة الجزائرية<sup>1</sup>، الحقيقة أن هؤلاء ممن خالفوا "مالك حداد" وجدوا أنفسهم يعانون المأساة نفسها، وتغيرت نظرهم بعد الاستقلال برحيل المستعمر من ديارهم.

كانت اللغة الفرنسية سبباً كافياً لاعتبار هذا الأدب فرنسياً، الأمر الذي دفع بالنقاد إلى ترجيح سبب ظهور كتاب كبار وتميزهم، هو الطابع الإيجابي للحملات الاستعمارية وللإضافات التي حققتها الثقافة الفرنسية: «فالقفرة الرائعة التي حققها كُتاب شمال إفريقيا، محمد ديب، مولود معمري، ويمكن إضافة ألبير ميمي (Albert Memmi)، فنجاح هذه المجموعة التي اتخذت كامو قدوة ومثالاً، وتميزها يدل على اتساع رقعة الثقافة الفرنسية، في فترة يسعى فيها العديد من الناس إلى نفي منافعنا في الأراضي التابعة للحكم الفرنسي»<sup>2</sup>. اتخذ هؤلاء النقاد من الثقافة الفرنسية نقطة أساسية في نسبة هذا الأدب إلى الأدب الفرنسي.

يلعب المستوى الثقافي للشعب الجزائري دوراً كبيراً في تحديد انتماء هذا الأدب، فقد وجد الكاتب نفسه، أمام وضع حاسم، وخاصة أن نسبة الأمية آنذاك بلغت 85 بالمائة، ووصلت إلى غاية 90 بالمائة، إذن لمن يكتب الكاتب الجزائري؟ وبأي لغة سيكتب؟ وبهذا لم يتمكن هؤلاء من الوصول إلى مخاطبة مختلف شرائح المجتمع، باستثناء فئة محدودة، وقد أطلق عليهم مالك حداد «الأيتام المحرومون من القراءة الأصلاء»<sup>3</sup>، زيادة على ذلك لم يتمتع الكتاب بالحرية الكاملة أو بانطلاقة الإبداع، فقد أجبرتهم الأوضاع السياسية على التصرف في كتاباتهم وخاصة حينما يتعلق الموضوع بالسياسة الاستعمارية.

<sup>1</sup> -سعاد محمد خضر، الأدب الجزائري المعاصر، منشورات المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، د. ط، 1967، ص90.

<sup>2</sup> -أم الخير جبور، الرواية الجزائرية المكتوبة باللغة الفرنسية، ص46.

<sup>3</sup> -المرجع نفسه، ص47.

فتصرفوا في أعمالهم ومارسوا رقابة ذاتية على أنفسهم، ويظهر ذلك في تصريح أحد الروائيين: «...كنت مضطراً للتعبير عن أفكارى بأسلوب غير مباشر، واللجوء إلى الغموض وأحياناً، وهذا أخطر، وأعظم، إلى اختيار مواقف ما كنت اخترتها في إطار سياسي مختلف»<sup>1</sup>.

إنّ هذا التضارب حول هوية هذا الأدب هو أمر حتمي في رأي، لأنّ الفن السردي هو أرقى أشكال الاستيعاب الجمالي للحقيقة، وبالتالي لا ضير في خلق هذه المعضلة لتحديد انتمائه وهويته، وعليه، نقول أنّ «الأدب المكتوب باللّغة الفرنسيّة هو أدب جزائريّ الصميم، لأنه خلق من رحم الوطن حمل همومه وعذابات، ولم يقتصر في رسم صورة الإرهاب الاستعماري ولا يُعاب أصحابه في لغتهم ولغة العالم، هؤلاء الأدباء اللذين استشهدوا في حياتهم، لم يكونوا إلاّ مصورين في أدبهم إحساس وشعور وطني نبيل تُصاحبه قمة الإمتاع الأدبي التي خلدت مآثره عبر الزمن»<sup>2</sup>.

### أولاً: الهوية اللغوية:

تعتبر المسألة اللغوية مسألة شائكة في الأدب الجزائريّ، ذلك أنّ التعدّد اللغويّ الذي أفرزته الظروف السياسيّة والتاريخيّة التي طالت الوطن المغربي ككل، والتي تهدف إلى طمس معالم الشخصية الوطنيّة، وتسعى إلى تقويض مقومات الهوية العربيّة الاصيلّة سرعان ما رسّخت خاصيّة الازدواجيّة/ التعدد اللغوي بين شعوب تلك المنطقة وعلى رأسها الجزائر، فظهرت كتابات جزائريّة تتخذ من لغة الآخر وسيطا تعبيرياً وخياراً فنياً كما هو الحال بالنسبة إلى كتابات الروائيّ "عمارة لخصوص" التي زاوجت بين الكتابة باللّغة العربيّة تارة وباللّغة الإيطاليّة تارة أخرى.

تُعَدّ رواية "كيف ترضع من الذئبة دون أن تعضك" نموذجاً روائياً يتضمّن توظيفاً متفرداً لتقنيات السرد أبرزها تقنية الكولاج التي تُشكل المقاطع الصحفية، والأخبار السياسيّة، والرياضية جزءاً من بنيتها، وترتكز على التقنيات السينمائية في إطار من التجريب السردّي الذي وسمه بسمّة متميّزة، قوامها التعدد اللغويّ الذي تتفاعل فيه لغات متنوعة، تستند إلى ثقافة المبدع الأصيلّة حيناً فتستمدّ ألفاظها

<sup>1</sup> - عايدة أديب بامية، تطور الأدب القصصي في الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، د. ط، 1982 ص 55.

<sup>2</sup> - محمد الطمار، تاريخ الأدب الجزائري، ص 94.

## الفصل الثاني: تجليات الهوية في رواية "كيف ترضع من الذئبة دون أن تعضك" عمارة لخصوص.

ومعانيها من لغة القرآن الكريم، والحديث النبوي الشريف، وتعتمد على اللهجة العامية متى استدعت الضرورة الفنية ذلك، وتفتح على الثقافة الأجنبية حيناً آخر فتوظف لغة الإنجيل والمسيحية، وتستعمل بعض الكلمات باللغة الأجنبية (الفرنسية والإيطالية)، فضلاً عن توظيف الأمثال الشعبية المكتوبة باللغتين العربية، الإيطالية مما أكسب الحوار بعداً شعبياً محلياً وعالمياً، وطرح فكرة التعايش اللغوي، واستثمر لغة الإجرام ولغة الشرطة، ولغة البارات، والمساحات العمومية، وتفاعل مع الوضع الاجتماعي العام للمجتمع الإيطالي، فظهرت، في النص، طبقات لغوية تعكس هويات شخصيات مجتمع الرواية على تنوع ثقافتها، وانتماءاتها العرقية، والدينية، واختلاف مستوياتها الفكرية، والاجتماعية، فتباينت لغة الأستاذ عن البواب، ولغة البائع وعن لغة التاجر، ولغة الطباخ وعن لغة الخادم.

كشفت لغة رواية "كيف ترضع من الذئبة دون أن تعضك" عن بعد هوياتي مكثف، وعكست صراع الثقافات، وحوار الحضارات، وتمثلت جملة التناقضات الفكرية، والأيدولوجية، والسياسية، والدينية بين شخصياتها، لتلخص رؤية الروائي للعالم، وكيفية تفاعله مع واقعه المعيش باعتباره مهاجراً يتميز بخصوصية سوسيو ثقافية تميزه عن الآخر الذي يُمارس عليه شتى أنواع الاضطهاد، وينظر إليه نظرة دونية أفضت إلى قلق وجودي ناتج عن تشظي الهوية، فكانت اللغة وعاء يعري هوية شخصيات الرواية، ويكشف عن مأزق الهوية.

### 1/ اللغة ومأزق الهوية:

أدرك الروائي "عمارة لخصوص" ما للغة من أهمية في تحديد هوية شخصياته على اعتبار أنها ترتبط ارتباطاً وثيقاً بالهوية، فهي تتجاوز كونها وسيلة تواصل بين الأفراد إلى كونها الوعاء الحامل للقيم والثقافة والانتماء، ولذلك شكلت عنصراً فاعلاً في بنية الحدث، أسهمت في إثارة الكثير من القضايا الشائكة -على لسان شخصيات الرواية- وعلى رأسها معاناة المهاجر في بلد يختلف عن بلده ثقافة، وحضارة، ولغة وما ينجم عن ذلك من إحساس بالغربة، وصعوبة إيجاد فرصة عمل يقول "بارونيز" «... وبالرغم من كل هذا كثيراً ما يقال لي: «أنت لا تعرف الإيطالية» أو «عليك أن تحسن لغتك أولاً» أو «آسف مستواك اللغوي منخفض جداً»، إلخ. عادة ما أسمع هذه الكلمات الأخيرة عندما أبحث عن العمل في

## الفصل الثاني: تجليات الهوية في رواية "كيف ترضع من الذئبة دون أن تعضك" عمارة لخص.

المطاعم...»<sup>1</sup> فالكثير من المهاجرين يصطدمون بالعائق اللغوي الذي يحول دون توفير الحياة الكريمة لهم، فيتعرضون لأنواع التهميش والسخرية نتيجة عدم تمكنهم من لغة الآخر، مما يجعلهم يعيشون اغتراباً نفسياً واجتماعياً يعكس على هويتهم.

اعتمد الروائي في الكثير من الأحيان على اللغة في تحديد الهوية الأصلية للشخصيات انطلاقاً من مدى اتقانها أو من إخفاق المهاجر في تمثل قواعدها، ومن ثمة كانت معرفة ما إذا كانت هذه الشخصية أو تلك من أهل إيطاليا أو أجنبياً يرتفن بطريقة كلامه، ومدى تحكمه باللغة الإيطالية، تقول بندتا «...فنأخذ على سبيل المثال الطالب الأشقر لاشك أنه من السويد يكفي أن تنظر إليه وتستمع لكلامه لتتأكد أنه أجنبي، فهو لا يتقن الإيطالية ويقع في كثير من الأخطاء اللغوية المضحكة كترديده الجملة الآتية «أنا لست جنتيلي io non sono Gentile» ومعروف أن كلمة جنتيلي تعني كلمة اللطيف والمهذب، والظريف. هل يعقل أن يقول المرء عن نفسه إنه غير مهذب أي عديم التربية...»<sup>2</sup> فعدم امتلاك اللغة يوقع في الكثير من الأخطاء التي تؤثر سلباً على صورة الأنا لدى الآخر، وتنعكس على نظره إليه، وعلى نجاح إقامته للعلاقات الاجتماعية مع السكان الأصليين.

غير أن إتقان الشخصية البطلة "أمديو" للغة الإيطالية وتشبعه بثقافة أبناء الذئبة وضع هويته على المحك؛ فاعتقدت كل الشخصيات الرواية أنه إيطالي يقول "يوهان" «أمديو أجنبي هل يعقل أن يكون الشخص الذي يمثل إيطاليا العظيمة أجنبياً إنه الوحيد الذي يجيب عن أسئلتى المتعلقة باللغة الإيطالية...»<sup>3</sup> إن اعتماد اتقان اللغة الإيطالية من عدم اتقانها معياراً للتحديد انتماء "أمديو" هو تأكيد على أن اللغة كون أساسي من مكونات الهوية، بها يتمايز الأفراد والجماعات بعضهم عن بعض، وعن طريقها يتوغل الفرد في الحمولة الثقافية والاجتماعية للآخر. وأثار سؤال الهوية في ذهن شخصية "بندتا" تقول: «أصبحت لا أفهم شيئاً. اللعنة على الشيخوخة حسناً، إذا كان السنيور "أمديو" أجنبياً

<sup>1</sup> -عمارة لخص، الرواية، ص16.

<sup>2</sup> -المصدر نفسه، ص37.

<sup>3</sup> -المصدر نفسه، ص38.



## الفصل الثاني: تجليات الهوية في رواية "كيف ترضع من الذئبة دون أن تعضك" عمارة لخصوص.

كما تدعون فمن هو الإيطالي حقا، بدأت أشكو في الجميع حتى في نفسي، سيأتي يوما يقولون فيه إنَّ بندتا اسبوزيتو ألبانية، أو فلبينية، أو باكستانية، عش ترى. إنَّه يتكلم الإيطالية خيراً من ابني جنارو بل أحسن من الأستاذ في جامعة روما..<sup>1</sup> فمن الواضح أنَّ معيار الكفاءة اللغوية هو الذي حدد هوية "أمديو" في ذهن بندتا، وهو أيضاً الذي جعلها تشك في إطاليتها.

### 2/التعدد اللغوي وتعدد الهوية:

يُعدُّ التعدد اللغوي سمة بارزة في الرواية، عول عليه الروائي لتقويض فكرة التعصب والدعوة إلى التعايش الهوياتي، فمهما تعددت اللغات وتعددت الهويات تبعاً لذلك إلا أنَّ الرابط الذي ينبغي أن يجمع بين أفراد مجتمع الرواية هو الإنسانيَّة، وعلى هذا الأساس تعددت لغات الشخصيات وتباينت تباين أعراقها وأصولها، ومن ثمة يميز "ساندرو دنديني" بين الشخصيات انطلاقاً من طريقة نطقها للكلمات، أي من لهجتها، يقول: «أنا صاحب بار دنديني المقابل لسوق ساحة فيتوريو أغليبية زبائي بجانب، أنا أعرفهم جيداً بإمكانني أن أميز بسهولة بين البنغالي والهندي، بين الألباني والبولوني، بين المصري والتونسي، مثلاً الصينيون ينطقون حر(L) بدل الحرف (R) بينما المصريون ينطقون الحرف (B) بدل الحرف (P)...<sup>2</sup>» لقد تجاوزت الرواية التمييز بين شخصياتها على أساس الملامح أو المظهر... لتعتبر اللغة علامة بارزة لتحديد الهوية.

يُشكل التداخل اللغوي ظاهرة لافتة للنظر في الرواية فمن الناحية الطوبوغرافية يبرز خطين لغويين أحدهما باللغة العربية وهو المهمين على المتن الروائي، والآخر باللغة الأجنبية ويستخدم في إطار ترجمة بعض الألفاظ والعبارات نحو: «تشاو Ciao»<sup>3</sup>، «وبارفي برافو Parvi Bravo»<sup>4</sup> و «السماك

<sup>1</sup>-عمارة لخصوص، الرواية، ص37.

<sup>2</sup>-المصدر نفسه، ص105.

<sup>3</sup>-المصدر نفسه، ص17.

<sup>4</sup>-المصدر نفسه، ص34.

## الفصل الثاني: تجليات الهوية في رواية "كيف ترضع من الذئبة دون أن تعضك" عمارة لخص.

الطازج «Pesce FRESCO»<sup>1</sup> مما أضفى على النصّ طابعا خاصًا، وأفضى إلى طبقتين لغويتين تتفاعلان مع بعضهما البعض، وتكشفان عن تعدّد هويّات مجتمع الرواية، كما تبرزان ثقافة الكاتب المتنوعة والجامعة بين اللغتين العربيّة والإيطاليّة.

تؤدي الترجمة دوراً مهماً في الرواية، فهي الوسيلة المعتمدة لتفاهم الشخصيات وتواصلهم، وعليها يعوّل الكاتب عند التعريف بالشخصيات أو الأماكن، فيمنح للقارئ معجماً لغوياً متنوعاً؛ ولذلك يعمد إلى تقديم مقابل لبعض الكلمات يقول على لسان بارونيز: «وايو هي كلمة بندتا المحببة لاشك أنكم تعرفون أنّ «وايو» تعني «كاتسو» بالنابوليتانية...»<sup>2</sup>

تظهر الكثير من المقاطع اللغويّة ظاهرة لافتة للنظر في الرواية هي تعدّد الأصوات الناتج عن الصّراع الثقافيّ، واللغويّ، والهويّاتي بين المهاجرين والإيطاليين، وبين أهل الشمال (إيطاليا)، وأهل الجنوب) ممّا ولّد تهجينا لغويّاً ظاهراً؛ ومن أمثلة ذلك لغة الوعظ والإرشاد التي تبناها "بارونيز" أثناء مشاجرته مع لورانزو مانفريدي المكنى "الغلادياتور" حول المصعد فيقول: «...ما علاقة أمديو بذلك المنحرف المقتول الذي يبول في المصعد؟ رأيته بعيني يبول في المصعد، قلت له: هذا المصعد ليس مرحاضاً عمومياً! نظر إليّ بوقاحة قائلاً: لو قلت لي هذا الكلام مرة أخرى، فإني سأبول في فمك أنت في بيتي لا حق لك بالكلام! هل فهمت أيّها الأجنبي الحقير؟»<sup>3</sup>، عزز النّاص مقصدية المقتطف من خلال كشف حقيقة الشاب الإيطالي الأصيل المدعو الغلادياتور، التي تحكمه العصبية القومية تجاه ثقافته ولغته، وهي صفة أغلب الإيطاليين الذين يحتقرون الآخر ويعاملونه بازدراء وسيلتهم في ذلك السب والقذف بألفاظ مبتذلة لا تدل على التحضّر والتقدّم لبلد يحمل شعارات رنانة حول الحرية والديمقراطية واحترام الغير.

<sup>1</sup>-عمارة لخص، الرواية، ص133.

<sup>2</sup>-المصدر نفسه، ص18.

<sup>3</sup>-المصدر نفسه، ص22.

## الفصل الثاني: تجليات الهوية في رواية "كيف ترضع من الذئبة دون أن تعضك" عمارة لخص.

في مقابل ذلك استعمل السارد كلمات عامية (بيول)، تعكس نمط هذه الشخصية، وتُعبّر عن الفئة الاجتماعية التي تنحدر منها.

تترد في هذه الرواية "كيف ترضع من الذئبة دون أن تعضك" ألفاظا دالة على شرائح اجتماعية مختلفة في إيطاليا يمثلها أصوات الإيطاليين (أهل البلد الأصليين) وأصوات المهاجرين اللاجئين، الذين حققوا تفاعلاً صريحاً وضمناً أسفر عنه تعدد لغوي، وفي خضم هذا التنوع نجد اللهجة الجزائرية في بعض فصول الرواية نستخلصها في هذا المقطع: «ما أقسى أن تصوم رمضان في روما بعيداً عن البهجة، ما الفائدة من الامتناع عن الأكل والشرب، ثم الأكل وحيداً؟ أين صوت المؤذن؟ أين البوراك؟ أين الكسكس الذي تعدّه الأم بيديها؟ ... أين صوت الوالدة المحمّل بالحنان والحب الذي يغازل أذنك: هذا السحور يا وليدي، شهر رمضان والعيد الصغير، والعيد الكبير وبقية الأعياد تدخل الحزن والشجن إلى قلبي»<sup>1</sup>. لم يمنع "أمديو" نفسه من استحضار عبق الذاكرة المشحون بلوعة الفراق وفقدان الأحبة، رغم ديار الغربة إلا أنّ الوعي بماضيه كان دافعاً لتمسكه بهويته الخفية عن الأنظار، فهو لا يتذوق حلاوة الشهر الفضيل الذي تجتمع فيه العائلة على ما لذّ وطاب من الطعام في كنف الذئبة، وأصبح هاجس الذكريات يطارده أينما حلّ وارتحل، وقد صاغ الناص كل ذلك بلهجة عامية جزائرية، وتظهر في بعض المفردات كالبوراك، الحريرة، الزلاية، وقت السحور يا وليدي، العيد الكبير، والعيد الصغير، ونجد كذلك بعض المزج بين اللغة العربية الفصحى، واللهجة الجزائرية، حومتي، الحومة، الطهارة، المربوط، الوحش، الزغاريد... إلخ.

يبدو أنّ وعي الطبقة المثقفة بالوضع الراهن جعلها تحتوي لغات شتى تحاكي تاريخ الإنسانية، فنجد لغة القرآن الكريم تصدح في هذه المصنوفة السردية، إذ وظف السارد بعض الأحاديث النبوية في قوله: «في إحدى المرات قال لي إن الرسول محمداً هو القائل: تبسمك في وجه أخيك صدقة»<sup>2</sup>، كما وظف

<sup>1</sup> -عمارة لخص، الرواية، ص136.

<sup>2</sup> -المصدر نفسه، ص52.

## الفصل الثاني: تجليات الهوية في رواية "كيف ترضع من الذئبة دون أن تعضك" عمارة لخص.

الخطاب الديني النصراني في اقتباسه من إنجيل متى "وستجعله الحقيقة حُرّاً"<sup>1</sup>، ليؤكد على انتماء الإيطاليين إلى إنجيل متى.

من خلال هذه الأمثلة نستخلص أنّ الناص وظف لغة هجينة لاحتواء مختلف الأعراق، والديانات، والطوائف، فامتازت هذه اللغة، «بلغة ذات طابع خاص وتاريخ غير طبيعي حديث، إنّها تنشأ من اتصال متحدثي لغتين مختلفتين ببعضهم، علماً أنّ كل طرف لا يتحدث لغة الآخر، وفي هذه الحالة تنشأ لغة مبسطة تأخذ تراكيبها اللغوية من إحدى اللغتين وكلماتها من اللغة الأخرى، وليس لهذه اللغة المبسطة متحدثون يتكلمون بها كلغة أصلية، وفي هذه الحالة تسمى اللغة لغة هجينة»<sup>2</sup>، لكن هذا الاستعمال نجم عنه تأثير لغوي كبير منح الرواية بعداً فنياً جديداً.

وهكذا تميّزت لغة الرواية -موضوع الدراسة- بالتعدد اللغوي الذي عكس صراع الهويّات، اختلاف الثقافات، فكان لكلّ شخصية لغة تنم عن علاقتها، وتحدّد انتماءها.

### 3/ الاسم حاملاً للهوية:

اهتمّت الدراسات الحديثة بالاسم لأنّه يشكل القسم الأهم في هويتنا، «والاسم رمز من رموز الإنسان وصورة من صورته الأصلية (...) فالإنسان يؤثر نفسه ويتماهي معها أول ما يتماهي»<sup>3</sup>، ومنه فإنّ الاسم يكسب صاحبه هويته الاجتماعية، كما أنّ كل تسمية تمس الفرد أو الجماعة هي «شكل من الرقابة الاجتماعية لآخريّة الفرد الأنطولوجية، أو لآخريّة المتصورة لجماعة من الجماعات»<sup>4</sup>، حيث تحفظ هذه الأسماء لتسهيل الممارسة التعاملية، ولتكسب كل فرد هوية خاصة يتميز بها عن غيره.

<sup>1</sup>-ياسمينه حضرا، الرواية، ص63.

<sup>2</sup>-إبراهيم صالح الفلاوي، ازدواجية اللغة النظرية والتطبيق، العبيكان للطباعة والنشر، الرياض، ط1، 1996، ص18.

<sup>3</sup>-علي حرب، خطاب الهوية "سيرة ذاتية"، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط2، 2008، ص54.

<sup>4</sup>-جويل كاندو، الذاكرة والهوية، تر: وجيه أسعد، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق، د. ط، 2009، ص83.

## الفصل الثاني: تجليات الهوية في رواية "كيف ترضع من الذئبة دون أن تعضك" عمارة لخصوص.

وغالبًا ما يتكون «اسم العلم الشخصي من الاسم، واللقب، والكنية (محمد بن عبد الرحمن مثلاً)، ومن ثم فهو الذي يُحدد هوية الإنسان، أو الكائن البشري، ويُبرز طبيعته الشخصية، وبعد ذلك، يعين مرتكزاتها الأنطولوجية، والقانونية، والشرعية، فيحدد سماتها، ومميزاتها، ومكوناتها الخلقية (بضم الخاء)، والخلقية (بكسر الخاء)، ثم يجلي كينونتها داخل المنظومة الواقعية، الحضارية، كما يُشكل اسم العلم حسب كلود ليفي ستراوس (cl. Strauss)، استعارة للشخص»<sup>1</sup>.

ويرى "رولان بارت" (R.borthes)، «أنّ اسم العلم، إذا جاز التعبير، أمير الدوال، إيجاءاته غنية، إنّها اجتماعية ورمزية»<sup>2</sup>، هذا يعني أنّ أسماءنا علامة علينا، فهي التي تُخلص ذاتنا من ربة الهنا والآن، ثم إنّها أولى الهبات العائلية التي نحظى بها، مع أول نبضة من حياتنا، فتساعدنا، وترضيها، وقد تكدر صفو نفوسنا وتشقينا.

يجنح كثير من الباحثين، إلى استخدام الأسماء استخدامًا، وظيفيًا، تحكمه علل كثيرة، بدليل أنّ الأغلبية لا تعي أنّه الوشيحة بين الاسم، ودلالته اللغوية، بل لا يولون اهتمامًا لنسبة قرابته إلى اللغة، أو شطئه عنها، حتى وإن كان ذلك الإنسان يُنافي، قيم الهوية التي باتت عنصرًا ملازمًا لشخصية الإنسان، فكم من اسم تعلم عجمته، وتجهم دلالته، وفي المقابل يتدلل تداوله.

إنّ بناء الشخصية لا يقوم على جانب واحد فقط، في المتن السردي، بل أنّ الروائي يُجادل التنسيق بين عدة أبعاد، لتكون في الأخير، محصلتها الشخصية، ولعل أبرز ما يجلب انتباه المتلقي هو الاسم التي تحمله الشخصية، لأنّه يمنحها كيانًا مستقلًا محددًا، ومن الطبيعي أنّ الاسم الذي تحمله الشخصية (الروائية) يختلف أيما اختلاف عن الاسم العادي، فهو يسعى (الروائي) جاهدًا لانتقاء أسماء تدل على شخصياته، مراعيًا جملة من المعطيات أهمها: البيئة (المحيط المعيشي)، المهنة، المستوى الثقافي، والاجتماعي، دون أنّ ننسى العمر، والجنس، والمرجعيات، والخلفيات السياسية، والإيدلوجية إلخ...

<sup>1</sup>- cl .strauss ,mythologiques 2dumeiloux centres page 294.

<sup>2</sup>- R.borthes ، analyse textuelle, paris, larousse,1974,p34.

## الفصل الثاني: تجليات الهوية في رواية "كيف ترضع من الذئبة دون أن تعضك" عمارة لخص.

وعليه فإنّ أي روائي لا يُسمى شخصياته اعتباراً، بل يعمل على إيجاد أسماء تدل عليها «تُحددها وتجعلها معروفة وتحتزل صفاتها، لأنّ هناك رابطاً منطقياً بين الشخصية واسم العلم الذي يدل عليها»<sup>1</sup>. لقد نال اسم العلم حيزاً واسعاً في مجال الدراسات السردية، فكان بمثابة قناع إشاري، ورمزي يوحي بكوامن الشخصية الموظفة، فقد أصرّ جلّ المحللين البنيويين للخطاب الروائي على ضرورة إرفاق الشخصية باسم يُميزها، وقد نوّه حسن الأشلم بأهميته بقوله، «إنّ الاسم، بالنسبة للشخصية يعتبر بمثابة الدال الذي يربط القارئ بحركة الشخصية، ومضمونها داخل النص، سواء أكان ذلك صريحاً مباشراً، أم ضميراً دالاً عليه، فمنطقية الحياة ربما تستغني عن تحري أسماء الأشخاص، لكنها لا تستقيم مع فن يتلاعب بالأزمنة، ويداخل بين الأحداث، ويُقيم صراعاً بين الشخصيات، فكل ذلك يُبرز أهمية الاسم، داخل بنية النص، بوصفه علامة لغوية تربط القارئ بحركة الأحداث، وتبرز تنوع الشخصيات أمامه»<sup>2</sup>، استحضر حسن الأشلم في طرحه هذا مدى أهمية الاسم في تحديد هوية صاحبه، فربط الاسم بالرمز، أو العلامة اللغوية التي تكشف سمات الشخصية، ومقوماتها الدلالية والسيمولوجية.

يخضّر الاسم بشكل مكثف في الرواية -موضوع الدراسة- باعتباره حاملاً ثقافياً، ومعيناً على التمييز بين الأفراد والجماعات، ويشكل علامة فاعلة في تحديد طبيعة الشخصية: انتماءها، مرجعيتها، طبيعة تفكيرها، وعلاقتها بالشخصيات الأخرى، ويعكس تعدد الأعراق انطلاقاً من أنّ فضاء الرواية المكاني (إيطاليا) هو منبع التعدد الأجناسي. \_ ومن خلاله يسعى الروائي إلى الكشف عن دور الشخصيات ودلالاتها في المتن السردية، وقد حظيت شخصيات رواية "كيف ترضع من الذئبة دون أن تعضك"، بمميزات فريدة منحتها وجوداً مغايراً في النص، إذ كانت كل شخصية «مركب إنساني اجتماعي يحكمه اتساق ليس متجانساً بالضرورة، عضوي وبيئي وثقافي شامل، فتعضوي تحت العضوي الملامح الشكلية والنفسية، والبنية الجسدية، والجنس، وتنضوي تحت البيئي مجمل الملامح الجغرافية، والتاريخية، والانتماء

<sup>1</sup>-سمير روجي الفيصل، الرواية العربية البناء والرؤية، مقارنة نقدية، اتحاد كتاب العرب، دمشق، د. ط، 2003، ص132.

<sup>2</sup>-حسن الأشلم، الشخصية الروائية عند خليفة حسين مصطفى، مجلس الثقافة العامة، القاهرة، د. ط، 2006، ص389.

## الفصل الثاني: تجليات الهوية في رواية "كيف ترضع من الذئبة دون أن تعضك" عمارة لخصوص.

القومي، والعربي، ويشمل الثقافيّ كامل كتلة القيم والمعارف والعادات والتقاليد والأعراف تتضافر لتطبع الشخصية بمقادير متفاوتة من كل منها»<sup>1</sup>، وعليه جاءت هذه الشخصوص مسماة وفق بنية محكمة الأبعاد، وكل اسم أطلق على فرد بعينه يُشبهه لحد بعيد في وظيفته، دوره الذي يسعى لتحقيقه.

وقد أدرك الروائيّ ما للأسماء من دور في تحديد هوية شخصياته يقول على لسان "إقبال أمير الله": «إنّ الاسم الذي يحمله الإنسان هو عنصر أساسي من كيانه، بل قد يكون جزءاً من روحه»<sup>2</sup>، ولذلك اختار لبرنامج السرد هويّات متنوعة تحددها طبيعة الأسماء التي تختلف من حيث مرجعياتها وطريقة تعاملها مع الآخر، ولعل وظيفة الاسم، عند الروائي، تتجاوز مجرد التعيين لتصبح عنصراً أساسياً من كيانه يقول "أميديو": «هذا المساء استوقفني طويلاً هذا المقطع الوارد في كتاب سيغموند فرويد الطوطم والمحزّم: إنّ الاسم الذي يحمله الإنسان هو عنصر أساسي من كيانه، بل قد يكون جزءاً من روحه...»<sup>3</sup> وبهذا الفهم النفسي لوظيفة الاسم يؤكّد "أميديو" على ثقافته الغريبيّة التي تتجاوز الفهم البسيط لله ولتجعلها كلّاً متكاملًا يتشكّل منذ لحظة ولادة الإنسان، ومنذ لحظة تعيين اسمه تميزاً له عن غيره.

### ثانياً: مرجعية اسم العلم في الرواية:

ضمت رواية "عمارة لخصوص" "كيف ترضع من الذئبة دون أن تعضك" أسماء لا حصر لها تتواتر عبر مساحة كبيرة من النص، فجاءت الرواية حافلة بأنواع متعددة من الأسماء، كالأسماء الدينيّة، والأجنبيّة، والأدبيّة على النحو الآتي:

<sup>1</sup> - هر يسكر فيتر، الأنثروبولوجيا الثقافية، تر: رباح النفاخ، وزارة الثقافة، بيروت، ط1، 1973، ص13.

<sup>2</sup> - عمارة لخصوص، الرواية، ص60.

<sup>3</sup> - المصدر نفسه، ص60.

## 1/ أسماء ذات طابع ديني:

كشف توظيف الروائي الجزائري للأسماء المستمدة من التراث الإسلامي عن خلفيته الثقافية، وأغلب هذه الأسماء ذات مرجعية دينية ك: أحمد، عبد الله، إقبال أمير الله.

ورد اسم "أحمد" في رواية "كيف ترضع من الذئبة دون أن تعضك" تعييناً للشخصية الرئيسية واتسم بالمعاني الإيجابية المستمدة من الثقافة الإسلامية من أخلاق، وجمال، وتضحية وإيتار، وعلم، وثقافة، وقد أشادت شخصيات الرواية بصفات "أمديو" السنيور «أمديو طيب كعصير المانغو، كان لا يتأخر عن مساعدتنا... السنيور "أمديو" حلو وطيب كالعنب... إلخ»<sup>1</sup> وفي إشارة واضحة إلى صفة التسامح، والخلق الحسن الذي يتحلى بها مع الجميع.

غير أنه وبسبب هجرة هذه الشخصية من موطنها الأصلي الجزائري إلى إيطاليا غير اسمه وكان لهذا التغيير وقع في تغيير نمط سلوكه، وطبيعة شخصيته، فأصبح أحمد يسمى بـ "أمديو" وانطلاقاً من هذا الاسم، استطاع الانسجام مع المجتمع الإيطالي والتحرر مما يفرضه الاسم على صاحبه من قيود الهوية، والمرجعيتي العربية. تقول "ستفانيا مسارو" زوجة "أمديو" «لقد ضحى أمديو بكل شيء من أجلي، إذ تنازل عن وطنه وثقافته واسمه وذاكرته (...). تعلم الإيطالية من أجلي وأحب الطبخ الإيطالي من أجلي وسمى نفسه أمديو من أجلي...»<sup>2</sup> كان حب "أمديو" "لستفانيا" نقطة تحول جذرية في مسار حياته تخلى فيها عن اسمه حتى يكون إيطالياً ويسعد حبيبته، فتغيرت هويته تبعاً لذلك وأصبح يعيش بين واقعين أحدهما الحاضر في إيطاليا والآخر الماضي في الجزائر.

<sup>1</sup> -عمارة لخصص، الرواية، ص 15.

<sup>2</sup> -المصدر نفسه، ص 117.



## الفصل الثاني: تجليات الهوية في رواية "كيف ترضع من الذئبة دون أن تعضك" عمارة لخص.

**عبدالله:** يتداول هذا الاسم بكثرة لما له من أهمية، وإذا تأملنا هذا الاسم نجد أنه ينقسم إلى شقين عبد: وهو «المملوك، والله نسبة إلى الله سبحانه إليه نلجأ ونعود»<sup>1</sup>، كما أنّ هذا الاسم يدل على فعل كل ما يُجبه الله ويرضاه من الأقوال والأفعال.

وفي الرواية يتجلى الجانب العبودي لهذه الشخصية، من خلال الامتثال لأوامر الله وتجنب نواهيه، يقول "عبد الله": «لا أريد أن أعصي والذي الذي منحني هذا الاسم، والله تعالى نمانا عن عقوق الوالدين وهي من الكبائر...»<sup>2</sup>. وهكذا كان "عبد الله" كثير التذلل والخضوع لله تعالى، فاستطاع أن يقي نفسه من تقلبات الواقع الخائن الذي يدعو إلى الارتداد والتطرف.

يمثل "عبد الله" الثقافة الإسلامية تمثلاً واضحاً، فامتعض من تغيير "أحمد" لاسمه على أساس أنه تنكر للأصل يقول: «لماذا سمى نفسه "أمديو" (...). بصراحة أنا لا أحترم كل من يغير اسمه ويتنكر لأصله (...). حاول الكثير من الإيطاليين الذين أعرفهم إقناعي بتغيير الاسم وعرضوا عليا مجموعة من الأسماء الإيطالية: ألساندرو فرانثيسكو، ماسيميليانو، غويدو، مازيو، ولوكا وبيتر وغيرها من الأسماء لكني رفضت رفضاً مطلقاً»<sup>3</sup> ولعلّ إصرار "عبد الله" على اسمه وامتناعه عن تغييره هو تمسك بهويته الدنيوية، ورفض لكل أشكال الاستيلاء النفسي أو الثقافي أو الديني، ورغبة في المحافظة على خصوصيته الوجودية التي تبدأ من الاسم أولاً وقبل كل شيء.

**إقبال أمير الله:** يعتبر هذا الاسم من الأسماء التي تحمل في طياتها الكثير من المعاني، فلا يحمل معنى مسيئاً للدين الإسلامي، أو يتعارض مع الشريعة الإسلامية، فهو «الحظ الحسن والسعد والخير، الخصب»<sup>4</sup>، أما القسم الثاني فله دلالات تولى الحكم، أو الملك، غير أنّ الروائي استغل البنية التركيبية للاسم ليحيل إلى جملة من القضايا الأكثر خطورة والمتعلقة بالنظرة المتطرفة إلى الدين والتي تظهر في

<sup>1</sup> - عمارة لخص، الرواية، ص 140.

<sup>2</sup> - المصدر نفسه، ص 129.

<sup>3</sup> - المصدر نفسه، ص 129.

<sup>4</sup> - وليد ناصيف، الأسماء ومعانيها، دار الكتاب العربي، دمشق، سوريا، ط 1، 1998، ص 30.

## الفصل الثاني: تجليات الهوية في رواية "كيف ترضع من الذئبة دون أن تعضك" عمارة لخص.

الحوار بين عبد الله وإقبال يقول: «أنا اسمي عبدالله وأنت اسمك أمير الله، لو كنت تعرف اللغة العربية لأدركت الفرق بين العبد والأمير (...). أنت كافر لأنك تحسب نفسك أمير على الله»<sup>1</sup>.

كانت هذه الشخصية واعية بأهمية الاسم في تحديد هويتها، وفي بناء بعدها الاجتماعي باعتبارها فرداً صالحاً في المجتمع، وعليه انتبه إلى أن تقديم اللقب على الاسم ستعجز عنه مشاكل وخيمة يقول: «فاتحت السنيور أمديو في الموضوع وقلت له إني خائف من أمير الله إقبال ثم رحلت أعددت له المشاكل التي تنتظرن في المستقبل من جرّاء تشابه الأسماء، من يعلم قد يكون حامل اسم "أمير الله إقبال" مجرماً كبيراً أو تاجر مخدرات أو إرهابي خطيراً (...). لو احتفظت بالهوية الجديدة فكيف أثبت أن أبنائي الثلاثة هم أبنائي حقاً؟ كيف أثبت أن زوجتي هي زوجتي حقاً؟ ماذا يحدث لو اطلعوا على عقد الزواج، ووجدوا أن زوج زوجتي ليس أنا وإنما شخص آخر اسمه إقبال أمير الله؟ كيف استرد مالي المدخر في البنك؟...»<sup>2</sup> ومع أن ضابط الشرطة تعامل بسخرية مع الموضوع وأخبره أن لا فرق بين إقبال أمير الله وأمير الله إقبال إلا أن هذه الشخصية أصرت على موقفها تفادياً لأي مشكل، وألحت على أنها ترفض تغيير اسمها إلى اسم أجنبي آخر، لأنه يعود إلى والده.

ونتيجة لهذه المشكلة قرر "إقبال" تجنب ابنه مثل هذه المتاعب البيروقراطية يقول: «... قررت أن أسمى ابني روبرتو، سيكون اسمه الكامل: روبرتو إقبال...»<sup>3</sup> فقد أدرك أن ابنه هو نتيجة أرض إيطالية وعليه ينبغي أن يفتح على اسم جديد يعكس هويته وانتماءه الإيطالي.

### 2/ أسماء ذات طابع أجنبي:

وظف الروائي الكثير من الأسماء الأجنبية ولا غرابة في ذلك فهو بصدد الحديث عن وضعية المهاجر في إيطاليا فجاءت الأسماء تحمل الملامح الإيطالية وتحيل إلى بيئة أجنبية ومن أمثلة هذه الأسماء التي

<sup>1</sup> - عمارة لخص، الرواية، ص 53.

<sup>2</sup> - المصدر نفسه، ص 55.

<sup>3</sup> - المصدر نفسه، ص 56.

## الفصل الثاني: تجليات الهوية في رواية "كيف ترضع من الذئبة دون أن تعضك" عمارة لخصوص.

تواتر حضورها في المتن السردي، نجد: بارويز، بندتا، إلزابتا، أنطونيو، يوهان، ساندرو، ستيفانيا، ماوزو، الغلاذياتور.

إنّ هذه الأسماء الأجنبية/ الغريبة تتميز بالفردية، والخصوصية، فتعبر عن ذات لها كيان ووجود يُميزها عن الآخرين، ولعل هذا الإقبال وبنسبة كبيرة لهذه الأسماء كون الكاتب ترعرع فترة من الزمن في إيطاليا، تأثر بثقافتها ونقل هذا التأثير في عمله، فاستمت الرواية بالمصدقية والواقعية في الطرح.

### 3/ أسماء ذات طابع أدبي:

لجأ "عمارة لخصوص" إلى توظيف الأسماء الأدبية، من خلال ذكر أسماء مؤلفين عرب وأجانب ومن بينها مايلي: أمين معلوف، عمر الخيام، أجاتا كريستي، مالك بن نبي، طاهر جاووت، سعدي، حافظ إبراهيم، سيغموند فرويد، كارلو ليفي، ليوناردو شاشا، إميل سيوران، لويس أرغون... إلخ. وعكس من خلال هذه الأسماء نزعتة إلى التعدد الثقافي والحوار الحضاري فانفتح تناصاً على الثقافة العربية الحديثة، وكذا الثقافة الغربية ليعكس تنوع مرجعياته الفكرية.

### 4/ أسماء ذات طابع سياسي:

على من رغم قلتها في الرواية إلا أنّها تُوحى ببعض التوجهات السياسية والإيديولوجية، من بين هذه الشخصيات، روبرتو بوسوسو، ألبرتو فوجيموري.

وقد وردت هذه الشخصيات على لسان أبطال الرواية منهم بارويز منصور صمدي الذي لخص صورة السياسي روبرتو بوسوسو بالحديث يقول: «ألاً تعرفون من هو روبرتو بوسوسو؟ إنه زعيم حزب الشمال الذي يعادي المهاجرين المسلمين...»<sup>1</sup>، يبدو أنّ شخصية "بوسوسو" ماهي إلا صورة للعنصرية التي يكنها الآخر اتجاه الأنا.

<sup>1</sup>- عمارة لخصوص، الرواية، ص16.

## الفصل الثاني: تجليات الهوية في رواية "كيف ترضع من الذئبة دون أن تعضك" عمارة لخصوص.

---

نستنتج مما سبق، أنّ لاسم العلم دوراً مهماً في تحديد جنس الشخصية، وانتمائها الثقافي، والاجتماعي، والجغرافي، ومن ثمة فهو يسهم في توجيه الأدوار المنجزة، لهذا أحيا الروائي شخوص روايته، ضمن كوكبة من الأجناس المتنوعة، فباتت الرواية معتركاً لمختلف الصراعات الايدولوجية، والفكرية، والثقافية، وهذا التضارب فيما بينها ما هو إلا رؤية الروائي للعالم الواقعي، فأسس للهوية جديدة تُبرز قيم المجتمع والنظم الفكرية السائدة فيه.

الفصل الثاني: تجليات الهوية في رواية "كيف ترضع من الذئبة دون أن تعضك" عمارة لخصوص.

المبحث الثالث: الهوية الاجتماعية في رواية "كيف ترضع من الذئبة دون أن تعضك" لعمارة

لخصوص.

تمهيد:

تختلف ثقافة الأفراد من مجتمع إلى آخر، ومن بيئة إلى أخرى، وهذا الاختلاف سنة كونية جُبل عليها الإنسان منذ بدء الخليقة، ومن هنا تتنوع الأمم وتتعدد الثقافات، بتعدد أعرافها، وأفكارها، وأصولها، وآثارها، وهو ما أدى إلى ظهور مصطلح الهوية الاجتماعية على اعتبار أنّها جملة العلاقات ومجموع القيم التي تحددها الجماعة باعتبارها معايير وثوابت توحدتها، وتميزها بجملة من الأعراف والمثل التي تنبثق منذ النشأة والتكوين.

وقد عدت مسألة الهوية الاجتماعية مسألة هامة في المجتمعات المعاصرة التي أصبحت أكثر تعقيداً، وأكثر ميلاً إلى التمسك بهويتها في ظل العولمة، واللاهوية مما طرح العديد من القضايا المتعلقة بالعلاقات الاجتماعية (قيم الصداقة، القرابة)، والتنشئة الاجتماعية، وكل ما يشترك أفراد المجتمع فيه كالعادات والتقاليد، والطعام وغيرها.

استحضر "عمارة لخصوص" العناصر الاجتماعية للتدليل على خصوصية، فرصد بعض الأنساق الاجتماعية المشتركة بين أفراد مجتمع الرواية ومن بينها:

### 1- الطعام مكوناً للهوية:

يُعَدُّ الطَّعام نسقا سويو ثقافيا مهمًا، وعاملا مساعدا على ربط افراد المجتمع الواحد، يؤدي دورا فاعلا في تشييد الرّوابط الاجتماعية، ويعمل على بناء هرم القيم الأخلاقية كالكرم، وحسن الضيافة، والتّضامن والإيثار؛ فليس الطعام مجرد قيمة استهلاكية، أو رغبة غريزية، بقدر ما هو وسيلة تواصل، وروابط قرابي عائليّ يكتسبه الفرد منذ مرحلة الرّضاعة، ووعاء ثقافيّ يعكس طريقة تفكير الفرد/الجماعة، ويحل إلى أعرافهم في والمناسبات سواء أكانت أفراحا أو ماتم، ويكتسب الطعام هالة من القداسة حين

## الفصل الثاني: تجليات الهوية في رواية "كيف ترضع من الذئبة دون أن تعضك" عمارة لخصوص.

يرتبط -عند بعض المجتمعات- بالطقوس الدينية، أو بالخرافات الشعبية. ونظرا للأهمية التي يكتسبها الطعام في حياة المجتمعات عني باهتمام الأنثروبولوجين وخص بعلم مستقل هو الأنثروبولوجيا الغذائية «وهو أحد الفروع الأنثروبولوجية التي تهتم بالغذاء وطبيعة المواد الغذائية سواء النباتية أو الحيوانية التي يتناولها الإنسان في بيئة جغرافية واجتماعية، وثقافية معينة حيث تتعلق بالأطعمة والأشربة وكيف تؤثر على طبيعة العلاقات الاجتماعية بين البشر، وكيف تؤسس للتلاحم؟ أو التناحر بينهم؟ مما يحيل أيضا لكون الغذاء وما يدور حوله من بين العناصر الهامة التي تجعل الإنسان إنساناً مختلفاً عن الحيوان، وذلك من خلال الثقافة»<sup>1</sup>.

اهتمّ "عمارة لخصوص" بالطعام باعتباره فناً يجسد ثقافة المجتمع الإيطالي، وعنصراً فاعلاً يعكس الهوية الإيطالية التي ترتبط بأنواع أكلات مشهورة عالمياً، انعكست على المتن السردي، ونهضت بدور مهم في الكشف عن بواطن الشخصيات، ونظرتها لبعضها البعض.

ارتبط الطعام في الرواية بسلوك التطرف والتعصب، وجسد نظرة الأنا المهاجرة للآخر المحلي وهذا ما يظهر في قول "بارويز" «أنا أكره البييتزا كرها لا نظير له، لكن هذا لا يعني أنني أكره كل من يأكلها (...). أنا لا أكن أي عداً للإيطاليين»<sup>2</sup>. ثم يضيف «أنا أحب أمديو كثيراً رغم أنه مدمن على أكل البييتزا، كما ترون، كرهني للبييتزا لا ينطوي على أي نوع من الحقد على الإيطاليين»<sup>3</sup>.

إنّ التعصب الذي أوضحه الناص على لسان أحد شخصياته "بارويز"، أوحى إلى العصبية الفكرية التي تطغى على الإنسان الشرقي، ما ينم على الانغلاق الثقافي وعدم تقبل الغير بكل مكونات هويته، يقول "بارويز" في هذا الصدد، «تكمن مشكلتي الأساسية في عدم قدرتي على الانصياع لأوامر الآخرين في المطبخ، إني أنفر من دور مساعد طبّاخ بل أفضل غسل الصحون وتحمل آلام الظهر والمفاصل على الاستجابة للأوامر: قشر البصل يا "بارويز"، سخّن الماء يا "بارويز"، راقب السباغيتي يا "بارويز"،

<sup>1</sup>- زياد محمد، بوشمة الهادي، الطعام والرباط الاجتماعي في مجتمع محلي متوسطي -دراسة أنثروبولوجية-، مجلة الدراسات الاجتماعية والإنسانية، مجلة تصدر عن جامعة حسيبة بن بوعيد الشلف، الجزائر، ص104.

<sup>2</sup>- عمارة لخصوص، الرواية، ص14.

<sup>3</sup>- المصدر نفسه، ص17.

## الفصل الثاني: تجليات الهوية في رواية "كيف ترضع من الذئبة دون أن تعضك" عمارة لخص.

اغسل الفواكه يا بارويز، نظف السمك... بالنسبة إليّ المطبخ كالسفينة تمامًا، بارويز منصور صمدي لا يطأ سفينة إذا لم يكن هو القبطان، هذه هي الحقيقة»<sup>1</sup>.

إنّ المعركة التي دارت رحاها بين بارويز والآخر، مفادها أنّ الطعام شكّل انتماء بارويز تجاه عالمه الخاص، «لكل شخص مكان يرتاح فيه، هناك من يجد راحة البال في الكنيسة أو في المسجد أو في المعبد أو في السينما، أو الملعب، أو في السوق أمّا أنا فأرتاح في المطبخ»<sup>2</sup>.

فرض الطعام فرصة التعرف على الآخر من خلال تفاعل بارويز مع تلك الثقافة التي تهدد ثقافته الأصلية، وعبر مرارًا عن عدم حاجته إلى معرفة أصول الطبخ، وجاء على لسان "أمديو" ذلك الاعتراف: «حاولت أكثر من مرة إقناع "بارويز" يتعلّم أصول الطبخ الإيطالي لكنه رفض، هذه المسألة تُثير تساؤلات عدة، إنّها تتجاوز عتبة المطبخ، أعتقد أن بارويز خائف من نسيان الطبخ الإيراني إذا ما تعلّم شيئًا من الطبخ الإيطالي هذا هو التفسير الوحيد لكرهه للبيتزا خصوصًا والعجائن عمومًا»<sup>3</sup>، وهذا ما يتصل بمصلحية الانتماء وقيّمته، فمن المهم التأكيد على أنّ للانتماء منطلقه الذي ينبع منه والذي يجد الإنسان نفسه مدفوعًا إلى الإحساس به واعتناقه على أساسه، وإنه ينبغي من منطلق الانتماء أن يصب في النهاية في وظيفة حياته بفعالية تُؤكد على مصدقية الانتماء، وتُجسد مبادئه، وبالتالي «فبارويز مقتنع باستحالة الجمع بينهما، بالنسبة إلى بارويز المطبخ الإيراني بتوابله وروائحه هو ما تبقى من الذاكرة بل إنّها الذاكرة والحنين ورائحة الأحبة معًا، هذا الطبخ هو الخيط الذي يربطه بشيراز التي لم يفارقها أبدًا»<sup>4</sup>.

فالانتماء إلى الأوطان والدوائر الحضارية والإنسانية ينبع من القلب والوجدان وتُحركه فطرته، ما جعل "أمديو" يندهش من صديقه، "عجيب أمر "بارويز"، لا يعيش في روما وإنما في شيراز، إذا لماذا نصرّ على تعليم بارويز الإيطالية وأصول الطبخ الإيطالي؟ هل يتكلم الناس الإيطالية في شيراز؟ هل

<sup>1</sup>-عمارة لخص، الرواية، ص22.

<sup>2</sup>-المصدر نفسه، ص20.

<sup>3</sup>-المصدر نفسه، ص31.

<sup>4</sup>-المصدر نفسه، ص31.

## الفصل الثاني: تجليات الهوية في رواية "كيف ترضع من الذئبة دون أن تعضك" عمارة لخص.

تؤكل البيتزا، والسباغيتي، والفتوشيني، واللازانيا، والرفيولي، والتورتليني والبار ميجانا في شيراز؟ أووو...»<sup>1</sup>. إن طرق التعامل مع الطعام مجال أولي لنقل المعنى المراد تمريره من قبل الكاتب، لذا فإن أي نسق ثقافي يعقبه هوية ذلك البلد.

واجه "بارويز" موقفًا صارمًا من السلطة الإيطالية نتيجة كرهه للبيتزا وهو ما تجسد في قوله: «ما يهم الآن هو أن أتفادى قدر الاستطاعة المشاكل المترتبة عن موقفي الصارم المعادي للبيتزا، أنا لا أبالغ، قبل أسابيع قليلة فصلوني عن عملي كغاسل الصحون في مطعم قريب من ساحة نافونا عندما اكتشفوا عن طريق الصدفة كرهى للبيتزا، أولاد الحرام. بعد هذه الفضيحة تجد من يقول لك إن حرية الأكل والتعبير والاعتقاد والديمقراطية مكفولة في هذا البلد، أريد أن أعرف: هل يُعاقب القانون من يكره البيتزا أم لا؟ إذا كان الجواب بالإيجاب، فهذه فضيحة لا يمكن التسرّب عليها، أما إذا كان الجواب بالسلب، فمن حقي أن أرفع قضية لأحصل على تعويض»<sup>2</sup>.

كشف الروائي الجانب السلبي للمجتمع الإيطالي، حين طرح فكرة استبدال القانون بحرية الأشخاص، أي أنّ إيطاليا كبلد متحضر تمنع الأفراد من ذوي الجنسيات الأخرى من ممارسة حقوقهم. أي أنّها ترفض الحوار مع الطرف الآخر الذي بات يهدد هويتها، وقد أكد الكاتب على فكرة أنّ البيتزا (الطعام) هو أحد أهم مقومات الهوية الإيطالية ولذلك فكره البيتزا هو أساس بكرامة إيطاليا نفسها. حدد "بارويز" انتمائه لبلده من خلال المطبخ الذي يرى سعادته تكمن داخله يقول: «... يفتح لي "أمديو" باب المطبخ قائلاً: «مرحبًا في مملكتك يا ملك الفرس» ... أشرع دون تأخير في تحضير أطباق إيرانية متنوعة مثل غوزمة سبرزي وبره كباب وكشك بادججال وبوزاني كدو. الروائح التي تعم المطبخ تنسيني الواقع ومشاكله وأتحيل نفسي في مطعمي في شيراز، في غضون دقائق قليلة تتحوّل رائحة التوابل إلى بخور مما يدفعني إلى الرقص والإنشاد كال دراويش: حي! حي! هكذا ينقلب المطبخ في دقائق معدودة

<sup>1</sup> - عمارة لخص، الرواية، ص 31.

<sup>2</sup> - المصدر نفسه، ص 14.



## الفصل الثاني: تجليات الهوية في رواية "كيف ترضع من الذئبة دون أن تعضك" عمارة لخصوص.

إلى حضرة صوفية<sup>1</sup> إنَّ "بارويز" يستحضر هويته داخل المطبخ، ومع أنه مكان مغلق إلا أنه يفتح عن طريق الذاكرة على دلالات متعددة: الوطن، والحنين، والرقص، والغناء، حتى التوابل الإيرانية هي جزء من هوية هذه الشخصية.

وهكذا يستعين الكاتب "عمارة لخصوص" في رواية "كيف ترضع من الذئبة دون أن تعضك" بنسق الطعام باعتباره نسقاً كاشفاً عن هوية الأنا ومعرباً صراعها مع الآخر، مما يبرز تصدعات الهوية، ويحيل إلى صراع الدول الغربية التي زعمت سيطرتها وسلطتها، وفشلت في تحقيق حوار شرق غرب نتيجة عنصرية أفرادها، والانغلاق الفكري لزوارها مما أفرز حقداً كبيراً بين الطرفين تظهر في كره البيتزا على وجه التحديد.

### 2- العادات والتقاليد مكوناً للهوية:

تُعَدُّ العادات والتقاليد نتاجاً ثقافياً وممارسة سوسولوجية تكشف هوية الأفراد والمجتمعات، وتعكس جملة القيم والأعراف التي ترسخت عبر الزمن، وتناقلتها الأجيال جيلاً عن جيل، وتتيح العادات والتقاليد معرفة ثقافة الشعوب ونمط تفكيرهم، ولذلك كانت مجالاً خصباً للدراسات الاستشراقية التي تهدف إلى السيطرة على الشعوب انطلاقاً من مدى معرفة سلوكياتهم وأفكارهم ومعتقداتهم وعاداتهم وتقاليدهم.

تكتسب العادات والتقاليد في النصّ الروائي أهمية قصوى بوصفها جزءاً من الثقافة التي تربط بين أفراد المجتمع الواحد «ذلك أن التأثير بقيم الجماعة وتبنيها يؤدي إلى امتزاجها في شخصية أفرادها، مما يجعل كل واحد منهم يشعر بالندم عند مخالفته هذه القيم»<sup>2</sup> وهكذا تشكّل العادات والتقاليد قوانين يرضخ لها الأفراد والجماعات وتحتكم إليها في تسيير حياتها الاجتماعية، وفي تكوين هويتها الثقافية.

استعرض "عمارة لخصوص" بعض عادات شخصياته وتقاليدها، وجسّد قيم الاحترام التي يكنّها أفراد المجتمع الإيراني لبعضهم البعض، وهو ما صرح به "بارويز" حينما تعرضت له بندتا بالشم

<sup>1</sup> - عمارة لخصوص، الرواية، ص 20.

<sup>2</sup> - إسعد فايزة، العادات الاجتماعية والتقاليد في الوسط الحضري بين التقليد والحداثة، رسالة دكتوراه (علوم)، إشراف: حجيج الجنيد، كلية العلوم الاجتماعية، قسم علم الاجتماع، جامعة وهران، 2010، 2011، ص 56.

## الفصل الثاني: تجليات الهوية في رواية "كيف ترضع من الذئبة دون أن تعضك" عمارة لخصص.

والتجريح: «من عاداتنا في إيران احترام الشيوخ والعجائز وتجنّب الألفاظ البذيئة...»<sup>1</sup>، فهذه العادة الأصلية التي لا يزال الإيرانيّ متشبثاً بها، تمثل جزءاً من تنشئته الاجتماعية، وتعكس هويته وأصالته.

اتخذ الروائي من العادات والتقاليد وسيلة للكشف عن نظرة بندتا للآخر، وهي نظرة دونية تستهجن بعض سلوكيات الصينيين كصيد القطط والكلاب، وهي سلوكيات تسيء للطفل الصيني الذي ينبغي أن يكتسب عادات جميلة تناسب وطبيعته العمرية «من عادة الأطفال الصينيين صيد القطط والكلاب، بالنسبة إلى الطفل الصيني هواية تُشبه هواية أطفالنا في صيد الفراشات...»<sup>2</sup> وتستمر هذه النظرة الدونية للمهاجر والتي تقترن بالعادات والتقاليد باعتبارها سلوكيات ثابتة تسم الأفراد بسمات خاصة، وتميز هويتهم عن باقي الهويّات تقول "بندتا" «...يكفي أن تتجول بعد الظهر في حديقة ساحة فيتوريو لترى أنّ الأغلبية الساحقة من الأطفال أجانب من المغرب، ورومانيا والصين والهند وبولونيا والسنغال وألبانيا، إنّ العيش معهم مستحيل، لهم دين وتقاليد وعادات مختلفة عنّا، في بلدانهم يسكنون في العراء أو في الخيام، ويأكلون بأيديهم، ويركبون على الحمير والجمال، ويعاملون النساء كالعبيد...»<sup>3</sup> وقد عكست هذه السلوكيات السيئة التي شكلت عادات وتقاليد ترسخت لدى بعض المجتمعات، وأصبحت الجزء السليبي من هويتهم، صورة المهاجر السلبية في عين الآخر المحلي، فأحدث صداماً سلوكياً، وثقافياً وحضارياً بين الأنا والآخر.

لا ريب في أنّ كل أمة تتمتع بعادات وتقاليد، وتراث سخي يُميزها عن الأمم الأخرى، وهذا الموروث يُشكل جزءاً أساسياً من هويتها، وتاريخها، وكيانها، والمتأمل في قول "بندتا" يجد أنّ نظرتها السلبية عن الآخر اقتصر على ما رآته بعينها في ساحة "فيتوريو"، فهي أبدت نظرة مسبقة عن الأجانب دون التغلغل في أعماق هذه المجتمعات، وربما الخلفية الثقافية لبندتا حول هؤلاء المهاجرين هي التي جعلتها تنقل تلك النظرة الدونية فتقول:

<sup>1</sup> -عمارة لخصص، الرواية، ص18.

<sup>2</sup> -المصدر نفسه، ص49.

<sup>3</sup> -المصدر نفسه، ص42.

## الفصل الثاني: تجليات الهوية في رواية "كيف ترضع من الذئبة دون أن تعضك" عمارة لخصوص.

لم ينقل "عمارة لخصوص" الجانب المشرق من عادات. المجتمعات، بل عمد إلى نقل الجانب المظلم ليعبر تلك العلاقة الجدلية بين قبول الآخر، والارتداد إلى الأنا، فيثير إشكالية عميقة في شخصية المهاجرين، الذين واجهوا صعوبات حمة، في التأقلم مع الغير، فتتسع الهوة فيما بينهم وتبرز كصراع فكري، ثقافي يمس الهوية الوطنية لهؤلاء المهاجرين.

تبرز الرواية بعض العادات والتقاليد الإيجابية ومن بينها احترام المواعيد وتقديس، يقول "أنطونيو ماريني": «أنا من ميلانو، ولست متعوداً على هذه الفوضى، في ميلانو احترام المواعيد شيء مقدس ولا تجد من يقول لك مثلاً، نلتقي بين الخامسة والسادسة، كما يحدث في روما كثيراً، من عادتي في هذه الحالة الرد بحزم، نلتقي في تمام الخامسة، أو في تمام السادسة، هل يُعقل أن يتلاعب الناس بالمواعيد مع قولهم إن الوقت ثمين كالذهب؟...»<sup>1</sup> واللافت للنظر في هذا القول أن قيمة احترام المواعيد ليست عادة فردية بقدر ما هي سلوك جمعي ترسخ عند أهل ميلانو فأصبح قانوناً ينظم حياتهم.

وهكذا نُهَض نسق العادات والتقاليد بوظائف عديدة أسهمت في الكشف عن الأبعاد النفسية، والثقافية، والاجتماعية للشخصيات الرواية، فكان مجالاً خصباً للكشف عن هوية الأنا في صراعها مع الآخر.

### 3- الهوية والتنشئة الاجتماعية:

يُعَدُّ المجتمع الحضن الرؤوم الذي يحوي الأفراد من طبقات مختلفة، وجنسيات متعددة، إذ كان وما زال عاملاً أساسياً في تنشئة الأفراد، وتنمية الصراعات فيما بينهم، ولا نغالي إذا قلنا أنه يُحدد انتماء الأشخاص بطريقة أو بأخرى جراء العوامل التي تعصف به، قد توجه الأدباء إلى المجتمع يمتحون تجربته منه كونه مصدراً مهماً من مصادر الإبداع، فانشغلوا بقضاياها، وتمثلوا دوره في تشكيل الشخصية الروائية، وجسدوا تجليات الهوية الاجتماعية في المتون السردية.

<sup>1</sup> -عمارة لخصوص، الرواية، ص 84.

تناول "عمارة لخصوص" صورة الفرد الإنساني وهو يخوض مغامرة جديدة، في مجتمع غربي فكك عروبة الأشخاص، وحصر هويتهم ضمن مجال ضيق، فكان «كل من يختار التفرد، والخصوصية يُصور كحالة شاذة، ومنبوذة لأنه يقف دون أن يدري ضد إيديولوجيا المجتمع الاستهلاكي، وتوجهاته الخفية فالرفض الفكري والانفعالي للامثالية يبدو وكأنه علامة عصاب وعجز كما يقول ماركوز»<sup>1</sup>، فالغاية من هذا الطرح هو أن الإنسان إذا أراد أن يبقى على هويته، يعتبره المجتمع منبوذاً، وبالتالي ينحرف تلقائياً. توغل الروائي في ثقافة الآخر، فعبّر صفحات الرواية، نجد أن تنشئة الأفراد تختلف من مجتمع إلى آخر، وكل شخص في الرواية يُقدم صورة عامة عن البيئة الاجتماعية التي احتوته، فتأثرت تلك الشخصيات بالمحيط الذي ترعرعت فيه، ومن بين تلك الشخصيات "بارويز منصور صمدي" الذي عكست تصرفاته الأخلاقية، تنشئته الاجتماعية، في بلده بشيراز، يقول: «تعودت منذ صغري على احترام المسنين، لذلك غادرت المكان قائلاً: "مرسي يا سنيورة"»<sup>2</sup>، إن احترام الكبار واتباع عادات المجتمع سمة أساسية تميز بارويز، فاستطاع بتعاملاته الأخلاقية أن يقدم صورة مختصرة عن تربيته التي تمثل جزءاً مهماً من هويته المحافظة، لكن بمجرد هجرته إلى بلد آخر، عاش حالة من الانشطار، اصطدم بالواقع الإيطالي المرير، وهو ما تجسد في قوله: «بعد أن خسرت أطفالي وزوجتي وبيتي ومطعمي، ليس لي ما أخسره»<sup>3</sup>، عانى بارويز منصور صمدي في ديار الغربة كثيراً، فكان المهاجر المحروم من أبسط حقوقه، ما جعل منه فرداً مهمشاً، لا يعترف به الآخر.

أثر الانتقال من مكان لآخر في نفسية بارويز، فبين التمسك بأصوله، وبين خوض تجربة عيش جديدة نرى كثيراً من الشرخ في الذات الإنسانية لأنّ الواقع غير من طبيعة الفرد وهو ما أشار إليه صالح صلاح حين أكد: «على أن روح العصر تكمن في هذا التنوع الآخري الهائل الذي يتشكل منه عالمنا الحالي، ويزده إثارة، ويُعاضم طرح تحدياته على الوعي التباساته المتواترة بالأنا، والإشكالات الحضارية

<sup>1</sup> - هيريت ماركوز، الإنسان دو البعد الواحد، تر: جورج طرايشي، دار الآداب، بيروت، ط3، 1988، ص41.

<sup>2</sup> - عمارة لخصوص، الرواية، ص28.

<sup>3</sup> - المصدر نفسه، ص26.

## الفصل الثاني: تجليات الهوية في رواية "كيف ترضع من الذئبة دون أن تعضك" عمارة لخص.

الراهنة المتمثلة في مجمل مآزق الهوية، وأزمات الانتماء، وخصوصاً في ظل هذه المتغيرات المتسارعة على الصعيدين المحلي والعالمي<sup>1</sup>، وهذا الرأي يُشير إلى أنّ هوية الفرد يحدث فيها انقسام واضح، وخاصة حينما يتعلق الأمر ببطل الرواية الحضارية، يجد نفسه منقسماً بين هويته، وانتمائه القومي أو المذهبي وبين مواطنته التي يعيشها في بلد آخر، ونخص بالذكر هنا "أحمد سالمى" المدعو "أمديو".

إنّ المعاناة التي يقاسيها المواطن الجزائريّ داخل الوطن وخارجه، ترجع لعوامل شتى أبرزها الوضع المتردي للبلاد، فيؤثر ذلك في القيم الفكرية للفرد، ما يجعل الهجرة وجهته، ورغم انعكاساتها السلبية سواء على الصعيد الأسري والاجتماعي، إلا أنّها تلقى المزيد من الإقبال، من قبل كم هائل أصيلي الجهة التي يتوافدون على تجربة التواجد بالخارج، والتي تحكمها عوامل اقتصادية، واجتماعية، وثقافية، نفسية دافعة أو جاذبة تُحدد للمهاجر منحى يتماشى وحاجته إلى الانتقال للخارج، ومن هنا يبرز ذلك الانقشاع باعتباره ظاهرة تؤثر على تنشئته وتغيير توجهه وأفكاره.

نشأ "أمديو" نشأة مضطربة، لأنّه ترك البهجة طوعاً، وبعد أن عاش فترة طويلة في إيطاليا تنبى أفكارها، تجرّع ثقافتها، ليتفوق على جميع الوافدين (مهاجرين وإيطاليين)، احترم الانتماءات الدينية والعرقية، والاجتماعية، وحتى التوجهات السياسية لكل شخصية في الرواية، ليخرج المتلقي بنقطة مفادها حسن السلوك والمعاملة فالجانب الإيجابي طغى على شخصه، وهو ما حاولت الرواية استطلاعها، أي التسامح الداخلي مع الغير سواء أكانوا مهاجرين أو إيطاليين.

إنّ البيئة المحلية التي قطن بها "أمديو" تركت في نفسه حزناً عميقاً، فبعد اغتيال البهجة من طرف جماعة إرهابية، لم يكن له خيار في تحديد انتمائه الجديد، وهو ما نستشفه في قول "يوهان": «أنت رضعت من ثدي الذئبة يا أمديو، صرت أعرف روما كأني ولدت فيها ولم أغادرها أبداً، من حقي أن أتساءل: هل أنا لقيط مثل التوأمن زومولو وريمو أم ابن بالتبني؟ السؤال الجوهرى هو كيف أروض من

<sup>1</sup> -صالح صلاح، سرد الآخر، الأنا والآخر عبر اللغة السردية، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 2003، ص91.

## الفصل الثاني: تجليات الهوية في رواية "كيف ترضع من الذئبة دون أن تعضك" عمارة لخص.

الذئبة دون أن تعضني؟...»<sup>1</sup>، وجد "أمديو" نفسه تحت ما يُسمى بالاغتراب الثقافي، فالدائرة المغلقة التي يدور فيها جعلته أمام مشكل الانتماء إلى الماضي، أو إلى الحاضر «وهذا التحول ليس تلقائياً ولا يسيراً، بل هو تحوّل مصحوب بتعثّرات وتلكؤات وألام وبصراع بين الرموز والأدوات، وبين مطلب الخصوصية والرغبة في تملك العالم ومواكبة مساره»<sup>2</sup>.

لم يشأ "أمديو" أن يكشف هويته لأصدقائه من المهاجرين والإيطاليين، بل أنّ جل المعلومات المتضمنة حوله تُشير إلى أنه فرد إيطالي بامتياز، فتمكن من المجتمع والأفراد لمبارزاته الثقافية، والملاحظ أنّ هذه الرواية تركت للقارئ فكرة عدم تقبل الإيطاليين للآخر، واعتباره متخلفاً وجاهلاً، إلا أن أمديو أثبت عكس ذلك، ولعل حديث "أنطونيو ماريني" حوله يوحي بذلك يقول: «التقينا صدفة عدة مرات في مكتبة بمعهد التاريخ بجامعة روما وتجادبنا أطراف الحديث حول مختلف المواضيع المتعلقة بالتاريخ الروماني واكتشفت أنه مطلع جداً على الاستعمار الروماني في إفريقيا، رأيته يقرأ باهتمام شديد كتاب سالوستيو حرب يوغرطة، ما شدّ انتباهي هو معرفته الجيدة بالقديس أوغسطين، لاشك أنه كاثوليكي أصيل، يؤمن بقيم الكنيسة المتمثلة في قداسة العمل والعائلة...»<sup>3</sup>. لقد كان للتغير الاجتماعي الناتج عن التحضر والتصنع، وظهور نمط عيش مختلف أثر كبير على الأفراد، إذ صاحب هذا التغير تحرر في العقليات، وتحرر في الأفكار ولم يبق الإنسان حبيس معرفة معينة، بل تجاوز ذلك إلى آفاق جديدة يقول "يوهان فان مارتن": «أمديو أجنبي. هل يُعقل أن يكون الشخص الذي يُمثل إيطاليا العظيمة أجنبياً؟ إنه الوحيد الذي يجيب عن أسئلتنا المتعلقة باللغة الإيطالية والسياسة والمافيا والطبخ والسينما...»<sup>4</sup>.

انعكست التغيرات الاجتماعية والثقافية، والاقتصادية الشاملة التي شهدتها المجتمع على تركيبة الأفراد، فطرأت تغيرات جذرية على الأسرة، وذلك حين تزايدت حرية الفرد في انتقاء شريك حياته،

<sup>1</sup> -عمارة لخص، الرواية، ص115، 116.

<sup>2</sup> -محمد سيلا، مدارات الحدائث، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت، ط1، 2009، ص129.

<sup>3</sup> -عمارة لخص، الرواية، ص86.

<sup>4</sup> -المصدر نفسه، ص98.

## الفصل الثاني: تجليات الهوية في رواية "كيف ترضع من الذئبة دون أن تعضك" عمارة لخصوص.

وهي ظاهرة لم تكن موجودة من قبل، وشيوع أسلوب الزواج الخارجي وذلك باختيار الزوجة من فئات اجتماعية لا ترتبط بالضرورة برباط الدم، وهذا ما نلمحه في حياة "أمديو" الذي تزوج "ستيفانيا مسارو"، وبدد كل الانتماءات العرقية والدينية، ليقترن بالآخر الغريب ورددت "ستيفانيا" في كثير من المرات عن عدم معرفتها الحقة بأمديو، لكن ما يجمعهما هو الحب فقط، «لا أعرف من يكون "أمديو"». من هو أمديو قبل الاستقرار في روما؟ لماذا غادر بلده الأصلي؟ لماذا اختار روما؟ ماذا يُخفي في ذاكرته؟ ما سر الكوابيس التي تلاحقه؟ هناك غموض يلف حياته السابقة ربما هذا سر عشقي له...»<sup>1</sup>.

إنَّ لكلِّ عصر علامة فارقة، ومميزة وهذا ما أراد "عمارة لخصوص" أن يمرره للقارئ، فالقيم التي نشأ عليها الأفراد، غيرت كثيرا من المفاهيم، وزحزحت كثيرا من القناعات، والميولات، وغيّرت كثيرا من المرجعيات، والاتجاهات، والثوابت، والمسلمات، والتي كانت تبدو ثابتة، ومستقرة، ونسفت كثيرا من القناعات، والتيارات، نحن في زمن تغيّرت فيه كثير من المعطيات، فلم يعد جيل اليوم يستقي مفاهيمه حول الأسرة من القرآن، والمسجد، ومن المدرسة، بل بات يتوق إلى الآخر المختلف عنه كليًا، فوقف المرء أمام تحديات تُواجه عقيدته، سلوكه، وفكره... وأضحت هويته مهددة بين قيمها، ومبادئها الإسلامية، ما جعل الفرد يدوب، وينصهر في ثقافة مغايرة طبعت عليها الماديات.

في ظل تأثير عمليات التحضر، والتصنيع، والتحديث ضاقت وانحسرت الأطر الاجتماعية للأفراد الرواية، فغلب الحاضر على الماضي الذي أبقى "أمديو" تذكره ولو بشكل من الأشكال، تقول "ستيفانيا مسارو: «لم يكن أمديو يُحب الماضي، في إحدى المرات قال لي إن الماضي كالرمال المتحركة، إنه فخ لا فكاك منه، أمديو مدهش كالصحراء...»<sup>2</sup>، ثم تضيف قائلة له: «أمديو يا حبيبي أنا لا أريد منك الماضي وإنما الحاضر والمستقبل»<sup>3</sup>. إنَّ التحولات العقدية، والفكرية، والإيديولوجية للمهاجرين ضاعت

<sup>1</sup> - عمارة لخصوص، الرواية، ص 120.

<sup>2</sup> - المصدر نفسه، ص 120.

<sup>3</sup> - المصدر نفسه، ص 120.

## الفصل الثاني: تجليات الهوية في رواية "كيف ترضع من الذئبة دون أن تعضك" عمارة لخص.

في زمن الاستيلاء الحضاري سواء في مرحلة الصراع مع الآخر في إثبات الهوية العربية للمجتمعات الإسلامية، أم في البحث عن هوية العولمة الغربية، ومفاهيمها، وسلوكياتها.

استطاعت رواية "كيف ترضع من الذئبة دون أن تعضك" أن تلامس الواقع الجديد ومتغيراته التي مست جوانب مختلفة، فأمديو الشخصية البطلة، ارتأى أن يتخلى عن مقومات هويته الأصلية ليرضع من الذئبة دون خوف منها، فكان الحل الوحيد هو تغيير اسمه ليعيش بهوية مستعارة، «إنَّ تغيير الاسم يُساعد على العيش أفضل لأنه يُخفف من أعباء الذاكرة، إذا أنا في مأمن من انفصام الشخصية بسبب اسمي الإيطالي، لا ضرر من أمديو، لكن هل هناك نزاع صامت بين أمديو وأحمد؟ سأبحث عن الجواب في العواء»<sup>1</sup> ولعل السؤال الذي حير "أمديو" هو هل ستتغلب شخصيته الجديدة المتشعبة بثقافة إيطاليا على هويته الأصلية، أم أنَّ شخصية أحمد ستترسخ في داخله نتيجة رفضه للاستلاب وتعلقه بالماضي، إنَّ جواب هذا السؤال في نظر -أمديو- رهين بما سينتج عن التشعب بثقافة العواء (التي ترمز إلى أبناء الذئبة أي بثقافة إيطاليا إما الانسلاخ من هويته أو التشبث بها).

وتبدأ معالم هذا الجواب في الاتضاح عبر صفحات الرواية لتؤكد ارتباط أمديو بماضيه مرغماً وهذا ما يتضح في العواء التاسع يقول: «التي لم تهضم جيداً ما تناولته قبل قدومه إلى روما، الذاكرة كالمعدة تماماً، ترغمني من حين لآخر على التقيؤ، أنا أتقيأ ذكريات الدم دون توقف، إنني أعاني قرحة معدية في الذاكرة، هل من دواء»<sup>2</sup> فذاكرة هذه الشخصية لا تتوقف عن استرجاع ماضيه البشع التي نتجت عن العشرية السوداء لأنَّ نفسه أبت أن تتقبل أزمة الجزائر بكل مآسيها ودمويتها فراحت تفرغ هذه الذكريات الأليمة بين الحين والآخر كما تفرغ المعدة طعاماً سيئاً لم تهضمه.

وتتنامي مسألة الهوية في أكثر من ناحية في الرواية، فهناك من استتر خلف هوية جديدة، وهناك من أبقى على هويته الأصلية التي تمثل مركز كيانه، وبالتالي أصبح بإمكان الأسر العربية أن تعيش الحداثة

<sup>1</sup>-عمارة لخص، الرواية، ص114.

<sup>2</sup>-المصدر نفسه، ص126.



## الفصل الثاني: تجليات الهوية في رواية "كيف ترضع من الذئبة دون أن تعضك" عمارة لخصوص.

دون أن تتأثر بها، ويرجع الفضل إلى ذلك إلى التربية السليمة التي تبنها في مجتمعه، ويمثل هذا الاتجاه الجزائري "عبدالله بن قدور" الذي حافظ على هويته الدينية أمام تيار الحداثة التي حاولت أن تقتلع جذوره.

اختزل "عبدالله بن قدور" صورة الإنسان الجزائري الأصيل، فهذه الشخصية تنظر إلى الآخر من منظور التعاليم الدينية والتقاليد الاجتماعية التي تربت ونشأت عليها، والآخر يمثل لها النقيض، وغالبًا ما تشكل هذه الصورة عامل رفض للآخر باعتبار الدين هوية يتمسك بها الأنا، مقابل ما يجده عند الآخر من حرية وفساد ديني واجتماعي، ولذا فإن الهوية الدينية تشكل بالنسبة إلى الأنا ملاذًا يلجأ إليه في صراعه مع الغرب يقول عبدالله: «لن أغير جلدي ولا ديني ولا لغتي ولا بلدي مهما حدث...»<sup>1</sup>. لقد ترك الدين لمسته على شخص قدور فمن خلال سجله يضعنا السارد في أجواء التربية التي نشأ عليها ويظهر ذلك في خوف هذه الشخصية في ارتداد أمديو عن الإسلام فيقول: «هل رأيتم الفرق بيننا؟ أحمد لم يفهم جيدا هذه الفروق الجوهرية بين ديننا ودين جان فرانك، لا أزال أذكر المخاوف التي استبدت بي عندما سمعت الناس ينادونه "أمديو"، خشيت أن يكون قد ارتد عن الإسلام...»<sup>2</sup>.

إن اللجوء إلى الدين بدد تلك المخاوف، والغربة التي شعر بها "عبدالله" في سفره إلى الغرب، فخشى أن يكون ابن حومته، قد اعتنق ديانة مخالفة، لهذا نجد نبرة الخوف في حديثه، من حدوث ما لم يكن متوقعا «كانت مخاوفي في محلها لأن من عادة من يعتنق دينًا جديدًا أن يغير اسمه القديم، هذا ما حدث بالضبط للمغني الإنجليزي المشهور، "كاث ستيفنس" الذي أطلق على نفسه اسمًا جديدًا هو "يوسف إسلام" بعد إسلامه مباشرة»<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> - عمارة لخصوص، الرواية، ص 130.

<sup>2</sup> - المصدر نفسه، ص 134.

<sup>3</sup> - المصدر نفسه، ص 134.

## الفصل الثاني: تجليات الهوية في رواية "كيف ترضع من الذئبة دون أن تعضك" عمارة لخص.

وانطلاقاً من هذا الطرح سعى الروائي من خلال شخصياته إلى الحديث عن إشكالية مهمة تفتت بشكل مهيم اليوم، ألا وهي إشكالية تحول القيم، وفق ما يتماشى والآخر، فالدور الذي لعبته المؤسسة الاجتماعية التي يُمثلها المجتمع العربي، أو الشرقي عمومًا في حمل الوصاية نوعاً ما على ثبات هوية الدين، ليصبح الرقيب على الأنا المفردة في التزامها بتلك الهوية، لم يكن كفيلاً لردع الصراع الحضاري الذي غزا العالم، ليصبح الإنسان أمام عقبة إثبات هويته وتحديد انتمائه.

إنّ ارتباك الهوية الدينية لدى شخصيات الرواية محكوم بمخاضات المجتمع وقوانينه، وبالطبع فإنّ أي مؤثر خارجي سيكون حتمًا هويةً بديلة، وهو ما حدث مع بعض الشخصيات، فصورة الآخر هنا ماهي إلاّ متنفس لتلك الحريات المكبوتة.

تحمل الشخصيات الإيطالية حمولات ثقافية تُشير إلى الخلفية الفكرية لهؤلاء، فالتأمل للمتن السردي يجد أنّ المهاجر مهما كان جنسه، يتمتع بصفات أخلاقية تنم على تربيته السليمة، إلاّ البعض منهم، بينما نجد سمة التعصب، والعنصرية، والحقد والكراهية تطبع الفرد الإيطالي، والغريب أنّ أفراد المجتمع الواحد يُكنون عداوة تجاه بعضهم البعض، ما يوحي بالتنشئة غير السوية للمجتمع الأوروبي الذي ظل يمجّد حضارته ردحًا من الزمن، فحالة التشظي طالت حتى المثقف الإيطالي نفسه، وهو ما نراه في شخصية "أنطونيو ماريني" الذي لم يفتأ في بث الحقد (تجاه الجنوب) في نفوس طلابه.

فضح "عمارة لخص"، الآخر من خلال مناحي متعددة، "فأنطونيو ماريني"، ما هو إلاّ صورة للإرهاب الفكري الذي يؤدي إلى تدمير إنسانية الإنسان، ويكرّس للتفريق بين الذوات، لا التفريق بينهما، كما يؤدي بشكل حتمي إلى نفي الآخر المختلف جنسياً، وعرقياً، دينياً وفكرياً، ومن هنا يبرز دور المثقف في الانفتاح واحترام الاختلاف، وهذا الدور الإيجابي أهمله الأستاذ الجامعي "أنطونيو" لأنّه ومن خلال سجله، لم يمنح لطلابه فرصة التعرف على الجنوب، بل أكد من خلال قوله «آن الأوان للاعتراف أنّ الوحدة الإيطالية خطأ تاريخي لا يُغتفر»<sup>1</sup>. إنّ المؤثرات الثقافية والتعقيدات الإيديولوجية

<sup>1</sup>-عمارة لخص، الرواية، ص85.

التي تزحف بالمجتمع الأوروبي، أعقبته تحولات في الأنماط الفكرية، فلكل جماعة هوية خاصة تميزها عن غيرها، وبالتالي فإنّ هذا الاضطراب والتذبذب مرجعه الرئيسي إلى الأسرة، التي هي نواة المجتمع، فعندما تختل القيم الأسرية تخلق فردًا مضطربًا نفسيًا، وهذا حال المجتمعات الغربية التي تعمل على محو الخصوصيات المميزة على المستوى الأسري، كما أنّها تدعو إلى التحرر، وإباحة الإجهاض (كما هو الحال مع ماريا كريستينا)، فترسخ الندية والكره تجاه الغرب الذي ظل يُقام التيارات الغربية المختلفة.

أثبتت الرواية الجزائرية مع الأيام خروجها من دائرة المحافظة، وخوض تجربة اللقاء الحضاري من خلال كسر قيود المحافظة الأدبية والاجتماعية، فهي تثبت هويتها من خلال معالجة قضايا جريئة تكشف الآخر، وتبرز الاختلاف القائم في المنظومة الاجتماعية للمجتمعات جمعاء، وبغض النظر عن تلك الاختلالات التي تمس الأفراد يبقى تحديد انتماء الأشخاص مهددا بوجود مظاهر غريبة تعصف بالمجتمعات الشرقية، لكن يبقى الفرد ابن بيئته الاجتماعية، فإذا اكتسب منها سلوكات صحية سليمة، خرج صالحا مستقيما، وإذا اكتسب منها سلوكات مضطربة، يكون قد فشل في تحديد هويته.

نستنتج مما تقدم، أنّ وضوح المرجعية الهويةية تمكننا من المثاقفة العادلة بين الأنا والآخر، ولا توقعنا في عملية الانصهار والذوبان، ولا تؤدي إلى هيمنة الآخر على الأنا هيمنة تسلبه كل معالمه التكوينية وتطمس ملامح هويته الحضارية التي تشكلت مدة قرون من العطاء، ومن ثمّ يمكن تجاوز تلك الإشكالية التي ظل الإنسان يتخبط فيها، ويُعاني منها المنهزم الذي قد يتخلى عن مرجعيته بسهولة ليلتحق بمرجعية الآخر، وحتى يصل إلى حصانة ومناعة فكرية لا بد من هؤلاء الشخصيات من بناء مرجعية خاصة، في زمان تتلاشى فيه الخصوصيات.

#### 4- القرابة وأزمة الهوية في الرواية:

سلط الروائي الضوء على صلة القرابة الأسرية بين شخصيات مجتمع الرواية، وكشف من خلال هذا النسق على جملة العلاقات الاجتماعية التي تمحورت الأحداث حولها، والتي تميّزت بصراعات وتوترات داخلية اعتملت في أعماق الأنا نفسها، وخارجية بين الأنواع المرتبطة فيما بينها بروابط أسرية،

## الفصل الثاني: تجليات الهوية في رواية "كيف ترضع من الذئبة دون أن تعضك" عمارة لخص.

وعليه تغير مفهوم القرابة بتغير الظروف الاجتماعية، والنفسية، والفكرية، والاقتصادية، وقد أثرت هذه التحولات التي طرأت على المجتمع على الفرد، ويشير هذا التغير إلى «أنماط التحولات في أنماط الفعل الاجتماعي، والتفاعل الاجتماعي التي تُشكل العلاقات الاجتماعية المنظمة التي هي جوهر البناء الاجتماعي، ويتضمن ذلك كل أشكال التحول التي تحدث في القيم، والمعايير، وقواعد السلوك الصّابطة لأنماط التفاعل بين الأفراد»<sup>1</sup> وأضحى التمزق أبرز مظاهر العلاقات الإنسانية.

يعاني الفرد في رواية "كيف ترضع من الذئبة دون أن تعضك" أزمة هوية، ووجود، وانتماء، فهو يعيش حالة من الاغتراب، والوحدة جراء فقدان الأحبة، والخلان، وهذا الإنشقاق يظهر جليا عند المهاجر والإيطالي على السواء، ويُصرح "بارويز منصور صمدي" عن حالة التمزق النفسي التي يواجهها فيقول: «... عندما أتذكر أطفال الصغار شادي وسعيد وصُهراب وعمر وزوجتي زينب أحزن كثيراً أقول في نفسي: أين هم الآن؟ لا شك أنهم مشردون في مكان ما، أنا مشتاق لتقبلهم واحتضانهم جميعاً...»<sup>2</sup>، إنّ لوعة الفراق تتأجج في ذات بارويز، فالحرب غيرت طبيعة العلاقات، ثم يضيف قائلاً: «في شيراز كنت سعيداً مع زوجتي وأولادي أما الآن، فأنا في أسفل المستنقع... في الجحيم أقاسي حرقه الحنين والفراق...»<sup>3</sup> تتشظى هوية هذه الشخصية نتيجة حنينها لماضيها بكل ما يمثلها من حياة مثالية عرفت فيها معنى السعادة في جو أسري، وبين حاضر مأساوي مأزوم سمته الأساسية الوحدة، والغربة، ومرارة البحث عن لقمة العيش، إنّ هذا التآرجح بين الماضي والحاضر الذي تعيشه الشخصية جعلها تعيش تمزقا هويّاتياً، فكان الحنين والذاكرة، واسترجاع أسرتها تخيلاً للتمسك بهويتها، إنّ «الوضعية المأساوية الواقعية التي يوجد فيها الإنسان اليوم من حروب وانتهاك لحقوقه وعصر يفرض عليه التحلي الفعلي عن وعيه التاريخي وعن شعوره كذات فاعلة»<sup>4</sup> يُدخل الذات في عالم الاغتراب، والعزلة، ويجد

<sup>1</sup> - أحمد زايد، اعتماد علام، التغيير الاجتماعي، مكتبة الانجلو مصرية، القاهرة، مصر، د. ط، 2006، ص19.

<sup>2</sup> - عمارة لخص، الرواية، ص19.

<sup>3</sup> - المصدر نفسه، ص18.

<sup>4</sup> - عبد الرزاق الداوي، موت الإنسان في الخطاب الفلسفي المعاصر، دار الطليعة، بيروت، د. ط، 2000، ص182.

## الفصل الثاني: تجليات الهوية في رواية "كيف ترضع من الذئبة دون أن تعضك" عمارة لخص.

المراء نفسه غير قادر على استيعاب كل هذه التغيرات وبالتالي «كل شيء يوحى بالخراب والدمار والسقوط...»<sup>1</sup>النفسي .

تزداد أهمية القرابة الأسرية، حينما تصبح الذات مغتربة عن أرض الوطن، وتكون الذكريات ملجأ للمهاجر، فيستحضر الفرد الزمن البعيد الزاهي، بذكرياته الحميمة التي علفت بالذاكرة، تلك التي تبعث في النفس الفرح لتستمد منها القوة التي تمكنها من مواجهة الإحساس بالفناء الذي يُلازم الذات نتيجة الحاضر المستبد الذي فرض سطوته على الإنسان، والإنسانية، وإذا نظرنا إلى شخصيات هذه الرواية نجدها تناجي الذكريات لتبني عالماً جديداً من الخيال، وها هو "أمديو" يستحضر ذكرى الأحبة فيقول: «...غدا عيد، لاشك أن أمي ستبكي كثيراً لغيابي، في مثل هذا اليوم تزداد مسافة الفراق وتبرد حرارة الأحبة، سأتصل بها غداً لأهنئها كعادتي في هذه المناسبات، أعرف أنها ستعطيني قليلاً في البداية ككل مرة ثم تدعو لي كثيراً في النهاية، كم أنا متشوق لسماع هذه الجملة من فمها، مبروك عيدك يا أحمد يا وليدي وكل عام وأنت بخير»<sup>2</sup>. إنَّ هذه الذكريات التي تحتمي بها الذات فراراً من قهر واقعها، ما هي إلا صورة عن تشوه العلاقات الإنسانية، وتشتتها، فالواقع الجديد دفع "أمديو" إلى الارتقاء في أحضان الماضي بآماله، وآلامه، ليصور للمتلقي حالة الضياع، والتشتت، والتهيه في المهجر، وأنَّ العلاقات مجرد ذكرى عابرة خلدها الفرد في مخيلته يقول: «أنا مصاب بالزكام الأسترالي، لا أقوى على المشي، المرض يوقظ شيطان الحنين أو الوحش- كما نسميه عندنا- إنه الخوف من الموت: الموت بعيداً عن أنظار الأحبة، الموت بعيداً عن الأم، كيف أقول لأمي إني خائف، كما يقول المغني دي أندري: أليست الراحة الأبدية في العودة إلى رحم الأم؟ ما أوحش أنَّ يجمع رفاتك قبر في المنفى...»<sup>3</sup> تُعدُّ عودة أمديو إلى زمن مضى إعلاناً على تحديه للزمن بالعودة به إلى الوراء ليعيش من جديد زمنه المملوء بالرغبة في الحياة مع

<sup>1</sup>-محمد معتصم، الرؤية الفجائية، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2003، ص16.

<sup>2</sup>-عمارة لخص، الرواية، ص136، 137.

<sup>3</sup>-المصدر نفسه، ص137.

## الفصل الثاني: تجليات الهوية في رواية "كيف ترضع من الذئبة دون أن تعضك" عمارة لخصوص.

الأهل، والأصحاب، فشكل الماضي الأليم محطة حاسمة في حياة البطل الذي شهد تحولاً جذرياً، وفاضلاً محورياً بين زمنين متباينين الوطن الذي يمثل الاستقرار والمهجر الذي يمثل حالة الضياع.

لم يكن "أمديو" الشخصية الوحيدة التي تعاني من أزمة الاغتراب النفسي، بل أن كل شخصية في الرواية تحكي مأساة إنسانية وتُصور شرحاً هويّاتياً، "فماريا كريستينا غونزاليز" كانت هي الأخرى تُعاني الفقد، والحرمان، جرّاء هجرتها من وطنها، إلى وطن غريب عنها، فتقول: «أذهب إلى محطة ترميني وأقصد المكان الذي يلتقي فيه المهاجرون من بيرو، فأرى وجوها تشبع عطش عيني وأسمع كلاماً يدفئ أذني الباردة، أشعر كأنني عدت إلى بيتنا في ليما، أحيي وأقبل الذين أعرفهم، والذين لم أرهم من قبل...»<sup>1</sup>. لخص هذا المشهد معاناة المهاجر، وظاهرة تلاشي العلاقات الإنسانية في ظل الظروف المزرية التي فرضها الوطن على أبنائه، فصلة القرابة أضحت مجرد ذكرى جميلة لهؤلاء، وحلم يراود الجميع من خلال استحضار اللحظات الأكثر حبا مع العائلة، وليبقى الوطن موطن لقاء الأحبة مهما طال الزمن.

تتميز العلاقات الإنسانية في رواية "كيف ترضع من الذئبة دون أن تعضك" بسمات التشتت، والضياع، الفقدان، والحرمان، فبقت صورة الأحبة مجرد حدث عابر، لدى كل شخصية ومن ثم يفشل التواصل بين الأشخاص نظراً للأوضاع المزرية التي آلت إليها الشخصيات.

<sup>1</sup> - عمارة لخصوص، الرواية، ص72.

المبحث الرابع: الهوية الثقافية في رواية "كيف ترضع من الذئبة دون أن تعضك" لعمارة لخصوص.

يُعدُّ مصطلحي الثقافة والهوية من أكثر المصطلحات انتشاراً في الحياة المعاصرة لما يمثّله من أهمية في ترسيخ القيم الإنسانية والفكرية لدى الأفراد والشعوب التي تتوحد فيما بينها، وتتميز عن غيرها انطلاقاً مما تنتجه مخيلتها من عادات ومعتقدات ورموز وأمثال وحكم، وعلى أساس ما تحدته الأجيال من وقائع أحداث تاريخية، ومن ثمة كانت الهوية الثقافية أحد أهم ركائز الشعوب والمجتمعات لأنها «نظام [متكامل] من القيم والتصورات التي يتميز بها مجتمع ما تبعاً لخصوصياته التاريخية والحضارية»<sup>1</sup> والتي تتوارثها الأجيال جيلاً عن جيل.

وقد تمثلت الكثير من المتون الروائية الهوية الثقافية لمجتمعاتها، فصورت عاداتها وتقاليدها، ونقلت تاريخها، وكانت سجلاً يحفظ مقومات الأمم، ويرسخ سماتها الفكرية والروحية ويجسدها سرداً وتخيلاتاً، فتحاكي الشخصيات الورقية هوية الشخصيات الواقعية، وتمثل ثقافتها.

ركّز "عمارة لخصوص" في رواية ..... على الهوية الثقافية لمجتمع الرواية على تعدد أعراقها، واختلاف معتقداتها، وتنوع عاداتها، وتباين قومياتها، وضمن نصه عدداً من اللغات والأديان، واللهجات، وهذا التنوع هو الذي خلق نسيجاً اجتماعياً متجانساً يضم مختلف الثقافات الإنسانية.

فجاءت هذه الرواية رؤية واقعية لقضية التنوع الثقافي الذي بات علامة ينبغي فك شفراتها لفهم النص وتأويله «فالاختلافات القائمة بين المجتمعات الإنسانية في الأنماط الثقافية السائدة فيها، هي التي أدت إلى ذلك التنوع من خلال أصالة وتعدد الهويات المميزة للمجموعات والمجتمعات التي تتألف منها الإنسانية، فهو مصدر للتبادل والإبداع. كما أنه ضروري للجنس البشري مثل ضرورة التنوع البيولوجي بالنسبة للكائنات الحية، وبهذا المعنى فإن التنوع الثقافي هو التراث المشترك للإنسانية وينبغي الاعتراف

<sup>1</sup> -جمال نصار، قضايا الهوية الثقافية وتحديات العولمة، مركز الجزيرة للدراسات، 2015، شبكة الأنترنت، ص02. ينظر الموقع:

## الفصل الثاني: تجليات الهوية في رواية "كيف ترضع من الذئبة دون أن تعضك" عمارة لخصوص.

به والتأكيد عليه لصالح أجيال الحاضر والمستقبل<sup>1</sup> كما يضم هذا التراث رموزاً ثقافية كثيرة أنتجتها المخيلة الشعبوية فأصبحت عنصراً ثقافياً مهماً، كما يضم الموروث الثقافي الفكري ممثلاً في التناسبات مع فكر أمين معلوف، سيغموند فرويد، سيروان... وغيرهم، ويضم أيضاً الأمثال والحكم السائرة على لسان شخوص الرواية.

### أولاً: الرمز مكوناً للهوية:

#### 1/ الرمز الثقافي:

لا ريب أن ظاهرة التعدد الثقافي قديمة قدم الإنسان ذاته، فمنذ أن بدأ الإنسان يعي تفرده عن غيره بدأ يشكّل رموزاً تعبر عن خصوصيته، وتعكس فهمه لذاته ورؤيته للعالم بطريقته الخاصة، وعليه كان لكلّ ثقافة رموزها المميّزة، التي تسعى من خلالها للحفاظ على هويتها الاصلية، ولاسيما في ظلّ ظهور قوى تُحاول فرض ثقافتها، وهيمنتها على الثقافات الأخرى، وهذا ما يُشكل خطراً يُهدد الهوية الثقافية لمختلف شعوب المعمورة، وهذا ما يؤدي إلى حدوث صدام ثقافي مع الآخر وظهور مختلف الصراعات.

اتخذ الروائي "عمارة لخصوص" من الرمز وسيلة للتعبير عن واقعه المعيش، ولنقل معاناة المهاجر في أرض ليست أرضه، فتنوعت الرموز الموظفة في الرواية -موضوع الدراسة- وتأرجحت مصادرها بين رموز مستمدة من الثقافة العربية التي كانت سبيله للتأكيد على هويته الاصلية، ورموز مستمدة من الثقافة الغربية التي برهنت على رغبته في الانفتاح على ثقافة الآخر، وقدرته على محاورته حضارياً، فكان الرمز الديني، والأدبي، والثقافي، والأسطوريّ وسائل فنيّة وسمت النصّ بالجمالية، وحاكت الواقع فناً.

<sup>1</sup> -حسين الصفار، التنوع والتعايش، دار الساقى، بيروت، لبنان، د. ط، 1999، ص55.



## 2/الرمز الديني:

يُعَدُّ الرمز الديني أحد مقومات الهوية الثقافية، ومكوّنًا فطريًا لشخصية الفرد عنه يأخذ قيمه ومثله، ومنه يستمدّ الحكمة والعبر، ولهذا كان له هالة من القداسة فمجدّه الادباء في مختلف نصوصهم، وكان أحد الوسائل الفنيّة البارزة للتعبير عن الواقع، ولعلّ ما يميّز المجتمعات المعاصرة هو انفتاحها على مختلف الكتب السماوية من قرآن وإنجيل وتوراة، واطلاعها على رموزها الدينيّة التي تشكّل جزءًا من ثقافتها. وقد أدرك الروائيون ما للرمز الديني من قيمة، فوظّفوه توظيفًا حدقا نظرا لحساسيته في النفوس، وقدرته على التأثير على العقول، ساعين إلى ترسيخ مبادئ الهوية الدينيّة في النفوس، وفتح المجال أمام حوار دينيٍّ أساسه التسامح والتعايش.

حظي الرمز الدينيّ بنصيب وافر من الرواية -موضوع الدراسة- حيث كان عنصرا أساسيا لتحديد هوية الشخصيات، ولإبراز ما يحركها من دوافع وأفكار، وما يقف وراء صراعاتها، وحروبها، وأزماتها، وما يجسّد قيمها الفاضلة، ومثلها العليا، وتراوحت إشارات الروائي بين الرمز المستمدّ من الدين الإسلاميّ، والمستمدّ من المسيحيّة تبعًا لما يقتضيه السياق الروائيّ، وانسجاما والمرجعيّة الدينيّة لكلّ شخصيّة، وحملت معاني التقديس والخطيئة، والتسامح، والتطرف.

استدعى "عمارة لخصوص"، قصة قابيل وهابيل، المأخوذة من القصص القرآني، يقول عز وجل في محكم تنزيله: ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقْبَلُ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ (27) لَئِن بَسَطْتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطِ يَدَيْ إِلَيْكَ لَأَقْتُلَنَّكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ (28) إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ (29) فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ (30)﴾<sup>1</sup>، إنّ استحضار قصة قابيل وهابيل، في المتن الروائيّ، هو استحضار لذلك الصراع الأزلي بين الخير والشر، صراع تتنازعه عوامل مختلفة أساسها الغيرة والحقد والضغينة، وعلى الرغم من سوداوية هذه القصة، ومأساويتها باعتبارها بداية الخطيئة في التاريخ الإنسانيّ، إلا أنّ الروائيّ وظّف

<sup>1</sup>-سورة المائدة، الآية: 30/27.

## الفصل الثاني: تجليات الهوية في رواية "كيف ترضع من الذئبة دون أن تعضك" عمارة لخصوص.

منها تيمة "الغراب" بصفته المنقذ والخبير الذي علم قابيل كيف يوارى سوءة أخيه - على حد تعبير النصّ القرآني - وتيمة "الدفن" على اعتبار أنّ الإنسان باستطاعته دفن أي شيء يؤرقه، يقول "أمديو": "... هناك طائر آخر لا يقل غرابة عن الهدهد، إنّه الغراب الذي دلّ القاتل قابيل على كيفية التخلص من جثة أخيه هايبيل، يُقال إنّه القاتل الأوّل على الأرض، إذا الغراب هو أول خبير في دفن الأموات في التاريخ، أنا غراب من نوع خاص، مهمتي هي دفن الذكريات الملوثة بالدم"<sup>1</sup>. نَحج النَّاص في تفعيل هذه القصة، مع متطلبات العصر، فالصراع بين الأنا والآخر، هو صورة واضحة عن الصراع الأزلي بين الأخوين "قابيل وهايبيل"، أو صراع بين الماضي والحاضر، صراع الذات مع نفسها، ودفن أميديو لذكرياته هو دفن معنويّ بغية تناسيها.

تخضّر هذه القصة في موضع آخر من المتن السردي في معرض الحديث عن الفتنة التي انتقدت المسلمين في فترة من فترات التاريخ المعاصر، فيتجاوز الروائي دلالة القتل والدفن ليؤكد علاقة الأخوة التي تربط قابيل بهايبيل، وهذا ما يتضح من المقطع التالي: «يا بني إذا كنت سائرًا واعترض طريقك مسلحون، وأجبروك على التحكيم: من على الحق ومن على الباطل، قابيل أم هايبيل؟ إياك أن تقول: إنّ قابيل على الحق وهايبيل على الباطل، قد يكون المسلحون هايبيلين فتهلك وإياك أن تقول: إن قابيل على الباطل وهايبيل على الحق، قد يكون المسلحون قابيلين فتهلك... هذا الزمن ضيق لا يتسع للحياة، اقطع لسانك وابلعه، إياك من نار الفتنة فهي أخطر من أنياب الذئاب»<sup>2</sup> ولعل وعي الروائي بقدره الرمز الديني على تكثيف المعنى جعله يتخذ من قصة قابيل وهايبيل مثالاً استحضره والد عبد الله بن قدور لابنه ينجيه من الفتنة.

تأثر "عمارة لخصوص" بالآخر إلى حد كبير، ونقل ذلك التأثير من خلال ثقافة الغير، فظهر صراع الحضارات بعدة أوجه: اختلاف في المعتقدات الدينية، والقيم السياسية بالإضافة إلى الصراع المتنامي بين الهويات الحضارية، والثقافية المختلفة، وذلك بين الحضارة الإسلامية، والحضارة الغربية، فازدياد

<sup>1</sup>-عمارة لخصوص، الرواية، ص48.

<sup>2</sup>-المصدر نفسه، ص140.

## الفصل الثاني: تجليات الهوية في رواية "كيف ترضع من الذئبة دون أن تعضك" عمارة لخصوص.

الاتصال بين الطرفين جعل الروائي يحاكي رموز الثقافة الغربية ومن بينها الديانة المسيحية التي مارست سلطتها على النص.

امتثلت الشخصيات الإيطالية لديانتها التي شكلت جزءاً من هويتها، فكان الخطاب النصراني طاغياً في الرواية، ولأن أحداث الرواية انطلقت من روما عاصمة الفاتيكان مقر البابا، فإن رموز الديانة المسيحية توحى بتعلق الروائي بها لأنه عاش فترة طويلة في إيطاليا وتجرع من حضارتها، وبمحاولة إبراز الجانب الخفي للشخصيات، وما تحمله من قيم دينية، تُحدد انتماءها، وإيديولوجياتها.

استبطن الروائي عمق الهوية من خلال الشخصيات الروائية، إذ نجد معظمها ينساق خلف ديانتها التي تُحدد انتماءه، ومن ذلك ما نلاحظه على "بندتا البوابة" التي تلجأ في كل مرة إلى استعمال ألفاظ مستمدة من معجم الديانة المسيحية مما يوحي بتسمكها بها، فهيمنت على حواراته تقول: «الرأفة يا قديس نابولي العظيم»<sup>1</sup>، «أنا لا أخاف من بطش الآخرين ما دام القديس جنارو معي، ألا يكفي هذا للبرهنة على الولاء له»<sup>2</sup>، «هل من العدل أن يُتهم مواطن إيطالي صالح بجرمة لم يرتكبها؟ الرأفة يا مريم العذراء»<sup>3</sup> إن الإيمان بالقديس جنارو والولاء له، والدعاء بمريم العذراء مناشدة عطفها ورحمتها يكشف عن عمق الجانب الديني لهذه الشخصية، وهو ما يحدد هوية ديانتها (المسيحية).

يسعى الكاتب "عمارة لخصوص" في نصه إلى احتضان معالم دينية متشعبة تضم حضارات وثقافات، وديانات وأقليات، وطوائف مختلفة متعايشة، ليحسد مظاهر التعايش بين المسلمين والمسيحيين: «عندما أرى السنّيور أمديو مع صديقه الإيراني... أقول في نفسي ما أجمل أن ترى المسيحي والمسلم كأخوين، لا فرق بين عيسى ومحمد، ولا فرق بين المسيحية والإسلام، ولا فرق بين الإنجيل والقرآن...»<sup>4</sup> وهي دعوة إلى التعايش السلمي الذي ناشده الإسلام وأكد عليه الروائي على لسان "إقبال أمير الله" نموذج الشخصية المتصالحة مع نفسها ومع الآخر.

<sup>1</sup> - عمارة لخصوص، الرواية، ص 38.

<sup>2</sup> - المصدر نفسه، ص 39.

<sup>3</sup> - المصدر نفسه، ص 43.

<sup>4</sup> - المصدر نفسه، ص 52.

من هنا يمكن القول إنَّ الرمز الديني وسيلة فنية لا غنى عنها في الرواية يتم من خلاله استنطاق مواطن الصراع الحضاري الذي لا يُمكن فهمه إلا في إطار الدين، «فالحضارات التي تُحاول أن تظهر مستقلة عن الأديان بعيدة عن تأثرها، هي في الحقيقة جاءت نشأتها كرد فعل تجاه الدين، والمثل الواضح القوي يظهر في الحضارة الغربية، التي صورت نفسها في شكل حضارة علمانية مستقلة عن الدين وتأثيراته، ورغم علمانية الحضارة الغربية فهي مرتبطة بالمسيحية، واليهودية، بل إنَّها في أولى مراحل تطورها كانت مرتبطة بالإسلام التي استمدت منه تراثه العلمي وحضارته أسس النهضة العلمية الأوروبية الحديثة»<sup>1</sup>، وهنا إشارة واضحة إلى أنَّ الدين وسيلة لتحقيق غاية التقارب الحضاري بين الأمم على اختلاف طوائفهم ومذاهبهم.

### 3/الرمز الأسطوري:

تُعَدُّ الأسطورة ظاهرة فنية «واكبت دخول الأجناس الجديدة إلى أدبنا العربي، فأصبحت معلماً أساسياً من المعالم له حيويته وحركته لاسيما بإفرازها وإعادة صياغتها بأشكال عربية تستهوي ذائقتنا وترضي طموحنا، وتنمي شخصيتنا الحضارية وتصون مصالحها الكبرى»<sup>2</sup>. فعكف الكتاب الجزائريين على استعمال الرمز الأسطوري لما له من غايات فنية تهدف إلى تعرية الواقع، وكشف خباياه.

تعكس رواية "كيف ترضع من الذئبة دون أن تعضك" للروائي الجزائري "عمارة لخصوص" قدرة النص السردي على احتواء الكثير من الأساطير العالمية مما وسم الشخصيات بسمات مميزة عكست ما ميثولوجيتها وطريقة رؤيتها للعالم وتفسيرها لظواهر الطبيعة، وكشفت جمالية الرمز الاسطوري «بوصفه احتضانا للمتقابلات، وتشبهاً بالحاضر، كما يكشف أيضاً هذه الهوية العتيقة بين الذات والموضوع، وبين الاسم والمسمى، وتنبثق هذه الهوية من اندماج الشيء بمعناه، والرمز بموضوعه في وحدة مباشرة»<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> -محمد حسن خليفة، المسلمون والحوار الحضاري مع الآخر، مركز الدراسات الشرقية القاهرة، د. ط، 2003، ص 09.

<sup>2</sup> -نذير العظمية، التغريب والتأصيل في الشعر العربي الحديث أبو القاسم الشابي نموذجاً دراسة نقدية للشعر والميثولوجيا، وزارة الثقافة، دمشق، 1999، ص 80.

<sup>3</sup> -عاطف جودة نصر، الرمز الشعري عند الصوفية، الكتب المصري لتوزيع المطبوعات، القاهرة، مصر، د. ط، 1998، ص 28.

## الفصل الثاني: تجليات الهوية في رواية "كيف ترضع من الذئبة دون أن تعضك" عمارة لخص.

وأكدت هوية الروائي العربية الأصيلة التي ارتحلت معه إلى إيطاليا، وتفاعلت مع واقعه للتحويل إلى وسيلة فنية تُعبر عنه.

تضمنت رواية "كيف ترضع من الذئبة دون أن تعضك" بعض الرموز التي لها وزن ثقيل في تاريخ روما، ولا يمكن أن يغفل عنها القارئ، لأنها تُبرز رمزية المكان الذي يستقي وجودها منه، فنجد رمز الذئبة، والرضيعين "رومولوس وريموس"، يُضاف إلى ذلك رمز البهجة.

تُوحى لفظة الذئبة إلى الأسطورة القائلة أصل نشأة مدينة روما الإيطالية، والمتأمل لفظة الذئبة يجدها من أبرز محاور الميثولوجيا الرومانية، فالسمة البديهية للذئب هي سجيته المفترسة، وبالتالي يُقرن بشدة الخطر والدمار، يُقال أنه ولد "رومولوس وريموس" في المدينة الإيطالية القديمة "ألبا لونجا" وكان «الملك نوميتور يحكم ألبا لونجا إلى أن أقصاه عن الحكم أخوه الأصغر أموليوس وقام هذا الأخير بقتل أبناء نوميتور، وأرغم ابنة نوميتور ريا سلفيا على أن تصبح كاهنة عذراء، حتى لا يخرج من صلبها أطفال سيسكلون خطراً على عرش الملك الطاغية إلا أن الإله مارس أغوى الفتاة، فأنجبت منه التوأمين، فأمر الملك بإعدام والدتهما، ثم وضع الرضيعين في سلة، وقذفهما في النهر، إلى أن ألقى بهما على الشاطئ، فتجدهما الذئبة فتتولى رعايتهما»<sup>1</sup>، وقد شاع تداول هذه الرموز على نطاق واسع في كافة أرجاء أوروبا، وباتت الذئبة تنتمي إلى روما، «ومنها بدأت معالم مدينة عظيمة تخرج إلى التاريخ، أن يعيش الإنسان المهاجر يعني... أن يقترب قدر المستطاع من الذئبة، ليبحث لنفسه عن ثدي يتلقمه ليرضع منه دون أن يثير غيرة أبناء الذئبة»<sup>2</sup> إنَّ المهاجر مثل التوأم "رومولوس وريموس" اجتث من بيئته ليعيش في بيئة أخرى، ويضطر للتأقلم مع البيئة الجديدة: لغتها، وعاداتها، وتقاليدها، وثقافتها، كما اضطر التوأم للرضاعة من ثدي الذئبة.

استطاع الناص التوغل في أعماق المجتمع الإيطالي فبرهن على أهمية هذه الرموز ودورها في الحفاظ على هوية الشعب الإيطالي، ويبرز السارد ذلك قائلاً: «أهل روما لهم ذاكرة راسخة ترجع إلى الرومان،

<sup>1</sup> -مضى بشلم، المحكي الروائي العربي (أسئلة الذات والمجتمع)، دار الأملية، الجزائر، ط1، 2014، ص164.

<sup>2</sup> -المرجع نفسه، ص164.

## الفصل الثاني: تجليات الهوية في رواية "كيف ترضع من الذئبة دون أن تعضك" عمارة لخصوص.

يكفي أن تتحوّل في الشوارع لترى الآثار القديمة أو تنظر في علم نادي روما لتستمتع بصورة الذئبة وهي ترضع التوأمين رومولو وريموس...»<sup>1</sup> وفي موضع آخر يُبرز النَّاص شراسة أبناء الذئبة في قول "أنطونيو ماريني": «أليست الذئبة هي رمز روما؟ أنا لا أثق في أبناء الذئبة لأنهم حيوانات مفترسة»<sup>2</sup>، إذن فالرمز الذي قدمه الروائي هو صورة حقيقة للفرد الإيطالي في تعامله مع الآخر.

حضر الرمز الأسطوري من خلال ربط النَّاص سؤال الهوية بالذاكرة والقص (شهرزاد وشهريار)، فكان "أمديو" بطل الرواية يعتمد على هذه التقنية على طول أحداث الرواية يقول: «هل أنا شهرزاد؟ هي تحكي وأنا أعوي بلا ملل، كلانا يفر من الموت ويلفنا غطاء الليل، هل هناك فائدة ترجى من القص...»<sup>3</sup> فمن خلال شخصية "شهرزاد" يفتح النص على عوالم تخيلية وسردية قوامها الحكيم الذي يُعدّ خلاص شهرزاد من سيف شهريار، وخلاص "أمديو" من الصراع الدفين والمعاناة المكبوتة في أعماقه كونه مهاجراً يعيش بين ماضٍ دفين وحاضر معيش، فاستعان؛ لتعبير عن هذا الألم؛ بالحس الأسطوري لما وجد فيه من صدى لمعاناته على جميع الأصعدة (السياسية، والاقتصادية، والاجتماعية، والثقافية، والفكرية)، وخاصة سؤال الهوية الذي بات تيمة أساسية في النصوص السردية.

لقد منح "أمديو" المتلقي فرصة التعرف على الصراع الداخلي الذي يُكابده فكانت شهرزاد بحمولتها الإنسانية العميقة رمزاً مؤسساً لمشروع تحرري ولحلم الإنسانية البديلة، وهو ما صرح به في عوائه الأخير: «علميني يا سيدتي الجليلة حرفة التملّص من الموت، علميني يا شهرزاد كيف أكر وأفر من غضب شهريار وحقد، علميني كيف أبعد سيف شهريار عن رقبتى، علميني يا شهرزاد كيف أنتصر على شهريار الذي يسكنني، ذاكرتي هي شهريار. أووو... ذاكرتي هي شهريار. أووو... ذاكرتي هي شهريار...»<sup>4</sup>، اتخذ الروائي من شهريار وشهرزاد رمزاً هويّاً له أبعاد كثيرة، فموت الذاكرة أفضل وسيلة للنجاة وهو ما تجسّد في قوله: «آه من الذاكرة الملعونة، الذاكرة سيزيف اللعينة، من أنا؟ أحمد أم أمديو؟

<sup>1</sup>-عمارة لخصوص، الرواية، ص106.

<sup>2</sup>-المصدر نفسه، ص85.

<sup>3</sup>-المصدر نفسه، ص148.

<sup>4</sup>-المصدر نفسه، ص149.

## الفصل الثاني: تجليات الهوية في رواية "كيف ترضع من الذئبة دون أن تعضك" عمارة لخصوص.

آه يا بَهْجَة. هل من سعادة بعيدا عن ابتسامتك؟ هل من راحة بعيدا عن حضنك؟ إلى متى سيدوم المنفى؟ إلى متى سيدوم العواء؟ أووو...<sup>1</sup> إنَّ رمزية شهرزاد هي النجاة من الموت، وهو ما يتمنى أمديو أن يحققه حين ينجو من سيف الذاكرة المسلط على رأسه، تلك الذاكرة التي تطرح عليه بإلحاح سؤالاً لطالما حيره من أنا؟ فبين "أحمد وأمديو" تعاني هذه الشخصية الموت، والألم، والحنين، والصراع، ووحده العواء (الصراخ) الذي يمكن أن يجره.

نستنتج مما سبق أن هوية شخصية "أمديو" تعالقت مع السردية العربية لتتمظهر في صورة شهرزاد بكل ما تحيل عليه هذه الشخصية من صفات حولتها من شخصية خيالية إلى شخصية أسطورية باعتبارها رمزاً للخلاص الأنثوي.

### 4/الرمز الأدبي:

انفتحت رواية "عمارة لخصوص" "كيف ترضع من الذئبة دون أن تعضك"، على رموز أدبية كثيرة، ليكون النص بذلك شحنة معرفية عميقة، ومن بين الرموز الأدبية التي تعامل معها الروائي، عمر الخيام، أجاثا كريستي، ليوناردو شاشا، سالو سيتو، أمين معلوف، الطاهر جاووت، سعدي حافظ...إلخ.

والملاحظ على هذه الرموز أنّها اقترنت بأمديو الشخصية المحورية، فلم يترك مجالاً للشك أنّه مضطلع على الآداب العالمية، كالعربية، والفارسية، والغربية، فكانت الغاية من هذا التوظيف معالجة قضايا معينة تخص المهاجر، والمغترب، واللاجئ، فتشعبت بين القضايا السياسية، والاجتماعية، والحضارية، وكل رمز أدبي يحدد انتماء الأفراد داخل المتن السردية.

يستعرض الروائي "عمارة لخصوص" علاقة الشخصيات بعضها ببعض حين قال "باروين منصور صمدي" «أنّ أمديو لغز يحير العقول، إنّه كرباعيات الشاعر الكبير عمر الخيام، تحتاج إلى سنوات طويلة لإدراك مغزاها»<sup>2</sup>، إنّ الحمولة الدلالية التي منحها "باروين" لصديقه "أمديو" تُوحى بعمق خبايا

<sup>1</sup>-عمارة لخصوص، الرواية، ص149.

<sup>2</sup>-المصدر نفسه، ص15.

## الفصل الثاني: تجليات الهوية في رواية "كيف ترضع من الذئبة دون أن تعضك" عمارة لخص.

الشخصية، فعمر الخيام له وزن ثقيل في الساحة الأدبية، وهو رمز للفلسفة والعمق الفكري، تتميز ربايعاته بكونها ثورة شعرية على مستوى الطرح، وعلى مستوى الإيقاع، لقد شبه بارويز أمديو بالشاعر **عمر الخيام** لأنه شخصية يصعب فهمها، على قدر بساطتها يكمن عمقها، وعلى قدر وضوحها يظهر غموضها.

يحضر "**عمر الخيام**" مرتبطاً بشخصية "**بارويز منصور صمدي**" رمزاً للهوية الفارسية باعتباره أبرز شعراء الفرس، وأحد أهم رواد العلم والفكر في وطنه يقول: «... إهانات هذه الملعونة (بندتا) ليس لها أول ولا آخر... تحكمت في أعصابي وقلت لها: هل تعرفين **عمر الخيام**؟ هل تعرفين **سعدي**؟ هل تعرفين **حافظ**؟ لسنا متوحشين حتى نأكل الققط والكلاب...»<sup>1</sup> وقد ارتبط ذكره بالتعريف بالهوية الفارسية رداً على إهانات البوابة بندتا التي وصفته وشعبه بالتخلف وأكل الققط والكلاب، فكان استحضاره لرموز الفكر والأدب في وطنه إعلاءً لقيمته، ودليل على تحضره، فهوية "**بارويز**" التي تنقص "**بندتا**" من قيمتها مرتبطة بعمر الخيام الرياضي والشاعر، وحافظ خاجي الشيرازي الشاعر والمتحدث، وسعدي الشيرازي ملك الكلام وأفصح المتكلمين.

يتيح الرمز الأدبي معرفة الأنا، ويعدّ عاملاً مهماً لتحديد الهوية النفسية والاجتماعية والفكرية للشخصية على اعتبار أن الأدب هو محصلة تفاعل هذه البنى مع ذات المبدعة، ولذلك نجد "**أنطونيو ماريني**" يركّز على بعض الأعمال الأدبية التي تساعد طلبته على فهم شخصية الأنا الإيطالية بما تتميز به من صفات سلبية كالكسل والتخلف، وعلى رأسها رواية "**المسيح توقف في إيولي**": "**كارلو**

<sup>1</sup> -عمارة لخص، الرواية، ص28.

<sup>(\*)</sup> -تعد الرواية من الكلاسيكيات الشهيرة في الأدب الإيطالي الحديث، وهي تتناول أوضاع إيطاليا الاجتماعية مطلع القرن الفائت، وبالتحديد أثناء الحقبة الفاشية، فبسبب معارضة مؤلفها لسياساتها، لوحق ونفي داخل إيطاليا عام 1931، فكانت ولادة هذا العمل الذي يحكي عن تجربته. وقد تم تحويل هذه الرواية إلى فيلم سنة 1979، وعلى الرغم من مرور سنوات عديدة على كتابتها، ما زالت تحتفظ براهنيتها. ينظر: مجلة البيان 2021/09/12 على الرابط الآتي:



## الفصل الثاني: تجليات الهوية في رواية "كيف ترضع من الذئبة دون أن تعضك" عمارة لخص.

ليفني" وهي رواية اجتماعية تصف الايطاليين وصفاً دقيقاً يقول: «أنا أنصح دوما تلاميذي في الجامعة بقراءة متأنية وعميقة لكتاب كارلو ليفني الرائع المسيح توقف في إيولي لفهم حقيقة الجنوب القائم على الكسل والتخلف. الوضع لم يتغير عن الماضي، العقلية هي نفسها لم تتغير. لن يفيد الهروب إلى الأمام؛ حان الآوان للاعتراف أنّ الوحدة الإيطالية خطأ تاريخي لا يغتفر»<sup>1</sup> فأهل الجنوب يختلفون عن أهل الشمال في صفات كثيرة لم يكن طلبة أنطونيو ماريني ليقفوا عليها دون الرجوع إلى هذه الرواية.

ذكر "عمارة لخص" في روايته، مجموعة من رواد الفكر والمعرفة، أسماء ثقيلة سطعت في سماء الأدب، لتوحي للمتلقي بمدى تأثير هذه الشخصيات في ذات الشخصية البطلة (أمديو/أحمد سالمى)، وإعجابه بها، وإن كانت كل شخصية لها فكر، وكيان، وتوجه مستقل، ومن بين الذين تأثر بفكرهم نجد الفيلسوف والكاتب الروماني "إميل سيوران" يقول: «شرعت اليوم في قراءة كتاب إميل سيوران الذي يحوي على أقوال ماثورة تدعو إلى التفكير العميق مثل قوله: لا نسكن في بلد وإنما نسكن في اللّغة، هل اللّغة الإيطالية هي مسكني الجديد؟»<sup>2</sup>. يبدو أنّ "أمديو" لاس عمق مشكلته، فلم يعد الفضاء محدد أساسي لانتمائه وإنما اللّغة التي أضحت معضلة بالنسبة له، وهي التي تحدد هويته.

ويظهر ذلك التمازج في الأفكار وسعة الاضطلاع عندما جمع بين ما هو غربي وما هو عربي، وهو ما نراه في حديثه الآتي: انتهت اليوم من قراءة رواية "أمين معلوف" "ليون الإفريقي" أعدت قراءة المقطع الآتي عدة مرات حتى حفظته عن ظهر قلب، «خُتنت أنا حسن بن محمد الوزان، يوحنا ليون دوميديتشي، بيد مزين وعمدت بيد أحد الباباوات، وأدعي اليوم "الإفريقي" ولكنني لست من إفريقيا ولا من أوروبا ولا من بلد العرب، وأعرف أيضا بالغرناطي والفاسي والزياتي، ولكنني لم أصدر عن أي بلد، ولا عن أي مدينة، ولا عن أي قبيلة، فأنا ابن السبيل، ما أجمل أن نتحرّر من قيود الهوية التي

<sup>1</sup>-عمارة لخص، الرواية، ص85.

<sup>2</sup>-المصدر نفسه، ص127.

## الفصل الثاني: تجليات الهوية في رواية "كيف ترضع من الذئبة دون أن تعضك" عمارة لخص.

تقودنا إلى الهاوية. من أنا؟ من هو؟ من أنت؟ من أنتم؟ يا لها من أسئلة تافهة»<sup>1</sup>. يضعنا "عمارة لخص" في عوالم "حسن بن محمد الوزان" أمام سؤال الهوية، من حسن الوزان، هل هو ليون الإفريقي التاريخي؟ أم هو أمين معلوف نفسه؟ أم هما معا؟ "ليون الإفريقي" الرحالة، والفيلسوف، والمؤرخ، والمغامر، والغرناطي، و...، فهذه الحياة التي يجيها "أمديو" تُشبه حالة ليون الإفريقي، حياة إنسان تحاول الهويّات السطحية تصنيفه، وتطويقه، كحصار مقيت حول الإنسان الحر، المتحول عبر القارات والمحيطات، المسافر عبر الحضارات والأديان، فجاء خطاب الهوية ذا نزعة تعصبية، لأنّ الهوية الحقة هي التي تقف في وجه المتطرفين، ليخرج "أمديو" استنادا إلى فكر "أمين معلوف" برؤية توسعية مفادها أنّ انتماء الإنسان يتجاوز كل التحديدات الاثنية، والثقافية، والأيدولوجية، والقومية ويدعو إلى اللاهوية.

في خضم التعرّيج عن التراث الفكري الذي وسم الرواية، سجل الروائي العديد من المعلومات التاريخية والثقافية، التي حوّاها الكاتب في متنه، يقول في ذلك "أمديو": «هذا الصباح أعدت قراءة رواية طاهر جاووت، الموسومة بابتداع الصحراء، استوقفتني هذه الجملة طويلاً: النَّاسُ السَّعْدَاءُ لَيْسَ لَهُمْ عَمْرٌ وَلَا ذَاكِرَةٌ، إنهم لا يحتاجون إلى الماضي...»<sup>2</sup>، يبدو أنّ الثقافة الجزائرية متأصلة في ذات أمديو، فالرغبة الجارحة في التحرر من قيود الهوية "الذاكرة" تقود إلى الانفتاح الحضاري الذي لا مفر منه.

من هذا المنطلق تظهر الهوية الإنسانية في الرواية كأحد أهم الرموز التي تُحدد انتماء الأشخاص، فمظاهر الهوية، تتعدى حدود اللهجة، إلى طريقة التفكير واللباس، والانتماء إلى طوائف وجماعات متنوعة، ثم تتجه إلى طرق محاكاة الغير في الأدب كفن تواصل بين الشعوب، ليكون بذلك مرآة عاكسة تحتضن الأمم الأخرى، فقد تداخلت الرموز مع التناص السردي لتكوّن دلالات رمزية تُوحى بذلك التلاقح بين الثقافات والعلوم، والمعارف.

<sup>1</sup>-عمارة لخص، الرواية، ص126.

<sup>2</sup>-المصدر نفسه، ص128.

وهكذا وضعنا الرواية «أمام رحلة استبطانيه تُعاني حركة مزدوجة، تلاشي الذات الفاعلة، وفي الآن نفسه مجاهدتها من أجل أن تستعيد قدرتها على الفعل عبر البوح والمكاشفة والحلم بحياة أخرى»<sup>1</sup>، فاستعان بكافة مقومات الفكر، حاكي الآخر من خلال عاداته وتقاليده، واكتشف القارئ ذلك التنوع في التراث ليستخلص أن للهوية أبعاداً متنوعة تختلف من بيئة لأخرى.

### ثانياً: الثقافة الإعلامية ووعي الهوية:

لقد كان الموروث الثقافي الفكري حاضرًا في هذه المتن السردية، ففي رواية "كيف ترضع من الذئبة دون أن تعضك"، نلمس ذلك التنوع الثقافي الذي يصور ثقافة الغرب وتعاطيهم مع المعلومات والأخبار ومدى تأثرهم بواقع الحصص التلفزيونية والأفلام المقدمة، فقد أشار النَّاص إلى إعجاب شخصيات الرواية بما هو مقدم في المجتمع الغربي، وأهم ما جاء في ذلك إعجاب البوابة بندتا ببعض الحصص التلفزيونية التي تعالج الواقع بمشاكله تقول: «... فكرت من الاتصال ببرنامج القناة الخامسة» حاشية حول الخبر «striscia la notizia الذي يهتم بمشاكل المواطنين ويقترح الحلول الناجعة لكن تراجع حتى لا ألق الأذى بسمعة عمارتي، ثم خطرت ببالي فكرة مدهشة إثر مشاهدي أحد أفلام "جيمس بوند" فقررت أن أضع كاميرا مخفية صغيرة جدا في المصعد قصد الكشف عن الفاعل...»<sup>2</sup>. تفاعلت بندتا مع المشاكل التي مست سكان العمارة، وراحت تستنجد بحلول فورية لفض النزاع بين الأطراف المتناحرة حول استخدام المصعد، فاستعانت بالتلفاز كوسيلة تثقيفية، وخاصة أفلام جيمس بوند الشخصية الخيالية التي استقطبت ملايين المشاهدة من كافة أنحاء العالم.

أراد الروائي أن تحيا شخصياته ضمن منظومة ثقافية متنوعة، فكل شخصية كانت لها هوية خاصة تميزها عن البقية، فماريا كريستينا، اقترن سجلها بالتلفاز، كأهم نسق ثقافي يُعبر عن شخصيتها، وتظهر التكنولوجيا كأبرز مظاهر العولمة تسيطر على الإنسان، بل وتُعد نافذة الشرق على الغرب، لهذا

<sup>1</sup> - محمد برادة، الذات في السرد الروائي، دراسات نقدية، أزمنا للنشر والتوزيع، عمان، ط1، 2010، ص22.

<sup>2</sup> - عمارة لخص، الرواية، ص38، 39.

## الفصل الثاني: تجليات الهوية في رواية "كيف ترضع من الذئبة دون أن تعضك" عمارة لخصوص.

قدم "عمارة لخصوص" طرق تفكير الغير، ليظهر مدى تأثر الفرد الغربي بواقعه، وأنَّ الحصص والبرامج التلفزيونية على اختلافها، لها دور توعوي في تنمية فكر الشخصية وتطورها، تقول "ماريا كريستينا": «كنت منهمكة في متابعة حلقة جديدة من مسلسل بيوتيفول (Beautiful) على القناة الرابعة... أنا أشاهد المسلسلات المكسيكية والبرازيلية يوميًا ، وأعرف أدق التفاصيل عن حياة الممثلين، لا داعي للقول إن الحلقة الأخيرة من المسلسل تُدخل الحزن إلى قلبي كأنني أشيخ أُمي إلى مثواها الأخير، لا أعتبر نفسي مجرد متفرجة وإنما بطلة لها دور مهم في قصة المسلسل، كثيرًا ما أصرخ في وجه بعض الممثلين لتقديم النصيحة: حذار يا مارينا، إنَّ ألخاندرو لا يجبك، إنَّه مخادع، يريد أن يستولي على أموالك ويطردك من قصر والديك، أو فاتحها في الموضوع يا بابلو، قل لها إنك تُحبك وتريد أن تتزوجها، أو لا تعاملني، زوجك بقسوة يا كاترينا، سيرتمي في أحضان عشيقته الجديدة سوزانا...»<sup>1</sup>، إنَّ الاستراتيجية التقنية اليوم، عاجلت الواقع بحذافيره فتماهى الفرد معها وكان الهدف من ذلك هو كسب استعطاف المتفرج، وإدراجه ضمن اللعبة الفنية التي قدمها، وقد أكدت ذلك ماريا في سجلها: «في أغلب الأحيان أشعر بالتضامن مع الفقراء، والمساكين، والمقهورين، أقوم من الأريكة وأتقدّم تجاه التلفزيون وأحدّق في وجه الشرير والشريرة، قائلة: من تحسب نفسك يا وغد، ستلقى جزاءك يا مجرم، إنَّ الخير سينتصر في النهاية، أو كم أنت حقيرة يا كارولينا، لماذا تسيئين إلى الطفلة اليتيمة؟ اللعنة عليك، أنت تستحقين الجحيم، أو لن تنعم بالراحة يا خوليو، أنت مجرم وستنال جزائك على يد الشاب الوسيم ألفونسو رودريغز»<sup>2</sup>.

أثر التلفاز باعتباره وسيلة إعلامية مهمة في الحياة الاجتماعية المعاصرة في تكوين الأفراد، وتنمية سلوكهم، وتحديد توجهاتهم الفكرية، فأحدث تغييرًا عميقًا في نفس البشر كونه أرسى قاعدة تصنيعية للثقافة معينة، (نُخص بالذكر الثقافة الأوروبية)، وبالتالي فإنَّ هذه المواد هي مواد إعلامية تتضمن أنماطًا ثقافيّة موجهة للاستهلاك بالأساس وتحقيق الربح بغض النظر عما يمكن أن يلحق الثقافة والهويّات

<sup>1</sup> -عمارة لخصوص، الرواية، ص76، 77.

<sup>2</sup> - المصدر نفسه، ص77.

## الفصل الثاني: تجليات الهوية في رواية "كيف ترضع من الذئبة دون أن تعضك" عمارة لخصوص.

الثقافية للشعوب – خاصة شعوب العالم الثالث – من خطر وتهديد بالذوبان في ثقافة واحدة أو إقصاء أو تهميش أو حتى اختفاء.

تثير السينما هوية "ستيفانيا"، فترمي بها في غياهب الذاكرة لتعود إلى الماضي، وتتذكر حادثة وفاة والدها الأليمة، وترتبط من خلال هذه الحادثة بالصحراء الليبية بكل ما تحيل إليه من قساوة وتيه، وضياح، يقول "أمديو": «لا تمل ستيفانيا من مشاهدة فيلم الشيخ مع الممثل رودولف فالنتينو. رأيتها في بعض المرات تبكي من شدة الانفعال. ربما تذكرت والدها الذي توفي غرقاً في بئر للبترول في الصحراء الليبية قبل سنوات. كان والدها خبيراً في التنقيب عن البترول (...). تقول الصحراء لا ترحم من يتناول عليها»<sup>1</sup> هكذا يضع الروائي ستيفانيا في مواجهة ماضيها من خلال مشهد فيلم ليؤكد أن الهوية هي كل متكامل يتكون من كل ما يخص الإنسان من عادات وسلوكات وقيم مهما كانت بسيطة.

### ثالثاً: الأمثال الشعبية مكونا للهوية:

تعدّ الأمثال الشعبية ظاهرة ثقافية، وفنية تُحدّد هوية الشعوب، وانتماء الأفراد باعتبارها ذاكرة محفوظة للأجيال المختلفة، لهذا كان المثل وما زال تلك البصمة التي تدل على هوية أصحابها، وتعكس تجاربهم في الحياة، وخبيراتهم الواقعية، وتكشف نظرتهم إلى الأنا في علاقتها مع الآخر، إنّها أشكال تعبيرية تتسم بالإيجاز والتكثيف الدلالي، وتتضمن تنوعات لغوية وأسلوبية، وطاقت إيحائية تسهم في تكوين الشخصية الجماعية لشعب ما.

وللأمثال والحكم الشعبية دور كبير في بناء الهوية الثقافية للأمم والشعوب، لأنّها «تراكمات أفعال وسلوكات من حضارات عديدة، يعود بعضها إلى أزمنة سحيقة حين ألف الإنسان الاجتماع وتآلفه

<sup>1</sup> - عمارة لخصوص، الرواية، ص 127.

## الفصل الثاني: تجليات الهوية في رواية "كيف ترضع من الذئبة دون أن تعضك" عمارة لخصوص.

مع بيئته، فصمدت وبقيت تحمل ملامح المجتمعات التي نشأت فيها أو التي مرت بها<sup>1</sup> ومن ثمة كانت عنصراً أساسياً في تحديد الملامح الثقافية المميزة لكل مجتمع.

كان "عمارة لخصوص" واعياً بالوظيفة الجمالية والتداولية التي تنهض الأمثال والحكم في النص السردي لذلك وظفها توظيفاً حذقاً، وجعلها وسيلة تفصح عن هوية شخصياته وملاحظهم الشعبية، فكانت رواية "كيف ترضع من الذئبة دون أن تعضك" مسرحاً خصباً للموروث الشعبي، الذي برز بقوة في المتن السردي، فاستعان به ليعبر عن واقع المهاجر الجريح، وليبرز طبيعة العلاقة بين الأنا والآخر، مازجاً لغة الرواية، ولغة الأمثال العربية الفصيحة منها والشعبية.

يؤدي المثل دوراً فاعلاً في تحديد هوية الشخصيات، لهذا يلجأ الأديب إلى استخدامه في عمله السردي لما له من قوة تأثيرية في كشف إيديولوجية الشخصيات ومدى اتساع ثقافتهم الفكرية واللغوية، وفي رواية "كيف ترضع من الذئبة دون أن تعضك" نلاحظ كثرة استعمال السارد للأمثال، «حتى إنهما أصبحت جزء من المنطوق الاجتماعي فيه، والمراد بالمنطوق الاجتماعي هنا صدور الأمثال عن السارد كما تصدر عن الإنسان في الحياة اليومية، سواء أكان المراد بذلك غزارة استخدام الأمثال أم كان المراد توظيفها للمقابلة وأحياناً للمطابقة بين الحدث والمثل»<sup>2</sup>، ومن ثمة مزج الروائي "عمارة لخصوص" بين وعين حضاريين، الأول عربي يتجلى في الأمثال العربية الفصيحة التي تعود إلى حقب تاريخية بعيدة، فيعيد صياغتها وتوظيفها في قالب معاصر مع وعي لساني جديد يتمثل في الرواية، والشق الثاني يتمثل في الأمثال الفارسية والإيطالية المرتبطة بشخصيات المهاجرين والسكان الإيطاليين، ما ينم على روح التفاعل بين الحضارات والتي حققها الروائي في نصه.

<sup>1</sup> - محمد عيلان، محاضرات في الأدب الشعبي الجزائري، دار العلوم للنشر والتوزيع، عنابة، الجزائر، ج1، 2013، ص87. نقلاً عن سماح بن خروف، عبدالله بن صفية، الأمثال وتمظهراتها في الرواية العربية، مجلة الميدان للدراسات الرياضية والاجتماعية والإنسانية، مج3، ع10، مارس 2020، ص87.

<sup>2</sup> - سمر روجي الفيصل، أسلوبيّة الرواية العربية، اتحاد الكُتاب العرب، سلسلة الدّراسات، دمشق، د. ط، 2011، ص127.

## الفصل الثاني: تجليات الهوية في رواية "كيف ترضع من الذئبة دون أن تعضك" عمارة لخص.

عالج المثل قضايا إنسانية تخص الفرد في ذاته، فجاء دلالة بعض الأمثال مقترنا بالعشق (عشق أمديو لستفانيا) وهو ما جاء في قول "بارونز": «كان أمديو متميزا على الجميع بمدوامته على دروس "ستيفانيا" دون أن يفوت درسا واحداً. لم أفقه سر هذا الاجتهاد، والتفوق في حينه، لكن العشق كالشمس الساطعة، يستحيل تجاهل أشعته الحارقة، العشق توأم الشباب، صدق المثل القائل "سكر الشباب أقوى من سكر الخمر"<sup>1</sup>، لقد اجتمع العشق والشباب في شخصية أميديو ليسكرانه بنشوة القوة والاندفاع، وليكسبانه انفعالا يتجاوز ذلك الذي يحدثه الخمر.

كشف المثل عن الملامح الاجتماعية والسلوكية للفرد الإيطالي، وعرى سلبيات العادات السلبية المضرة التي تبرز من خلال المضمرة اللغوي ومنها كره الإيطاليين للضيف، ونفورهم من طول إقامته لديهم، وهو ما ترجمه المثل الذي يردده الإيطاليون كثيراً «الضيف مثل السمك بعد ثلاثة أيام يتعفن»<sup>2</sup>، ولعل هذه الخاصية التي تحدد بعضا من طبيعة المجتمع الإيطالي تتعارض مع عقلية المجتمع العربي الذي رسخت الكثير من أمثاله كرمه، وحبه للضيافة.

عبّر المثل عن الواقع السياسي الإيطالي ليكشف عن تناقضاته، وليعري مواقف بعض الشخصيات مما يحدث في الانتخابات من فوضى سياسية وهو ما عبّرت عنه بندتا في قولها: «... كنت أصوت لمرشح هذا الحزب، أما الآن اختلط الحابل بالنابل، لا أعرف لمن أعطي صوتي في الانتخابات»<sup>3</sup>، وقد جاء هذا المثل بلغة فصيحة ليبرز اختلاط الأمور لدرجة لا يعرف الإنسان فيها وجهته.

كان المثل، في النص موضوع الدراسة، وسيلة للتقارب الثقافي، فوظف لإبراز سمة التماثل الفكري بين الشعوب على اختلاف انتماءاتها ولغاتها، وعلى الرغم من الحدود الجغرافية، إلا أنّ دلالة بعض الأمثال تتقارب لأنها تعبر عن تجارب نابعة من النفس البشرية التي لا تختلف كثيرا في طباعها وأمزجتها

<sup>1</sup>-عمارة لخص، الرواية، ص18.

<sup>2</sup>-المصدر نفسه، ص132، 133.

<sup>3</sup>-المصدر نفسه، ص36.

## الفصل الثاني: تجليات الهوية في رواية "كيف ترضع من الذئبة دون أن تعضك" عمارة لخص.

يقول "أمديو": «فاتحتني بندتا في موضوع ابنها جنازو العاطل عن العمل، طلبت مني أن أجد له عملاً قالت لي: إن الأقارب مثل الأحذية الضيقة التي تُسبب لأصحابها الكثير من الإزعاج...»<sup>1</sup>. إن إحساس بندتا بالقلق على مستقبل ابنها جعلها تلجأ إلى المثل للتعبير عن ذلك الشعور الذي عجزت لغة المحادثة اليومية عن ترجمته، والذي يفيد بأن العائلة تشكّل عبئاً على الإنسان في بعض الأحيان، وقد انتبه أمديو إلى أنّ للأمثال دلالة واحدة حتى وإن اختلفت لغاتها وأساليبها، فارتكز على مرجعيته الشعبية ليستحضر مثلاً يقابل المثل الوارد على لسان بندتا.

وجد الروائي في المثل العربي شكلاً تعبيرياً يلخص معاناة المهاجر، ويكشف عن تشييع العلاقات، وعن الفراغ العاطفي والقيمي الذي يؤدي إلى العنصرية، ولم تعد اللغة النفعيّة قادرة على ترجمة هذه الحالة الوجدانيّة المأساويّة، فلجأ، من أجل ترجمة الوقائع الحياتيّة ومعاناة الأنا في بيئة غير بيئتها، إلى المثل لما يتّسم به من بعد إيحائيّ وتكثيف دلاليّ، يقول "أمديو": «لقد فكّرت طوال النهار في العنصري الذي يأبى الابتسامه، فوجدت أنّ إقبال قد وضع يده على اكتشاف هام، مشكلة العنصرية ليست مع الآخرين وإنما مع نفسه، العنصري لا يتسم للآخرين لأنّه لا يتسم لنفسه، صدق المثل العربي القائل: **فاقد الشيء لا يعطيه**»<sup>2</sup>، ولم يكن استحضر المثل في هذا المقطع عبثاً، أو لمجرد التنويع الاسلوبيّ، بقدر ما قام حجة أثبتت مصداقيّة فكرة "إقبال" والتي لخصها أمديو بعبارة موجزة دالّة هي: **فاقد الشيء لا يعطيه** مشيراً إلى أصالتها لأنّها عصارة مخيطة جماعيّة سقلتها التجارب والخبرات.

منح "عمارة لخص" للقارئ فرصة التعرف على التراث الشعبي الجزائري بتوظيفه المثل الشعبي المستمد من الخلفية الثقافية للمجتمع الجزائري وجاء ذلك على لسان "عبد الله بن قدور" حين سأل والده أمديو (خالتي فاطمة الزهراء) عن حال أحمد فأجابته باختصار إنّه في الخارج، فكلمة الخارج تحتمل عدة معانٍ في نظر عبد الله «خارج العقل، أو خارج العاصمة، أو خارج القانون، أو خارج طاعة

<sup>1</sup> -عمارة لخص، الرواية، ص 49.

<sup>2</sup> -المصدر نفسه، ص 57.



## الفصل الثاني: تجليات الهوية في رواية "كيف ترضع من الذئبة دون أن تعضك" عمارة لخصوص.

الوالدين، أو خارج نعمة ربي، فضلت عدم الإلحاح في السؤال واترك البئر بغطائه...<sup>1</sup>. فتوظيف هذا المثل يحدّد هويّة عبد الله بن قدور الجزائرية، ويكشف عن المستور الذي لا يريد نبشه، ويمنح لفظة "الخارج" دلالة سلبية سيطرت على ذهنه وجعلته يستحضر مظاهر تلاشي الهوية، والابتعاد عن الشخصية الاصلية التي قد تنتج عن الهجرة.

ارتبط المثل بالهوية والانتماء في كثير من المواضيع، ومرّر خطابا مضمرًا يدلّ على حرص الجماعة على التمسك بمبادئها وقيمها، وبين تعلقها بأصولها التي تحدّد خصوصيتها، وتفردّها عن غيرها، يقول الروائيّ على لسان "عبد الله بن قدور": «لم أجرؤ على نصحه بالتخلي عن اسم "أمديو" والرجوع إلى اسمه الأصلي أحمد، وهو اسم الرسول صلى الله عليه وسلم، ألاّ يُقال إنّ الرجوع إلى الأصل فضيلة»<sup>2</sup> ولعلّ ورود المثل بصيغة السؤال الإنكاري يكشف عن تمسك هذه الشخصية بثوابتها الذي يعدّ الاسم جزءا منها.

وهكذا أدى وعي الروائيّ "عمارة لخصوص" بارتباط الأمثال بالهوية إلى اعتبارها بنية فاعلة في نصّه، فكانت حاملاً لخصوصية كلّ شخصيّة، والكاشف عن دواخلها، وعكس توظيفها المؤتلف والمختلف بين الثقافات، وحددت طريقة تفكير كلّ شخصيّة، ومواقفها، ونظرتها للعالم.

<sup>1</sup>-عمارة لخصوص، الرواية، ص132.

<sup>2</sup>-المصدر نفسه، ص 132.

## الفصل الثاني: تجليات الهوية في رواية "كيف ترضع من الذئبة دون أن تعضك" عمارة لخصوص.

وختاماً يمكن القول إن موضوع الهوية كان موضوعاً لافتاً للنظر في الرواية وقد استطاع "عمارة لخصوص" أن يبرز صراع الهويات، وتعدد الثقافات، وتنوع اللغات في متنه السردي، فتجلت الهوية اللغوية من خلال تحرر الشخصية البطلة (أمديو) من سلطة الغربة والاعتراب بواسطة اللغة، فمن خلالها تقبل أن فكرة الوطن الحقيقي هو اللغة التي يسافر بها إلى كل الثقافات، وتمثلت الهوية التاريخية في هذه الرواية من خلال تيمة الأرض/ الوطن، كما شكل المكان مكوناً هاماً من مكونات الهوية، حضرت الهوية الاجتماعية في الرواية من خلال العادات والتقاليد، والتنشئة الاجتماعية، وصلات القرابة التي ربطت بين شخصيات مجتمع الرواية، وبرزت الهوية الثقافية من خلال الرموز الثقافية، والأمثال الشعبية، والثقافة الإعلامية التي أسهمت في بلورة الوعي بالهوية.

## الفصل الثالث:

تجليات الهوية في رواية "فضل الليل على النهار"

لياسمينة خضرا

المبحث الأول: الهوية والتاريخ في رواية "فضل الليل على النهار" لياسمينة خضرا.

المبحث الثاني: الهوية اللغوية في رواية "فضل الليل على النهار" لياسمينة خضرا.

المبحث الثالث: الهوية الاجتماعية في رواية "فضل الليل على النهار" لياسمينة خضرا.

المبحث الرابع: الهوية الثقافية في رواية "فضل الليل على النهار" لياسمينة خضرا.

## تمهيد:

تتميز تجربة الروائي الجزائري "ياسمينه خضرا" بالنضج على مستوى الطرح الموضوعاتي والتقنية السردية، حيث ارتبطت نصوصه بالواقع الجزائري: مشاكله وهمومه، وصورت المجتمع بكل تناقضاته، وتمثلت المهتمش والمسكوت عنه، فكانت شخصياته مرآة عاكسة للفئات الاجتماعية التي لا صوت لها، تلك التي تعاني القهر الاجتماعي والنفسي والثقافي، عالج أزمة المثقف، وتحدث عن التطرف الديني، وعزى ألعيب السياسة، وغاص في نفسية المهاجر، فكانت متونه بحق-ثورة فنية راهن فيها على التفرد «ليمتهن تدمير لغة السائد والمقبول، ويقتحم ما تحت الوعي باستخدام صيغ مختلفة لتعرية أغوار الذات وصولاً إلى تلك المنطقة الغامضة»<sup>1</sup> التي يجتمع فيها الحقيقي بالخيالي، والذاتي بالموضوعي.

كان موضوع الهوية هاجساً طالما راود فكر "ياسمينه خضرا" فتواتر في عدد من نصوصه وعلى رأسها رواية "فضل الليل على النهار" التي طرحت أكثر المواضيع حساسية كجدلية الهوية وأعطاب الذاكرة، والعلاقات الفرنسية الجزائرية في أبعادها التاريخية، والاجتماعية، والثقافية، وصراع الأنا والآخر، لتؤسس شعريتها على السرد السير ذاتي بكل تداعياته، فتبرز الشخصية الرئيسية في انشطارها الذاتي بين هويتين: تركز الأولى إلى الماضي من خلال شخصية "يونس"، وتعجب الثانية بالحاضر من خلال شخصية "جوناس"، وبين هذا الصراع الهوياتي يضع الروائي جزائر الاستقلال في مواجهة ماضيها، ويسعى إلى تقديم رؤية متفرّدة لواقعه قوامها المصالحة التاريخية، فحملت الرواية برنامجاً سردياً يسلط الضوء على الهوية بتجلياتها المختلفة، التاريخية، اللغوية، والاجتماعية، والثقافية.

<sup>1</sup> -حفناوي بعلي، تحولات الخطاب الروائي الجزائري آفاق التحديد ومتاهات التحريب، دار البازوري العلمية للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2015، ص14.

المبحث الأول: الهوية والتاريخ في رواية "فضل الليل على النهار" لياسمينه خضرا.

يُعدّ التاريخ مكوناً أساسياً من مكونات الهوية لأنه عاملٌ مهمٌ للربط بين الجماعات والشعوب التي تتوحد فيما بينها انطلاقاً مما يملكه ماضيها من قواسم مشتركة، غير أن اللافت للنظر في الرواية موضوع الدّراسة هو أنّ الروائي تعامل مع المادة التاريخيّة تعاملًا يكشف عن أزمة الهوية التي تُعاني منها المجتمعات ما بعد الكولونيالية، تلك التي تجدد نفسها رهينة عادات وأفكار، ووقائع أملت الظروف الاستعمارية، وفرضتها عدم توازن القوى بين ثنائية المستعمر/المستعمِر، وهو ما جعل الشعوب ما بعد الكولونياليّة التي غالباً ما تعيش تشظيًّا وجدائيًّا وزمنيًّا وجغرافيًّا تطرح إشكالات عميقة حول ذاتها وهويّتها وعلاقتها بالآخر المستعمر والتي تمظهرت إجاباتها، في الرواية، في مقومات كثيرة أهمها: الأرض، والمكان، والأحداث التاريخيّة باعتبارها مكونات الهوية.

أولاً: الأرض مكوناً للهوية:

حضرت تيمة الأرض في الرواية -موضوع الدّراسة- بقوة، ولبست ثوب التناقضات، ثوباً مثقلاً بالخيبات، حافلاً بالمضمرات، عالماً بالعديد من الهويّات، وبين الهوية والهوية جراحات عميقة، أفرزتها ذكريات أليمة، حين ترحل الذاكرة إلى الوراء، لتُعبّر من نافذة تاريخية تُعيد لنا عقب التاريخ فتتضارب المشاعر، فبين الأرض والانتماء تُوجد العديد من الانكسارات، تلك الشحنات التي ما يزال التاريخ ينوء بحملها، بأفق غدا فيه مبعث الخطر على «معنى الإنسان من الإنسان عينه»<sup>1</sup> يلوح من أفق بعيد لأنّ مسألة الهوية خرجت من نطاقها الضيق إلى نطاق أشمل، وأوسع امتدد للإنسان نفسه، أو مع غيره (الآخر).

شكلت الأرض مرجعاً أساسياً لأحداث الرواية وشخصياتها باعتبارها كياناً عبّر عن تاريخ أمة، كافحت من أجل نيل حريتها، بيد أنّ الأرض المناهضة لكل أشكال العنصريّة جعلت النّاص يفتح

<sup>1</sup> -رولان بارت، مدخل إلى التحليل البنيوي للقصص، تر: منذر عياشي، مركز الإنماء الحضاري للدراسة والترجمة والنشر، حلب، سوريا، ط1، 1993، ص77.

الأبواب على مصراعيها، وبما أنّ «الفضاء الروائي هو مجموع الأمكنة المحددة جغرافياً، والتي هي مسرح الأحداث وملعب الأبطال»<sup>1</sup>، كان واضحاً بأنّ النَّاص يُسلِّط الضوء على المكونات الحكائية للنسيج النصي السردي، فبين عنصر، وعنصر تتجلى لنا هوة صراع، هوة مليئة بالخيبات، والتناقضات، والأحزان، وقد استهل حديثه حول "جنان جاتو" هذه القرية المقفرة بأشياءها بمحيطها، بمظاهرها ولجت عالماً مناقضاً تماماً جعلها محور صراع. يقول يونس: «إنّ مجرد وجودنا هو انتماء جذري إلى بنية الأرض، ومن ثمّ إلى تفكير في آلام كل بشري سابق أو لاحق علينا»<sup>2</sup>، ووفق هذا المنظور شرع القاص في رسم أنطولوجيا الوجود، وهذا الوجود ارتبط بقرية جنان جاتو أين عاش أبطال الرواية، وتعايشوا مع هذا الوضع، فيقول في نبرة حزينة «كنا نعيش منزوين في أرضنا أشبه بأشباح سُلمت للقدر، في صمت فلكي لأولئك الذين ليس لديهم شيء مهم يقولونه»<sup>3</sup>، كانت الحياة بجنان جاتو أشبه ما تكون بحياة بائسة، وهذا ما صورته لنا السارد على لسان "يونس" «..ليست حياة كنا موجودين على وجه الأرض، هذا كل ما في الأمر، إنّ استيقاظنا صباحاً يُعَدُّ من المعجزات وفي الليل، حينما نستعد للنوم، نتساءل إنّ لم يكن من المنطقي أنّ تنهض عيوننا للأبد، مقتنعين أنّنا تفحصنا جميع الأشياء، وانتهينا إلى أنّها لا تستحق ما يجعلنا نبذل جهداً زائداً من أجلها، تتشابه الأيام بشكل يائس، لا تأتي بالجديد أبداً ولا تقوم عند مغادرتها إلاّ بتجريدنا من آخر أوهامنا النادرة التي تتدلى في طرف أنوفنا، أشبه بجبات الجزر التي تُحرك الحمير»<sup>4</sup>. إنّ فضاء "جنان جاتو" الذي احتضن "يونس"، وعائلته الفقيرة الكادحة جعل منه، فضاءً مأسوياً، مليئاً بالنزيف، والألم الذي أضحى بصمة على جبين الفتى (يونس)، وبالتالي أعطت الأرض ملمحاً أولياً عن الحياة العامة للرواية الذي ستأخذه شخصياتها.

<sup>1</sup> -محمد عزام، فضاء النص الروائي (مقاربة بنيوية في أدب نبيل سليمان)، دار الحوار للنشر والتوزيع، سوريا، ط1، 1996، ص114.

<sup>2</sup> -فتحى المسكيني، الهوية والحرية نحو انوار جديدة، جداول للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط1، 2011، ص11.

<sup>3</sup> -ياسمينه خضرا، فضل الليل على النهار، تر: محمد ساري، دار سيديا للنشر، الجزائر، د. ط، 2008، ص12.

<sup>4</sup> -المصدر نفسه، ص12.

اقتربت جنان جاتو بجميع الأشياء السلبية: «إذ البؤس والأوبئة يبيدان العائلات والحيوانات بعدوانية عجيبة، فيجبران الناجين على الهجرة أو على التشرّد»<sup>1</sup>. تظهر الرواية صورة المستعمر المعتصب لفضاء الأنا عن طريق تهجيرها منه، وتكشف عن الدمار الذي ألحقه الفرنسيّ بالشعب الجزائريّ إثر اغتصابه لأرضه، خاصة فضح سياسة الأرض المحروقة، وما خلفته من دمار وخراب بالبلاد، وما ألحقته من بؤس وتشريد بالسكان الأصليين مالكي الأراضي، والكشف عن العلاقة المزيّفة بين فرنسا والجزائر وإعادة بناء الصورة الجديدة التي جاء بها الأدب ما بعد الكولونيالي.

وبعد أن صرّح "ياسمينه خضرا" بواقعية الأحداث في الرواية يصف القرية التي كان يقطن فيها هؤلاء: «لم تكن القرية ذات شأن، إنّها مكان مُقفر، مثيرة للحزن بأكواخها الترابية الرازحة تحت ثقل البؤس، بأزقتها الهلعة التي لا تعرف أين تجري لإخفاء قبورها، تقضم معزاة بضعة أشجار ضامرة، واقفة في عذابها كما المشانق، عند أسفل جذوعها، يقرفص البطالون الذين لا يختلفون كثيراً عنها، يُشبهون الفزازيع المهملة، المتروكة هنا على أنّ تبعتها الزوابع في الطبيعة»<sup>2</sup>، وكأنّها قرية منسية تجاهلها الزمن.

تغيّر وجه الأرض باحتلال الاستعمار الفرنسي لها فقد سلبها الأمن، والفرحة، والهدوء، سلبها الوجود، والحضور المميز لمقدساتها، وهويتها، حين قام بمصادرة أراضيها عن «طريق حرب شاملة لا هودة فيها بجيوش جرارة، منظمة، ومدربة أحسن تدريب، ومسلحة أفضل تسليح يقودها ضباط محترفون ويضرم نيرانها جنود مرتزقة مهنتهم القتل، ضد الأهالي العزل في القرى، والبوادي، والأرياف»<sup>3</sup>، ونظراً للمكانة التي تحظى بها الأرض عند أهل القرى نجد والد يونس يرهن الأرض بعد أن كبلت الديون كاهله «فقام يرهن أرض الأجداد وأدرك أنه يخوض آخر معركته، وأنّه استخدم آخر خرطوشة له»<sup>4</sup> يبدو جلياً أنّ الأرض الجزائرية «تحمّل قيمة كبرى وعالية في أعين الفلاحين، إذ مهما تأزمت الأوضاع وأغلقت

<sup>1</sup>-ياسمينه خضرا، الرواية، ص12.

<sup>2</sup>-المصدر نفسه، ص14.

<sup>3</sup>-أحمد منور، الأدب الجزائري باللسان الفرنسي، ص27.

<sup>4</sup>-ياسمينه خضرا، الرواية، ص13.

الأبواب في وجوهم، فهم لا يبيعون شبرًا منها مهمًا حدث، فيقنهم كبير أهما تُحافظ على من يُحافظ عليها والجزائري مستعد لبيع ما يملك، وما لا يملك ولكن يصعب عليه بيع الأرض التي ورثها عن أسلافه بل يستحيل ذلك»<sup>1</sup> لكن مع والد "يونس" تغيرت الموازين، وحدث عكس ما كان متوقعًا فالأرض هي الأم، لكنها لم تُعد كذلك حين رهنها.

واصلت فرنسا مخططاتها التوسعية، وزادت رغبتهم في التوسع والاستيلاء على مزيد من الأراضي الفلاحية، فعمدوا إلى «تجريد الجزائريين من أرضهم بشتى الطرق والأساليب القهرية بحيث بلغ العدد الإجمالي للأراضي المنتزعة منهم حوالي ستمائة وسبعة وثمانين ألف هكتار، وقد أدى مخطط انتزاع الأراضي الفلاحية، والغاية من الجزائريين على المدى الطويل إلى نتائج خطيرة انعكست على حياة الناس، على كل المستويات، فقد حرّموا من وسيلة عيشهم الأولى، التي هي الفلاحة لاسيما أنّ الأغلبية الساحقة من الجزائريين كانت تقطن الأرياف، والبوادي، وتعيش على زراعة الأرض أو تربية المواشي»<sup>2</sup>.

كان الوصف محرّكًا فاعلاً في أحداث الرواية، إذ أنّ الناص أنزل الستار، على محيط موبوء اجتماعيًا، مسلوب أخلاقياً، أفراده يُعانون بصمت كبير، صُودرت أراضيهم، وممتلكاتهم، وأهينت كرامتهم وإنسانيتهم، بعد أنّ سُرقت أرضهم، ووطنهم بفعل المستعمر الغاشم، وقد تجسد ذلك في هذا المشهد الكئيب: «ذات ليلة: بلا أدنى إخبار، انقضت علينا المصيبة... أضيء كوخنا كما في وضح النهار، شدت أمي رأسها بيديها، مذهولة عند عتبة الباب حوّكت حولي انعكاسات الأضواء الخارجية ظلها المتعدّد على الجدران، انكمشت أختي على ركنها، متربعة على حصيرها أصابعها بداخل فمها، والعينان منطفئتان، ركضت نحو الحوش، فرأيت هديرًا من النيران الهائجة تلتهم حقولنا، تصاعدت أنوارها، إلى الذروة الخالية من أية نجمة حارسة... كان أبي يتخبط كالجنون، بصدرة العاري، الملوّث بلطخات سوداء، يتصّبب عرقًا، يغطس دلّوًا صدئًا في حوض مياه شرب الحيوانات، ينقض على الحريق، يختفي

<sup>1</sup> - أم الخير جبور، الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية، ص 96.

<sup>2</sup> - أحمد منور، الأدب الجزائري باللسان الفرنسي، ص 45.



وسط النيران، يرجع لأخذ الماء ويعود إلى الجحيم»<sup>1</sup> كان هذا المشهد الحزين خاتمة أحلام جميلة أحلام طالما نسجها أجدادنا، ودافعوا عنها بكل رمق، ومن ثمة «فهمت الأم أننا خسرننا كل شيء، نظرت إلى زوجها، وهو يتخبط كما الشقي وانتابها خوف من عدم رؤيته يخرج من النار الملتهبة، كان أبي قادراً على ضم السنابل بذراعيه وترك نفسه يحترق معها»<sup>2</sup>، ولأنّ لا بديل عن الوطن، ولا حياة هنية يمكن أن يجدها الجزائري خارج حدود أرضه: «لم يتوقف أبي عن ذرع مسافات حقوله المخربة، من الفجر إلى الغروب يهيم على وجهه وسط الأشباح والأنقاض، تخاله شبحاً أسيراً بداخل أطلاله»<sup>3</sup>.

إنّ الاستيلاء على الأرض يُشكل أولى الأولويات في عملية الغزو، ويأتي في مقدمة كل الأهداف والخيارات الأخرى، «وقد كانت القوة العسكرية مسخرة أساساً لخدمة هذا الهدف»<sup>4</sup>. تحمل الأرض بُعداً رمزياً، فهي تتعلق بمسيرة الأجداد، وثورتهم الخالدة، وهذا الواقع الاجتماعي المرّ الذي كشف عنه الناص لم يكن بعيداً عن أرضه الأم إذ نقل تجربته الإنسانية «وقدرته على تحديد وعي الإنسان بالواقع بغية الوصول إلى عمق التجربة بطريقة فنية تجمع بين عناصر الواقع، وتكشف عن التناقضات الكامنة فيه»<sup>5</sup>.

إنّ تسلسل الجمل، والعبارات السردية في هذه الرواية يُبدي مفارقات عجيبة، متداخلة، ومتناقضة في آن واحد؛ فيها هو السارد مرة أخرى يُصور يوميات هذه القرية لإعطاء الصورة السيئة عنها، إذ عبر بكل مصداقية عن تلك الأوضاع المزرية التي آلت إليها عائلة يونس: «...مشينا إلى أن فقدنا الإحساس بأقدامنا، كانت الشمس تسحقنا، إنّ لمعناها الذي تعكسه على وجوهنا أرض جدباء ومقفرة بشكل يُرثى له يجرح عيوننا...»<sup>6</sup> توغل "ياسمينه خضرا" في عمق المجتمع الجزائري، ليرز معاناة هذه الفئة

1- ياسمينه خضرا، الرواية، ص 17.

2- المصدر نفسه، ص 17.

3- المصدر نفسه، ص 19.

4- أحمد منور، الأدب الجزائري باللسان الفرنسي، ص 38.

5- عزالدين جلاوجي، سلطان النص، دراسات دار المعرفة، د. ط، 2008، ص 46/47.

6- ياسمينه خضرا، الرواية، ص 24.

البائسة تحت مخلفات رثة تركها المستدمر الغاشم، فمن بين الأفكار التي طرحها الناص في "فضل الليل على النهار" فكرة تضييع الأمانة والخوف من سحق الأجداد على الأجداد لتفريطهم في الأرض، ومن محاسبتهم؛ فقد جاء على لسان "ماحي": «كان بإمكانك أن تطلب مني المال الذي كنت بحاجة إليه يا عيسى عوض رهن أرضنا، كنت تعرف جيداً ماذا يعني رهن الأرض للقائد، لقد انجذب الكثير من أمثالنا إلى الطعام المفخخ، وقد رأيت بنفسك المال الأسود الذي انتهوا إليها، كيف وقعت بدورك في هذا الفخ»<sup>1</sup>، لم تكن نبرة كلامه لوما وعتاباً، بل يأساً مهولاً وإحساساً باليأس والقنوط.

يبدو أن ذلك التوحد الوجداني بين الفلاح والأرض يُعطي معان عميقة مسكوت عنها في الرواية الجزائرية، لأن من يملك أرضاً يملك جسداً، وروحاً، وقلباً نابضاً بالحياة فلا يستطيع هجر أرضه، ويتجلى ذلك في حديث "عيسى" مع ابنه «لماذا لا تحاول أن تفهم يا ولدي؟ قلت لك في المرة السابقة: حالتي في الحضيض الأسفل ولكنني لم أمت بعد، أنا نادم أشد الندم لأنني لا أستطيع تورثك أرض أجدادك، ولا يمكنك تصور مدى ندمي وألمي، ولا تمر لحظة دون أن ألوم نفسي، ولكنني لا أستسلم، أستميت في الشغل كي أسترجع قليلاً مما ضاع»<sup>2</sup>. تتساوى الحياة مع امتلاك الأرض كما يتساوى الموت مع فقدانها، فاستمرار الفلاح في العيش وبقائه على الرغم من كل الظروف الصعبة يمر بهذه المعادلة لأن سلب الأرض هو انتزاع لروحه، وهذا ما يجعل من الأرض أبرز مظاهر الهوية المفقودة التي عانى منها الجزائري حقبة من الزمن.

لم يتوان الاستعمار في بسط نفوذه وسيطرته على كافة القرى، والمدن، والمداشر، وهذا ما أشار إليه بشكل واضح "جون بول سارتر" حين قال: «لقد كانت بغيتهم أن يدفعوا إلى إفريقية الأوروبيين الفائضين، من جراء فرنسا وإسبانيا المتسكعين، فأقاموا لهؤلاء الرعاع بضع قرى حول مدن الجزائر،

<sup>1</sup>-ياسمينه خضرا، الرواية، ص32.

<sup>2</sup>-المصدر نفسه، ص70.

وقسنطينة، ووهران، لكن الأوبئة ما لبثت أن فتكت بأعمهم الأغلب»<sup>1</sup>، وفي ذلك إشارة واضحة إلى مظاهر الظلم والاستبداد التي مارسها المستعمر ضد الشعب الجزائري.

يبني السارد نصه على قطبين متناقضين، حين يُبحر بنا إلى عوالم جديدة مغايرة، وكأنّ هذه الأرض تختلف من مكان إلى آخر، فخلف وجوه مهمشة، وأحياء مدمرة يظهر الوجه الآخر لأرض حملت في طياتها بذور الحضارة، ويظهر ذلك في اندهاش "يونس" عند تنقله إلى المدينة: «...ها هي المدينة، لم أكن أتصوّر وجود تجمعات سكانية بهذه الضخامة إنه لشيء مبهر حقًا، في لحظة ما تساءلت إن لم يكن التوعك الذي أصابني داخل الحافلة هو الذي جعلني أهذي، وأرى أشياء غريبة، خلف الساحة، تتراصف المنازل إلى مالا نهاية، في تدرج جميل، الواحدة وراء الأخرى بشرفات مُزهرة ونوافذ عالية، قارعة الطرق معبّدة ومُحاطة بالأرصفة اندهشت ولم أكن أستطيع وضع أسماء على تلك الأشياء التي تقفز إلى عينيّ كما الومضات الضوئية»<sup>2</sup> لم يتوقف "يونس" عن إبداء إعجابه بهذه المدينة إذ يواصل وصفها: «ترتفع المنازل الجميلة جداً من جميع الجهات، منسحبة خلف سياجات حديدية مدهونة بالأسود، مهيبه، وأنيقة، تستريح العائلات بداخل الشرفات حول طاولات بيضاء مزينة بقنيات وكؤوس عصير البرتقال الطويلة، فيما كان أطفال بخدود مؤرّدة وشعر مذهب اللون يقفزون في الحدائق، كانت ضحكاتهم الرنانة تنبثق وسط أوراق النباتات مثل فوارة ماء، تنبعث من هذه الأمكنة المحظوظة سكينه ورفاهية لم أتصور أنّها ممكنة الوجود، إنّها على نقيض تام من الرائحة التي تُعفن قريتنا حيث تحتصر البساتين تحت الغبار، وبتن أكواخنا تحت بؤس يفوق بؤس حظائر الحيوانات... كنت في كوكب آخر»<sup>3</sup> فعكس فضاء الأنا حجم الخراب الذي خلفه تواجد الآخر، وحجم الإهمال والتهميش الذي عاناه صاحب الأرض، في حين حظي فضاء (الآخر الأجنبي) عنه بامتياز الجمال، والعصرنة، والرفاهية والاستقرار، والصورة التي رسمها الروائي لفضاء الآخر على لسان بطله -يونس- ومعايير السعادة،

<sup>1</sup> -جان بول سارتر، عارنا في الجزائر، ت: عايدة وسهيل إدريس، الدار القومية للطباعة والنشر، بيروت، ط1، 1975، ص06.

<sup>2</sup> -ياسمينه خضرا، الرواية، ص28.

<sup>3</sup> -المصدر نفسه، ص28.

والرفاهية، والتحضر، والسكينة وضع الأنا والآخر في مفارقة واضحة، ورسم صورتين متناقضتين للمدينة، هي مدينة محلية ببؤسها وشقائها وشوارعها القذرة، ومدينة الآخر (الفرنسي) بحضارتها وريقها، وبمنازلها الجميلة، وشوارعها المتسعة.

إنّ توظيف "ياسمينه خضرا" لمدلول الأرض في روايته يحمل دلالات لا نهائية، تجعل منها امتدادا للهوية، إذ يملك قوة مطلقة، تربطه بالوجود الشخصي، فالفضاء الخارجي يؤثّر الداخلي لنفس المكان النفسي، ويترك تأثيره فيه، والمسافة بينه، وبين التيه، وإيجاد الذات ترتبط بالحقيقة المجردة، والدالة على تماهي المكان مع الذات في هذه الرواية، «فالإحساس بالهوية مركب من المشاعر المادية، ومركب من مشاعر الانتماء، والتكامل، والإحساس والاستمرارية الزمنية»<sup>1</sup> لهذا تعرض الناص لقضية الأرض من خلال كشف تناقضاتها.

تحمل الأرض في الرواية الجزائرية قيماً ناتجة عن التفاعلات البشرية، الإنسانية فيما بينها من تنظيم معماري خاص سواء المناطق الريفية، أو المدنية التي تختلف شكلاً، ومضموناً، فتأخذ الأرض بُعداً مكانياً، ونفسياً، كونها محطة تحوي آلام شخصوها، لتعدد رمزياتها من دلالة إلى أخرى.

### ثانياً: الهوية - المدينة:

شغلت المدينة حيزاً معتبراً من الرواية، وبرزت في صورتها العمرانية والاجتماعية والثقافية باعتبارها عنصراً مؤطراً للتاريخ، وفضاء يضمّ البعد النفسي للذات الساردة حين ترجع بذاكرتها إلى القرية بكلّ ما تضمّنته من مشاهد يومية، وأحداث وشخصيات، والبعد الرمزي حين يستغرق في وصف الوجه الآخر من المدينة الذي يتجاوز المستوى المادي إلى مستوى روحي يصبح فيه المكان رمزاً للتاريخ، وللدن، والثقافة.

وقد أدّى اعتماد تقنية الاسترجاع (الفلاش باك) في إطار السرد السير ذاتي إلى التنوع في توصيف الأمكنة، إذ بدأت الحركة داخل المنجز الروائي بوتيرة متباطئة، من الأرياف، والقرى، والأقاليم، والدروب

<sup>1</sup>- أليكس ميكشيللي، الهوية، ص 131.

الوعرة، إلى أن توسعت الحركة نحو المدن، المركز الحساس للحضارة وقلب العاصمة، فرسخت كل مدينة ملاحظها على شخصية "يونس" وتركت أثراً في نفسه، فبين جنان جاتو، ووهران العاصمة الأوروبية، وبين ريو سالادو القرية الاستعمارية، وباريس بمناطقها المتنوعة، عاش بطل الرواية تفاصيل التنوع الجغرافي، بكل صدق نابع عن محبة أرض تركت في نفسه شعور الإنسان المغترب، كيف لهذه الأرض أن تكون بهذا التنوع رغم تعاقب العديد من المستعمرات؟ إنَّها الجزائر بلد التناقضات.

كان "يونس" وسط هذا الصخب، مولعاً بالمدينة الأوروبية يقول: «وهران مدينة رائعة تملك نبرة فريدة تضيف إلى مسرحها المتوسطي انجذاباً لا يذبل، تنجح في جميع مبادراتها، تعرف متع الحياة، ولا تعيشها في السر، أمسياتها الساحرة، بعد قيظ النهار، ينتعش الجوّ، ويخرج النَّاس كراسيهم إلى الأرصفة ويقضون ساعات طويلة في تبادل أطراف الحديث حول كؤوس الأنيزات، من شرفتنا كنا نراهم يحرقون السجائر ونسمع أحاديثهم، تنطلق بذاءاتهم الغامضة وسط الظلام كما النيازك، وتتدحرج قهقهاتهم إلى غاية أقدامنا، شبيهة بالأمواج التي تأتي لجلس أصابع أرجلنا عند شاطئ البحر»<sup>1</sup>. إنَّ ما يسجل على تلك المدينة انتظامها وحدثاتها مبانيها وجمالها، أو كما تترأى لـ "يونس"، وهو ما عبر عنه (فرانس فانون) (France fanon) حين وضع الوصف الكولونيالي لها، بأنَّها «مدينة صلبة مبنية بالحجر والحديد، مدينة أنوارها ساطعة وشوارعها معبدة بالإسفلت، وصناديق القمامة فيها ما تنفك تبلغ نفايات ما عرفها الآخرون، ولا رأوها يوماً، ولا حلموا بها يوماً... ولكن الآخريين لا يمكن أن يقتربوا منها اقترباً كافياً... شوارع مدينتهما (قدا المستعمر) نظيفة ملساء، لا ثقب فيها ولا حصى»<sup>2</sup> هذه الصورة كثيراً ما روجت لها الكتابات ما بعد الكولونيالية وعلى رأسها الرواية -موضوع الدّراسة-، لغاية واحدة ليس إلّا، وهي «إظهار صورة الآخر بصورة المتفوق والمهيمن، والمركزي، والمتسلط، والصانع للحضارة دوماً،

<sup>1</sup>-ياسمينه خضرا، الرواية، ص117.

<sup>2</sup>- فرانس فانون، معذبو الأرض، تق: ك، شولي، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، موفم للنشر، الجزائر، د. ط، 1990، ص5.

ويظهر العربي دوما مهزوما، ومضطربا ضعيفا»<sup>1</sup>، وهذه النظرة المبطنة تُنم على روح الاستعباد الذي طغى حتى على العمران.

إنّ أهم ما تتميز به مدينة وهران طابعها السياحي كونها تطل على البحر الأبيض المتوسط، فهي أهم مدن الجزائر لأنها تجمع بين ثقافات متنوعة، تجمع بين التاريخ، والتراث الحضاري معمارها المتميز ومعالمها الثرية جعلها قبلة للسواح من كل أنحاء العالم، لذا نجد "يونس" لا يتأخر عن وصفها في كل حين: «أخذنا الترامواي إلى غاية المدينة الأوروبية، واصلنا راجلين إلى غاية حيننا، كان الجو جميلاً، تتجاوز الشمس الوهرانية في إضاءة سماء المدينة»<sup>2</sup>، يلعب المناخ دوراً مهماً في استقطاب آلاف المعجبين بها، فهي مدينة الأنوار، أو المدينة العتيقة بتراتها، وأصالتها، وتاريخها، ومعالمها.

يؤدي الوصف دوراً مهماً في تعريف القارئ بالمدينة، وتنهض الذاكرة بوظيفة تسجيلية وتصويرية تلتقط تفاصيل كل مدينة حل بها، أو مرّ عليها "يونس"، فأثناء مغادرته مدينة وهران قاصداً ريو سالادو مرّ على قرية (مسرغين\*)، فعلمت بذاكرته يقول: «استأنفت البساتين استعراضها، تتنافس حقول البرتقال، والكروم كي تغزو التلال، والسهول الخلاب، محاطة بأشجار شامخة، وحدائق، أمّا الطرق المؤدية إليها، فكانت مُعلّمة بأشجار الزيتون أو النخيل الباسقة، بين الفينة، والأخرى، يظهر مستعمر يمشي وسط حقوله أو يمتطي حصاناً يركض بسرعة جنونية لا ندري باتجاه أية سعادة»<sup>3</sup>. ومن خلال هذا الوصف يظهر الناص الهوية الجزائرية التي تبرز من خلال بيئة مسرغين الطبيعية: أشجار النخيل والزيتون، وحدائقها، وتلالها، كما يبرز تاريخها المرتبط بالاستعمار الفرنسي الذي يبدو زاهياً بمنجزاته في خدمة الأرض، وتحويلها إلى بساتين خضراء وأشجار مثمرة.

وسرعان ما تتلاشى هذه الصورة المثالية لقرية مسرغين لتحل محلها صورة سلبية تشي بعمق الهوة بين المستعمر والمستعمر، يقول: «وبعد ذلك، ودون سابق إخبار، كما لو أنّها تتعمد على تنغيص

<sup>1</sup>- شعيب حليفي، هوية العلامة في العتبات وبناء التأويل، دار الثقافة، المغرب، ط1، 2005، ص164.

<sup>2</sup>- ياسمينه خضرا، الرواية، ص143.

<sup>3</sup>- المصدر نفسه، ص152.

\*مسرغين: بلدية تابعة لدائرة بوتليليس بولاية وهران، تمتاز هذه البلدية بالزراعة المتواصلة على مر العصور.

الروائح المحيطة، تنشق أكواخ قصديره وسط التضاريس قبيحة إلى حدّ القرف مسحوقة تحت ثقل البؤس، والشؤم، يتخندق بعضهم خلف أسوار تين الصبار، في خجل جلي، لا تكاد تظهر سُقوفها وهي على قاب قوسين، أو أدنى من السقوط على أهلها، يتشبث البعض الآخر بجوانب الصخور، أبوابها أقبح من فم أترم مغطاة بالطين الممزوج بالقش مثل أقنعة جنائزية»<sup>1</sup> وهنا يبرع السارد في تقديم صورة مقززة للقرية، ليبرز وجهها مغايرا لسابقه، وجه يكشف نظرة الإعجاب بالآخر الفرنسي، والاحتفاء بثقافته، ونمط حياته.

يُشكل الوعي بالتنوع الجغرافي الذي تزخر به الجزائر مطلبًا وضرورة ملحة وحيوية من أجل ضمان هويتنا المفقودة، لأنّ التماهي في حضارة الغير يلغي بالضرورة حضارتنا، وهذا ما يتميز به أدب الروائي "ياسمينه خضرا" فأهميته، وقوته من خلال تلك الشخصيات المحلية، التي ترتبط ارتباطًا وثيقًا بمجتمعها الصغير، والغارقة في تاريخ وحضارة بلادها بتقاليدها، وعاداتها، قيمها، وتنوعها الجغرافي الذي قرب الهوة بين الجماعات الثقافية المتعددة.

احتلت ريو سالادو مكانة كبيرة في قلب "يونس"، فبعت في ذاكرته مدينة جميلة بعمرانها، وحياتها الثقافية، وعاداتها الاجتماعية، يقول في وصفها: «أحببت ريو سالادو»<sup>\*</sup> كثيرًا، فولمان سالسوم عند الرومان، أو المالح في أيامنا، كانت قرية رائعة بأزقتها المخضوضرة، والمنازل الفاخرة، تُبسّط السياحة التي تُنظّم فيها الحفلات الراقصة، وتغني فيها أشهر الفرق الموسيقية بساطها المبلّط على بعد خطوتين من مدخل مقر البلدية، محاطة بأشجار النخيل المتعاطمة التي يربط بعضها بعضًا شريط مزخرف من المصاييح...»<sup>2</sup> تحمل هذه القرية في بعديها الاجتماعي، والطبيعي ملامح القرى الفرنسية، وبعبارة أخرى بُنيت على أنقاض المستعمر «تترجع ريو سالادو وسط كرومها وخزانات خمورها -يوجد منها حوالي مائة وتترك نفسها تُتذوق على طريقة النبيذ البلدي، وهي تتقرب بين موسمين لقطف العنب نشوة

<sup>1</sup>-ياسمينه خضرا، الرواية، ص153.

<sup>2</sup>-المصدر نفسه، ص157.

\*ريو سالادو: مدينة في عين تموشنت تُسمى "وادي المالح" الواقعة جنوب وهران، أطلق عليها هذا الاسم "ريو سالادو" أثناء الاحتلال تجسيدًا للحقبة التاريخية المستعمرة.

الأيام القادمة الحاملة، برغم شهر جانفي البارد نوعاً ما، بسماؤه الداكنة، ينبعث من أركانها عصر صيفي دائم، ينشغل الناس بأعمالهم اليومية، في حماس واندفاع، قبل أن تجمعهم المحلات عند غروب الشمس حول كأس أو حادث عابر، يمكن سماع قهقهاتهم أو سخطهم على بُعد أميال»<sup>1</sup> ينبعث من ريو سالادو عقب التاريخ وحضارة لا مثيل لها، «كان عمي على صواب، ريو سالادو مكان مناسب لإعادة حياة جديدة، يرتفع منزلنا على الجانب الشرقي للقربة، مرصع بمديقة رائعة وشرفة تفتح على بحر من الكروم، كان منزلاً كبيراً، واسعاً ومضيئاً، بطابق أرضي... ينفتح على صالون شاسع، تُحيطه ثلاث غرف كبيرة وقاعة حمام... لم أشعر بالراحة النفسية إلا في اللحظة التي انخبت فيها على جدار الشرفة الخارجي، العائم تحت ضوء الشمس، وساح بصري خلف تحليق حجلة فكاد أن لا يعود»<sup>2</sup> ويكشف هذا التعلق بـ **ريو سالادو** إعجاب الشخصية البطلة بالبرجوازية الفرنسيّة، ورغبتها في الهروب من حالة التهميش، والإحباط، فكانت الأنا المعجبة مُستلّبة عاطفياً لكل ما يمت للحضارة الأوروبية بصلة، وقد وجدت ضالتها في هذه البيئة الفرنسيّة يقول "يونس" في موضع آخر من الرواية: «زحف الربيع بسرعة، تلالاً التلال المكسوة بالحشيش عند الفجر كما من بحر الندى،... ريو تحت الشمس خبز مبارك، حيثما وضعنا أيدينا، ينبثق حلم لم تكن روعي في أي مكان أقرب من السكنية مثلما هي في ربيع ريو سالادو، تصلنا ضوضاء العالم وقد تخلّصت من الضجيج الذي كان بإمكانه التشويش على حفيف كرومنا المداوي...»<sup>3</sup> لم تغفل الرواية عن إزالة الستار عن ذلك التنوع الذي برز كتيمة أساسية، فرغم سواد الليل، إلا أنّ هناك نهاراً يتعقبه الجميع، وهذه حالة سكان **ريو سالادو**: «في ريو، نترقب الصيف، مطمئنين، نعرف أنّ الوقت حليفنا، وأنّه في القريب العاجل، سيحي موسم قطف العنب وشاطئ البحر لدينا أرواحاً إضافية كي نتمتع كلية بالحفلات والسكرات الهوميروسية»<sup>4</sup> ترتبط **ريو سالادو** بالثقافة الفرنسيّة في عاداتها وسلوكات أهلها فضلاً عن طبيعتها الخلابة التي زادها وعي الفرنسي بضرورة العناية

<sup>1</sup>-ياسمينه خضرا، الرواية، ص159.

<sup>2</sup>-المصدر نفسه، ص288.

<sup>3</sup>-المصدر نفسه، ص288.

<sup>4</sup>-المصدر نفسه، ص289.



بالمكان جمالاً يظهر فعل الفرنسي فيها من خلال إنشاء مزارع الكروم التي ترتبط بعادة الانتشاء وشرب الخمر وتظهر السهرات فيها طبيعة الفرنسي الميالة إلى الترف واللهو وإحياء الحفلات. وهكذا كشفت المدينة عن الهوية المسلوقة والتي برزت من خلال إعجاب "يونس" بالمدينة الأوروبية، ونفوره من واقع المدينة المحلية المزري، فظهرت صورتين متناقضتين للمكان تعكسان ثقافتين مختلفتين حاول البطل، المنتزع من طفولة بائسة في ظل أسرته المنكوبة والفقيرة إلى بيئة مستقرة ومتحضرة في كنف عمه، التأقلم مع التغيير الفكري والنفسي والحضاري الذي طال واقعه.

### ثالثاً: الأحداث التاريخية:

اعتمد الروائي "ياسمينه خضرا" على التاريخ لتحديد العلاقة الجدلية بين المجتمعات الكولونيالية والمجتمعات ما بعد الكولونيالية، ولهذا نجده يوظف محطات تاريخية كثيرة في عمله السردى، تنطلق من فترة الاستعمار في محاولة لإبراز حالة الذات، وما تعيشه من فوضى التشظي الزمني لتبدأ أحداث الرواية من تاريخ 1930 مروراً بسنوات الأربعينات، والخمسينات، والستينات وما رافقها من تحولات سياسية وثقافية، واجتماعية وسمت الجزائر بسمات خاصة، وجعلت الزمن/ التاريخ مكوناً مهماً من مكونات الهوية السوسيو ثقافية لشخصية "يونس" التي تعيش، بحكم الاستعمار، ازدواجية ثقافية واجتماعية. ارتبط التاريخ في الرواية بوضعية المجتمعات المستعمرة وما تعانيه من بؤس وشقاء، يقول الناص «في هذه الأيام من 1930، كان البؤس والأوبئة يبيدان العائلات والحيوانات بعدوانية عجيبة فيجبران الناجين على الهجرة أو على التشرّد»<sup>1</sup> فوضعية الجزائر في هذه الفترة الحرجة من تاريخها وضعية مأساوية أدى انتشار الأوبئة فيها، وتفشي الفقر إلى إبادة المجتمع، ما انعكس على ذاكرة "يونس" التي كانت تحتفظ بهذه الذكريات الأليمة كجزء من تاريخ الاستعمار.

<sup>1</sup>-ياسمينه خضرا، الرواية، ص12.

ارتبط التاريخ بالذاكرة في رواية "فضل الليل على النهار" عن طريق السرد السير ذاتي الذي كان خياراً فنياً حذقاً ارتكز عليه الروائي لتحديد هوية تاريخية للرواية، جمعت في تعاملها مع التاريخ بين ما هو ذاتي محض، وبين ما هو جمعي يشترك فيه الجزائري مع المستوطن الفرنسي.

اعتمد تعامل الروائي مع التاريخ على ذاكرته الفردية، فصور أحداث وأماكن زارها وارتبطت برؤية المستعمر للمستعمر، فكان تصويره تسجيلياً يهدف إلى توثيق مراحل بعينها، يقول: «بعد شهور قليلة من 7 نوفمبر 1942، وفيما كان المساء يستقر على الشاطئ الفارغ، انبثقت أشباح مخيفة من عمق الأفق... لقد بدأ إنزال القوات الاستعمارية على الشواطئ الوهرانية. ثلاث طلقات نارية فقط؟ أين اختفى جيشنا العظيم؟...»<sup>1</sup>، إنَّ تصوير لحظة تاريخية مهمة كلحظة استعمار فرنسا للجزائر لم يكن عبثاً، بقدر ما كان مساءلة وطنية جريئة سعى من خلالها الكاتب إلى كشف أسباب الاستعمار التي ترجع - حسب نظره- إلى الضعف العسكري.

يتواتر حضور التاريخ في رواية "فضل الليل على النهار" لـ "ياسمينه خضرا" ليعكس رؤية المجتمع الجزائري المستعمر لمخاطات تاريخية مهمة من تاريخه، وقد كان اندلاع الثورة حدثاً مفصلياً في ذاكرة الشخصية الرئيسية، يقول الناص على لسان "يونس": «فاجأنا يوم أول نوفمبر 1954، انطلقت حرب الاستقلال، ولكن عند عامة الناس، وباستثناء سؤرة نقمة تجاوزتها ضوضاء الحياة بسرعة... قُتل أشخاص في مستغانم، رجال الدرك وقعوا في كمين نصبه رجال مسلحون،... ما يجهلونه هو أن هذه المرة انطلقت القافلة في رحلة لا رجعة فيها...»<sup>2</sup> ولعل الملاحظة التي يمكن الوقوف عليها في هذا النص، وفي غيره من المقاطع الروائية، هي موقف الروائي من التاريخ، موقف ينم عن حيادية تشبي بتشظي الهوية لدى شخصية "جوناس" الذي انسجم مع حياة المعمرين، وتشبع بالثقافة الفرنسية، فلم يكن يعتبر الثورة مطلباً شرعياً بقدر ما كان يعتبرها حرباً غير متكافئة الأطراف، يقول "جوناس": «إنَّ

<sup>1</sup>-ياسمينه خضرا، الرواية، ص190.

<sup>2</sup>-المصدر نفسه، ص384.

الدوي الذي انفجر في تلك الليلة، في ربيع شمال الجزائر في منتصف الليل تدقيقاً عند الدقيقة الأولى لأول نوفمبر، هل يكون عن حريق تب، شعلة عابرة في نفس السكان المحليين، المفكرين، العاجزين عن التجنيد حول مشروع مشترك؟... ليس هذه المرة، تعددت عمليات الاعتداء عبر البلد، متباعدة أول الأمر، ثم تقاربت بتكثيف وتهور مذهل، تحدّثت الجزائر عن إرهابيين، عن متمردين، عن خارجين عن القانون،... تحدثت الجرائد عن تحركات مشبوهة، عن جماعات ببذل عسكرية، وأسلحة بدائية تنصّب الكمائن لدوريات الدرك قبل أن تتبخّر في الطبيعة...»<sup>1</sup> يحيل المعجم اللغوي المرتكز على ألفاظ من مثل (السكان المحليين، المفكرين، العاجزين عن التجنيد، استولت جماعة مسلحة...) الذي وصف به "جوناس" أبناء جلدته على انخيازه إلى الثقافة الغربية، ورغبته في الاندماج مع المستعمر الفرنسي.

والملاحظ أنّ الرواية كانت وثيقة تاريخية رصدت بداية الثورة بطريقة تفصيلية، وقدمت مشهداً حياً عن كواليس الثورة، وردود فعل المستعمر في الأوراس، وفي غيرها من المناطق، وفي المقابل عبرت الذاكرة عن التفاف الشعب الجزائري حول جبهة التحرير الوطني (FLN) التي التصقت مبادئها بوجدانهم، وانعكست على الجدران والشوارع، والأمكنة يقول الروائي على لسان "جوناس": «في الأوراس، دار الحديث حول عقداً وفيالق كاملة، جيش من المتمردين لا يمكسك بهم أحد وعن مناطق محرمة ليس بعيداً عن قرينتنا، في فلاوسن(\*)، أفرغت المداشر من رجالها، يلتحق هؤلاء ليلاً بالجبال الوعرة ليشكلوا وحدات جديدة من المجاهدين، أقرب من هنا، على بعد بضعة كيلومترات، سجلت عين تموشنت اعتداءات في قلب المدينة، تغطي ثلاثة حروف جميع الجدران FLN جبهة التحرير الوطني برنامج بأكمله، بقوانينه، وتعليماته...»<sup>2</sup>.

<sup>1</sup>-ياسمينه خضرا، الرواية، ص385.

(\*) فلاوسن: كلمة أمازيغية مكونة من شقين فلا: تعني فوق وأعلى، سن: تعني أقدم قرية بربرية مرتفعة تقع بلدية فلاوسن شمال غرب مدينة تلمسان.

<sup>2</sup>-ياسمينه خضرا، الرواية، ص386/385.

أسهبت الذاكرة في سرد المحطات التاريخية المتعلقة بالثورة الجزائرية، فسلمت الضوء على جانب مهم من مجرياتها يتمثل في اشراك بعض الفئات النخبوية في خدمة الثورة؛ حيث عاد الروائي بالزمن إلى لحظة اقتحام المجاهد منزله طالباً منه توفير الأدوية للمجاهدين بحكم عمله الصيدلاني، يقول "جوناس" واصفاً هذه اللحظة: « مكث المجاهدون الثلاثة عندنا حوالي عشرة أيام، واصلت عملي في الصيدلية كما لو أنّ شيئاً لم يكن خوفاً من أن يزورنا قريب بغتة، هتفت جرمان لعائلتها في وهران لتخبرها أنّها تُسافر إلى مدينة كولامب (بشار حالياً)، وأنّها ستتصل ثانية لمجرّد عودتها، نقل العوفي الممرّض رئيسه إلى غرفتي، كنت أنام في مكتب عمّي على سرير قديم، يأتي جلول عندي باستمرار لاستفزازي، يفيض غيظاً من موقعي اتجاه الحرب التي يخوضها شعبنا من أجل استقلاله»<sup>1</sup> لقد خلق هذا الموقف جواً من التوتر في نفسية البطل، وشكل عطبا من أعطاب الذاكرة لأنه وقف وجهاً لوجه أمام قضايا مصيرية تتعلق بمشروعية الثورة، والوطنية، والتضحية، والمستعمر، والجزائر الفرنسية، وموقفه منها.

استدعى الروائي الذاكرة الجمعية، إلى جانب الذاكرة الفردية المتعلقة بالتاريخ الجزائري، فتحدث عن الحرب العالمية الأولى والثانية من منطلق أنّ التاريخ يجمع «الجزائريين والفرنسيين والذاكرة تفرقهم»<sup>2</sup> وكانت هذه الحروب مجالاً خصباً للوصف، حال الروائي من خلاله إبراز ما كانت تتخبط فيه المجتمعات الإنسانية من فوضى وتناقض، يقول "جوناس": «فجاءت سنة 1945، بموجات أخبارها المتناقضة وهذياناتها، في ريو سالادو يجب الناس الإفاضة في الحكمي، وهم يتناولون كؤوس الأنيزات، يضحمون أدنى مناوشة، ويزينونها بأفعال حربية خرافية، وينسبون البطولة لمتخاصمين عادة ما يكونون غائبين عن ميدان الصراع، على شرفات المقاهي، تتزاحم التشخيصات والتقديرية...»<sup>3</sup> وعلى الرغم من المآسي التي تخلقها الحروب في النفوس إلا أنّ السارد حاول إضفاء جو من الطرافة والتفاؤل حين مزج بين الجد والهزل، وراح يقدم وصفاً كاريكاتورياً ساخراً لموقف عامة الشعب من الحرب على نحو ما يبين المقطع

<sup>1</sup>-ياسمينه خضرا، الرواية، ص451.

<sup>2</sup>-توفيق شابو، النوستالجيا الكولونيالية وأعطاب الذاكرة في رواية فضل الليل على النهار، مجلة اللّغة الوظيفية (جامعة البليدة)، العدد 2، المجلد5، ص12.

<sup>3</sup>-ياسمينه خضرا، الرواية، ص238.

الآتي «... أما بعض المستهزئين الذين يتحصرون على القامة النحيفة لديغول، فيعيدون بإيفاده بأفضل كسكسي البلد كي يكسب قليلاً من السمنة التي بدونها لا يمكن لهيئته أن تكون لها المصدقية اللازمة في نظر الجزائريين الذين لا يفصلون السلطة عن بطن المهيب. استأنف الناس الضحك والسكر حتى يروا الديك حماراً»<sup>1</sup> ومن خلال هذه الأساليب الساحرة تغلغل الروائي في العقلية الجزائرية، وكشف ما تضرره من سلوكيات تعكس تقديسهم للمادة التي تدل عليها الجملة الثقافية (الذين لا يفصلون السلطة عن بطن مهيب) والتي تترجمها المعادلة الآتية: [حب الجزائريين للأكل = بروز البطن = سعة العيش]، لقد كان الروائي أنثروبولوجيا بامتياز حين قدم رؤية نقدية للواقع الشعب الجزائري إبان الحرب العالمية الثانية 1945 مبرزاً طريقة تعامله مع أحداثها.

يفضي حضور الذاكرة الجمعية في المتن الروائي إلى رصد أحداث تاريخية أعقبت الحرب العالمية الثانية ففي الوقت الذي كانت أوروبا تعيش لذة الانتصار بانتهاء الحرب، عرف تاريخ الجزائر انتكاسة أخرى إثر وقائع الثامن ماي 1945 يقول الناص: «في الوقت الذي كانت الأرض بأسرها تحتفل بنهاية الكابوس، ينفجر كابوس آخر في الجزائر، أكثر صاعقة من الوباء، أكثر وحشية من القيامة، تحولت حركة الأفراد الشعبية إلى مآتم، قرب ريو دي صالادو في عين تموشنت، فقمعت الشرطة المسيرات الثائرة من أجل استقلال الجزائر. وفي مستغانم امتدت المظاهرات إلى القرى المجاورة، ولكن الرعب وصل إلى ذروته في الأوراس، والشمال القسنطيني حيث قتل آلاف المسلمين من قبل قوات الأمن المدعمة، بالمشليات التي شكلها المعمرون»<sup>2</sup> لقد رصدت الرواية نقطة تحول كبيرة في حياة الجزائريين، إذ خلف التوتر المشحون بين الجزائر وفرنسا آلاف الضحايا فيما عرف في التاريخ الجزائري الحديث بمجازر 8 ماي 1945 الأليمة التي كان لها وقع كبير في نفوس الجزائريين ولا سيما النخبة المثقفة التي راحت ترصد همجية الاستعمار وممارساته الأخلاقية متى وجدت منبرا لذلك، كان الجو الثقافي العام شاهد عيان على تلك المجازر، وخاصة محطة tsf «تحكي القمع الدموي الذي تعرض له السكان المسلمون في

<sup>1</sup>-ياسمينه خضرا، الرواية، ص 239.

<sup>2</sup>-المصدر نفسه، ص 241، 242.

كل من قالمة/ سطيف/ خراطة، والمدافن الجماعية حيث تتعفن الجثث بالآلاف، صيد العرب عبر الحقول والبساتين، إطلاق الكلاب الشرسة عليهم، والرحم الجماعي في الساحات العمومية، كانت الأخبار مرعبة إلى حد أننا، أنا وعمي لم نجد القوة ولا الرغبة لتتضامن مع المسيرة السلمية التي جابت الشارع الرئيسي لريو سالادو»<sup>1</sup>

وخلاصة القول، إنَّ المتأمل في هذه الرواية يُلاحظ أنَّ الخطاب التاريخي كان يُحاول أن يظهر في الغالب بمظهر محايد، غير أنه يُضمّر خطاباً مشحوناً بالذاكرة المأزومة التي تستدعي التاريخ المشترك بين الجزائريين والفرنسيين لتنسج عالماً سردياً يمتح تجربته من الواقع، ويستند إلى السيرة الذاتية للروائي ليصم العلاقة الجزائرية الفرنسية ببصمة فيها من المرونة والرغبة في التعايش السلمي ما يشي بإيديولوجيا الكاتب وموقفه من التاريخ.

<sup>1</sup>-ياسمينه خضرا، الرواية، ص241.

المبحث الثاني: الهوية اللغوية في رواية "فضل الليل على النهار" لياسمينه خضرا.

تعدّ اللغة وسيلة هامة للتواصل بين الأفراد والشعوب، إذ تميّزت الحضارات والأمم بلغاتها الخاصة على مرّ العصور، والأزمان، حيث تعتبر الركن الأساسي الذي تقوم الثقافة عليه، كما أنّها أحد أبرز مظاهر الاختلاف بين الحضارات والأمم، حيث نجد كل أمة تفتخر وتتباهى بمزايا لغتها

تتمتع الجزائر بيئة لغوية ثرية تُعدّ -بحق- مؤشراً صحياً للتعايش الاجتماعي، والثقافي، واللغوي للجماعات اللغوية المتكلمة لهذا المجتمع، وإنّ الاستثمار الهادف، والإيجابي لهذا التعدد اللغوي يُسهم في تنمية التنوع الثقافي في الجزائر، وبالتالي تحقيق التطور الفكري والنمو الحضاري.

تطرح رواية "فضل الليل على النهار" لياسمينه خضرا إشكالية الهوية اللغوية كونها كتبت باللغة الفرنسية، مما يجعلنا على قضية الأدب الجزائري المكتوب باللغة الفرنسية والمواقف المختلفة منه، ومآزق الهوية الذي طال كتابه، فتباينت آراء النقاد بين المؤيد للأدب الجزائري المكتوب باللغة الفرنسية، والمعارض له.

اتفقت الآراء النقدية في تحديد انتماء الكتاب الجزائريين انتماء جغرافياً بالدرجة الأولى، فكل كاتب مارس وظيفته على أرض تُسمى "الجزائر" هو جزائريّ دون الرجوع إلى لغته وانتمائه التاريخي، «فالأدب الجزائري هو كل عمل أدبي مؤلف سواء باللغة العربية أو باللغة الفرنسية من قبل أي من سكان الجزائر الأصليين»<sup>1</sup>، وبالتالي فإن أي عمل روائي متوجه إلى الآخر، هو رد صريح على الكولونيالية/ الاستعمار.

ولو عدنا إلى البدايات الأولى، لتفاجأنا بظهور مجموعة من المثقفين الجزائريين عبرت بالفرنسية، هذه النخبة التي طالبت في المحافل الأدبية - ومن خلال أعمالها الأدبية - بإدماج الجزائريّ في الفرنسيّ كمطلب حقيقي وأساسي، ومن ثمة فإن ظهور هذه الفئة جاء نتيجة «جملة من العناصر: لقاء الصراع والتفاعل، والاندماج، وأثمرت في النهاية "أدباً جزائرياً"، قبل أن يكون فرنسياً، وإن نطق بالفرنسية، وقبل

<sup>1</sup>-عايدة أديب بامية، تطور الأدب القصصي الجزائري، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، د. ط، 1982، ص51/50.

أن يكون وطنياً محلياً، وإن نسج أحداثه، وشخصه من عبقرية الأرض، والوطن، وبناء على هذا التركيب العجيب، توحدت عناصر اللغة، والفكر، والبيئة، والتاريخ، والإنسان الجزائري، في صورة شديدة التعقيد والثراء، تولدت عنها صورة الأدب الجزائري المعاصر، الذي تعددت منابعه وتباينت أصوله، ومشاركه. لكنها تصب جميعها في محيط أشمل، يتسع لكل الروافد. محيط المقاومة الشعبية، والحركة الوطنية، والثورة الجزائرية، التي انصهرت فيها كل التيارات الفكرية واللغوية، وتخصبت فيها كل الكفوف الجزائرية بالدماء، مثلما تخصبت في عرس الاستقلال والحرية<sup>1</sup>. يتضح من خلال هذا المقتطف أن هذه الفئة من الأدباء، وهذا الفن من الأدب تضافرت العديد من العوامل حتى ظهر للوجود، ومن بين الروائيين الأوائل نجد (محمد ولد الشيخ) (MOUHAMIDOUL CHEIKH) الذي يُبين بقوله: «قد أصبح واضحاً للعيان، أن البلاد استرجعت السلم، والعيشة الهنية تحت حمى الحكم الفرنسي، فلا وجود لمواطن عربي (يقصد الجزائري)، لا يشعر تجاه الوطن الأم بالعرفان للجميل السخي وخاصة بعد إخراجهم من الظلمات إلى النور، وإلى منطقة الحياة والسعادة»<sup>2</sup>، ومن الأجناس الأدبية التي نقلت الوضع الجزائري نجد الرواية الجزائرية باللغة الفرنسية في العشرينات، إذ نجدها «تحمّل في تضاعيفها هذا التاريخ المثقل بالتنوع والثراء وبالصراع، وبالمقاومة، الأمر الذي يُفسر غلبة طابع المقاومة على الإنتاج الروائي الجزائري، وبممكننا أن نعثر على محاولات قليلة في الكتابة الروائية»<sup>3</sup>، كما يتجلى ذلك في الربع الأول من القرن الماضي، في أول محاولة مع نخبة الروائيين كمحمد ولد الشيخ، لويس ماري عمروش، عبد القادر حاج حمو، جميلة دباش... إلخ.

<sup>1</sup>-غالي شكري، أدب المقاومة، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط2، 1989، ص144.

<sup>2</sup>-JEAN DEJEUX. SITUATION DE LITTEARTURE MAGHREBINE. OPU. 1982. P21.

<sup>3</sup>-حفناوي بعلي، تحولات الخطاب الروائي (آفاق التجديد ومتاهات التجريب)، دار اليازوري العلمية للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط15، د.ت، ص21/20.



إنّ المتأمل للأدب الجزائري المكتوب باللغة الفرنسيّة يلحظ بجلاء طبيعة انتماء هذا النتاج الإبداعي، «وهو الانتماء الذي يستمد هويته الدالة على جزائريته التي تُشكل خصوصيته المحلية»<sup>1</sup>، فالكتاب الجزائريون اتخذوا من اللّغة وسيلة لفضح مكائد الاستعمار، ومن هنا برزت إشكالية انتماء هذا الأدب كتيمة أساسية في المتن السردي، وقد كشف عديد من الأدباء أنّ الكتابة بلغة المستعمر، لم تكن بمحض إرادتهم، وأنّ المضامين المعروضة، ذات انتماء جزائري، وهو ما أكدّه "محمد ديب" حينما قال: «هو أدب عربي كان مضطراً إلى استعارة اللسان الفرنسيّ، لظروف يعلمها الفرنسيون قبل غيرهم»<sup>2</sup>، وهنا إشارة واضحة إلى أنّ اللّغة لا يُمكن أن يعتمد عليها كمعيار لتحديد هويّة النص، مادام النص الأدبي يُعبر بصدق عن واقع المجتمع الجزائريّ، ويصور بواقعية حالة الفرد المأزوم فيظل وجود الاستعمار الفرنسيّ، و نجد ذلك في معظم الروايات التي عكفت على تصوير حالة البؤس، والفقر، والحرمان، التي يعاني منها الشعب الجزائريّ، كرواية (الفقير) "لمولود فرعون"، "ثلاثية محمد ديب"، (الربوة المنسية) "لمولود معمري"، (الطاعون) "لألير كامو"، ومادام مضمون هذه الروايات جزائرياً فإنه أدب جزائريّ خالص.

إنّ هذا التمييز له أهمية كبيرة، فهناك فرق كبير بين بلد له لغة وطنية واحدة مشتركة، كما هو الحال في الجزائر، وبلد له لغات متعددة كإندونيسيا أو باكستان أو سويسرا مثلاً، وبلد ثالث ليس له إلاّ لهجات غير مكتوبة مثلما هو الشأن في بعض البلدان الإفريقيّة، ففي الحالة الأولى تكون لغة المستعمر عاملاً سلبياً يعمل على زحزحة لغة البلد، وعلى إضعاف مركزها الاجتماعيّ، ودورها الحضاريّ والثقافيّ الذي يؤدي إلى ازدهار البلد، فخلق ازدواجية لغوية وثقافية بين فئات المجتمع، في حين يُمكن أن تلعب لغة المستعمر في الحالة الثانية دوراً إيجابياً، كعامل توحيد ثقافيّ، ووسيلة تفاهم مشتركة كانت مفقودة من

<sup>1</sup>- بوشوشة بن جمعة، سردية التجريب وحادثة السردية في الرواية العربية الجزائرية، المطبعة المغاربية للنشر والإشهار، تونس، ط1، 2005، ص09.

<sup>2</sup>- محمد ديب، ثلاثية محمد ديب (الدار الكبيرة، الحريق، النول)، تر: سامي الدروبي، دار الوحدة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، د. ط، 1958، ص4.

طرف أبناء البلد الواحد... إلخ، وهذا ما يُفسر أن العديد من هذه البلدان اتخذت لغة المستعمر لغة وطنية رسمية.

لقد أعطى هذا الأدب للإنسان الجزائري لأول مرة فرصة التعبير عن ذاته كإنسان ينتمي إلى أرض، وكشعب له كيانه وقيمه، وتقاليد وآماله، فارتبط بتاريخ الجزائر، وبالمقاومة الوطنية، وبكفاح الشعب الجزائري ضد الاستعمار الغاشم، ولهذا ليس من المنطق أن نعتبر هذا الأدب فرنسيًا، بل أن «أدباء الجزائر استخدموا الفرنسية كسلاح لمواجهة الاستعمار»<sup>1</sup>، وفي مواقف كثيرة لجأ الأدباء إلى تأكيد رؤيتهم الوطنية وهو ما تجلّى في قول "عبد الله الركيبي": «وجملة القول فإنّ الأدب الجزائري المكتوب بالفرنسية، قد أوجد لظروف وأسباب في مرحلة معينة، وهو إن كتب بلغة أجنبية، فإنه عبر عن مضمون جزائري وواقع وطني الأمر الذي يجعل منه أدبا محليا وطنيا»<sup>2</sup>.

إن استعمال اللغة الفرنسية لا ينقص من قيمة هذا الأدب ومن جزائريته، فهو يظل يحمل روح المقاومة الوطنية، وتاريخها النضالي الطويل، وهذا ما يتضح في قول محمد ديب حينما قال: «بل قولوا إن أدبًا قوميًا يظهر الآن في المغرب عامة، وفي الجزائر خاصة، غير أن هذا الأدب يكتب باللغة الفرنسية في بلاد ذات تراث ثقافي إسلامي لا تزال تُحاول، ولو في كثير من العناء، أن تُقدم إنتاجًا أدبيًا باللغة العربية»<sup>3</sup>. فالدلالة البليغة التي أشار إليها محمد ديب، هي أنّ هؤلاء الكتاب العرب قد كشفوا أساليب القمع، والتجهيل التي مارستها فرنسا في الجزائر، فانزعجت منهم أداة التعبير باللغة الأم، ووضعت بين أيديهم أداة أخرى هي اللغة الفرنسية، فلا حيلة لهم في الإعراض عنها إذا أرادوا أن تدور ألسنتهم بكلام أو أن تجري أقلامهم بكتابة.

هناك عامل آخر دفع بالكتاب إلى اختيار اللغة الفرنسية كوسيلة للكتابة، هو «تأخر الثقافة العربية في الجزائر، أوجد تخلفًا في اللغة العربية، مما أوجد فجوة كبيرة في الحصول على أسلوب لغوي مرن- في

<sup>1</sup>- عبد العزيز شرف، المقاومة في الأدب الجزائري المعاصر، دار الجيل، بيروت، لبنان، ط1، 1991، ص157.

<sup>2</sup>- عبد الله الركيبي، القصة الجزائرية القصيرة، المكتبة الوطنية للكتاب، الجزائر، ط1، 1983، ص249.

<sup>3</sup>- محمد ديب، ثلاثية محمد ديب (الدار الكبيرة، الحريق، النول)، ص4.

الأدب الجزائريّ بعامه، والقصصيّ بخاصة، فكان من البديهي أن يلجأ الكتاب الجزائريون إلى استخدام الأداة الأجنبية لملء الفراغ، فساهموا بطريقة غير مباشرة في تطور الفن الروائيّ نسبياً<sup>1</sup>، ومن أجل ذلك نجد الروائيّ والشاعر "مالك حداد" يصيح ذات يوم صيحته الموجهة في إحدى قصائده قائلاً: «أنا أرطن ولا أتكلم، إنّ في لغتي لكنة، إني معقود اللسان... ويسمعه نقاد الأدب في فرنسا الذين قرأوا شعره فأحلوه بلغته الفرنسيّة الرائقة في قمة، فيحملقون، ويقولون: ما هذا التواضع، إنّ لك لفرنسيّة رائعة، ولكن مالك حداد يظل يصيح صيحته الموجهة، أنا أرطن ولا أتكلم، إنّ في لغتي لكنة، إني معقود اللسان... أنا لا أغني، أنا لا أغني... فلو كنت أعرف الغناء لقلت شعراً عربياً، نعم يا أرجوان هذه هي مأساة اللّغة...»<sup>2</sup>، هكذا أحس الأدباء، الذين أراد الاستعمار أن يكون في لسانهم عقدة، كذلك يحسون بالمأساة إحساساً عميقاً أليماً، أنهم من بعدهم عن العربية في غربة ووحشة.

تُعد رواية "فضل الليل على النهار" لياسمينه خضرا" نموذجاً عن الأدب الجزائريّ المكتوب باللّغة الفرنسيّة، حيث لجأ الروائيّ إلى لغة الآخر ليعبر عن واقع جزائريّ مأزوم، وليسرد معاناة بعض الفئات من الشعوب الكولونياليّة في ظل تشظي الهوية، وما نجم عنه من ازدواجيّة نفسيّة، وانشطار لساني، وتمزق ثقافي جسده شخصيّة البطل يونس/جوناس، وعلى الرغم من أنّ الرواية كتبت بلغة المستعمر وترجمت إلى اللّغة العربيّة فيما بعد إلاّ أنّها عكست انشطار بيئتها اللساني، ويظهر ذلك من خلال أسماء الأعلام التي كانت دالاً يحيل على هويّة النص اللّغويّة.

### أولاً: الاسم حاملاً للهويّة:

أشرنا في فصل سابق ما للاسم من قيّمة سوسيو ثقافية تحدد هويّة حامله المتفردة منذ لحظة ميلاده، وتعكس خصوصيّة بيئته على المستوى الدينيّ، والثقافيّ، والتاريخيّ، والشعبيّ، ومن ثمة لم يكن اختيار

<sup>1</sup> - عبد الله الركبي، القصة الجزائرية القصيرة، ص 273.

<sup>2</sup> - محمد ديب، ثلاثية محمد ديب (الدار الكبيرة، الحريق، النول)، ص 6.

الاسم عبثياً، بل كان علامة تستحق الوقوف، لاسيما وأنه يتخذ في الرواية أبعاداً تتجاوز وظيفة التعيين إلى وظائف جمالية ورمزية.

والناظر إلى أسماء أعلام مجتمع الرواية -موضوع الدراسة- يلقى توظيفاً متنوعاً يعكس بيئتين مختلفتين هيمنتا على المتن الروائي، بيئة فرنسية بأسماء أعلامها سواء كانوا أصدقاء "جوناس" أو بعض من أفراد عائلته الذين ارتبط حضورهم بانتقال يونس/ جوناس من بيئته الجزائرية الريفية إلى بيئة فرنسية حضرية، وما صاحب هذا الانتقال من تغيرات، وأخرى جزائرية تركز على التراث الإسلامي، وعلى التاريخ الجزائري الحديث.

### 1- الأسماء الأجنبية:

يستند ورود أسماء الأعلام الأجنبية في الرواية إلى خطاب الذاكرة، ويعتمد على ما يبنيه السرد السير ذاتي من إمكانات إبداعية، ترتبط بشخصية "يونس" الذي تحول إلى "جوناس"، وانصهر في الثقافة الفرنسية، وأعجب بحضارتها بعد أن احتوته "جيرمان" زوجه عمه، يقول: «فتحت لنا الباب امرأة صهباء، في الأربعين من عمرها. كانت جميلة بوجه دائري، وعينين كبيرتين خضراوين. حينما رأني عند درج المدخل ضمت يديها ملتصقتين إلى قلبها وبقيت واجمة بعض الوقت...»<sup>1</sup> لم تكن "جيرمان" تحمل من الثقافة الفرنسية غير الاسم، بل مثلت الثقافة الفرنسية في ملاحظها الفيزيائية، وملابسها، ومعاملاتها، وإيماءاتها، وأعطت الوجه المشرق للحضارة الأوروبية التي أبهرت "جوناس".

إنَّ أول ما يثير الانتباه في الرواية هو أنَّ الشخصية الرئيسة حملت اسمين، أحدهما "يونس" الاسم الأصلي الذي يدل على البيئة الجزائرية الأصيلة وهو الاسم الأقرب إلى وجدان البطل الذي كان يصحح لجرمان زوجة عمه نطقها اسمه بطريقة غريبة عنه، تقول "جرمان": «-طيب جوناس وأنا سندهب لأخذ حمام -اسمي يونس»<sup>2</sup> غير أنَّ إصرارها غير اسمه من يونس إلى جوناس، وقد عللت أمه ذلك بطريقة

<sup>1</sup>-ياسمينه خضرا، الرواية، ص91.

<sup>2</sup>-المصدر نفسه، ص93.

تنفي قصيدة جرمان تغيير هوية ابنها بتغيير اسمه، يقول "يونس": «-جرمان تسميني جوناس-من هي؟- زوجة عمي-أمر طبيعي. لا ينطق الفرنسيون أسماءنا جيداً. إنهم لا يتعمدون ذلك»<sup>1</sup>. إنَّ تغيير الاسم أدخل "جوناس" في مرحلة جديدة من حياته، وجعل الآخر الفرنسي يتقبله باعتباره فرنسيًا لا باعتباره جزائريًا، وكان مفتاحاً للدخول إلى الحضارة الفرنسيّة، المدرسة والحياة الاجتماعية بشكل عام. يحضر اسم العلم الأجنبي أيضاً في الرواية من خلال أصدقاء "جوناس" الذين مثلوا محيطه الثاني، والبيئة الجديدة التي احتوته، لقد كان كل من "فابريس"، "سيمون، أندري"، "جان كريستوف" المناخ الذي وفر لـجوناس تعويضاً عن فقدانه لأسرته الأصلية، فكانت كل المقاطع السردية التي وردت فيها هذه الأسماء تحيل إلى عاطفة الحب والوفاء التي لا تعترف بالتمييز العرقي، ولا تجعل هويته الجزائرية عائقاً يحول دون ارتباطهم به مادام قادراً على الانسجام معهم، يقول: «بعد أيام قليلة، وفيما كنت أتجول على طرف الكروم، قطع جان كريستوف لامي، برفقة صديقيه الدائمين سيمون بن يامين، وفابريس اسكماروني عبر الحقول للوصول إلي...»<sup>2</sup> لقد لفتت هذه العلاقة أنظار شخصيات الرواية لدرجة أن لقبوهم بأصابع المذرة لشدة التحامهم.

## 2- أسماء ذات طابع ديني وموروث إسلامي:

انطلاقاً من ثقافته العربيّة الإسلاميّة عمد الروائي "ياسمينه خضرا" إلى توظيف أسماء أعلام ذات طابع ديني تحيل إلى تمكن الثقافة الإسلاميّة منه، وتعكس البعد الهويّاتي للرواية من ذلك توظيفه لأسماء الأنبياء -عليهم أفضل الصلوات وأزكى التسليم- كيونس، وعيسى، وإبراهيم، وسليمان مما منح النص طابعاً تراثياً يشي بثقافة الروائي الإسلاميّة، ويجعل شخصية الأب "عيسى" تتعالق مع شخصية النبي عيسى -عليه السلام- حيث أن كليهما يعيش ضنك العيش، فقيراً معوزاً.

<sup>1</sup>-ياسمينه خضرا، الرواية، ص112.

<sup>2</sup>-المصدر نفسه، ص170.

إلى جانب توظيف الأسماء ذات الطابع الديني تحضر في الرواية أسماء ذات طابع شعبي محلي، وهي الأسماء التي تنبع من عمق المجتمع الجزائري، والمتأصلة في الأسلاف، التي يتوارثها الآباء عن الأجداد، فتشتهر في منطقة دون أخرى، كما أنّها تتداول في كثير من الأحيان، بين الكبير والصغير، وهي تحمل معانٍ مستحسنة ترتبط غالبًا، بالهوية الوطنية (اللغة-الوطن-الدين). وقد أورد "ياسمينه خضرا" في رواياته هذه، الأسماء من بينها: لالة فاطنة، جلول، يزه، بدرة، حدة، دحو، هوارى مما يكسب النص سمة محلية تشي بالمصداقية، وتنفي تهمة عدم انتماء الأدب الجزائري المكتوب باللّغة الفرنسيّة إلى أصوله الجزائرية.

ولا يخلو توظيف الاسم من اللقب باعتباره لواحق تُعلق بالمسمى إيدانًا بقيمة ما، ومع ذلك قد تُغالب الاسم استخدامًا فتغلبه، وتنوب عنه، يقول "بن الجوزي": «إنّ تكريم المخاطب وبيان مرتبته بأن لا يواجه باسمه بل بكنيته وإذا نال من الرياسة نهاية المقصود لم يخاطب إلا باللقب المحمود، فالاسم موضوع للتعريف واللقب الجميل مذكور للتشريف»<sup>1</sup>، أي أنّ اللقب ليس علامة اسمية مصاحبة للذات في ميلادها، وإنما هي مضاف اجتماعي تستدعيه عوامل مختلفة. وقد وظفت تلك الألقاب في الرواية اعتمادًا على أدوار الشخصيات الاجتماعية، ودلّت على مهنها، وعكست مستواها الاجتماعي ك: بليس السمسار، باتول العرافة، عمي الدكتور، الدكاني ساق الحطب، القايد صاحب المكانة المرموقة، راعي الغنم... إلخ.

نستنتج من كل ما سبق أنّ الهوية اللغوية في الرواية، وإن انطلقت من إشكالية اختيار اللّغة الفرنسيّة وسيطا تعبيريا، إلا أنّها حملت دلالات تاريخية ودينية شعبية طغت على الدلالات الأجنبية، وما أسماء الأعلام إلا خير دليل على ذلك.

<sup>1</sup>- ابن الجوزي، كشف النقاب عن الأسماء والألقاب، تح: عبد العزيز الصاعدي، مكتبة دار السلام، ط1، 1993، ص55.

## المبحث الثالث: الهوية الاجتماعية في رواية "فضل الليل على النهار" لياسمينه خضرا:

كشفت رواية "فضل الليل على النهار" لياسمينه خضرا عن سمات الهوية الاجتماعية النوعية، وبرزت ملامح المجتمع الجزائري فيها من خلال أنساق عديدة كنسق الطعام، ونسق اللباس، ونسق العلاقات الاجتماعية، وحضرت بعض الأنساق السوسيو ثقافية لتؤكد تفرد مجتمع الرواية من خلال عاداته وتقاليده، ومعتقداته التي عكست واقع جزائر الاستعمار بظروفه المتأزمة، وبتشظي هويته.

أولاً- الطعام مكوناً للهوية:

وظف "ياسمينه خضرا" بعض أصناف الطعام ليوحي بالحالة الاجتماعية التي عصفت بالعائلات الجزائرية آنذاك، حيث خضعت نوعية الطعام وظروف طبخه للحالة الأمنية التي كانت تسعى العائلات الجزائرية إلى بلوغها، فلم يكن يشترط مراعاة الحالة الصحية للطعام بقدر ما كان "عيسى" (والد يونس) يراعي ما يوفره تناول بعض الأطعمة الجافة من قدرة على الاختفاء، على نحو ما يبين الحوار الآتي: «... لا نشعل النار، سنأكل اللحم المجفف، لا لحم لدينا، فقط بعض البيضات الطازجة... لا أريد أن يعرف أحد أننا هنا سنكتفي بجبات طماطم وبصل»<sup>1</sup> إنَّ أكل اللحم المجفف هو وسيلة من وسائل المقاومة، وسبيل من سبل النجاة في ظل ظروف استعمارية قاهرة يكون فيها مجرد إشعال النار إيذاناً بمكان تواجدهم، كما أن الاعتماد على ما توفر من الطعام المنزلي هو علامة على سوء الحالة المعيشية التي كان المجتمع الجزائري يعيشها في تلك الفترة.

يُعَدُّ الطعام شكلاً من أشكال التضامن بين أفراد الشعب الجزائري، ففي ظل الظروف الاستعمارية المزرية كان تناول قليل من الحساء وبعض من الخبز أمانة العيش الكريم، غير أنَّ منح النادل ما توفر لديه من طعام لسد جوع "يونس" مظهر من مظاهر التضامن الذي كثيراً ما عد علامة مميزة للشعب الجزائري يقول السارد: «...دخل إلى المطعم وعاد بصحن معدني تجمد فيه حساء ثخين... ليس لدي الخبز...»<sup>2</sup>

<sup>1</sup>-ياسمينه خضرا، الرواية، ص25.

<sup>2</sup>-المصدر نفسه، ص39.

إنّ هذا الوضع الذي خلفه الاستعمار الفرنسيّ من خلال سياسية التجويع التي مارسها وبقيت آثارها راسخة في عمق المجتمع لم تمنع أفرادها من ممارسة قيم التضامن، والتضحية والتسامح.

وإذا كانت طبيعة الحياة في المجتمع الجزائري الريفي تتسم بالفقر والعوز على نحو ما عكست طبيعة الطعام ونوعيته، فإنّ حياة المدينة الأوروبيّة تشي بمظاهر البهجة والحياة الكريمة: أصناف الطعام المتنوعة، ومكان تناول الطعام، وطريقة تقديمه تدل على مستوى معيشي راق، يقول "جوناس": «تُحشرنا السيدة اسكماروني نحن الأربعة في المقعد الخلفي لسيارتها الصلبة ... تقودنا إلى شاطئ (تَرْغَا)، بعد السباحة، نرتجل مشواة بالفحم وتُشبعنا زيتونا أسود وشواء خروف وسردين على الجمر»<sup>1</sup> لقد رسخت هذه النزعات في ذهن الطفل "جوناس"، وأحس بسعة الفارق بين حياته في الريف أين الفقر، والخوف والحرق يرافقه، وبين حياته في المدينة حيث يستمتع بدعوة السيدة اسكماروني، وبأطباق الطعام المختلفة.

تتواصل الذكريات السعيدة في مخيلة "جوناس" ونزهات الغداء على نحو يبرز تصدع العلاقة بين الريف والمدينة، وبين الأنا والآخر، يقول: «نحب التجمع تحت الزيتون المئوية الجاثمة على ذروة المرتفع لنشاهد ريو تتلأأ قيظا عند أقدامنا، فابريس آخر من يلتحق بنا، يحمل قفة مليئة بسندويتشات نقانق الكاشير والفلفل المملح والفواكه الموسمية»<sup>2</sup> فيكون تنوع الطعام وسيلة الروائي لإظهار طبيعة حياة المعمرين التي تستغل خيرات البلاد لصالحها على حساب حياة الطبقة العريضة والمسحوقة من الشعب الجزائري.

يعكس الطعام ثقافة صاحبه وبيئته، ويحيل إلى دينه ومعتقدده؛ فارتباط الخمر بسيمون يعكس نمط تفكيره الأوروبي الذي تُعد قنينة الخمر فيه إحدى مكملات مائدة الطعام، يقول جوناس: «كنت

<sup>1</sup>-ياسمينه خضرا، الرواية، ص184، 185.

<sup>2</sup>-المصدر نفسه، ص185.



أتناول غذائي في مطعم صغير على جبهة البحر في وهران... نادى سيمون النادل، طلب كفتة خروف وسلطة ونصف قنينة نبيد»<sup>1</sup>.

وهكذا لم يكن حديث الروائي عن الطعام، على الرغم من حضوره المحتشم، حديثاً عبثياً، بل كان وسيلة مهمة من وسائل تحديد الهوية، ومظهراً من مظاهر تصدع العلاقة بين الأنا والآخر.

### ثانياً/ المعتقدات مكونا للهوية:

يُعدُّ «المعتقد ظاهرة اجتماعية تنتج عن تفاعل الأفراد في علاقاتهم الاجتماعية، وتصوراتهم حول الحياة والوجود، وقوى الطبيعة المتحركة في الحياة مما جعل المعتقد الشعبي يأخذ طابعاً قديماً ودينيًا، ذلك باعتباره نتاج حياة الأجيال السابقة»<sup>2</sup> ومن ثمة كان للمعتقد دورٌ كبيرٌ في تكوين شخصية الفرد، وتحديد هويته المتفردة.

آمن الشعب الجزائري - كغيره من الشعوب بالعديد من المعتقدات وعلى رأسها زيارة الأضرحة والتبرك بالأولياء، فانعكس هذا المعتقد في كثير من المتون الروائية؛ حيث وظفه الكتاب باعتباره متنفساً وخروجاً عن العالم المادي إلى العالم الروحي، ومحاولة للهروب من الحياة الدنيوية إلى الخيال المقدس، إنه شكلٌ من أشكال التواصل بين الماضي (الجميل) والحاضر (المفزع) عند استذكار فضائل وكرامات أصحاب الأضرحة.

عمد النَّاص إلى توظيف الأولياء باعتبارهم رمزاً للسعادة، ومدداً وعوناً للإنسان، وعكس هذا التوظيف طبيعة تفكير المجتمع الجزائري في فترة الاستعمار أين تفتش الجهل والامية، وآمن النَّاص بالغيبيات والخرافات، يقول "يونس": «... في نهاية الصبيحة، سلّم أبي بالأمر الواقع، أخيراً، والدلو لا

<sup>1</sup> - ياسمينه خضرا، الرواية، ص359.

<sup>2</sup> - محمد السهلي، المعتقدات الشعبية في التراث العربي، دار الجيل، مصر، 1980، ص06.

(\*) الزوايا: ج. زاوية وهي مؤسسة دينية ثقافية اعتمدها مذهب الطائفة الصوفية للنشر ثقافة الإسلام الصوفي الذي يعتمد التربية الروحية، ينظر: عبد الحكيم عبد اللطيف الصعيدي، المسجد رمز الصمود والتحدي، مكتبة الدار العربية للكتاب، القاهرة، ط1، 2002، ص95.

يزال معلقاً في ذراعه، تجراً على رفع عينيه على اتساع الكارثة لمدة طويلة،... انفجر بالبكاء... ذرف جميع دموع جسمه، أدركت حينها أنّ الأولياء نكرونا إلى غاية يوم الحساب وأنّ الشقاء أصبح قدرنا المحتوم»<sup>1</sup> إنّ تعلق يونس بالأولياء وإيمانه بكراماتهم دفعته إلى الاعتقاد بأن إحراق الأرض وما نجم عن ذلك من معاناة وإحباط مرده تخلي الأولياء عن دعمه مما حال دون حمايته ببركاتهم.

يتواتر الإيمان بكرامات الأولياء الصالحين لشدة تمكنه من النفوس في تلك الفترة وهو ما جعل والد "يونس" يستنجد بهم عند نزول مصيبة عليه، يقول السارد: «لم يتوقف أبي عن ذرع مسافات حقوله الخربة، من الفجر إلى الغروب، يهيم على وجهه وسط الأشباح والأنقاض، تخاله شبهاً أسيراً بداخل أطلاله، أمي تراقبه من ثقب بالجدار يقوم مقام الكوة، كلما ضرب فخديه ولطم خديه إلاّ وتمتت تعاويذ راجفة، مستنجدة بأسماء الأولياء الصالحين المنتشرين في المنطقة، كانت مقتنعة أن زوجها فقد عقله»<sup>2</sup> إنّ مثل هذه التصرفات كانت متفشية في الحقبة الاستعمارية وحتى بعد الاستقلال، لأن الشريحة العظمى من الشعب الجزائري كانوا يعتقدون في الولي ما لم يعتقدوا في غيره، وإذا كانت أمورهم تمشي عكس المسار الصحيح، تبدأ التأويلات الغربية بأنّ الولي غاضب عليهم، فتحل اللعنة عليهم سنوات طويلة.

ترتبط بعض المعتقدات في الرواية بطقوس دينية ومظاهر احتفالية شعبية كثيرة، لتعكس سداجة المجتمع الجزائري في الفترة الاستعمارية، ولتحيل إلى ما يرافق الاعتقاد بالأولياء الصالحين من ارتباط وجداني بالزوايا التي تتميز بخصائص ثقافية عريقة ف «لا تظهر فرقة القارقابو إلاّ بمناسبة احتفالات زاوية سيدي بلال، وليهم الصالح يقودون عجلاً استغفارياً ملفوفاً بألوان الزاوية، ويطوفون على البيوت لجمع المال اللازم لتحقيق شعيرة الأضحية، إنّ مرورهم على حي جنان جاتو يقلب حتماً عادات الناس رأساً على عقب، تركض النساء إلى عتبات الأبواب، برغم الممنوعات فيما ينبثق الأطفال من جحورهم كما

<sup>1</sup>-ياسمينه خضرا، الرواية، ص18.

<sup>2</sup>-المصدر نفسه، ص19.

اليرابيع لينضموا إلى القافلة، فيصبح المرح، والمرج مدوِّخًا فعلاً»<sup>1</sup> فلكل زاوية طقوسها ومظاهرها الاحتفالية التي تحدد هوية مريديها، ترتبط زاوية سيدي بلال مثلاً بفرقة القار قابو، وبالاحتفالات الدينية التي ترافقها الذبائح، والقرايين، و تلقى هذه الطقوس استحسانا لدى الناس، وتحظى بقبولهم لأنها تُعدُّ ركيزة من ركائز هويتهم.

### ثالثاً/العادات والتقاليد مكونا للهوية:

احتلت العادات والتقاليد حيزاً كبيراً في مخيلة الفكر الإنساني، فلكل أمة عاداتها، وتقاليدها، ومعتقداتها التي توارثها الخلف عن السلف، فهي كالمراة تنعكس عليها صور الماضي، إذ تُمارس يومياً داخل المجتمع الذي يحاول الحفاظ على كيانه من خلال التمسك بها، وتعبيراً عن هويته الثقافية. تُعرّف التقاليد بأنها «طائفة من قواعد السلوك الخاصة بطبقة معينة، أو طائفة اجتماعية، أو بيئة محلية محدودة النطاق، وهي تنشأ فيه لذلك فهي تستمد قوتها، مثلها في ذلك مثل العادة والعرف<sup>\*</sup> من قوة المجتمع... وتفرض سلطتها على الأفراد باسمه»<sup>2</sup>، وتتسم التقاليد بخاصية التوريث، أي أنها تنتقل عبر الأجيال من الماضي إلى الحاضر، ومنه إلى المستقبل، فالتقاليد هي بمثابة القواعد التي تُحقق النظام الداخلي للمجتمع البشري، وباختصار هو «النظام التطبيقي المتفق عليه من الناس، والذي يُؤدي إلى الاتساق بين أفعال الناس وبين بعضهم البعض»<sup>3</sup>.

لقد كان للعادات والتقاليد النصيب الأوفر في الرواية موضوع الدراسة، حيث استحضرت "ياسمينه خضرا" مظاهر الحياة الاجتماعية المختلفة مثل عادات الزواج، وسلوكات الأفراد والمعاملات، والعلاقات العامة بين أفراد المجتمع وغيرها من العادات التي كان المجتمع متمسكاً بها فيما مضى.

<sup>1</sup>-ياسمينه خضرا، الرواية، ص65.

<sup>2</sup>-حميد خروف، الربيع جصاص، علم اجتماع الثقافة، ص81.

<sup>\*</sup>العرف: ما درج الناس على اتباعه من قواعد معينة في شؤون حياتهم وشعورهم بضرورة احترامها. ينظر: حميد خروف، ص80.

<sup>3</sup>-رفيق حبيب، في فقه الحضارة العربية الإسلامية إحياء التقاليد العربية، دار الشروق للنشر والتوزيع، الأردن، 2003، ص13.

ومن بين العادات والتقاليد التي تحضر في الرواية والتي تُبرز خصوصية المجتمع الجزائري إبان المرحلة الاستعمارية عادة الزواج التي لها طقوس خاصة؛ فخلال زواج "فابريس اسكاماروني" و"هيلان لوفابرا" احتفلت العائلة في جو لا يخلو من الصخب «إذ تم العرس في شوطين الأول لضيوف المدينة، والثاني تُخصّص لسكان القرية، أصرت ريو صالادو أن تحتفل بزواج ابنها العبقري في حميمة خالصة، أهدى الجدّ روسيليو خمسين كبشاً واستقدم من منطقة سبدو<sup>(\*)</sup> أحسن الاختصاصين في تحضير المشوي... في وسط الساحة، نصّبت خيمة كبرى بها زرابي ووسائد، أما الخدم، وهم من الغرب، والسود، فيرتدون بدلاً تقليدية بصدائر مطرزة، وسراويل فضفاضة ترتفع إلى غاية منتصف السيقان، وعمائم صفراء اللون متألّفة، بدا الديكور مستوحى من حكايات ألف ليلة وليلة<sup>1</sup> فالمكانة الاجتماعية تؤدي دوراً مهماً في تحديد طقوس الزواج، ومظاهر البذخ الذي شهدها (الفرح) من طعام، ومفروشات، ولباس يعكس الطبقة البرجوازية التي ينتمي إليها أهل العريس، كما يُعدّ الزواج مجالاً للتمييز الطبقي بين الريف والمدينة حيث يُخصّص عرس لسكان الريف وآخر لسكان المدينة.

تسهب الذاكرة في سرد عادات وتقاليد كثيرة سمتها الأساسية الإيجابية؛ حيث يبرز "جوناس" إعجابه بها كعادات الزواج التي يُظهر شغفه بوصفها والحديث عنها، وأحياناً ينهض العرف الاجتماعي بدور الرقيب للفرد الذي يحدد سلوكه، ويفرض عليه نمطاً حياتياً محدد، يقول "يونس" : «...وقف عمي ورائي ... كُنّا نتحدث عن كل شيء باستثناء النساء، إنّها من الموضوعات المحرمة، برغم ثقافته وتفتحه، كان حياء وراثي يمنعه من مباشرة هذه المسألة بشكل صريح معي في تقاليد مجتمعنا، نتطرق إلى هذا الموضوع بالتلميح أو بالتوكيل، أي بتكليف شخص وسيط، كان سيحمل جرمان بتلقين الدرس<sup>2</sup>» فمن مميزات الأسرة الجزائرية المحافظة على التربية الأصيلة للأبناء، كما نجد المرأة مُحافضة على بيتها رغم المحن، والمصائب، وهذا ما نستخلصه من قول العمّ: «أنت تعرف حال نساءنا في غياب

<sup>1</sup>-ياسمينه خضرا، الرواية، ص354.

<sup>(\*)</sup> سبدو: مدينة تابعة لتلمسان.

<sup>2</sup>-المصدر نفسه، ص349.

أزواجهن، يُفضلن أن تشتعل النار في بيوتهن، ولا يطلبن المساعدة من الجيران»<sup>1</sup> فقد عُرفت المرأة الجزائرية بالقوة والصمود، لا تأبه بالصعوبات وإن كانت تلتهمها التهامًا، وهذا ما يميزها عن باقي نساء العالم.

#### رابعاً/ اللباس مكوناً للهوية:

كانت الأزياء كانت ومازالت مظهراً من مظاهر هوية الشعوب، وعاملاً من عوامل تفردها عن غيرها، وهي تُعبر عن انتماء الفرد إلى جماعة ثقافية، أو عرقية معينة، وقد عرّف علماء اللغة الأزياء بأنها: «هوية الشعب، واللباس يختلف من شخص إلى آخر، ومن طبقة إلى أخرى في المجتمع، ومن منطقة إلى منطقة، ومن بلد إلى بلد، تتحكم فيه العوامل الجوية، والجغرافية، والاجتماعية، والتاريخية والنفسيّة، والاقتصادية، والدينيّة، والسياسيّة في كل مكان»<sup>2</sup>.

وقد ارتبط تطور اللباس في الجزائر، بالتغيرات التي طرأت على تطور وضع الفرد في المجتمع، واقتحامه مجالات شتى: «ففي داخل أية جماعة إنسانية تُوجد تغيرات، تُميز مجتمعا ما عن آخر يُحددها الزي أو اللباس الذي يرتديه أفراد المجتمع ومن خلال المظهر الخارجي، واستناداً إلى فنون اللباس المحددة للنساء تُبرز معالم ثقافة المجتمع»<sup>3</sup> وما زاد من القيمة الاجتماعية للباس هي التغيرات التي أضفت عليه لمسات عصرية كما أعطته معانٍ ورموزاً جديدة، فأصبح وسيلة لإثبات الهوية الفردية، والتميز عن الآخر. استحضرت "ياسمينه خضرا" في روايتها "فضل الليل على النهار" مجموعة من الشخصيات الروائية، فصوّرت ووصفت كل ما وقعت عليه عيناه من مشاهد، فكانت بذلك صورة حية، حقيقية تُعبر عن واقع طغى الحرمان على أفرادها. وقد عبرت الكتابة عند النَّاص، عن ظاهرة صحية تعكس ترابط البشر بقيمهم ورؤاهم الخاصة، وكانت ثنائية القرية/ المدينة صاحبة في الرواية من خلالها يتضح الفرق الشاسع، بين سكان القرى والمدن، ولهذا تبدو القرية مكاناً أساسياً في العالم الروائي، تعامل معها السارد بوصفها نقيضاً للمدينة حيث تمتاز الأولى (القرية) بمواصفات طبيعية وبشرية تجعلها أقرب «للملاذ النفسي

<sup>1</sup>-ياسمينه خضرا، الرواية، ص128.

<sup>2</sup>-ثريا نصر، تاريخ أزياء الشعوب، عالم الكتاب، د. ط، 1998، ص13.

<sup>3</sup>-حميد خروف، الربيع جصاص، علم اجتماع الثقافة، منشورات جامعة منثوري قسنطينة، د. ط، 2003، ص73.

والروحي للأديب على العكس من المدنية التي يصبح فيها الإنسان صغيراً ومغترباً تحكمه بغيره، غالب علاقات مادية نفعية»<sup>1</sup>.

عكس اللباس تشظي الهوية في المجتمع الجزائري، واقترب بشائتي الريف والمدينة وأنا والآخر، فكان للباس أهل الريف مميزات خاصة عكست نمط حياتهم البائس، يقول "يونس": «كان حلقي يشتعل عطشاً وقدمي دامتيني من تمزق حذائي البالي، ومع ذلك واصلت السير، ولكي أخادع التعب والعطش، أركز بصري على ظهر والدي الفؤار، وعلى طريقته في حمل الأثقال، وعلى خطاه المنتظمة الفضة والتي يبدو أنّها تركل الأرواح الشريرة، لم يلتفت، ولو مرة واحدة إن كنا لانزال خلفه»<sup>2</sup> فالذي يستفاد من الجملة الثقافية "من تمزق حذائي البالي" هو مظاهر البؤس والشقاء التي كان "يونس" يعيش في ظلها والتي ظلت راسخة في ذاكرته ردحا من الزمن.

وكما يدل اللباس على حالة البؤس والشقاء التي عانى منها "يونس" يدل أيضاً على الوضعية الاجتماعية للراعي، ويعكس خصوصية المجتمع الجزائري بعمامته التي تعكس أصالته وانتماءه الريفي، يظهر ذلك في المقطع الآتي: «تمدد أبي تحت صخرة، رافعاً ركبته إلى السماء، العمامة ساقطة على وجهه، لم يذق طعم الأكل بدا كما لو أنه استاء منّا، قبل سقوط الليل بقليل، ظهر رجل على قمة الهضبة وأشار إلينا بحركات عريضة من يديه، لم يُرد الاقتراب منا بسبب تواجد أمي بيننا، عادات احتشام، واحترام... إنه راعي الغنم، يرتدي أسماًلاً بوجه ذابل ويدين خشنتين، اقترح علينا المبيت والأكل... ردّ أبي برفضٍ قاطع مُغمغماً: لا أريد أن أدين بشيء لأحد»<sup>3</sup> فالأسمال البالية والعمامة هي مؤشرات تُعبر عن بيئة جزائرية ريفية بسيطة، وترتبط بحقبة زمنية معينة، إنّها بمثابة بطاقة تعريف تكشف عن هوية صاحبها.

<sup>1</sup> - محمد إسماعيل السيد، بناء فضاء المكان في القصة العربية القصيرة، إصدارات دائرة الثقافة والإعلام، الشارقة، ط1، 2002، ص29.

<sup>2</sup> - ياسمينه خضرا، الرواية، ص25.

<sup>3</sup> - المصدر نفسه، ص26.

وفي مقابل ذلك يعد تغيير المظهر انتقالاً من وضعية إلى وضعية أخرى، وينم عن حركة سردية تدفع الأحداث نحو النمو، فانتقال "يونس" مع أهله من الريف إلى المدينة شكل حدثاً مهماً اقتضى هيئة جديدة تُلائم حضارة المدينة ورفيها، ولذلك لم تعد الملابس الرثة التي كان يرتديها في حياته اليومية مناسبة للمدينة، يقول: «قضينا الليلة تحت ضوء القمر، أمي وزهرة عند قدم الزيتون، أنا تحت عباءتي، وأبي حارس على صخرة سيف بين فخذي، في الصباح عند نھوضنا، كان أبي شخصاً آخر، لقد حلق ذقنه، وغسل وجهه في عين وارتدى ملابس نظيفة، صدر فوق قميص فقد لونه، سروال تركي بقعر به ثنايا، لم أره قد لبسه يوماً وصباط جلدي قديم نظّفه جيداً»<sup>1</sup> ولعل أهم ما يميز هيئة "عيسى" (والد يونس) الجديدة هو النظافة التي تُظهر كل بسيط جميل، فضلاً عن الملابس التركيبية التي تُعدُّ ارثاً تراثياً خلفه العهد العثماني للجزائر.

يتمكن السارد من إيصال رؤاه الثقافية من خلال الحالة المزرية التي عاشها "يونس" على طول انتقاله من مكان لآخر، وها هو يصف المكان الذي ولج إليه للمرة الأولى: «وصلت الحافلة في الوقت الذي أشرقت فيه الشمس، كومّ أبي أمتعتنا على سقف المركبة قبل أن يجلسنا على مقعد في الخلف إنَّها المرة الأولى التي أرى فيها حافلة، حينما تدحرجت في الطريق، تشبثت بمقعدي، مبهوراً، وهلعاً في آن واحد، يغفو بعض المسافرين هنا وهناك، روميون في غالبيتهم يرتدون بدلاً تعيسة، لم أملّ من تأمل المناظر التي تتابع من جهتي الزجاج»<sup>2</sup> في طيات الوصف كثيراً من الانبهار، لكن تبقى الحالة نفسها، فاللباس كنسق ثقافي، أخذنا للحقبة كان الفقر الصورة المهيمنة في المجتمع، لأنّه ومن خلال اللباس نكتشف الطبقات الاجتماعية السائدة آنذاك، وفي موضع آخر يقول: «سألني الممرض إن كان هناك شيء للأكل، ... طلب مني التراجع إلى الورا إلى غاية النافذة والحذر من ارتكاب حماقة، كان قصير القامة،

<sup>1</sup>-ياسمينه خضرا، الرواية، ص26.

<sup>2</sup>-المصدر نفسه، ص27.

نخيفا... وجهه أحمر ومشعر، يرتدي سترة بالية كبيرة عليه، وسروال صيد يشده من الحزام بجبل من الحشيش وحذاءً ضخماً، قبيح المنظر»<sup>1</sup>.

اهتم "ياسمينه خضرا" بجلّ التفاصيل الصغيرة والكبيرة لأنها تُشكل حضارة أمة بُنيت على أنقاض الفقر، «أوقف أبي العربية قرب حانوت كتيب يلتف حوله أطفال يرتدون، كما لو أنها جلابيب، أكياس من الخيش، مُرّقة متقيحة، وتمنح لسحنهم علامة لا رجعة فيه، أشبه بلعنة...»<sup>2</sup>. إن هذه الممارسات اللباسية تقودنا إلى التعرف عن الخلفيات الاجتماعية، والثقافية، والانغماس في الجهل، والتخلف، والفقر، والمرض على النحو الذي نمطه الناص في فضاء جنان جاتو، والذي شخّص واقع طبقة مهمشة في ظل البحث عن واقع أفضل.

لا شك أنّ المغلوب دائماً مولعاً بثقافة الغالب على حد تعبير "ابن خلدون" «إنّ المغلوب مولع أبداً بالاقتداء بالغالب، في شعاره، وزيه، ونخلته، وسائر أحواله، وعوائده»<sup>3</sup> ولعل المكونات الخطائية للمتن السردي تُوضح ثقافة السائد المهيمن في مواضع شتى.

تشكّلت هوية اللباس في الرواية عبر حصيلة من الانتماءات الموروثة فمثلاً كان لأصحاب النفوذ والسلطة لباساً مميزاً خاص بهم، نظراً لمكانتهم المرموقة ويرد ذلك على لسان "يونس": «بعد أسبوع جاء رجل يبحث عن أبي، كان بهيئة سلطان متدثراً أفخم الملابس، لحيته مخلقة بعناية وصدر سترته مرصّع بالميداليات إنه القايد، مُحاطاً بحرسه الخاص، دون أن ينزل من عربة الكاليش الفاخرة»<sup>4</sup>.

يمثل اللباس عنصراً مميزاً اعتمد عليه الروائي للموازنة بين بعض الشخصيات التي أترث في حياته، فعن طريق السرد السيري يظهر "ياسمينه خضرا" الفرق بين هويتين من خلال لباسهما «لم يكن في

<sup>1</sup>-ياسمينه خضرا، الرواية، ص 447.

<sup>2</sup>-المصدر نفسه، ص 15.

<sup>3</sup>-عبد الرحمن ابن خلدون، المقدمة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، د.ت، ج1، ص 258.

<sup>4</sup>-ياسمينه خضرا، الرواية، ص 19.



حقيقة الأمر صديقاً، يبدو أنّ حضوره لا يزعجه، وبما أنّي كنت بحاجة إلى حضوره، اجتهدت لاستحقاقه... كان طفلاً غريب الأطوار ووحيداً، يلبس سروال المدن، وبيري فيما كان أطفال الحي لا يزالون يلفون أجسادهم في العباءات ويغطون رؤوسهم بالشواشي<sup>1</sup> فيميز بين اللباس التقليدي والفرنسي وفي هذا التمايز انعكاس لهوية محلية في مقابل هوية الآخر. حاول السارد أن يُمرّر عبر خطابه مُظهرًا أنّ الهوية «مسألة رموز، وانتماءات بالدرجة الأولى وحتى مظاهر، حيثما كان المرء يحتاج إلى علامات التعارف، إلى هذه الجسور صوب الآخر، وهي الطريقة الأكثر تحضراً لإشباع الهوية»<sup>2</sup>.

لا ريب بأنّ التناقض الحاصل بين سكان المدينة والريف يظهر جلياً في أسلوب العيش، وطريقة اللباس، وأول ما صادفه "يونس" هو الانحدار التدريجي والالتباس الكلي بالهوية الفرنسية، انطلاقاً من أول خطوة للتغيير يقول: «دفعني جيرمان إلى غرفة صغيرة، حيث يوجد نوع من القدر الفولاذي، فتحت حنفية الماء، وفيما كان الحوض يمتلئ بدأت تنزع لي ثيابي، أولاً سنبداً بالتخلص من هذه الأسما، أليس كذلك جوناس؟... لم أعرف ماذا ينبغي لي أن أقول، تابعت بعيني يديها البيضاوين، وهما تحومان حول جسدي لتخلصاني من شاشيتي وجلايتي، وقميصي البالي، وجزمتي المطاطية، خيل إليّ أنّها تعريني ورقة ورقة كما يفعل الخريف مع الشجرة»<sup>3</sup> لقد أدركت جيرمان أنّ تحول "يونس" إلى "جوناس" يبدأ بتغيير الملابس، فالشاشية والجلابة والقميص البالي والجزمة المطاطية التي لطالما رافقت "يونس" هي إحدى علامات بيئته الريفية التقليدية، وتغييرها هو بداية حياة واعدة في بيت عمه حيث يحظى بالتعليم والحياة الكريمة، وينصهر في الثقافة الفرنسية، يقول واصفاً هذه المرحلة: «جاء عمي بدلو حديدي يفور ماؤه، وقف في الرواق محتشماً ساعدتني جرمان على التسلل داخل الحوض، ودعكتني بالصابون من الرأس إلى القدمين... ثم جففتني بمنشفة عريضة وراحت تُحضر لي الملابس الجديدة بعدما ارتديتها، أوقفتني أمام مرآة كبيرة، لقد تحولت إلى شخص آخر تماماً، كنت أرثدي سترة بخار يعلوها

<sup>1</sup>-ياسمينه خضرا، الرواية، ص66/67.

<sup>2</sup>-أمين معلوف، الهويات القاتلة، ص108.

<sup>3</sup>-ياسمينه خضرا، الرواية، ص29.

طوق عريض، ومزينة من الأمام بأربعة أزوار نحاسية خشنة وسروالاً قصيراً بجيوب على الجانبين، وقبعة بييري كالتى عند الهواري<sup>1</sup> وقد أدرك الطفل سر هذا التحول العجيب ما إن تخلى عن أسماه البالية، فوقف معجبا بنفسه أمام المرأة زاهيا بوصف ملابس أوروبية الطابع: الأزوار النحاسية، والسروال القصير وقبعة البييري.

يتميز لباس المرأة الجزائرية بخصوصية تعكس ثقافتها وأصالتها ولعل "الحايك" أهم ما ميز لباسها في الفترة الاستعمارية عموماً يحدد وبطريقة جد واضحة المجتمع الجزائري، ويميزه عن المجتمع الفرنسي أثناء فترة الاستعمار الفرنسي يقول "فرانز فانون" في هذا: «... لكن الإنسان يقف بدهاءة، حائرًا، مترددًا، أمام فتاة صغيرة، ولكن أي التباس يحتفي في فترة البلوغ، إذ بالحجاب تتعين الأشياء، وتتناسق، فإن المرأة الجزائرية في نظر الملاحظ تمامًا: هي تلك التي تستر وراء الحجاب»<sup>2</sup>، ويختلف لباس الحايك من منطقة إلى أخرى «فالمراة في الريف قلماً ترتدي الحجاب (الحايك)، إزار أبيض و(عجار) قطعة قماش حريرية بيضاء تغطي وجه المرأة، في مناطق الوسط، وشرق العاصمة، أو الغرب (الحايك)، دوها (العجار) أو (الملاءة) قطعة قماش أسود مع عجار ترتديه نساء شرق الوطن، إلا في حالة خروجها من منطقتها الجغرافية للزيارة أو لغيرها»<sup>3</sup>، إن ميزة الحايك تكمن في إضافته صفتي الوقار والغموض على المرأة بحيث تبدو مختلفة في مشيتها وفي طريقة ارتدائها له مع إبراز عينيها، وكثيرا ما استخدم وسيلة مراوغة يلجأ إليها المجاهدون للتخلص من رقابة المستعمر.

وإذا كان هذا حال لباس المرأة الجزائرية الذي ألفه "يونس"، فإن المدينة الأوروبية حملت نوعاً آخر مختلفاً تماماً عما كانت ترتديه المرأة الجزائرية في الحقبة الاستعمارية، وقد رصدت وهران بحكم انفتاحها لباساً آخر للمرأة الأوروبية يقول "يونس" واصفاً ذلك: «الشيء الغريب هو أن النساء لا يرتدين الحايك، يتحوّلن بوجوه مكشوفة، تضع العجائر قبعات غريبة فوق الرؤوس، أما الفتيات فيتبخترن في

<sup>1</sup>-ياسمينه خضرا، الرواية، ص94.

<sup>2</sup>-حميد خروف، الربيع جصاص، علم اجتماع الثقافة، ص74.

<sup>3</sup>-المرجع نفسه، ص74.

أجساد نصف عارية، الشعر المسترسل على الأكتاف معرض للريح، غير منزعجات من اختلاطهن بالرجال»<sup>1</sup> على عكس نساء الريف اللاتي كنّ يلبسن «حايكًا وتحتة قميصًا وسراويل ويتخذ الجزء الأعلى من الحايك شكل الكيس بقصد حمل الولد الصغير، وتغطي رأسها بقطعة قماش قد تخللتها خيوط ذهبية وفضية، وتلبس معها قطعة مثلثة من القماش قد زركشت ولونت بتفنن كبير وتدلّت على الظهر»<sup>2</sup> وقد أدى وصف المظهر الخارجي - بصفة عامة - واللباس بصفة خاصة دوراً مهماً ارتكز عليه الناص لإبراز الهوية، فمن خلال وصف التبعات والأجساد العارية في تقابل الحايك، يُقدم الوصف هويتين متناقضتين ومختلفتين ثم عن الوضع الاجتماعي في الجزائر إبان فترة الاستعمار، حيث يمكن أن نميز بين طبقتين اجتماعيتين (محلية، فرنسية) من خلال لباسهما.

يكشف وصف اللباس في الرواية طبيعة العقلية الشعبية والمعتدية للشخصيات، وتتم عن مجتمع جزائريته محافظ يتسم لباسه بالأصالة والحياء في مقابل مجتمع إفرنجي يتسم بالعري والاختلاط.

لا ريب في أنّ عنصر اللباس في السرد الجزائري شكّل نموذجاً جديداً، زاوج بين ثقافتين، ثقافة الآخر (الغرب)، وثقافة المجتمع الجزائري الذي تُميزه الثقافة العربية الإسلامية، والعادات والتقاليد الجزائرية، فمن خلال لباس الحايك الذي تبنته المرأة الجزائرية لباساً تقليدياً يُغطي كامل الجسد، ويضفي هالة من القداسة والغموض عليها بما يُعبر عن ثقافة محلية ورمزاً خاصاً بهذه المرأة المحتشمة، والمحافظة على عاداتها، وتقاليدها، إلى الجبة (الجلابة) إلى السروال، والتنورة بأنواعها التي تُمثل حضارة الآخر، ومن ثم اهتم النص الروائي بأحوال المجتمع والثقافة السائدة فيه.

### خامساً/ نسق العلاقات الإنسانية:

«إنّ الصورة التي يرسمها الأديب لمجتمع أجنبي تنبع أولاً وقبل كل شيء من مشكلات الأديب نفسه، ومن أوضاع مجتمعه القومي، وهي تلي بالدرجة الأولى حاجات نفسية أو فينة للأديب ومجتمعه،

<sup>1</sup>-ياسمينه خضرا، الرواية، ص29.

<sup>2</sup>-سبنسر وليم، الجزائر في عهد رياس البحر، تق: عبد القادر زبادية، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، د. ط، 1980 ص89.

ولا تلبي حاجات ثقافية أو اجتماعية للشعب الأجنبي المصوّر<sup>1</sup>، هذا يعني أنّ الكاتب يعي طبيعة المادة المقدمة، لأنه بطرحه لموضوع معين يهدف إلى كشف نظرة الآخر للأنا، ونظرة الأنا للآخر.

أقام "جوناس" علاقة صداقة مع بعض زملائه الذين التقى بهم في المدرسة وبخاصة منهم -لوسات- ومن خلال حديثه نكتشف عمق الصداقة التي كانت تجمعهم، «كنا أنا ولوسات نحب التجوال في اسكاليرا، والاستمتاع بأكل البايلا أو الكالدبرو في مطعم شعبي إسباني وكذا شراء بعض الأشياء من عند الحرفيين السفرديين في الدرب»<sup>2</sup>، ثم يواصل كلامه «كانت لوسات تنتظري كل صباح عند باب منزلنا، منشرحة ضفائرها مزدهرة بالحواشي، تأخذني من اليد وتجبرني على الركض»<sup>3</sup>.

مع مرور الزمن تتغير الصداقات بتغير الظروف والأحوال، وجد "جوناس" «صديقة طفولته، وهي تقود مركبة رضيع أمامها، كانت سيّدة شابة ممتلئة في قدّم ممشوق، ترتدي بذلة نسائية وعلى رأسها قبعة من الكتان الأبيض أكيد أنها ليست لوسات، كانت ستتعرف على ابتسامتي، وستدرك في زرقة عيني شاطئاً يذكرها بلحظة ما من طفولتها»<sup>4</sup>، أراد الروائي أن تكون روايته سجلاً تاريخياً حافلاً بأنساق مضمرة، تُميط اللثام عن معاملات يحكمها تمزق لا إنساني ينم على وحشية الآخر في مواجهة الأنا.

برزت "إيزابيل" بهويتها المنغلقة على ذاتها، كفرد متعصب عنصري لأبعد الحدود، لم تتمكن من تحقيق التواصل بين ثقافتين متنوعتين لانتمائها المحدود، ويتجلى ذلك في علاقتها مع الأنا (جوناس)، حين عاملته معاملة حسنة، وعندما علمت بانتمائه اتخذت ضده موقفاً معادياً. تُؤكد "إيزابيل" علاقتها بالآخر من خلال الاتصال به ودعوته لحضور عيد ميلادها، «من الصعب معرفة إن تعلق الأمر بدعوة أم باستدعاء... وسط فناء يعجّ بالأقرباء، والقربيات... جاءت إيزابيل وأمسكتني من ذراعي وقدّمتني لذويها: هذا أفضل زميلي»<sup>5</sup>، يعمد الروائي على استدراج شخصياته حتى يُبرز الاختلافات الخاصة بين

<sup>1</sup>-عبود عبده، الأدب المقارن، جامعة البعث، ط1، 1995، ص375.

<sup>2</sup>-ياسمينه خضرا، الرواية، ص143.

<sup>3</sup>- المصدر نفسه، ص145.

<sup>4</sup>-المصدر نفسه، ص417.

<sup>5</sup>- المصدر نفسه، ص164.

الأنا والآخر «فالفارق سواء كان فارق بين الجنسين أو فارق في السلوك أو الشخصية، أو فارقا عرقياً أو ثقافياً يمكن أن يصبح وسطاً تنشأ فيه روح عدائية، ولكنه يمكن أيضاً أن يكون بيئة لخلق تفاهم وتعاطف متبادلين»<sup>1</sup>.

لا شك أن ثورة الغضب التي شعرت بها إيزابيل حينما علمت بهوية **جوناس** كافية لفضح نواياها تقول: «كذاب... لا أريد أن أراك ثانية... لماذا كذبت عليّ؟ آه، نعم لم تكذب؟ اسمك يونس أليس كذلك؟ يونس؟ ... لماذا إذا تسمي نفسك جوناس؟ .... يتغير كل شيء لسنا من عالم واحد سيّد يونس، وزرقة عينيك غير كافية»<sup>2</sup>، ثمّة الكثير مما يُقال حول هذه الإشكالية التي أضحت أزمة كل مغترب يُعاني أزمة هوية وانتماء، «إني من عائلة روسيليو هل نسيت؟ هل تتصورني متزوجة مع عربي؟ الموت أفضل...»<sup>3</sup>، ترك موقف "إيزابيل" نزيهاً داخلها في نفسية جوناس، «ففي عمر تكون فيه اليقظة أوجع من أول نرف عند المراهقة... صدمت واضطربت مثلما يخرج المرء من نوم اصطناعي، من الآن فصاعداً، سوف لن أدرك الأشياء بالطريقة نفسها...»<sup>4</sup>. يقول "جوناس": «خرجتني إيزابيل من قفص ذهبي لترميني داخل بئر»<sup>5</sup>. بقيت "إيزابيل" متفوقة في ثقافتها المحلية، التي شكلت من خلالها رؤية تعسفية للأنا الجزائرية، فقطعت أواصر اللقاء بين حضارتين لم يدم اللقاء بينهما.

أجاد "ياسمينه خضرا" رسم التفاعلات القائمة في الرواية، فأوضح حقيقة العلاقات التي تربط شخوص الرواية ببعضها البعض، فأقحم الروائي "جوناس" في دوامة الآخر، وبين القبول والرفض استطاع أن ينشد الحدائث بأبعادها المختلفة، بولوجه عالم جديد حدد انتماءه وهويته المتشظية، ومع كل الانكسارات والحيات، بقي متصالحاً مع نفسه، وفيّاً لأحبائه، مُخلصاً لأحياء وللأموات الذين صادفهم، ونخص بالذكر أصدقائه، فجاء النص كفسيفساء، عاجل من خلالها قضية الإنسان الجزائري وهو يخوض

<sup>1</sup>-محمد شوقي الزين، الذات والآخر (تأملات معاصرة في العقل والسياسة والواقع)، دار أمان، الرباط، ط1، 2012، ص65.

<sup>2</sup>-ياسمينه خضرا، الرواية، ص167.

<sup>3</sup>-المصدر نفسه، ص167.

<sup>4</sup>-المصدر نفسه، ص168.

<sup>5</sup>-المصدر نفسه، ص168.

حالة الانفصال النفسي والوجداني، أمام الآخر الذي زعزع كيانه ما دفع بجوناس إلى التساؤل: «هل كنت أبحث عن تعويض لتخلي أصدقائي عني؟»<sup>1</sup>.

رغم اندماج "جوناس" في الثقافة الأوربية إلا أنه وبعد فترة وجيزة تنكر بعض أصدقائه له، ليبرهن الكاتب على أن العلاقات الإنسانية تتسم بالاضطراب في أغلب الأحيان يقول: «كُنْتُ بحاجة إلى شخص أروح له بهمي أو بمعرفة قديمة يمكنني أن أعرف عندها نوعاً من التواطئ، وإعادة إقامة علاقة ثقة لأن ثقة أصدقائي في ريو تفككت»<sup>2</sup>، أراد "جوناس" بعد كل تلك المشاحنات والضغائن أن يُصلح ما أفسده الزمن من علاقات «منذ أزيد من خمسة وأربعين سنة، جئت لألتحق بشبح قدرتي، لأرّقع بعضاً من أسمالي، حاولت جبر انكساراته، علاج جروحته، لأتصالح مع حظي الذي لامني على عدم الإمساك به في الوقت المناسب... لأطلب عفواً صعباً باسم ما يجعله الله فوق جميع الانتصارات وجميع الانكسارات: الحب، العشق، جئت من هنا متردداً منذهلاً، ولكني صادق أطلب إنقاذ روحي أولاً، وبعد ذلك روح الآخرين الذين لم أتوقف عن حبهم برغم الضغائن التي فرقنا والغيوم السوداء التي حجبت أضيافنا...»<sup>3</sup>، ضمن هذه المشاحنات التي فرضتها الظروف يسعى "جوناس" لإصلاح ما تبقى من تلك العلاقات الإنسانية ويظهر جلياً في قوله: «لقد كسرت الحرب جميع معالمنا بحيث أتساؤل إن لم يكن ما عشناه ناجم عن هلوسة جماعية... لنترك الوقت يقوم بعملية الحداد، لاتزال الجروح عميقة ويصعب أن نطلب من الناجين التعقل ولو قليلاً...»<sup>4</sup>، ومن ثمة كانت الرحلة إلى الآخر/الفرنسي، رحلة الوعي الجريح الذي يجعل «المغامرة الغربية تبدو وكأنها رحلة الخلاص أو الهروب بحثاً عن اكتشاف صورة الذات في الآخر الخارجي، بعد أن غطّاها وحجبها الآخر الداخلي المهيمن مرة باسم الأخلاق الأصيلة، ومرة باسم الدين»<sup>5</sup>. استطاع الروائي أن يصور علاقة الجزائري المغترب عن

<sup>1</sup>-ياسمينه خضرا، الرواية، ص413.

<sup>2</sup>-المصدر نفسه، ص416.

<sup>3</sup>-المصدر نفسه، ص495.

<sup>4</sup>-المصدر نفسه، ص496.

<sup>5</sup>-فيصل دراج وآخرون، أفق التحولات في الرواية العربية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ص1، 1999، ص76.

وطنه في علاقته بالآخر الفرنسي، ليرز مواطن القبول والرفض، وتظهر الهوية كأحد أبرز العوامل الفاعلة لاكتشاف الذات.

### سادساً/الهوية والتنشئة الاجتماعية:

تعدّ عملية التنشئة الاجتماعية، من الموضوعات الرئيسية التي حظيت باهتمام العديد من العلماء، نظراً لما تكتسبه من أهمية بالغة في بلورة هوية الفرد، وبناء شخصية سوية، وكانت الأسرة أهم وأقوى مؤسسات التنشئة الاجتماعية ذلك لأنها «أول وسط يُحيط بالطفل، ويقوم بتربيته، والتأثير في توجيهه، وهي تُشكّل جوهر الحياة الاجتماعية وعمودها الفقري»<sup>1</sup>.

والتنشئة الاجتماعية هي «عملية تشكيل السلوك الإنساني للفرد، وأنها عملية تحويل الكائن البيولوجي إلى اجتماعي، وأنها العملية التي تتعلق بتعليم أفراد المجتمع من الجيل الجديد كيف يسلكون في المواقف الاجتماعية المختلفة على أساس ما يتوقعه منهم المجتمع الذي ينشئون فيه، كما أنها عملية اكتساب الفرد ثقافة المجتمع»<sup>2</sup>.

ولعل دوركايم (Durkheim) «أول من استخدم مفهوم التنشئة الاجتماعية بمعناه التربوي»<sup>3</sup>، وأول من عمل على صوغ الملامح العلمية لنظرية التنشئة الاجتماعية ويُشير إلى ذلك بقوله: «أنّ الإنسان الذي تريد التربية أن تحقّقه فينا ليس هو الإنسان على غرار ما أودعته الطبيعة، بل الإنسان على غرار ما يريد المجتمع»<sup>4</sup>، «فالتربية هي التأثير الذي تُمارسه الأجيال الراشدة في الأجيال التي لم ترشد بعد، وتكمن وظيفتها في إزاحة الجانب البيولوجي من نفسية الطفل لصالح نماذج من السلوك الاجتماعي المنظم»<sup>5</sup>، إذن «فالتنشئة الاجتماعية هي العملية التي يتم فيها ومن خلالها دمج ثقافة

<sup>1</sup>-عبد القادر القصير، الأسرة المتغيرة في مجتمع المدينة المعاصرة العربية، دار النهضة العربية، بيروت، 1999، ص72.

<sup>2</sup>-عبد الخالق محمد عفيفي، بناء الأسرة والمشكلات الأسرية المعاصرة، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، د. ط، 2011، ص98.

<sup>3</sup>-علي وطفة، علم الاجتماع التربوي، مطبعة الاتحاد، دمشق، 1993، ص37.

<sup>4</sup>-قي أفنيزيني، الجمود والتحديد في التربية المدرسية، تر: عبدا لله الدائم، دار العلم للملايين، بيروت، د. ط، 1981، ص330.

<sup>5</sup>-ريناتا قورونا، مقدمة في علم الاجتماع التربوي، تر: نزار عيون السود، دار دمشق للنشر، د. ط، 1984، ص105.

المجتمع في الفرد ودمج الفرد في ثقافة المجتمع، وهي وفقاً لهذا المعنى العملية التي تربط بين الفرد وبين ثقافة المجتمع، وهي من جهة إزاحة الجانب البيولوجي في الإنسان لصالح الجانب الاجتماعي، أو الانتقال بالإنسان من حالته البيولوجية إلى حالته الاجتماعية<sup>1</sup>، أي أنّ الإنسان ابن بيئته، فهو ينتمي إلى جماعة اجتماعية، يؤثر فيها ويتأثر بها، وهذا التلاقح ينجم عنه تبادل معرفي وخبراتي ينمي قدرات المتعلم (الفرد)، ويُحقق كيانه وذاته داخل أي جماعة بشرية خارجة عن محيطه.

«تتم التنشئة الاجتماعية وفقاً لقنوات عديدة ومختلفة منها التفاعل الذي يُمثل العنصر أو الموجه الرئيسي لسلوك الفرد، فهذه العملية هي بيولوجية دماغية في المقام الأول، ومن ثم فإنها عملية نفسية اجتماعية يُمكنها أن تكون إيجابية فتدفع بالفرد نحو التمثل (identification) أو تكون سلبية فتدفع بالفرد نحو النفور، ويُقسم محمد أحمد النابلسي أشكال التفاعل إلى: الصراع، المنافسة، الاندماج، المشاركة»<sup>2</sup>، ووفقاً لهذه الأشكال المختلفة للتفاعل يكتسب الفرد أنماطاً متنوعة للسلوك، وذلك حسب الطريقة التي يتم التفاعل بها.

نُحِضت التنشئة الاجتماعية بدور فاعل في رواية "فضل الليل على النهار" لياسمينه خضرا، فجاء التفاعل بين شخصيات المتن الروائي نتيجة صراعات الماضي التي فرضتها الأوضاع الراهنة، فالحروب، والمآسي أسهمت لا إرادياً في تنشئة فرد مأزوم نفسياً، منبوذ اجتماعياً، مضطرب أخلاقياً، ما ولّد صراعات لا إرادية تحدث في الذات الإنسانية. والمتأمل للشخصيات يجد أنها تتخبط في عوالم خفية مما يجعلها أداة طيعة في يد المستعمر، يستعملها كيفما شاء، ومثلما يشاء. فتأثر "الفتى يونس" بالتغيرات الاقتصادية، والاجتماعية، والسياسية، والثقافية، والأيدولوجية التي مرّ بها عبر محطات حياته في البيئة الجزائرية، وخصوصاً الريفية كان لها نصيب وافر في تكوين شخص محافظ على هويته على الرغم من تغير بيئته.

<sup>1</sup> - على وطفة، المظاهر الإغترابية في الشخصية العربية، مجلة عالم الفكر، الكويت، 1998، ج7، ص250.

<sup>2</sup> - محمد أحمد النابلسي، الاتصال الإنساني وعلم النفس، دار النهضة العربية، بيروت، 1991، ص65.



لم تُعدّ البيئة الريفية البسيطة التي كان يونس يجيا في كنفها تستجيب لطموحات عائلته في التكفل بتعليم ابنهم يقول عم "يونس" لوالده: «الأمر سيان يا عيسى، ابنك هو ابن أخي، إنّه من دمي، اتركه عندي، تعرف جيداً أنّه لن يُحقّق شيئاً ذا بال في جرتك، ما هي المهنة التي تريد تلقينها إياه؟ حمّال، ماسح أحذية، بَعّال؟ يجب أن ترى الواقع كما هو، برفقتك لن يذهب الطفل بعيداً... إنّ هذا الطفل بحاجة إلى الذهاب إلى المدرسة، إلى تعلم الكتابة والقراءة، إلى أن يعيش طفولة طبيعية، أعرف أن أولاد العرب لا يُوجهون إلى الدراسة، بل مصيرهم مرتبط بالحقول ورعي الغنم، أمّا أنا فأستطيع أن أرسله إلى المدرسة وأجعل منه رجلاً متعلماً... أرجوك عيسى، لا تُسئ فهم طلبتي، فكّر بعقلك ولو دقيقة واحدة إنّ هذا الطفل لا مستقبل له معك»<sup>1</sup>.

أثر انتقال "يونس" من بيئة إلى أخرى إيجاباً على مستقبله من حيث الدراسة، وارتداد أفضل المدارس في وقت كانت الجزائر مضطهدة تُعاني من جميع أنواع الظلم والتهميش، لذلك نجد أغلب الأفراد غير متعلمين، وهذه الفرصة تُعدّ من أحسن الفرص التي نالها الصبي؛ لأنّها بداية عالم جديد، لكن والده تردد في ذلك كونه يعرف مصير ابنه المحتوم، فالركب الحضاري سيكون على "يونس" اللحاق به سيضع مفهوم الهوية أمام رهانات وتحديات جديدة: إمّا التأكيد المفرط للهوية (الحفاظ على أصالته)، وإمّا فقدان كل الهوية (التفكك) والتمزق في العالم الجديد، أدرك الوالد الوضع الجديد لابنه، فجاءت نبرة الحزن طاغية على خطابه: «هل تعتقد أنّي لا أساوي شيئاً؟ هل تعتقد أنّي أنجبت طفلاً كي أرميه لكلاب مسعورة تنهش لحمه دون أن أفعل شيئاً؟ مخطئ أنت على طول الخط إن تصورت أن هذا صحيح، وعمّك المزيف مخطئ هو أيضاً... أتعرف لماذا؟... ربّما قهرتني الحياة بعض الوقت، ولكنني لا أزال على قيد الحياة، ومادمتُ حيّاً، سأفعل المستحيل للخروج من هذه الحفرة العفنة، عندي صحة ثور، وذراعايّ يرفعان جبلاً وكرامتي ليست للبيع مهما كان الثمن»<sup>2</sup> ولعل عزيمته الأب على إنقاذ مستقبل ابنه من براثن الفقر والجهل، ورغبته في انتشاله من الظروف القاهرة التي كانت الأسر الجزائرية

<sup>1</sup>-ياسمينه خضرا، الرواية، ص50.

<sup>2</sup>-المصدر نفسه، ص52.

تُعاني منها جرّاء الاستعمار خلفت أثراً نفسياً وخيماً على ابنه، يقول يونس واصفاً ذلك: «سترى بعينيك شجاعة أبيك وعزيمته التي لا تقهر، سنخرج من هذه الحفرة اللعينة، التي تكاد تبتلعنا، سننتقم لأنفسنا، أقسم لك، هل تصدقني أنت أم لا؟ نعم يا أبي، حدّق جيداً في عينيّ وقل لي بأنك تصدقني، لم يكن لأبي عينان، وإنما جيبان من الدموع والدماء يهددان بإغراقنا نحن الاثنين، أنظر إليّ، أمسكت يده ذقني بعنف، أرغمتني على رفع رأسي، أنت لا تصدقني أليس كذلك؟ كان حلقي مسدوداً ومختنقاً، لم أقدر على الكلام ولا على مقاومة نظرتة، يده هي التي أبقتني واقفاً»<sup>1</sup> وقد ترجم كلام الأب إحساسه الفظيع بفقدان فلدة كبده، مع كل ما يمثل الابن بالنسبة إلى الرجل الجزائريّ من معنى إنساني أولاً (عاطفة الأبوة) وسوسيو ثقافي (حفظ النسل والاستمرارية).

كانت إرهابات الوعي تتشكل لدى الطفل الصغير، فوعى منذ نعومة أظافره بوضع عائلته المزري، فحلف ذاكرة مليئة بالحييات، ومرارة الأسي، وبين قرية شبيهة بمزيلة الحيوانات، لم يكن لعيسى أيّ خيار آخر لضمان مستقبل جيد لابنه، «أنت على حق يا ماحي، ليس لابني أي مستقبل معي، ... قرفص أبي أمامي، أوجعتني أصابعه حينما أخذني من كتفي، حدّق في عينيّ بقوة وقال: هذا من أجل مصلحتك يا ابني أنا لا أهملك ولا أتنكر لك، أحاول فقط أن أمنح لك حظوظاً أكبر في حياتك، قبلني على رأسي حاول أن يبتسم لي، فلم يتمكن، وقف وغادر العيادة بفضاظة يكاد يجري، ربما لإخفاء دموعه عنّا»<sup>2</sup>.

بالفعل فإن للأوضاع المحيطة أثراً كبيراً في تنشئة الفرد الاجتماعية، «لذا تكتسي الأسرة أهمية بالغة، ويقع العبء الأكبر في التنشئة الاجتماعية حيث يقضي الطفل فيها سنواته الأولى، وفيها يتعلم اللغة، والدين، والعادات، والتقاليد، وتتم ربطه بالبيئة المحلية وغرس القيم الأخلاقية وكيفية التعامل مع الغير،

<sup>1</sup> - ياسمينه خضرا، الرواية، ص 53.

<sup>2</sup> - المصدر نفسه، ص 89/88.

ورعايته صحياً وبدنياً»<sup>1</sup>، كان "يونس" صورة للطفل الجزائري الممزق الهوية على الرغم أنه ترعرع بين أحضان عائلته، إلا المحيط الجديد أكسبه انتماءات متعددة، أدى به في نهاية المطاف إلى عدم التوفيق بين التمسك بالهوية، والانفتاح الصادق المجرد من العقد على الثقافات المختلفة، قال العم مخاطباً زوجته "جيرمان" «عزيزتي جرمان، أقدم لك يونس بالأمس ابن أخي اليوم ابننا»<sup>2</sup>.

إنّ الأسرة هي البوتقة الأولى التي تتشكل فيها شخصية الفرد، ولاسيما في السنوات الأولى من الولادة، وأجمعت معظم التجارب على أنّ الأسرة هي أقوى سلاح يعتمد عليه المجتمع في عملية التنشئة الاجتماعية، وفي بناء شخصية الإنسان القادر على إصدار الفعل وتنوير المجتمع، وبما أنّ "يونس" نشأ في بيئتين متناقضين عمد النّاص إلى كشف دور البيئة في تغيير هوية الطفل ابتداء من اسمه، فملايسه ويتحلى ذلك في قول "جرمان" التي بدت في غاية السرور «جوناس...جوناس لو تعرف كم أنا سعيدة»<sup>3</sup>.

إنّ أول ما اكتسبه الطفل هو اسم جديد يتماشى مع المحيط الجديد "جوناس" مع تغيير جذري في المظهر والمهام بثقافة مغايرة كالثقافة الفرنسيّة، ويظهر ذلك جلياً في حديث والدته معه: «...يا إلهي، كم أنت جميل في هذه الملابس، كما لو أنك ابن رومي، جرمان تُسميني جوناس، من هي؟ زوجة عمّي، أمر طبيعي، لا ينطق الفرنسيون أسماءنا جيداً،...أعرف القراءة والكتابة... هذا شيء عظيم، لم يكن أبوك ليتركك عند عمك لو لم يتأكد بأنّه سيمنح لك مالاً لا يستطيع هو أن يمنحه لك»<sup>4</sup>، الواضح أنّ شعور الأم بالرضى اتجاه حياة ابنها جاء مشحوناً بعاطفة الإعجاب من ناحية، ومن ناحية أخرى عاطفة الحزن، نتيجة فقدان فلذة كبدها.

<sup>1</sup>-إسماعيل الطمان الحسانين، دور الأسرة في التنشئة الاجتماعية للطفل، مركز دراسات الطفولة، جامعة عين الشمس، القاهرة، 1989، ص10.

<sup>2</sup>-ياسمينه خضرا، الرواية، ص92.

<sup>3</sup>-المصدر نفسه، ص94.

<sup>4</sup>-المصدر نفسه، ص94.

أدرك "يونس" ما أحدثه تغيير البيئة من شرحٍ نفسيٍّ واجتماعيٍّ، يقول «لم أمكث طويلاً عند أمي، أو مكثت دهرًا، لم أعد أتذكر الوقت لا يحتسب، يوجد شيء آخر، لم أدرك مدى الخراب الذي أحدثه ذهابي في أفراد عائلتي، مدى التشوّه الذي أصبحت أمثله في نظرهم... لم تذرف أمي دمعة واحدة ستبكي فيما بعد... كانت ابتسامتها غفرانًا، لقد قلنا لبعضنا البعض كل ما نريد قوله...»<sup>1</sup>. أحسنّ "جوناس" على أنه مرغم على الاختيار بين التنكر للذات ونفي الآخر، فوكر "ياسمينه خضرا" على حالة البطل الروحية، فاضطر إلى الاختيار بين قريته، والمدينة المضيفة له، ومن ثم وجد نفسه منقسماً مزقاً، ومحكوماً عليه بالتنصل لأحدهما.

تتسم معظم شخصيات الرواية بالفقر والبؤس اللذان باتا سمة واضحة تُميز أهل "جنان جاتو" فالتنشئة الاجتماعية جعلت من هؤلاء أناسا بؤساء، فاشتركت شخصيات (حدة، بدرة، يزة، باتول العرافة، ساق الحطب، بليس، الحلاق، هوارى، المورو، دحو...) في صفات كثيرة سواء من حيث المظهر الخارجي، أو من حيث طريقة التفكير، ونمط المعيش، ورؤيتهم للواقع.

وعلى الرغم من بساطة هذه الفئة وهشاشتها اجتماعياً، إلا أن التاريخ كان أهم ما يجمعها، فالذاكرة الجماعية سلطة على الأفراد، وهي عامل مهم لتحديد ملامح الهوية المشتركة، وكشف الخيانة وزيف الحقائق؛ فمعرفة المورو بتاريخ القرية جعلته يكشف زيف رواية رجل الحطب عن الماضي، يقول السارد: «ذات صباح كان مجموعة من الأطفال ملتفين حول ساق الحطب (الحانوتي) يحكي لنا الخيال السابق عن بطولاته الحربية في الريف المغربي، لقد خضنا حرباً ضد المتمرّد البربري عبد الكريم... أتريد أن تبعث هؤلاء الأطفال إلى جبهة القتال يا رأس الحطب؟ لهذا تملأ رؤوسهم بحكايات المهزومين؟ لماذا لا تروي لهم كيف رماك ضباطك إلى الكلاب بقدم ناقصة بعد سنوات من الخدمة الوافية؟، فجأة فقد "ساق الحطب" القدرة على استعمال الكلام كان فمه يتحرك في الهواء مثل فم سمك خارج الماء»<sup>2</sup>

<sup>1</sup>-ياسمينه خضرا، الرواية، ص114.

<sup>2</sup>-المصدر نفسه، ص61.

ضمن هذه المشاهد تتحدد هوية هؤلاء، وساق الحطب ما هو إلا صورة لشخصية اللامتني، وقد واصل المورو حديثه معه بغيظ كبير: «تحرقت محصول القرى البعيدة، تقتل أغنامهم، تتهجم على المساكين بضربات البنادق، وبعد ذلك تأتي هنا لتعرض انتصاراتك القدرة في الساحة العمومية، وتُسمى هذه حرباً... لست إلا ندلاً، وتُثير في نفسي قرفاً عفنًا... إنَّ الأبطال أمثالك لا يستحقون نصباً تذكارية، ولا حتى كلمة صغيرة على الحفرة الجماعية التي سيحشرون بداخلها، ما أنت إلا بئاع قدر،... كان الخيال المسكين يصفر، ويرتعد، كانت جوزة عنقه تصعد وتهبط بسرعة عجيبة فجأة بدأت رائحة كريهة تنبعث منه، لقد أفرغ ما يبطنه في سرواله»<sup>1</sup> فالهوية الجماعية التي يفترض أن تربط بين أفراد المجتمع الواحد لا تكون إلا محصلة للتاريخ، فمن يمتلك التاريخ، والذاكرة الجمعية هو من يمتلك الهوية والانتماء.

تؤدي العلاقات الاجتماعية دوراً مهماً في تشكيل الهوية، وتعمل على تحديد ملامح شخصية الفرد، فعلاقة الصداقة مثلاً التي ربطت بين "جوناس" وأصدقائه الجدد (جان كريستوف، أندري جوزي، سيمون بن يامين، فابريس اسكاماروني) كانت عاملاً مهماً على انصهاره في بيئة جديدة، ومن ثمة اكتسابه هوية أخرى تكاد تكون أوروبية، ولم يكن "جوناس" وحده الواقع تحت تأثير البيئة، فحتى صديقه "أندري"، الذي بدا معجباً به، تأثر بالبيئة الأمريكية، فتغيرت طريقة تفكيره، انطلاقاً من تعلقه بالحلم الأمريكي، وحاول كسر الطابوهات والثورة على العادات والتقاليد، يقول "جوناس": «تغير أندري كلية، تركته أمريكا يعي واقعاً يتملص منا والذي يسميه بحماس صوفي غامض الحلم الأمريكي، حينما نسأله ماذا يُقصد بالضبط الحلم الأمريكي، ينفخ خديه، يتمايل في مكانه ويجيب باعوجاج فمه جانباً: أن يعيش الفرد حياته مثلما يراها، حتى وإن تطلّب منه اختراق الطابوهات وضرب العادات عرض الحائط، كان لأندري فكرة واضحة عما يوصله لنا، غير أن بيداغوجيته يُرثي لها، ما كان واضحاً في نهاية المطاف هي إرادته في تطوير عاداتنا الصغيرة..»<sup>2</sup>. إنَّ نظرة التمرد واضحة من خلال نبرة "أندري"، «فالازدواجية الفكرية واللغوية تؤدي إلى ازدواجية سلوكية، وهي المحصلة الحقيقية لكل

<sup>1</sup> -ياسمينه خضرا، الرواية، ص62.

<sup>2</sup> -المصدر نفسه، ص264.

أنواع المتناقضات، والمتناقضات التي يعيشها الإنسان العربي والتي تُشكل في نهاية الأمر أزمة هويته ووجوده»<sup>1</sup>. إنَّ النظم التربوية سواء كانت جزائرية أم عربية، «تسعى إلى الضبط الاجتماعي بدلاً من تكريس الحرية المترتبة على المعرفة وإلى توليد المسائرة والانصياع لمعايير الجماعة المحافظة على الوضع القائم بدلاً من زرع روح التمرد المبدع والبناء»<sup>2</sup>، وفي هذا السياق تستوقفنا حالة أندري فهو «مقتنع بأنَّ الريح تجري الآن في الوجهة التي يمنحها الأمريكيون للكائنات، والأشياء بالنسبة إليه تركز الصحة الجيدة لبلد ما في عطشه للغزوات والثورات»<sup>3</sup>.

إنَّ الشخص باعتباره ينتمي إلى جماعة معينة، يشعر ويفكر، ويعمل لا باعتباره أنا، في مقابل أنا أخرى، بل كعضو في جماعة، فنجد أن عمله، وفكره بل وإدراكه يتشكل طبقاً لعضويته في الجماعة، وبما أن جوناس ينتمي إلى مجموعة اجتماعية حاول "ياسمينه خضرا" أن يعطي لكيانه هوية واحدة، ما أفضى به في نهاية الأمر إلى تضارب الهويات أو ما يُسمى «بالهوية القتالة»<sup>4</sup> على حسب تعبير "أمين معلوف".

من هنا لا بدّ من توفير نشئة اجتماعية سليمة تُراعي الأبعاد المحلية متطلعة على القيم الإنسانيّة، ومتفتحة على ما يحدث من تحولات في المجتمعات الأخرى حتى لا يحدث انقشاع في الهوية الفردية، وهذا ما أثبتته التاريخ أن الفرد الذي لم تتم تنشئته نشئة سليمة قد تصل سلوكاته إلى حد اللامبالاة، فعلى الأسرة تجنيد كافة الوسائل لإنشاء فرد فعال في المجتمع ينمي قدراته الذاتية بعيدا عن أي تأثيرات خارجية.

<sup>1</sup>- عبد المعطي سويد، التناقض الوجداني في الشخصية العربية، دار الحوار اللاذقية، د. ط، 1992، ص42.

<sup>2</sup>- خلدون حسن النقيب، المشكل التربوي والثورة الصامتة، دراسة سوسولوجيا الثقافة في المستقبل العربي، عدد 1993، ص67.

<sup>3</sup>- ياسمينه خضرا، الرواية، ص264.

<sup>4</sup>- أمين معلوف، الهويات القتالة-قراءة في الانتماء والعولمة-، تر: نبيل محسن، ورد للطباعة والنشر، ط1، 1999.

سابعاً- القرابة مكوناً للهوية:

تُعَدُّ القرابة مكوناً أساسياً من مكونات الهوية في المجتمعات العربية، فالفرد تتحدد هويته منذ لحظة ولادته انطلاقاً من كنية أبيه، وعلى الرغم من أن القرابة حدث بيولوجي بالدرجة الأولى إلا أنها ظاهرة اجتماعية، وثقافية، ودينية تؤسس لمفهوم النظم الاجتماعية باعتبارها أحد أهم الركائز الاجتماعية المحددة لشخصية الإنسان.

ويكتسي نسق القرابة أهمية كبرى في الحياة الاجتماعية من حيث هو «علاقات تفاعلية تقوم على التفاعل المباشر بين الأفراد (علاقات وجه لوجه) ويفتخر الأقارب بانتماءاتهم... ويلتزمون اتجاه بعضهم بواجبات اقتصادية، واجتماعية وتمتد هذه العلاقات لتشمل أبعاداً تتجاوز الجانب الاجتماعي إلى العلاقات الاقتصادية والسياسية، فنسق القرابة ينطوي على الحياة بكل أبعادها مما يعقد وظيفة القرابة»<sup>1</sup> ويجعلها عنصراً فاعلاً في تحديد هوية الأفراد والجماعات.

تتميز علاقات القرابة في المجتمع الجزائري بالتماسك، وهذا ما انعكس على المتن السردي، حيث يركز النص بحكم السرد السير ذاتي على علاقة "يونس" بأبيه، وهي علاقة يحكمها الحب والتعاطف والامتنان، يظهر ذلك في مقاطع كثيرة يعمد فيها إلى وصف والده، يقول مثلاً: «كان أبي سعيداً، لم أتصوره قادراً على ذلك، أحياناً تربكني سحنته المحررة من قلقه، كان مقرصاً على كومة من الحجر، ذراعاه حول ركبتيه، ينظر إلى الريح التي تُعانق ضمور الأكواخ، ينحني فوقها، ويحضنها بفضاظة... كان أبي يتسم، لا أتذكر أي رأيه يتسم، ليس من عاداته إظهار رضاه... حياته عبارة عن سلسلة لا نهائية من الانكسارات، فقد صقلته المحن، ونظرته دوماً هلعة، يحذر من تقلبات الغد الخائن المتملص مثل حذره من القرع»<sup>2</sup>، ومن خلال هذا الوصف يظهر الأب بصورة الإنسان البسيط الراضي بقدره، قوي

<sup>1</sup>- DELEGE R, ANTHROPOLOGIE DE LA PARENTE, AEMAND COLIN, PARIS, 1996.

نقلا عن: سليم درنوبي، أنثروبولوجيا القرابة والعائلة، مطبوعة بيداغوجية موجهة إلى مستوى السنة الثالثة ليسانس ل م د، جامعة محمد خيضر بسكرة، الموسم الجامعي 2015/2016. ص 06.

<sup>2</sup>- ياسمينه خضرا، الرواية، ص 11.

العزيمة رغم المحن، الحامي لعائلته، والذي يسعى دوماً للصمود في وجه الظروف القاسية، يدرك يونس تعلق والده بأرضه وشقائه من أجل العمل فيها توفيراً للقمّة العيش، يقول: «...يتناول أبي غداءه في أوقات محدّدة مُكثفياً بالقليل، مستعجلاً استئناف عمله، كنت أحب أن يقول لي كلمة لطيفة أو يعتني بي دقيقة، لم توجد عينا أبي إلّا لأرضه، لم يشعر بالراحة إلّا في هذا المكان ليس لأحد القدرة على إلهائه، ولا حتى أعزّ الناس لديه»<sup>1</sup> فللأرض قيمة كبرى لدى الوالد تكاد تضاهي قيمة الابن، إنهما مصدر الرزق ومبعث فخر واعتزاز.

إنّ الظروف القاسية للإنسان تجعل المرء يتخلى عن علاقاته تدريجياً، وبعد هذه المحنة التي تعرض لها قام برهن الأرض، ولم يعد له مأوى يأويه، فانعكست تصرفاته سلماً على أسرته «أضحى سريع الغضب ويعثر في كل مرة على ذريعة ليفرغ غيظه على أمي، لا يضرهما، يكفي بالصراخ أو التويخ، وأمّي الصبورة تطأطئ رأساً آثماً، ولا تقول شيئاً، انفلتت الأمور من بين أيدينا وامتألت ليالينا غيظاً»<sup>2</sup>. عن تغير العلاقات داخل الأسرة الجزائرية هو نتاج التحولات الاجتماعية، والاقتصادية التي تفرضها الحاجة الملحة للأفراد.

أحدث الاستعمار الفرنسيّ خللاً وعدم توازن في البنية الاجتماعية للأسرة الجزائرية من خلال سياسة التفكيك التي طالت النسيج الاقتصادي، وأدت إلى استبدال المنظومة القيمية، والعلائقية في الريف الجزائري؛ حيث عمد الاستعمار إلى القضاء على النظام القبلي، وتعويضه بشبكة إدارية ذات رقابة صارمة «كل هذا أدى إلى تغيرات سوسيو ثقافية، في تهميش للمجتمع المحلي، واضطراب في المفاهيم، فلاحة بدون فلاحين، حضريون بدون مدينة، نجم عن هذه الأوضاع خلخلة في العلاقات، وكانت القرابة من أهم العوامل التي تُسهّم بطريقة مباشرة أو غير مباشرة في عملية انتقال القرويين إلى المدينة إذ يلجأ المهاجرون إلى أقاربهم وذويهم، ومعارفهم في المدينة، وقد يستقر الفرد في نفس العائلة،

<sup>1</sup>-ياسمينه خضرا، الرواية، ص13.

<sup>2</sup>-المصدر نفسه، ص48.



أو الحي لتلك الجماعات مما يشجع رسوخ العلاقات الاجتماعية<sup>1</sup> وهو ما حصل ليونس الذي انتقل من البيئة الريفية إلى المدينة.

تظهر صلة القرابة في الرواية من خلال علاقة الأب بأخيه، والعم بابن أخيه، فالأب في الأوقات العصيبة، فدون الحاجة إلى طلب المساعدة يقدم الأخ العون لأخيه بطريقة توحى بتماسك مجتمع جزائري وتضامن أفراد الأسرة الواحدة بعضهم مع بعض، يظهر ذلك في تقديم العم يد المساعدة لأخيه على الرغم من عدم طلب هذا الأخير ذلك منه، يقول السارد: «..تردد أبي قبل أن يدخل إلى المحل، إنّه بحاجة إلى نقود...مباشرة أدخل عمي يده في درج الصندوق كما لو أنه كان يتوقع سبب زيارة أخيه، وأخرج ورقة نقدية عريضة، نظر أبي إلى الورقة بسحنة مضطربة، أدرك عمي أن أخاه سوف لن يمدّ يده، استدار خلف المصرف ووضعها في جيبه..»<sup>2</sup> مثل هذه المواقف تتكرر في العائلة الجزائرية، فمأحي أراد أن يُقدم لعيسى المساعدة، دون أن يشعر بالإهانة، وهو ما تجلّى في قوله: «يا عيسى، أعرف أنّ الوضع صعب للغاية، ولكنني متيقن بأنّ حالتك ستتحسن، مع الوقت...لو تتركني أساعدك قليلاً»<sup>3</sup>. ويضيف قائلاً: «أنا مستعد لإعطائك أكثر، لا يطرح أي مشكل عندي، أنا أخوك مستعد لمساعدتك في أي وقت، وبأي شيء تريد»<sup>4</sup>.

يرمز الوالد "عيسى" إلى الرجل الجزائري المتعصب الذي يطغى كبرياؤه على كيانه، على الرغم من القرابة التي تجمعهم مع أخيه إلاّ أنّه عجز عن طلب مد يد العون له منه لولاّ تفهم "مأحي" وإدراكه صعوبة الموقف: «لا أعرف كيف أشرح لك ما أريد قوله، وجدت دوماً عوائق كثيرة للحديث معك، أخاف أن أجرح كبرياءك في وقت لا أربغ إلاّ أن الأشياء تتغير بسرعة ومعها الذهنيات»<sup>5</sup>، شتان بين

<sup>1</sup>-حميد خروف، الربيع جصاص، علم اجتماع الثقافة، منشورات جامعة منشوري، د. ط، 2003، ص138.

<sup>2</sup>-ياسمينه خضرا، الرواية، ص48.

<sup>3</sup>-المصدر نفسه، ص49.

<sup>4</sup>-المصدر نفسه، ص49.

<sup>5</sup>-المصدر نفسه، ص49.

الفرد المثقف، والفرد غير المثقف، فثنائية الصراع الفكري بارزة من خلال سلوكيات الأخوين، وهذا إشارة لمسؤوليات النسق القرابي أي واجبات الأقارب تجاه بعضهم البعض، «والتي تتسم بوظائف شتى منها الدعم المتبادل والمحافظة على الهوية»<sup>1</sup>، التي ينشدها كل فرد داخل مجتمعه، ومن ثم يُحقق التكامل الأسري والقرابي.

تمثل العائلة، باعتبارها الوحدة الاجتماعية الأولى التي ينشأ فيها الطفل، العامل الأول والمؤثر في صنع سلوك الطفل بصيغة اجتماعية، ومن ثمة تبدو أكثر جماعات التنشئة أهمية، وأكثرها تأثيراً موازنة بالمؤسسات الأخرى، لما تتركه في شخصية الطفل من آثار إيجابية أو سلبية<sup>2</sup>، وقد نشأ يونس/جوناس، بين بيئتين مختلفتين فأثرتا فيه من جميع الجوانب، وكان لعمه الفضل الكبير في تنشئته، وتعليمه، ورعايته، يقول في ذلك: «لم يُفارقني قيد أنملة، محلقين حولي كفراشتين حول شعلة نور، وهما يطوفان بي داخل الغرف الواسعة... كانت جرمان تبتسم لي كلما رفعت بصري باتجاهها تدلّني من اليوم الأول... يكتفيان بالنظر إليّ يترققان بالدموع...»<sup>3</sup>. كان "ماحي" نقطة تحول في حياة الطفل "جوناس" أكسبه الحب، والحنان، التعليم، والعمل. وقد حرص عمه على تنشئته تنشئة أصيلة، فكان يذكره بتاريخ أجداده، ويروي له قصة جدته "لاله فاطنة" التي يسميها الفرنسيون "جان داراك" والتي أصبحت أسطورة في الشجاعة والبرسالة والدفاع عن الوطن حرصاً منه على تلقيه التاريخ صحيحاً لا تشوبه شائبة، يقول: «ينبغي عليك أن تعرف شيئاً مهماً يا ولدي، لم تسقط فجأة من أعلى شجرة لتقع في هاوية... أترى هذه السيّدة على الصورة؟ لقد أطلق عليها الجنرال "اسم جان دارش"، كانت سيّدة نبيلة غنية، وصاحبة نفوذ كبير، اسمها "لاله فاطنة" وكانت تملك أراضٍ بسعة بلد تعج السهول بقطعان ماشيتها، ويأتي الأعيان من كل حدب وصوب لطلب الإغاثة والمشورة، كان الضباط الفرنسيون أنفسهم

<sup>1</sup> -نخبة من المتخصصين، علم الاجتماع الأسري، الشركة العربية المتحدة للتسويق والتوريدات، مصر، د. ط، 2009، ص21، 22.

<sup>2</sup> -سلامة الخميس، التربية والمدرسة والمعلم (قراءة اجتماعية ثقافية)، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية، مصر، د. ط، 2000، ص167.

<sup>3</sup> -ياسمينه خضرا، الرواية، ص95.

يُكنون لها احترامًا مهيبًا، يُحكى أن الأمير عبد القادر لو التقى بها لغير مجرى التاريخ... أنظر جيدًا، يا ولدي، هذه السيّدة، هذا الوجه الأسطوري إنها جدّتك»<sup>1</sup>. كان لابدّ أن يعرف "جوناس" أنّ له قرابة عائلية تمتد إلى العمق، فجدوره الأسرية ممتدة إلى هذه الأسطورة لالة فاطنة «كانت جميلة مُتكئة على وسائدها، الراقية مستقيمة والرأس شامخ فوق قميص من القفطان المرصّع بالذهب والأحجار الكريمة، يبدو أنّها تتسيّد على البشر وأحلامهم»<sup>2</sup>. تولى العم مهمّة الإفصاح بهذا الجانب المعتم من التاريخ في جلسة حميمة مع الطفل "يونس"، «مرّ إلى صورة ثانية تجمع ثلاثة رجال برانيس الأسياد، الوجوه وقورة بلحي معتنى بها، هذا الذي هو في الوسط هو أبي، أي جدّك، الآخراّن إخوته، على اليمين، سيدي عباس هجر إلى سوريا ولم يعد أبدًا، على اليسار عبد المؤمن، عالم متّور، كان يُمكن أن يصبح حجر الزاوية للعلماء، ولكنه استجاب بسرعة إلى نداء المغريات، عاشر البرجوازية الأوروبية، أهمل أراضيه، وماشيته، وبدرّ أمواله في البيوت المستهترّة، عُثر عليه ذات يوم مقتلاً بطعنة خنجر في الظهر»<sup>3</sup> لقد كان العم على قدر كبير من الوعي بحيث أدرك أهمية صلة القرابة في ترسيخ ملامح الهويّة الجزائريّة الأصيلة لدى الطفل "يونس".

يولي العم تاريخ العائلة أهمية كبرى، فالصور المعلقة على الجدران هي حكاية اسرة بأكملها، وانتقاله من الريف إلى المدينة لم يمنعه من الاعتزاز بصلات القرابة التي تجمعه بأفراد اسرته، فاراد ان يتقاسم هذا لتاريخ مع الطفل "يونس" وعيا منه بدور الاسرة في صناعة رجل الغد، يقول: «وبعد ذلك أدارني نحو صورة ثلاثة أكبر من الصورتين الأولىّتين، هنا يظهر جدّك في الوسط محيطاً بأولاده الخمسة، لقد رزق بثلاث بنات من زواج أوّل، كبير الإخوة قدور لم يكن يتفاهم مع الشيخ وقد تمّ تجريدّه من الإرث عندما التحق بفرنسا كي يُمارس السياسة، على اليسار حسان كان يحيا حياة مستهترّة، يُعاشر النساء المنحرفات اللائمي جزءً كبيراً من مزارعنا وخبولنا، حينما جُرّ جدّك أمام المحاكم، صُعق من هول الخسارة،

<sup>1</sup>-ياسمينه خضرا، الرواية ص101.

<sup>2</sup>-المصدر نفسه، ص101.

<sup>3</sup>-المصدر نفسه، ص102.

فلم يشف من هذه الضربة أيّداً، إلى جانب حسان، عبد الصمد، صبور في العمل، اضطر إلى مغادرة المنزل العائلي لأنّ الشيخ منعه من الزواج بقريبة لنا انضم أهلها إلى مساندة الفرنسيين، مات عسكرياً في مكان ما بأوروبا في نهاية حرب 18/14»<sup>1</sup>.

كان العم بمثابة المرشد للفتي "جوناس/ يونس"، لقد منحه مفاتيح النجاح محسومة في معادلة مهمة هي: العائلة وصلة القرابة، والتاريخ والماضي، وهي محددات الهوية، فالنجاح يرتبط بمدى معرفة الإنسان للأنا، ومعرفة الأنا لا تأتي إلاّ عبر الغوص في التاريخ والتنقيب في الماضي، يقول: «ربما تساءلت لماذا أحكي لك كل هذا يا ولدي...لكي تعرف جذورك جيّداً، بداخل عروقك تجري دماء لالة فاطنة، يُمكنك أن تنجح حيث فشل أبوك وتخرج من الورطة التي انزلتكم بداخلها، وترجع إلى غاية القمة التي كنتم في ذروتها»<sup>2</sup> لقد كان خطاب العم مركزاً على استنهاض همة "يونس" من خلال تذكيره بنبل الدماء التي تجري في عروقه إنها دماء الشجاعة والنخوة العربية، التي تُعدّ لالة فاطنة رمزاً لها.

يتواتر حضور نسق القرابة بقوة في الرواية ليؤكد وعي الروائيّ بأهميته في تحديد هوية جزائر الاستعمار، ففي الحين الذي سعى الاستعمار إلى طمس الهويةّ بأساليب مختلفة قمعية حيناً، وإغرائية حيناً آخر، يصر الكاتب على تأكيد انتماءه متخذاً من صلة القرابة وسيلة لذلك، باعتبارها «المحرك الأول للعلاقات القرابية، والاجتماعية في النظام القبلي الذي عرفته، المجتمعات العربية القديمة والحديثة، والدارس لهذه المجتمعات قبل وبعد الإسلام يرى الآثار والمظاهر الواضحة لهذا المعتقد، أعني الإيمان برابطة الدم الذي يُولد الشعور بالتميز، واعتقاد أفراد الجماعة القرابية كالقبيلة والعشيرة بأنهم أصحاب الدم النقي أو ما اصطلح عليه الأوربيون أنهم أصحاب الدماء الزرقاء (Blue Blood) أي الذين ينتسبون إلى جد مشترك، ويكونون طبقة النبلاء التي يكون فيها الرئاسة والحكم حيث يجمع كل فرد في هذه الطبقة

<sup>1</sup> - ياسمينه خضرا، الرواية، ص102/103.

<sup>2</sup> - المصدر نفسه، ص104.

شرف النسب ونقاءه من كلا طرفيه الأب والأم ، ومن هنا كان الحرص على أن يظل الدم نقياً<sup>1</sup>، وهذا ما بينه السارد من خلال انتماءات شخوصه، «لم ترث إيزابيل شيئاً كبيراً من أمها، فرنسية معقدة يُقال بأنّها من عائلة مفلسة، ولكنها لا تقوّت مناسبة دون أن تذكر مغتايها أنّ لديها دما أزرق في عروقها»<sup>2</sup>.

لم تقتصر صلة القرابة على فئة من الأشخاص، بل طالت معظم الأفراد داخل المتن السردي، وامتدت العلاقات من الأسرة إلى الأقارب ونجد في النص ذكر لأقارب جيرمان، يقول: «لقد لقي ابن أخ جرمان، وهو طبّاح في سفينة "دانكارك"، حتفه مع ألف ومائتين وسبعة وتسعين بحاراً قُتلوا في ذلك القصف»<sup>3</sup>. بعد مراسم الجنازة سلّمت جرمان قسطاً من النقود وأذنت "ليونس" بزيارة "جنان جاتو" «مكلّفة برتران، أحد أقاربها كي يرجعني سالماً من المغامرة»<sup>4</sup>، إنّ أغلب العلاقات الاجتماعية داخل حياة الوسط الحضري ناجمة عن ذلك التنوع في التعاملات والاتصالات بين السكان بداخلها حيث أنّ المدني يمتاز بظروف خاصة به تجعله يعيش هذا النوع من القرابة المتعلقة بالعلاقات الاجتماعية في حياته اليومية، وتتسم هذه العلاقات إمّا بالبعد أو القرب الاجتماعيّ بين أفرادها، لهذا نجد الفرد المهاجر سرعان ما يندمج في ذلك الوسط، وقد جمعت "يونس" علاقات مع أصدقائه وحتى مع أقاربهم، يقول في ذلك: «كُنّا أنا وسيمون، متلازمين باستمرار، يقع منزل عائلته على بُعد خطوتين من منزل عمي، ويمر عليّ كل صباح قبل أن نذهب للالتحاق بجان كريستوف في أعلى الهضبة... نحب التجمع تحت الزيتون المئوية الجاثمة على ذروة المرتفع لنشاهد ريو تتألأ... فابريس آخر من يلتحق بنا، نمكث هناك على ساعات متأخرة من الليل، نشيد المشاريع البعيدة الاحتمال، نستمع إلى جان كريستوف، وهو

<sup>1</sup> - كريم زكي، حسام الدين، اللغة والثقافة (دراسة أنثرو لغوية لألغاز وعلاقات القرابة في الثقافة العربية)، حقوق النشر والتوزيع الإلكتروني، نسخة إلكترونية، د. ط، د.ت، ص 266.

<sup>2</sup> - ياسمينه خضرا، الرواية، ص 164.

<sup>3</sup> - المصدر نفسه، ص 173.

<sup>4</sup> - المصدر نفسه، ص 174.

يحكي لنا بالتفاصيل المملة النغص الذي تسببها له إيزابيل روسيليو، أمّا فابريس فإنه يسكرنا بأشعاره... نفتح حلقتنا لدخول زملاء آخرين، وبالأخص الأقرباء، صوزا، لومي، أندري»<sup>1</sup>.

تخضع العلاقات الاجتماعية لمجموعة «من القيم التي تختلف من عصر لآخر والتي تتأثر بدورها بالأوضاع الاجتماعية، والاقتصادية، والسياسية، والثقافية، والدينية، والتاريخية، كما يحدث أن تتنازع هذه القيم في حالة وجود تصورات ومعتقدات جديدة تتعارض مع القيم القديمة التي أخذت بها أجيال معينة»<sup>2</sup>، فالتماهي مع الوضع الجديد، وتكوين علاقات اجتماعية يتطلب التعرف على ثقافة البيئة الجديدة.

ونستنتج مما سبق أنّ الرواية الجزائرية كشفت عن طبيعة العلاقات القرابية التي تربط الأفراد فيما بينهم، فتميزت باستمرارية الاتصال بين أفرادها من خلال مختلف الحقوق، والواجبات، وكذلك الالتزامات والمبادئ القائمة بينهم، حيث تُعدّ تلك المعاملات وعلى رأسها تبادل الزيارات، وتقديم مختلف المساعدات المادية، والمعنوية، من أهم مظاهر التواصل بين الأشخاص، وقد جسد حضورها في المتن الروائي البعد الاجتماعي والنفسي لمجتمع الرواية، وأبرز مقومات هوية الشخصيات، ونقل الواقع المعيش بكلّ مصداقية؛ فالتباين المعيشي صارخ، ممّا انعكس على الروابط والعلاقات الاجتماعية المؤثرة في عملية الاندماج الاجتماعي، أين يصبح الشخص محصوراً، ومنغلقاً داخل حلقة من العلاقات، والتعاملات الاجتماعية، والثقافية داخل فضاء مجالي معين بالبيئة الريفية أو الحضارية.

<sup>1</sup> - ياسمينه خضرا، الرواية، ص 185، 186.

<sup>2</sup> - ليفي بريل، الأخلاق وعلم العادات الأخلاقية، تر: محمود قاسم وآخرون، منشورات القاهرة، مصر، د. ط، 1953، ص 63.

المبحث الرابع: الهوية الثقافية في رواية "فضل الليل على النهار" لياسمينه خضرا.

لا يكاد يخلو مفصل من مفصل الحياة الاجتماعية من الرموز فكل ما يقوم به الإنسان في حياته اليومية من سلوكيات هو نابع من استعمال الرموز، لهذا كان الرمز وسيلة مثلى لتحقيق التواصل بين أفراد المجتمع، وهذه القدرة الاتصالية التي يكتسبها الأفراد تعمل على تراكم التراث البشري ونمو الثقافة وتطورها، فتبتكر كل جماعة رموزها الخاصة، وتتفق عليها؛ وتشكل مجموع هذه الرموز الهوية الثقافية التي تميز هذه الجماعة عن تلك، بحيث يصبح أي فرد غريب عن هذه الجماعة أو تلك غير قادر على فهم رموزها، وغير قادر على التأقلم معها.

تضمنت الرواية مجموعة من الرموز التي عكست الهوية الجزائرية في مختلف جوانبها سواء أكانت دينية، أم ثقافية، أم تاريخية.

أولاً: الرمز مكوناً للهوية:1- الرمز الديني:

كان الدين ومازال عنصراً أساسياً في حياة الإنسان، فقد جُبل عليه منذ الأزل، وعبر عن ذلك القرآن بقوله: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْمَلُونَ﴾<sup>1</sup>، فالدين هو دستور الحياة ومنه يستمد الناس قوانينهم، ونظراً للتعایش الديني الذي أضحى سمة تطبع النصوص نجد أنّ أغلبية الأدباء يلجؤون لاستلهاام رموز دينية خالدة، تحيل على الآخر، دون الدوبان في ثقافته.

يتنوع الحضور الديني في الرواية، فإلى جانب توظيف القرآن الكريم باعتباره الركيزة الأولى التي قامت عليها شخصية المؤلف تحضر الديانة المسيحية، واليهودية من خلال رموز كثيرة استدعاها السياق الروائي على لسان الشخصيات لتكشف الانتماءات الدينية المختلفة التي تصارعت في الرواية. ومن الرموز

<sup>1</sup> -سورة الروم، الآية: 30.

الدينية الموظفة نذكر الكنيسة، القُداس، مبشر إنجيلي، المقبرة اليهودية، آدم، الملك جبريل، الشيطان، ملحد، مصلى سانتا كروز، العذراء، الصليب وغيرها من الرموز.

ارتبط حضور الرمز الديني في النص الروائي بالممارسات اليومية لـ **جيرمان** التي كانت تمثل نموذجاً ثقافياً ودينياً مغايراً لما اعتاد عليه "يونس" في بيئته الجزائرية، فكانت تستحضر طقوس دياناتها المسيحية بكل طقوسها، يقول "جوناس" واصفاً ذلك: «كان يوم الأحد بعد القُداس، لا تأخذني جرمان بأي حال إلى أي كان، تنزوي في غرفتها راکعة على ركبتها، أمام صليب وتغرق في دعاء طويل، ليس لديها عائلة في أوروبا لكنها تطلب الله من كامل قواه أن تتغلب الحكمة على الجنون»<sup>1</sup>. إن لفظة القُداس مصطلح يستخدمه المسيحيون للدلالة عن تجمعهم، للاحتفال بالأفخار السنية، أو الاجتماع للعبادة، وعادة ما يكون القُداس في الكنيسة وقيمه أحد رجال الدين، أو القساوسة ولكن جرمان اقتصر على الاحتفال في المنزل فقط حتى يصل دعاؤها إلى الرب.

ومن المعالم الأثرية الخالدة، والشاهدة على عظمة البناء المعماري الجزائري، قلعة "سانتا كروز" الشاخنة تحكي تاريخ مدينة وهران، هذه القلعة على موعد مع التاريخ وسحر الطبيعة، وقد أشار إليها الناص من خلال الطقوس الدينية التي تشهدها هذه القلعة: «في يوم الصعود يأخذنا جيروم، أنا ولوسات، نتأمل المدينة من مرتفعات الجبال المرجاجو، سعدنا أولاً لزيارة القلعة القروسطية قبل أن ننضم إلى قافلة الحجاج الذين يطوفون حول مصلى "سانتا كروز" كانوا بالمئات، نساء، وشيوخ وأطفال يتزاحمون عند أقدام العذراء»<sup>2</sup>. وتوضح هذه المعالم الأثرية طقوس المسيحيين الذين أصبح يونس/جوناس بحكم انتماءه العائلي الجديد (عائلة عمه).

احتضنت وهران شخصيات من جميع الأطياف والديانات، وكان "يونس" مجبراً على التعايش معها وتقبلها، على الرغم من اختلافها عنه ثقافياً ودينياً، فقد ذكر أن أب لوسات زميلة الدراسة، وصديقته

<sup>1</sup>-ياسمينه خضرا، الرواية، ص 140.

<sup>2</sup>-المصدر نفسه، ص 142.



ملحد، يقول: «أسرّ لعمي وفي لهجة لامبالية أنه ملحد»<sup>1</sup>، ثم يضيف قائلاً: «في ذلك العهد، لم أكن أدري أنّ مثل هذا النوع من البشر يوجدون، لم يكن يوجد حولي إلاّ المؤمنون، عمي مسلم، جرمان كاثوليكية، جيراننا من اليهود أو النصارى، في المدرسة كما في الحي، كان الله على جميع الألسنة وفي جميع القلوب، واستغربت لرؤية جيروم، يدبر شؤونه بدونه»<sup>2</sup> لم يكن مفهوم الإلحاد واضحاً في ذهن "يونس" الطفل الصغير، فقد قاده إيمانه بوجود الله إلى الإيمان بتعاليم الديانات وتسامحها، فلا يهم في نظر الكاتب إذا كانت ديانتك إسلامية أو مسيحية مدام هو المعبود فيها.

وفي خضم الحيرة التي انتابت "يونس" بشأن قضية الإلحاد ساق وجهة نظر جيروم والد زميلته لوسات ساق وجهة نظر بكل حيادية مرسخاً نزوعه إلى الحرية الفكرية والدينية وتقبل الآخر مهما كان انتماءه أو لا انتماءه «سمعتة يقول لمبشر انجيلي إنّ كل إنسان إله نفسه، حينما يختار إله آخر يصبح أعمى وظالماً، فحدّق في وجه الإنجيلي كما لو كان الشيطان نفسه»<sup>3</sup> تتجلى جمالية التناقض والاختلاف التي صورها الكاتب "ياسمينه خضرا" في الرواية من خلال التعايش السلمي الذي شهدته المشهد الروائي في بعده الإنسانيّ من خلال مدّ جسر التواصل بين حضارات، وثقافات، وديانات، وطوائف مختلفة متعايشة في جو من الوئام والتسامح.

استطاع الرمز الديني أن يحدد هويّة شخصيات الرواية وأن يُبرز معالم وخصوصية كل فرد على حدة، فامر قصة- آدم عليه السلام- الذي طُرد من الجنة، وأسقطها على معاناته في واقع متعصب بأبي التسامح والانفتاح، يتجلى ذلك في رفض "إيزابيل" "لجوناس" بسبب انتماءه الديني، يقول: «آدم الذي طُرد من الجنة لا يكون تائهاً مثلي، وجوزة عنقه أقلّ صلابة من الجلطة التي بقيت وسط حلقي»<sup>4</sup> فالطفل "يونس" كانت تجمعها علاقة مع "إيزابيل" ولما علمت بأنّ اسمه "يونس"، وليس "جوناس"

<sup>1</sup>-ياسمينه خضرا، الرواية، ص141.

<sup>2</sup>-المصدر نفسه، ص 141.

<sup>3</sup>-المصدر نفسه، ص142.

<sup>4</sup>-المصدر نفسه، ص168.

انفعلت، وكانت ردة فعلها قوية، وهذا ما يؤكد قوله: «أخرجتني ايزابيل من قفص ذهبي لترميني داخل بئر»<sup>1</sup>، ليس من السهولة بناء علاقات في ظل العقليات المتعصبة للآخر الغربي وهو ما عكس نظرة الآخر (الفرنسي) للأنا الجزائريّ نظرة تحمها الاستعلاء، والتطرف، والتعصب.

يميل الروائيون إلى التوظيف الرمزي للشخصيات الدينية في نصوصهم ومن هذه الشخصيات "عيسى، سليمان، يونس" -عليهم السلام-، «ذلك لأنّ شخصية الأنبياء شخصية غنية بدلالات الفداء والاستبسال والمثالية، كما أنّها تحمل قدرًا كبيرًا من التراجيديا، والعجائبية، التي أغرت الروائيين بتتبعها فنيًا، فهي مثال للعطاء وحمل الرسالة، كما أنّها نموذج لتحمل المكابدة، والجحود، والعذاب»<sup>2</sup>.

يظهر المتن الروائي تمسك بعض الشخصيات بقناعتهم الدينية، وهو ما يجسده ماحي عم يونس حين فسر الحالة التي آل إليها أخيه "عيسى" تفسيراً منطقياً بعيداً عن التبريرات التي تتخذ من القدر غطاءً لها يقول: «لا دخل لله في هذا الموضوع يا ولدي، أبوك ذهب هذا كل ما في الأمر، ليس الشيطان هو الذي حرّضه على الذهاب، ولا الملك جبريل هو الذي أخذه من يده، حاول أن يتشبث بالقدر الذي استطاع، ولكنه فشل»<sup>3</sup>.

يمكن القول إذاً إنّ توظيف الرمز الديني يعكس نظرة الروائي الواعية إليه باعتباره أحد مقومات الهوية التي تجلّت في انتماءات دينية كثيرة عكست الاختلافات العرقية، والثقافية لمجتمع الرواية، وأبرزت مظاهر التعصب والتطرف في مقابل أشكال الانفتاح على الآخر، والتعايش السلمي بين الديانات والثقافات.

<sup>1</sup>-ياسمينه خضرا، الرواية، ص168.

<sup>2</sup>-كاميليا عبد الفتاح، القصيدة العربية المعاصرة (دراسة تحليلية في البنية الفكرية والفنية)، دار المطبوعات الجامعية، د. ط، مصر، 2007، ص547.

<sup>3</sup>-ياسمينه خضرا، الرواية، ص137.

2-الرمز الثقافي:

يُعدّ الرمز الثقافي وسيلة فنية فعالة تعكس ثقافة مجتمع ما، وتعبّر عن رؤيته للواقع، وتحتلّ التمثيلات الذهنية للموجودات والأفكار، والقيم، والسلوكيات، وإذا كان لكلّ شعب رموزه الثقافية فإنّ انعكاسها في النصّ الأدبي هو شكل من أشكال المحافظة عليها باعتبارها إرثاً ثقافياً يوحد جماعة/ مجتمعاً إنسانياً ويحدد هويته التي تتمايز عن الهويات الأخرى.

استدعى الكاتب بعض الرموز الثقافيّة ليعبر عن الواقع الجزائريّ إبان الاستعمار الفرنسي، فكان للألة البندور مكانة في المتن الروائي باعتبارها منبع الإيقاع الموسيقي الذي لا ينضب، إنها رمز الشجن المنبعث دون توقف ومن ثمة وظفها الكاتب عن حالة "بدره" يقول: «تكلّمت بدره كثيراً في ذلك اليوم، تكلّمت دون أن تسترجع أنفاسها، كما لو أنّ آلة البندور انفتحت فجأة بداخلها، تحدّثت كما لو أنّ ما بقي لها في الحياة سوى الكلام، لتنتقل من مأساة إلى أخرى، تذكّر بحادث جرح من هنا، وتباشر بحركة يأس من هناك لتصمت فجأة كما لو أنّها تعيش الجرح من جديد»<sup>1</sup>، إنّ آلة البندور تُشبه إلى حد كبير "بدره" التي جعلت من الكلام سبيلها للترويح عن معاناتها، ليصبح سرد هذه المعاناة قطعة موسيقية تجسدها آلة البندور.

تتجلى قيمة آلة الموسيقى باعتبارها نسقاً فنياً ثقافياً أولاً، وباعتبارها خطاباً تواصلياً يهدف استقطاب أفراد القرية وجذبهم إلى ثقافة الآخر، فيخضع الإيقاع إلى سلطة الذائقة المتوارثة، ويكشف عن هويات محددة تميز كل جماعة عن الأخرى، فاستعمال آلة البوق مثلاً يتنافى وذوق الجمهور مما يحول دون تواصلهم مع المعزوفة الموسيقية، «بدأت السهرة بباقه من الموسيقى غير معروفة في المنطقة، تعتمد على آلة البوق، فلم تنل إعجاب الجمهور، صرخ أندري: إنه الجاز، يا ناس، كيف يُمكن البقاء كالصخور أمام مثل هذه الموسيقى الرائعة، الآتية مباشرة من أمريكا»<sup>2</sup>. تختلف أشكال التعبير من منطقة لأخرى،

<sup>1</sup>-ياسمينه خضرا، الرواية، ص180.

<sup>2</sup>-المصدر نفسه، ص270.

وبما أنّ الانفتاح الحضاري كان ميزة هذه الرواية، نجد أغلب الممارسات تحتك بالآخر، أو بالأنا المعجبة بالصفة الأخرى لكن لكل شخص ذوقه الخاص، فلم تلق هذه الفرقة الترحاب المتوقع، «انتهى الأمر بالموسيقين إلى الاعتراف بالحقيقة، صحيح أنّ ريو سالادو لا تبعد عن وهران إلاّ بحوالي ستين كيلومتر فقط، ومع ذلك فإن المسافة التي تفصل ذهنيات المنطقتين مذهلة، واصلو العمل في احترافية ظاهرة وهم يدركون عبثية جدواهم ثم أنجزوا قطعهم المفضلة في دورة وداع وسط لامبالاة شاملة نزلت عليهم كشتيمة وقحة، انسحبوا دون أن ينتبه إليهم أحد»<sup>1</sup>

لم يكثر سكان "ريو سالادو" بهذا الفن الدخيل عن ثقافتهم، وهذا ما توقعه "آندري" الذي جلب تلك الفرقة: «كان آندري يتوقع مثل هذا الاستقبال الجاف لمعرفته بأذواق أهل ريو سالادو، ومع ذلك تمني من ضيوفه قليلاً من اللباقة وحسن المعاملة اتجاه فرقة جاز يُحتفى بها في جميع مناطق البلد، قدّم اعتذاراته لرئيس الفرقة المبهوق، الذي بدا ساخطاً، مقسماً أنّه لن يضع قدميه ثانية في قرية معزولة ثقافياً كما زريبة البهائم»<sup>2</sup> إنّ عدم فهم موسيقى الجاز يرجع إلى طبيعة البيئة الجزائرية المختلفة عن البيئة الفرنسية فنا وثقافة وهو ما انعكس على الوسيط التعبيري الذي بدا نشازاً لم تستصغّه أذن الجمهور لأنّه يخالف ذوقها ويتعد عن هويتها.

تعكس فرقة القار قابو جانباً مهماً من الثقافة الجزائرية، وتعتبر وسيلة للتعبير عن الاحتفالات الشعبية وقد حضرت في الرواية باعتبارها ملمحاً من ملامح الهوية الجزائرية يقول الناص في وصفها: «تشكل من زواج معبين بالتائم، يرقصون كما السحرة، وهم يفتحون عيونهم اللبينة، نستمع إليهم من بعيد، وهم يقرعون صنجاتهم الجديدة ويضربون على طبولهم في جلبة صامة، لا تظهر فرق القار قابو إلاّ بمناسبة احتفالات زاوية سيدي بلال»<sup>3</sup>، وقد حققت هذه الفرقة بعداً تواصلياً بين الجماهير لأنّها وكما يقر

<sup>1</sup>-ياسمينه خضرا، الرواية، ص270.

<sup>2</sup>-المصدر نفسه، ص 271.

<sup>3</sup>-المصدر نفسه، ص65.

«ارنست فيشر نتاج عن العمل الجماعي ومعبرة عن التجربة الاجتماعية محتومة بالثبات ولا تقبل التغيير»<sup>1</sup> فهي شكل ثقافي يوحد جماعة معينة، ويضفي الطابع الفرجوي على الرواية.

كان الرمز وبخاصة الرمز المستمد من ثقافة الشعب نتاج مؤسس من الأنثروبولوجيا الحضارية (cultural Anthropology)، لاسيما وأنها تنتمي في ومرجعياتها إليه، والنتاج الروحي والمادي للشعوب، معبرة في محتواه عن وعي جمعي يُغذي سلوكيات مجتمعه في زمانها ومكانها، تمتد جذوره في شعور الجماعة منذ الأزل إلى اليوم.

### 3-الرمز التاريخي:

يُعدّ الرمز التاريخي أداة فنية يتوسل بها الروائي لنقل تجربته الفنية، فالتاريخ عادة ما يُسجل أحداثاً ووقائع تحفر في الذاكرة الجماعية، و"ياسمينه خضرا" أحد أفراد هذه الجماعة استغل التاريخ وأحداثه في روايته لتحقيق غاية فنية، وجمالية.

إنّ استحضر التاريخ «هو استدعاء للذاكرة التاريخية، وبعث للماضي، وتكثيف للزمن الممتد في لحظة إبداع نافذة، كما أنّه وصل بين الأجيال الراهنة، وجذورها السابقة، حيث يُحاول الكاتب أن يتمثل الرؤيا الحضارية للأمة ليس فقط لتوظيف النص فنياً، وإنما ليستمد شرعية البناء النصي المولد والجديد»<sup>2</sup> وقد كان "ياسمينه خضرا" صاحب رؤية فنية متميزة، فحاكى التاريخ حاملاً لرتوشات الأسى، والألم، والمعاناة وبعد تفحصي لهذه الرواية وجدت أنّ الرموز التاريخية تنقسم إلى شقين: رموز الأعلام التاريخية، رموز الأماكن.

<sup>1</sup>- فيشر ارنست، ضرورة الفن، تر، اسعد حليم، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، القاهرة، د. ط، 1971، ص2002.

<sup>2</sup>- محمد الصالح خرفي، جماليات المكان في الشعر الجزائري المعاصر، موفم للنشر، الجزائر، د. ط، 2014، ص156.

أ-رموز الأعلام التاريخية:

وظف الروائي بعض أعلام التاريخ الجزائري وبعض الشخصيات العالمية التي كان لها صدىً واسعاً في الحروب العالمية، ودورهم في كتابة التاريخ، نظراً لأهميتهم في العالم.

ومن بين الشخصيات العالمية التي حفظها التاريخ، ونقلها الناص في روايته تجد "ونستون تشرشيل"، "روزفالت"، "هتلر"، "ستالين"، أشهر وأبرز شخصيات القرن العشرين خاضوا أكبر مغامرات القرن، وفرضوا زعامتهم على الثالث، وهم رمز للسلطة المستبدة، الطاغية، والتاريخ وحده يشهد بذلك، وقد جاءت هذه الشخصيات في حديثه الآتي: «تتراحم التشخيصات، والتقديرات، ترن أسماء ستالين، وروزفالت، وتشرشيل، مكا بوق الهجمات الأخيرة»<sup>1</sup>، فالغرض من توظيف هذه الشخصيات، هو الكشف عن موقفها التاريخي من جهة، ودورها الفكري، والجمالي من جهة ثانية، «فالروائي عندما يستدعي رمزاً أو شخصية تاريخية فإنه لا يعيش بأحاسيسه، وفكره مع سمات هذه الشخصية، وظروف العصر الذي عاش فيه هذا الرمز أو الشخصية فقط، وإنما هو يركز أيضاً وفي الأساس أحاسيسه وأفكاره ومداركه على الحاضر... على قضايا العصر والموقف الآني الذي يعيشه الشاعر وتنجس التجربة الروائية من خلال تفاعله به»<sup>2</sup>. وبما أن رواية "فضل الليل على النهار" نسجت التاريخ الجزائري بكل حيثياته، فكانت بمثابة وثيقة تاريخية، ووسيلة إعلامية، ومصدراً من مصادر كتابة تاريخ الثورة، فسجلت كثيراً من الأحداث والوقائع التي جرت آنذاك من خلال توظيف شخصيات ثورية عرفها المبدع ونقل صورتها جوناس، «أنا الصيدلي المتعلم، طفقت أحفظ أسماء غريبة عني والتي ترن في أفواه أهلي مثل آذان الصلاة: العربي بن مهدي، أحمد زبانه، بوضياف، عبان رمضان، علي لابونت»<sup>3</sup> إن صناعة الوعي في المجتمع الجزائري يكون عن طريق كتابة التاريخ، وشخصيات تاريخية، مثلما هو الحال مع هؤلاء المحاربين، الذين اعتبروا سيفساء من القيم، عاشوا لقضية عادلة، فاتسموا بالذكاء والثقافة الواسعة، والنضال

<sup>1</sup>-ياسمينه خضرا، الرواية، ص238.

<sup>2</sup>-أحمد محمود مبارك، ومضات إسلامية في الشعر العربي المعاصر، دار الوفاء لدينا الطباعة والنشر، ط1، 2000، ص171.

<sup>3</sup>-ياسمينه خضرا، الرواية، ص413.

الميت، فكانت شخصيتهم الكاريزمية محطة إبداع المؤلفين، فرمزوا للشجاعة، والصمود، والتحدي في مواجهة الآخر.

إنّ استدعاء الشخصية التاريخية في الرواية الجزائرية له «صلة سابقة نوع ما بين المتلقي والرمز التراثي، بأن لا يكون غريباً عنه غربة مطلقة، حتى إذا ما ملح إليه أيقض في وجدان المتلقي هالة من الذكريات والمعاني المرتبطة به»<sup>1</sup>، وبالتالي تكون الشخصية التاريخية رمزاً خفياً للتعبير عن الواقع، وأحوال الأمة وعن ظلم تلك الشخصيات المضطهدة والمستغلة للإنسانية جمعاء.

### ب- رموز الأماكن:

يجتلي المكان مكانة بارزة في بنية النص الروائي لأنه يمثل «العمود الفقري الذي يربط أجزاء العمل بعضها ببعض، وهو عنصر فاعل ويكون جوهري من مكونات الرواية، ولا يقتصر دوره على كونه وعاء الشخصية، وللحدث بل يصبح صاحب السيادة المطلقة في إنتاج الشخصوس، والأحداث بالإضافة إلى نتاج السرد والحوار، والوصف فلم يعد المكان موقعاً للحدث ولا بُعداً جغرافياً لحركة الشخصيات ولكنه تجلّى في كثير من الأعمال الروائية بطلاً رئيسياً يطلق المؤلف من خلاله لبلورة أفكاره وتوضيح وجهة نظره»<sup>2</sup>، وبما أنّ الحقل السردي أشار إلى عديد من المناطق التاريخية، "كالونشريس، الصومام، جبل لوح، أسماء أماكن لا تنفصل عن انضمام شعبي لازالت مصممة ومجسدة بهذا القدر»<sup>3</sup> في المخيال الشعبي الجزائري، فإنّ هذه المناطق شاهدة على ثورة انبثقت من رحم المعاناة. إنّ هذه المناطق صورت يوميات الاستعمار الفرنسي ومآسيه، كان الرعب عنوان أبواهم، حافظت على مقومات الشخصية الوطنية ديناً، ولغة، وثقافة، فرمزية تلك الأماكن توحى إلى الثورة الجزائرية العظيمة.

<sup>1</sup> - محمد أحمد فتوح، الرمز والرمزية في الشعر المعاصر، دار المعارف، ط3، 1984، ص46.

<sup>2</sup> - هيام شعبان، السرد الروائي في أعمال إبراهيم نصر الله، دار الكندي للنشر والتوزيع، الأردن، د. ط، 2003، ص277.

<sup>3</sup> - ياسمينه خضرا، الرواية ص413.

لم يتوان النَّاص عن ذكر بعض الأماكن التي بقيت رمزًا للمجازر الدموية الشنيعة منها قالمه، سطيف، خراطة، هذه المدن كانت رمزًا للمقاومة، والنضال، ولو نطقت مدينة قالمه لقلت: «كنت أرض معارك وشرف على مدى العصور، ومياه سيبوس مخصبة بدماء أبطال... عشت الحروب البونية، عرفت الاحتلال الروماني، وعاشت بيزنطة قبل أن أعانق الصحوه الروحية مع الإسلام»<sup>1</sup>، وتبقى هذه المناطق مصرحًا مهمًا لمعارك بطولية خالدة لازالت تحتفظ بآثارها إلى يومنا هذا.

نلاحظ تأثر الكتاب الجزائريين بالأوضاع العامة للوطن، «إذ كانت أحداث الثورة السياسية تستحوذ على اهتمام الشاعر، وتستحثه على أن يُواكبها، فلجأ إلى الطابع الحماسي فيفوت عليه - في أغلب الأحيان - الاهتمام بفننه، والنظر إليه بروح ناقدة، ودوق متأمل، فالمضمون أولاً والفن ثانياً»<sup>2</sup>.

إنَّ غاية "ياسمينه خضرا" من ذكر هذه الأماكن في متنه السردية، وهو الكشف عن الوظيفة الإيحائية لهذا الرمز المكاني، لأنَّ له دلالات وإيحاءات لا يفهمها إلا أبناء الوطن، وبذلك فإن الرمز المكاني في حد ذاته هو معبر عمّا يتضمنه شعور الأفراد، ويحافظ الناس على هذه الرموز كوثق تحمل مضامين ومدلولات سامية، وذكريات الأجداد الذين ضحوا بالنفس والنفيس من أجل الحفاظ على مقومات هويتنا الوطنية.

#### 4- الرمز الأدبي:

إنَّ استدعاء شخصيات أدبية وتوظيفها في المتن السردية، يهدف بالأساس إلى معالجة قضايا معينة سواء كانت هذه القضايا سياسية، أو اجتماعية، أو فكرية، أو حضارية. كانت تلك الرموز الأدبية منارة يُهتدى بها الباحثون، فهي بمثابة «ضمير عصرها، وصوته، الأمر الذي أكسبها قدرة خاصة على التعبير عن تجربة الكاتب في كل عصر، ولقد كان الكتاب يتناولون بعض جوانب حياة الشخصية التراثية

<sup>1</sup> - Document élaboré et dirigé par la wilaya, regard sur la wilaya de Guelma. P06, achevedinprimes, en avril. 2003, Imp. offset compi ommba. De Guelma.

<sup>2</sup> - شتلتاع عبود شراد، حركة الشعر الحر في الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 2003، ص75.



لتصلح عنواناً على القضية التي يريدون أن يحملوه عليها»<sup>1</sup>. ومن الشخصيات التراثية التي حظيت باهتمام الكاتب، نجد: مالك بن نبي، مصالي الحاج، شكيب أرسلان، إيمانويل روبليس، ألبير كامي، فولبير... إلخ.

ما يلفت انتباهنا أن هذه الشخصيات الأدبية، كانت تقترن بثقافة ماحي، وهو ما أشار إليه "يونس" «عاد عمّي تدريجيًا إلى الحياة، استرجع قليلاً من حيويته، وجزء من عاداته، هوسه الكبير للكتب، يستهلكها بلا توقف، بشراهة لا حد لها، فلا ينتهي من رواية إلا ليفتح كتاب فكر، يقرأ في اللغتين، مارًا من العقاد إلى فولبير بلا إخبار»<sup>2</sup>، وكان في كثير من الأحيان يضع أمام يونس مؤلفات عديدة حتى يضطلع عليها من بينها مالك بن نبي المفكر الجزائري الفذ: «ذات يوم، جاء إلى غرفتي، يجب أن تقرأ هذا المؤلف، اسمه مالك بن نبي كشخص ليس واضحًا، ولكن فكره حاد ودقيق، حطّ الكتاب فوق الطاولة الصغيرة وانتظر أن آخذه بنفسه، وهو ما فعلت، إنّه كتاب من حوالي مائة صفحة، عنوانه، شروط النهضة الجزائرية»<sup>3</sup>.

إنّ العم "ماحي"، موسوعة فكرية، أدبية بامتياز، وهذا ما يُنم على سعة ثقافته الواسعة، الذي حاول من خلالها غرس حب الفكر، والاضطلاع لدى الفتى، وكما هو معروف أنّ "مالك بن نبي" تنقل هو الآخر بين المعارف، والأفكار المختلفة، فقرأ للأديب، والشاعر الفرنسي جون فيرن، وتذوق العبقرية الشعرية الجاهلية، وشعر العصر الأموي، ومدارس الشعر الحديثة، مما أكسبه طابعًا أدبيًا ملموسًا في مؤلفاته، ثم ما لبث أن جذبته الحركة الإصلاحية (بزعامه ابن باديس) بسبب ما امتاز به منذ صغره بالفكر الثوري ضد الاستعمار الفرنسي في الجزائر.

<sup>1</sup>-علي عشيري زايد، استدعاء الشخصيات التراثية في الشعر العربي المعاصر، دار الفكر العربي للطبع والنشر، د. ط، 1997، ص138.

<sup>2</sup>-ياسمينه خضرا، الرواية، ص252.

<sup>3</sup>-المصدر نفسه، ص252.

إنّ هذه الشخصية الوطنية لها مكانة بارزة في تكوين الفكر، وإنارة العقل، وكشف الدروب، وماحي كان على حذق كبير من الفطنة، والنباهة، استطاع أن يلج بيونس نحو عوالم فكرية مغايرة، تكشف السياسة الاستعمارية، وترسيخ روح القومية، والوطنية في ذاته.

فالتشكيلات الرمزية التي يحملها، ويتقمصها الشكل الدلالي للمعنى (الرمز الأدبي)، يتخذ موقعاً معنوياً يستهدف استثمار الرمز لتحقيق الهوية كنتاج فني، ويبدو أنّ الناص رسم ثقافة العم بكل حرفية، فهو لم يكن يُطالع فحسب بل على علاقة وثيقة مع أسماء سياسية لامعة في الجزائر وهذا ما يؤكده يونس في قوله: «ذات مساء لا يُشبهه الأماصي السابقة أذن لي عمي بالالتحاق بالضيوف في الصالون، قدمني إليهم باعتزاز، تعرفت على بعض الوجوه، سمح لشخص واحد بإلقاء الخطاب، حينما يفتح فمه، يتشبث أصدقاؤه بشفتيه، يتلعون كلامه، بمتعة لا حدّ لها، يتعلق الأمر بضيف شرف شخصية مهيبة، يقف عمي أمامه بإعجاب كبير لم أتمكن من وضع اسم ذلك الضيف المبحّل إلاّ بعد مرور الوقت وأنا أقرأ مجلة سياسية: **مصالي الحاج**، أحد وجوه الرائدة للحركة الوطنية الجزائرية»<sup>1</sup>، يبدو أنّ الوعي بالأمور السياسية متغلغلاً حتى النخاع عند ماحي، «لأنّه كان يحفظ نصوص شكيب أرسلان، ويحتفظ بجميع المقالات النضالية التي تُنشر في الصحافة»<sup>2</sup>. نلاحظ أنّ "ياسمينه خضرا" تأثر كثيراً بالقضية الوطنية، ولهذا نجد أنّ أغلب الرموز الأدبية، لها علاقة من قريب أو من بعيد بالبعد السياسي والإيديولوجي الذي حمله فكرهم، وليس غريباً أنّ يخص إحدى شخصياته بقراءة «لأليير كامبي، دار غاليمار»<sup>3</sup>.

يُعرف "كامو" بفلسفته الوجودية، وانخراطه السياسي لحزب الشعب الجزائري، لهذا كان يرمز له بالمدافع عن الحقوق الفردية للأفراد، إنّ استحضار الرمز الأدبي في رواية "ياسمينه خضرا" هو دعوة حرة للمتلقي كي يكتشف بنفسه كل إحاءات الرمز، اكتشفاً يتفاوت فيه الناس بمقدار تفاوت ثقافتهم، وأذواقهم، ودرجة شعورهم قوة، وعمقاً. وكخلاصة لما سبق يُمكن القول بأنّ الرمز أنجع وسيلة لتحقيق

<sup>1</sup>-ياسمينه خضرا، الرواية، ص139.

<sup>2</sup>-المصدر نفسه، ص149.

<sup>3</sup>-المصدر نفسه، ص328.

غايات فنية وجمالية، وإدراك مالا يُمكن إدراكه ولا التعبير عنه بغيره، كون «الرمز ابن السياقات، وهو سمة النص»<sup>1</sup>.

### ثانيا: الأمثال والحكم:

حملت الرواية بين دفات أبواها أشكال تعبيرية كثيرة، ساهمت في ترجمة احساس الناص بمجتمعة، ومن بين هذه الأشكال التعبيرية نجد المثل الشعبي، الذي أكتسح الفنون النثرية بجدارة، وانساق خلفه الكتاب للكشف عن أحكام القيم السائدة في المجتمع، على قد قالت العرب قديما " المثل في الكلام كالملح في الطعام". فهو جزء لا يتجزأ من حياة الشعوب، تاريخهم العريق، وقبل التعرف على الأمثال الموجودة في الرواية، وجب التعرّيج على المثل الشعبي، كونه وليدا البيئة التي نشأ فيها.

**1/ ماهية المثل:** يعرف المثل بأنه «جملة قصيرة مصيبة المعنى تستحضر بدقة الحقيقة الشائعة، وتتولد أساسا في المجتمعات الأولى بأسلوب عامي غير أدبي و تكون شكلا فولكلوريا شائعا في كل الأجيال»<sup>2</sup> أما صالح رشدي فيعرف المثل بقوله: «هو الأسلوب البلاغي القصير الذائع بالرواية الشفاهية المبين لقاعدة الذوق أو السلوك، أو الرأي الشعبي ولا ضرورة لأن تكون عباراته تامة التركيب بحيث يمكن أن نطوي في رحابه التشبيهات و الاستعارات والكتابات التقليدية»<sup>3</sup>، فالمثل هو تعبير عن رأي الشعوب، طموحاتها، أمالها، وأحلامها، وأذواقهم، والأهم من ذلك يصور حياة الأفراد، وسلوكاتهم فهو «.. يمزج بين مضمون تاريخي، واجتماعي، واقتصادي، وعقائدي، بالإضافة إلى أنه حصيلة تجربة تشترك هذه الموروثات جميعا في صنعها وهو منتزع من بيئة تصنعها هذه الموروثات جميعا في صنعها، وقد جرى

<sup>1</sup>-غنيمي هلال، الأدب المقارن، دار العودة، بيروت، لبنان، ط3، د. ت، ص89.

<sup>2</sup>-إبراهيم أحمد شعلان، الشعب المصري في أمثاله العامية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، د. ط، 1972، ص18.

<sup>3</sup>-ياسمينه خضرا، الرواية، ص15، 16.

أول ما جرى على لسان واحد من الناس، هو جزء من هذه البيئة، ومن هنا يمثل جدلية الانسان مع واقعه، ومع تجربته، وهو يمثل أحيانا نوعا من التنفس في فترات القهر، والظلم، والاستبداد»<sup>1</sup>.

رسخ المثل الشعبي في الذاكرة الجماعية للأفراد، وحفظه التاريخ من الخلف إلى السلف حتى لا يندثر، وهو ميزة بارزة للتعرف على منطقة معينة، فمن الصعب أن يجدد قائله لكثرة التداول بين الأشخاص. تُشكّل الجزائر بتاريخها، ومناطقها محطة هامة لعديد من الأمم والحضارات الوافدة عليها، فانجر على ذلك احتكاك بين المناطق أسفر عنه زخم كبير من التراث الشعبي المتداول بين هؤلاء، ونقل الأديب، والروائي ذلك التراث في إبداعه، ما شكل جنسا هجينا يعتد به، باستقرائنا المصنوفة السردية نجد بعض الأمثال الشعبية التي تعبر عن حقبة تاريخية معينة.

- «العين الحاسدة لا تغفر للثرثارين»<sup>2</sup>: وهنا إشارة إلى قضاء الأمور في كتمان تام حتى تتم (أي لا يجهر بمشاريعه حتى، ولا يصاب بالعين الحاسدة)

- «الأيام دوال، يوم لك ويوم عليك»<sup>3</sup>: أي أنّ دوام الحال من المحال اليوم تبسم لك الحياة، غدا تبكيك، وقول ماحي خير الدليل على ذلك: «لا أحد يستطيع ضمان دوام الحال على حاله، ولسنا مجبرينا على الاعتماد على أنفسنا فقط، إنّ الشقاء الذي يصيبنا لا يخبرنا على مجيئه، ينزل علينا كالصاعقة، وينسحب كالصاعقة أيضا، دون أن يتأخر عند الأحران التي يسببها لنا»<sup>4</sup>.

- «باحثة دوما عن القمل في رأس الفرطاس»<sup>5</sup>: أي تبحث عن أتفه الأسباب للإثارة المشاكل دون الأسباب. إنّ الأمثال الشعبية بمثابة دستور غير مدون يعبر عن تجارب الأجيال، وينظم سلوك الأفراد

<sup>1</sup>- حلمي بدر، أثر الأدب الشعبي في الأدب الحديث، دار الوفاء لنديا الطباعة والنشر، الإسكندرية، 2002، ص 37، 38.

<sup>2</sup>- ياسمينه خضرا، الرواية، ص 83.

<sup>3</sup>- المصدر نفسه، ص 137.

<sup>4</sup>- المصدر نفسه، ص 137، 138.

<sup>5</sup>- المصدر نفسه، ص 283.

والجماعات، وهو إرث ثقافي يحمل بين دفتيه حكما قيمة لتسير شؤون الناس، وجب الحفاظ عليه حتى لا يزول.

#### 4-الفنون المشهدية مكونا للهوية:

تحتل الفنون المشهدية محل الصدارة في البنية الثقافية، فهي نتاج أدائي فرجوي يتميز بالشعبية والعفوية، ويحيل إلى جملة من السمات الثقافية التي يختص بها شعب ما عن شعب آخر، وعليه كانت الفنون المشهدية على اختلاف أنماطها، وعلى تنوع وسائلها مكونا مهما من مكونات الهوية الثقافية للمجتمعات الإنسانية، وإذا كان لكل مجتمع فنونه التي تعكس طبيعته ورؤيته للعالم، فإن بعض هذه الفنون عابرة للثقافات متجاوز للزمكانية، منتقلة من جيل إلى آخر، ومن شعب إلى آخر.

تزخر الرواية -موضوع الدراسة- بفنون مشهدية كثيرة تعكس الفضاء الثقافي الذي يتحرك فيه مجتمع الرواية، فمن الفنون المشهدية في قرية **جنان جاتو** يبرز القوال باعتباره شخصية تراثية راسخة في المخيلة الجمعية لها سيماتها، ولباسها الخاص، يقول "**جوناس**" واصفا مشهداً فرجويًا حيا: «يفضلون المهرجين، يتهافت الجميع كبيراً وصغيراً، على حضور مشاهدهم، ومن بين مفضلي هذا العرس يتصدر القوالون القائمة، يحدث هؤلاء تجمعات مضطربة حول حلقاتهم، لا يستوعب الناس كل تفاصيل حكاياتهم المفككة مثل ملابسهم، ولكن لتلك الحكايات القدرة على إغراء الجمهور وإبقائه لاهثاً يتربق المزيد من العجب العجاب إنهم مسرح المنبوزين، مسرح على الهواء الطلق»<sup>1</sup>، ارتبط شكل المسرح في الجزائر بنشاط رواة الأقوال والقصص الشعبي مثل القوال، ونجد هذه التسمية يستعملها الجزائريون دون غيره، وهي عبارة عن فئة من مؤدي المآثورات الشعبية في الأماكن العامة، وبخاصة في المناسبات كالأسواق الأسبوعية، والأعياد الدينية، وطقوس تقديس الأولياء الصالحين، وقد ميز "**عبد الحميد بورايو**" بين ثلاث فئات من محترفي الرواية الشعبية في الجزائر «وهم أولاً: المداحون أو رواة الحلقات العامة في تجمعات الأسواق والمناسبات العامة، وثانياً: القوالون وهم جماعة من مؤدي الشعر الشعبي الذين يلقون أشعارهم،

<sup>1</sup>-ياسمينه خضرا، الرواية، ص63.

أو يرون قصائد غيرهم أمام الناس، وثالثاً روايات البيوت وهن من النساء اللواتي تخصصن في روايات الحكايات الموجهة للأطفال، والتي يطغى عليها الطابع الخرافي<sup>1</sup> ويُسمى هذا النشاط عادة (محاجية).

إنّ هذه الصورة الحيّة التي نقلها السارد هي جزء من حياة الشعب الجزائريّ في الفترة الاستعماريّة، وتحيل إلى طبيعة المتلقي/المتفرج الجزائريّ القائمة على ملكة السمع؛ فعلى الرغم من تفرد القوال بمظهر مميّز من حيث الهيئة واللباس، إلا أن ما يثير المتفرج هو حكاياته الغريبة التي يعتبرها متنفساً من الواقع المأزوم، وفضاء يرتحل فيه عاطفياً نحو عوالم خيالية.

إنّ ما يميز حكايات القوال هو طابعها العجائبي الذي علق بدهن "جوناس"، فتجاوب معها بانفعالات كثيرة ترجمت شغفه بها وخوفه من أهوالها، واختلط فيها الواقعي بالخرافي، والحقيقي بالخيالي، وامتزج فيها المعقول بلا المعقول يقول: «إنّ مياه البحر كانت عذبة قبل أن تفرغ فيها أرامل البحارة دموعها. بعد القوال يأتي فتان الأفاعي، كانوا يخيفوننا برمي زواحفهم بين أقدامنا، رأيت بعضهم يتلع الحنش المرتعد إلى النصف قبل أن يخرج حلسةً من كم عباءته، مشهد منفر، وذو علاقة بالتنويم المغناطيسي في آن، مشاهد تُطاردني في كوابيس مخيفة»<sup>2</sup>، وهذه العادات بقيت راسخة، ومحفورة في الذاكرة الشعبية، ومثل هذه المشاهد كثيرة في بيئتنا ويذكر يونس «أنّ الأكثر مكرّاً هم المشعوذين، من جميع الأصناف، بحركاتهم، وأصواتهم المجلجلة خلف رفوفهم المكّدسة بسوائل غريبة، وتمايم سحرية وجثت الحشرات المحففة المشهورة باحتوائها على مفعول مثير للشهوة الجنسية، يقترحون أدوية لجميع أنواع الأمراض، الطرش، تسوس الأسنان، داء المفاصل، الشلل، الحصر، العقم، الصلع، الأرق، السحر، النحس، والناس يصدقون بسداجة مذهلة»<sup>3</sup> وتعكس هذه الممارسات طبيعة البيئة الجزائريّة الساذجة التي يتعد فيها العقل ليقترن بالخرافات والأباطيل، فعلى الرغم من التطور العلمي والتقدم التكنولوجي

<sup>1</sup> - عبد الحميد بورايو، في الثقافة الشعبية الجزائرية، (التاريخ والقضايا والتجليات)، منشورات الرابطة الوطنية، الجزائر، 2006، ص 63/64.

<sup>2</sup> - ياسمينه خضرا، الرواية، ص 63.

<sup>3</sup> - المصدر نفسه، ص 64.

إلا أنّ بعض هذه الممارسات موجودة، إلاّ ما ندر منها، فالمشعوذون مازالوا يخدعون بتصرفاتهم اللاّ أخلاقية، والبعيدة عن الدين الحنيف، وأصبحوا يستعملونها لأغراض غير شرعية، خاصة السحر الذي بات آفة تفتك بالمجتمعات، ومن غريب ما رأى: «أنّ شخصاً ابتلع شراباً، وبعد ثواني معدودة راح يقفز، ويصيح بالمعجزة، وهو يتمرغ على التراب، شيء مدهش أحياناً يأتي بعض الدراويش الملتحين، يخطبون على الناس بأصوات صحلاء، وسحن متجهمة، يصعدون على مصاطب مرتجلة، ويندفعون في كلام بلاغي مسجوع، ينددون بانحراف العقول، وباقتراب الساعة ويوم الحساب، يتحدثون عن القيامة، وغضب البشر، والقدر، والنساء الزانيات، يُشيرون إلى المارين بأصابع اتهام ويوبخونهم بألفاظ مكشوفة، أو ينطلقون في عرض نظريات غريبة لا أول لها ولا آخر»<sup>1</sup>. إنّ هذه العادات تُؤكد تأكيداً حقيقياً على أنّ الشعب الجزائريّ، عاش مرحلة صعبة من الجهل، والأمية، لأنّ مثل هذه الممارسات تلاشت مع الزمن، وإنّ لم نقل اندثرت، بسبب الوعي، والانفتاح على الآخر، ولكن على الرغم من ذلك تبقى عادات أداها أجدادنا قديماً، وطبقها الأبناء لاحقاً.

وهكذا كشفت الفنون المشهديّة سمات المجتمع الجزائريّ ثقافياً، وحددت طبيعة تفكيره، عالمه العجائبي، وخرفاته، وطبيعة بيئته الشعبيّة بأسواقها العفويّة، وطرق تكديدها مما أضفى سمة كرنفاليّة على الرواية، ومنح السرد بُعداً فنياً يتجاوز التقريرية والمباشرة إلى الجماليّة العجائبية.

<sup>1</sup>-ياسمينه خضرا، الرواية، ص64.

بعد دراستي لرواية "فضل الليل على النهار" توصلت إلى بعض النتائج أبرزها مايلي:

- ✓ زخرت الرواية بمجموعة قيمة من المعلومات المهمة التي تحيل إلى تاريخ الجزائر المستعمرة، فمنح للقارئ رؤية جديدة لمعالم هوية طمست بفعل عوامل عديدة أبرزها الاستعمار.
- ✓ كانت تيمة الأرض موضوعًا خصبًا في هذه الرواية، فالاستعمار الفرنسي عمل على نهب الأراضي الجزائرية، وتعميرها بالمعمر الأوربي ليحسد مقولة "الجزائر الفرنسية".
- ✓ نلمس في هذا الفصل اكتساح الهوية بملاحمها العديدة، بدءًا من المركبات والعناصر المادية الفيزيائية، مرورًا بالأحداث التاريخية الهامة، فالعناصر الثقافية، والعناصر الاجتماعية، فتناولت ما أمكن هذه العوامل بالدراسة والتحليل للأصل لنتيجة مفادها أن الهوية طالت أدق التفاصيل الحياتية.
- ✓ عزز ياسمينه خضرا قضية ازدواجه الهوية من خلال شخصية جونا الذي تماهى بين ثقافتين مختلفتين جزائرية، فرنسية.
- ✓ نسج الروائي خطابه بين زمنين مختلفين، وشخصيات متناقضة، فكريًا، وثقافيًا، وايدولوجيًا، ليعبر الصراع الطبقي بين الفئتين.
- ✓ تجسد هذه الرواية الصورة المتأزمة بين الجزائر، وفرنسا، علاقة تحكمها كثير من التوترات لترسم في النهاية، قصة حب مستحيلة الحدوث.



## الفصل الرابع:

تفاعل الأنا والآخر في روايتي "كيف ترضع من الذئبة دون أن تعضك"

عمارة لخصوص "فضل الليل على النهار" ياسمينة خضرا

المبحث الأول: تفاعل الأنا المغتربة مع الآخر.

المبحث الثاني: تفاعل "الفرنسي" مع الآخر.

المبحث الثالث: تفاعل "الإيطالي" مع الآخر.

المبحث الرابع: أبرز تجليات الصراع في الروائيتين.

بلغت الرواية الجزائرية شأواً عالياً في رحلتها نحو النضج الفني والفكري في طرح موضوعاتها، فصنعت مشهداً حافلاً بالتغيرات صوب المختلف بتقديم نماذج روائية رسمت الواقع السوسولوجي الذي عاشه الروائي، وبما أنّ هاجس الصراع الذي طرحه كل من "ياسمينه خضرا"، و"عمارة لخص" في روايتهما يتشكل من نبع تجربتهما وصدق تعبيرهما منح للرواية الجزائرية بعداً آخر جعلها تدق أبواب التغير في رصد التحولات السياسيّة، والاجتماعيّة، والثقافيّة، التي تطرأ على الحياة الإنسانيّة عموماً والجزائريّة على وجه التحديد.

لقد أثارَت هذه الأعمال السردية في منحرجاتها المختلفة أسئلة عديدة أرتقت المتن السردية، فطرحَت بحدة طريقة الصراع القائم منذ الأزل، الذي تمثل في جدلية العلاقة القائمة بين الشرق والغرب، أو بين الأنا والآخر. وبانفتاح المجتمع الجزائريّ تبلور الفكر لدى النخبة ولدى المبدعين مما أنعش الثقافة وجعل المبدع الجزائريّ يخرج بفكرة تجاوز أزمة الهوية ليحاكي الآخر بطريقته الخاصة ويتغلغل في عمقه، وقد جسدها في نظم دلالية مبنية على التناقض بين الإيديولوجيات والحوار الحضاري القائم بينهما.

استوعبت رواية "ياسمينه خضرا" (فضل الليل على النهار)، ورواية عمارة لخص (كيف ترضع من الذئبة دون أن تعضك)، إيديولوجيات مختلفة، ومواقف مثالية من أزمة الهوية، وإشكالاتها وتعدد تماثلها بين طرفي الهوية المستلبة، والمزدوجة، بدءاً من الصراع الحضاريّ في المرحلة الكولونياليّة، ورؤية الآخر فيما بعد الكولونياليّة ولعلّ اللافت للنظر أنّ رواية "ياسمينه خضرا" عاجلت مشكلة الهوية والانتماء في حقبة حرجة بالنسبة للتاريخ الجزائريّ ليأتي "عمارة لخص" بتجربته الفنية الخاصة فيصوّر صدام الحضارات في ظل تفاعل الأنا والآخر، لتكون بذلك هاتين المصنفوتين أحد أوجه المثاقفة التي سنتعرف عليها في هذا الفصل.

تمهيد:

احتوت الرواية الجزائرية الراهن بكل أبعاده، ولا ضير إذا قلنا أنّها تربعت على عرش الأجناس السردية بكل جدارة، واستحقاق، وخلقت لنفسها مكانة مميزة لدى القراء. بمختلف شرائحهم، وتعدد أطيافهم، وذلك لقدرتها على معالجة «المواضيع، والإشكالات الواقعية المعقدة، ما أكسب القارئ ميولات لهذا الفن، حيث تحررت لديه بفعل الإنماء الذوقي، والفكري، فأمكنه التمييز بين ما هو عاطفي ذاتي، وعلمي موضوعي حيث إنّ القراء يتعددون تبعاً لاهتماماتهم، واستعداداتهم، وميولاتهم الفنية، وإمكاناتهم الفكرية»<sup>1</sup> وما يعطيها تلك القابلية هو الطرح الموضوعي الذي تتميز به الرواية في محاكاة ثقافة الشعوب، وإبراز صفة التعايش بين أفرادها ولما كانت العلاقة بين الشرق والغرب علاقة صراع أزلي عمدة الروائي على خلق صورة جديدة، تسمح للأنا بمعرفة الآخر في ظل الحوار المتبادل بين الطرفين، فجاءت الرواية الجزائرية مناسبة في هذا المنحى الانتمائي الذي يعكس دهشة اللقاء، ونظرة الانبهار للآخر الغربي.

هذا الصراع الحضاري الذي تجند فيه الكثير من الجنود كل برتبته، وكل على حسب طريقته في الدفاع والهجوم، هو صراع يبدو عشوائياً، يسير في كل الاتجاهات إلا أنّ الواقع يثبت العكس، فمسألة الأنا والآخر التي تضمنتها الروايتين، تعتبر قضية تستدعي الوقوف عندها باعتبارها شكلاً آخر من أشكال الصراع، وستناول في هذا المبحث تفاعل الأنا المغتربة مع الآخر لكن قبل ذلك، وجب تعريف الأنا والآخر حتى نعرف طبيعة ذلك التفاعل.

<sup>1</sup> -فتححي بوخالفة، التجربة الروائية المغاربية (دراسة في الفاعليات النصية وآليات القراءة)، عالم الكتب الحديث، اربد، الأردن، 2010، ص02.

❖ ماهية الأنا والآخر:

أ- مفهوم الأنا:

تتعدد أساليب التفرد من شخص لآخر، ومنذ أن تُخلق الإنسان على وجه الأرض وهو في بحث دائم وسعي مستمر في سبيل تحقيق ذاته، ولا يدرك الفرد ميزاته وخصائصه إلا بوجود الآخر الذي أضحى علامة يتعرف من خلالها على الأنا ولا يكون ذلك إلا في سياق التلاحق والتفاعل الذي شهد أشكالاً مختلفة من المثاقفة.

شكلت قضية الأنا والآخر محوراً أساسياً بين الطرفين، كونهما يمثلان أهم الإشكالات التي تعرضت لها النصوص السردية، لأنَّ البحث عن العلاقة التواصلية بين الأشخاص داخل المتن السردية تدفع كل طرف لاستكناه الآخر من منظور الاختلاف فيكون التأثير، ويكون التمثل: «فيتأثر سلوك الفرد تجاه الآخر، بالانطباع الذي يتكون عنه استناداً إلى طريقة الإدراك وكيفية التعامل مع المكون الثقافي والاجتماعي بهذا الآخر، حيث ينبثق من هذا الإدراك، والتعامل تفاعل متبادل بين الأنا الفردية أو الجماعية، والآخر، تتفاوت درجة إيجابية هذا التفاعل، وسلبته بتباين هذا الإدراك»<sup>1</sup>، ومن هنا عُدد مفهوم الأنا، أكثر المفاهيم استعصاء على البحث باعتباره «مصطلحاً مراوغاً يستعصي على التعريف والحد الاصطلاحي لأنه يدخل في مشاركة كبيرة في أغلب الفروع الإنسانية كالفلسفة، علم الاجتماع علم النفس»<sup>2</sup>. وحين نتبع أثر التطور لهذه الكلمة نجدها قد وردت في لسان العرب بمعنى: «اسمي مُكْتَى، وهو للمتكلم وحده، وإمّا يبني على الفتح فرقا بينه وبين أن التي هي حرفٌ ناصبٌ للفعل والألف الأخيرة إمّا هي لبيان الحركة في الوقف»<sup>3</sup>. أمّا في المعجم الوسيط فجاءت بمعنى: «ضمير رفع منفصل للمتكلم، أو المتكلمة»<sup>4</sup> والأنا هو وصف للشخص المؤنث أو المذكر على حد سواء مصوراً لذاته، وعاكساً لشخصيته.

<sup>1</sup> - شحاتة عبد المنعم، أنا والآخر سيكولوجية العلاقات المتبادلة، ايتراك للنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 2001، ص20.

<sup>2</sup> - عباس يوسف الحداد، الأنا في الشعر الصوقي (ابن الفارض أنموذج)، دار الحوار للنشر والتوزيع، سوريا، ط2، 2009، 187.

<sup>3</sup> - ابن منظور، لسان العرب، ص38.

<sup>4</sup> - إبراهيم مصطفى وآخرون، المعجم الوسيط، ص28.

## الفصل الرابع: تفاعل الأنا والآخر في الروايتين.

وتكتسب صفة الفردية، والاستقلالية إذا «أنا لا تشية له من لفظه إلا ب: نحن ويصلح نحن في التشية والجمع... واعلم أنه يوصل بما تاء الخطاب، فيصيران كالشيء الواحد، من غير أن تكون مضافة إليه. تقول: أنت، وتكسر للمؤنث، وأنتم، وأنتن، وقد تدخل عليه كاف التشبيه فتقول: أنت كأنا، وأنا كأنت، حكى ذلك عن العرب»<sup>1</sup> استقرت الأنا وفق المعاجم العربية استقرت في شيء واحد، ألا وهو ضمير مولد للضمائر الأخرى.

وإذا تعقبنا كلمة الأنا في المعاجم المعاصرة، نجد أنها تُشير إلى الذات الواعية، وقد يُستخدم المصطلح ليشير إلى تلك السمة أو ذلك المكون من مكونات الشخصية الذي يُسيطر بأكثر الطرق مباشرة، وفورية على الفكر، والسلوك، فهو «الأنا» التي تشعر وتفكر، وتميز الشخص عن الذوات الشخصية الأخرى»<sup>2</sup> ومنه فالأنا كل ما يميز فرداً عن غيره، سواء كان في طريقة التفكير، أو في ثقافته وسلوكه وعاداته... إلخ، وقد أضاف "إبراهيم فتحي" إلى أن الأنا (Ego)، والأناية (Egoism)، تعني الغرور، وحب النفس، ومرادفات الأناية الأخرى، ويزعم بعض النقاد أن أناية كاتب مثل برنارد شو، تبرزها شواهد ميله إذ جعل من نفسه، وأعماله، وأفكاره موضعاً لاهتمام الآخرين، وأحاديثهم، وتؤكد الأناية التركيز على النفس، وتعني التوفر على المصلحة الشخصية وهي نقيض الغيرية و هناك أسباب قابلة للفهم تجعل معظم الكتاب "أنانيين" بمعنى أن لهم طابعاً ذاتياً واضحاً، ويمكن أن يُطلق تعبير الأناية أو الذات المنتفخة على كل الشخصيات الأدبية التي تنشأ إثارة الاهتمام حول نفسها، وتزدري اهتمامات وآراء الآخرين عادة وتعمل بالعكس على تأكيد الذات، وإبراز الأهمية الشخصية»<sup>3</sup>. آثار "إبراهيم فتحي" في تعريفه لمصطلح الأنا العديد من النقاط أبرزها: أن الأنا تُشتق منها كلمة الأناية، وهي ما تجعل الفرد يميل إلى الغرور وحب الذات، ونجدها خاصة عند الأدباء وهنا تكمن أهمية الذات في تكوين شخصية الفرد.

<sup>1</sup>- ابن منظور، لسان العرب، ص 160.

<sup>2</sup>- إبراهيم فتحي، معجم المصطلحات الأدبية، المؤسسة العربية للناشرين المتحدنين، صفاقس، تونس، ط 1، 1986، ص 47.

<sup>3</sup>- المصدر نفسه، ص 48.

## الفصل الرابع: تفاعل الأنا والآخر في الروايتين.

تتقاطع الأنا مع الذات، والهويّة، والشخصية، كما تُشكل مرادفات بالنسبة لها فهي «تدل على المدرك من حيث أنّ وحدته، وهويّته شرطان ضروريان يتضمنها التركيب المختلف الذي في الحدس، وارتباط التصورات في الذهن»<sup>1</sup> أي أنّ الأنا هو الجوهر الثابت غير المتغير الذي تنسب له جميع الأحاسيس والعواطف، والأقوال، والأفكار.

كثيراً ما نجد أنّ الأنا هي الذات (subject)، وما تحمله من مظاهر، وخصائص ثقافية أو نفسية، وإيديولوجية، وما تشمل عليه من أفكار وأمال، وطموحات، وصراعات، وتوترات... أي أنّها مجموعة من الخصائص التي تُميز الذات الفردية، وتُعرف بها من خلال مظاهر عديدة كالشكل والمضمون، الشكل الخارجي والمظهر، الذي يتضمن اللباس، طريقة الأكل، الملامح الظاهرية، والمضمون، كطريقة التفكير، السلوك الفكري، ثقافة الفرد. إلخ.

إذا نظرنا إلى الأنا من المنظور النفسي نجد أنّ أول من طرح هذه الفكرة هو "سيجموند فرويد" الذي أشار إلى أنّ «النفس البشرية بشخصياتها، وذاتها بالأنا... والأنا هي الذات، والذات هي كل ما تشمل عليه هذه الذات من خصائص، وسمات نفسه، عقلية، أو مزاجية، ودفاعية، من أفكار، وطموحات، وصراعات، والانتماء، أو الأمن، وتحقيق الذات، وغيرها من الحاجات والدوافع»<sup>2</sup> لم يخرج "فرويد" في تعريفه هذا عمّا سبقه، وإن كانت الأفكار، والأحلام، والطموحات. كلها جزء من ذاتنا ولا يمكن الاستغناء عنها فإن الحاجة إلى تحقيق كينونتنا يتطلب حاجاتنا الأولية كالحاجة إلى الانتماء والبحث عن هويتنا التي نشكلها بأيدينا.

وهكذا يتضح أنّ صورة "الأنا" أو "الذات" عبارة عن منظومة سيكولوجية اجتماعية تتحدد بطبيعة تطويرية خاصة، حيث أنّ صورة الذات هي نسق تصوري تطوره الكائنات البشرية أفراداً كانت أم جماعات.

<sup>1</sup> -جميل صليبا، المعجم الفلسفي، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان، د. ط، 1982، ج1، ص141.

<sup>2</sup> -عمر عبد العلي علام، الأنا والآخر (الشخصية العربية والشخصية الإسرائيلية في الفكر الإسرائيلي المعاصر)، دار العلوم للنشر والتوزيع، ط1، 2005، ص09.

ب - ماهية الآخر:

يكتسي مفهوم الآخر دلالة لغوية، وفلسفية جعلت منه مفهوماً مثقلاً بالتنوعات الإيحائية وهذا ما سنتعرف عليه في هذا المقام. لم يستقر مفهوم الآخر في المعاجم العربية على معنى واحد فورد الآخر في معجم الوسيط بمعنى: «تأخر، والشيء جعله بعد موضوع وهو الميعاد أجله (تأخر) عنه جاء بعده، وتقهر عنه، ولم يصل إليه، والأثر أحد الشيئين، ويكونان من جنس واحد»<sup>1</sup>.

وجاء في قاموس المحيط بمعنى «الآخر في الأصل الأشد تأخرًا في الذكر ثم أجرى مجرى غير، ومدلول الآخر وآخر معه لم يكن الآخر إلا من جنس ما قولته، (...) وقولهم جاءني في أخريات الناس وخرج في أوليات الليل يعنون به: الأواخر والأوائل»<sup>2</sup>، «كما يكون الآخر: غير، آخر، وأخريات، ومن الكناية (أبعد الله الآخر) أي من غاب عنا وليس منا»<sup>3</sup>.

في حين يرى "محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي" أن: «الآخر بفتح الحاء أحد الشيئين، وهو اسم على أفعل و الأنتى أخرى إلا ما فيه معنى الصفة لأن أفعل من كذا لا يكون إلا في الصفة وجاء في أخريات الناس أي في أواخرهم ولا أفعله أخرى الليالي أي أبدا وباعه بأخرة بكسر الحاء أي بنسيئة، وعرفه بفتح الحاء أي أخيراً وجاءنا آخر بالضم أي أخيراً ومؤخر العين بوزن مؤمن مايلي الصدغ، ومقدمتها مايلي الأنف، ومؤخرة الرحل أيضا لغة قليلة في آخرة الرحل وهي التي تستند إليها الراكب، ولا تقل مؤخرة الرحل، ومؤخر الشيء بالتشديد ضد مقدمة، وآخر جمع أخرى، وأخرى تأنيث آخر، وهو غير مصروف...»<sup>4</sup>.

إنَّ الآخر في أبسط صورته هو نقيض الأنا فهو كل ما كان موجوداً خارج الذات المدركة، ومستقلاً عنها، «وفي تاريخ الفكر، كما في العلوم الإنسانية اختلفت موضوعات الآخر وما تزال تتمتع بمكانة

<sup>1</sup>- إبراهيم مصطفى وآخرون، المعجم الوسيط، ص 09

<sup>2</sup>- بطرس البستاني، محيط المحيط، مكتبة لبنان، د. ط، 1987، ص 18.

<sup>3</sup>- لويس معلوف، المنجد في اللغة والأعلام، دار المشرق، والمكتبة الشرقية، لبنان، د. ط، 1991، ص 05.

<sup>4</sup>- محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي، مختار الصحاح، ص 13، 12.

## الفصل الرابع: تفاعل الأنا والآخر في الروايتين.

بارزة نظراً لارتباطها الجدلي بموضوعات أساسية: ملازمة: الأنا/الذات/الهوية، فيصير الآخر بالمفرد والجمع الذي نعيش معه تجارب كالقربة، والصداقة والجوار، أو كالمنافسة، والخصومة، والعداء، وهذه التجارب، وسواها تحدد بتنوعها واختلافها طبيعة العلاقة ودرجتها إما على صعيد الوعي أو في حقل السلوك والفعل<sup>1</sup>. «فالآخر هو طرف غير الذات أو هو الطرف المقابل للذات، كما نفهم أيضاً أن تمت تلازما بينهما، أي أن وجود الآخر يتحقق بوجود الأنا التي تجعله مميزاً لأن الآخر هو المختلف في الجنس أو الانتماء الديني، أو الفكري أو العرقي»<sup>2</sup> وهو ما يجعل الذات تنساق نحو الآخر المختلف.

إذا حاولنا أن نعرف ما هو "الآخر" فيجب أن ندرك أولاً أن هناك تلازماً بين مفهوم (صورة الذات)، ومفهوم (صورة الآخر)، واستخدام أيّ منهما يستدعي تلقائياً حضور الآخر، هذا التلازم بين الصورتين قد أبرزته أعمال العلماء النفسيين، والاجتماعيين الذين اهتموا بالقضايا المتصلة بالذات، وبالآخر «حيث طور جيمس مارك بالدوين (j.m. balduin)، بعد ذلك رؤية تفاعلية اهتم فيها بعلاقة الذات بالآخر، حيث شدد على "الأنا" و"الآخر"...مولودان معا»<sup>3</sup> وهكذا، لا يمكن أن يكون هناك "أنا" دون "الآخر" فكلاهما مرآة الآخر، بيد أن "الآخر" قد يكون هو "الأنا"، أي أن كل ما ينصب من تعريفات للأنا من شأنها أن تنسب للآخر أيضاً حين تأخذ "الأنا" محل "الآخر".

يقول في هذا الصدد "جان فاروق" في بحث له بعنوان (الآخر من حيث اختراع تاريخي): «ثمة نزعة إلى طرح التساوي "الإنسان: وعى: على أنه تساوي بديهي، والحال أن من يسلم بالوعي يسلم بإدراك الذات من حيث هي فرد، فيسلم إذن باكتشاف "الآخر"، ذلك أنه إذا ما وجدت "أنا" (ضمير المتكلم)، فإنه تُوجد بالضرورة أنا أخرى عديدة التي هي "أنت": (ضمير المخاطب)، بيد أن هذا التساوي، مهما يبدو لنا طبيعياً، ليس من دون الشك إلاً اختراعاً حضارياً حديث العهد»<sup>4</sup>. بالفعل

<sup>1</sup> - بن سالم حميش، في معرفة الآخر، دار الحوار للنشر والتوزيع، سوريا، ط2، 2003، ص05.

<sup>2</sup> - فاضل أحمد القعود، جدلية الذات والآخر في الشعر الأموي (دراسة نصية)، دار غيراء للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2012، ص33.

<sup>3</sup> - عمر عبد العلي علام، الأنا والآخر، ص11.

<sup>4</sup> - المرجع نفسه، ص11.



## الفصل الرابع: تفاعل الأنا والآخر في الروايتين.

فإن قضية الأنا والآخر جاءت نتيجة المواجهة بين الشرق والغرب أو بين الحضارتين العربية (الشرقية)، والغربية، فكل «الثقافات، والحضارات الإنسانيّة المختلفة صورة ما للآخر، والآخر هو كل ما ترى الذات أنه مخالف لها أو مختلف عنها»<sup>1</sup>، «فقد ركزت الدّراسات الأدبيّة في رصدها لصورة الآخر على العلاقة القائمة بين الأنا والآخر على اعتبار أنّ المرء لا يتشكل كفرد دون علاقة تربطه بالآخر»<sup>2</sup>.

إنّ الإحالة إلى الآخر: «كما هو اليوم في خطابنا المعاصر مفهوم حديث مترجم بصيغته، ومعناه، وبالتالي فهو منحرف في التفاعل الثقافي الموجود الآن»<sup>3</sup>. فالآخر بالضرورة يميل نحو الاختلاف الذي بات ضرورة ملحة لاكتشاف الذات، ومن هنا نستشف أنّ مفهوم «الآخر يتأسس على مفهوم الجوهر أي أنّ ثمة سمة أساسية جوهرية تحدد الذات مما يجعل الآخر مختلفاً عنها، وبالتالي لا ينتمي إلى نظامها، أيّا كان فإذا كان الشرق كما في معالجة "ادوارد سعيد" للاستشراق، هو الآخر بالنسبة إلى الغرب، بوصفها سمات دونية، وربما غير آدمية»<sup>4</sup> إذا حاولنا على هذا الأساس أن نستقصي الفارق بين "الأنا" والآخر"، نستطيع أن نقول: «أنّ الثنائية التقليدية التي تفصل وتعارض بين الأنا والآخر: هي ثنائية بسيطة، ذلك أنّ كل تعريف ذاتي للآنا يتضمن بالضرورة تعريفاً ظاهراً أو مضمراً للآخر، والعكس أيضاً صحيح، غير أنّه من الممكن أن يكون رفض حضور الآخر، بل وحتى كبتة في التعاريف الذاتية للآنا مصدر الصورة الآخر الأكثر تعكراً وسلبية، هذه الظاهرة قائمة بالتأكيد في مناطق الحدود، والتماس بين المجموعات، والمجتمعات، والثقافات، والحضارات... كما أنّ للعرب حضارة هي حضارة غير الأوربية الأكثر قرباً جغرافياً من الغرب، ولعل هذا ما زاد في إمكان تشويه صورة "الآنا"، وصورة "الآخر" وفي إخفاء الطابع

<sup>1</sup>- سعيد بن سعيد العلوي، أوروبا في مرآة المرحلة، صورة الآخر في الرحلة المغربية المعاصرة، الأهلية للنشر والتوزيع، المغرب، ط1، 2006، ص26.

<sup>2</sup>-رامي أبو الشهاب، الرئيس والمخاتلة، دار فارس للنشر والتوزيع، الأردن، ط1، 2013، ص22.

<sup>3</sup>-نعيمة حاج عبد الرحمن، الأزهر، ريجاني لقاء مع محمد عابد الجابري، مجلة آيس، الجزائر، عدد2، 2007، ص65.

<sup>4</sup>-ميجان الرويلي، سعد البازغي، دليل الناقد الأدبي، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط5، 2005، ص22.

## الفصل الرابع: تفاعل الأنا والآخر في الروايتين.

الدرامي عليها في شمال البحر الأبيض المتوسط وجنوبه»<sup>1</sup>. يبدو أن الصراع الأزلي بين الأنا والآخر كان ولازال قائماً بين الحضارات المتعاقبة وما زاد من حدته هو ذلك التقارب الثقافي بين الشرق والغرب.

يقول الدكتور "شاكر عبد الحميد": «أنّ الآخر قد يكون أحد الأفراد، وقد يكون جماعة من الجماعات أو أمة من الأمم، فالآخر، قد يكون قريباً، وقد يكون بعيداً، وقد يكون صديقاً، وقد يكون عدواً نفكر في أنسب الوسائل للتعامل معه»<sup>2</sup>، فكل يبدي برأيه وموقفه تجاه مفهوم الآخر، وإن كان هذا الأخير، «حاضراً وبقوة في المجال العام للهويّة، ولذلك فإنّه يمثل وبشكل مفارق أحياناً موضوع إغراء ومصدر حذر وحبطة في نفس الآن»<sup>3</sup>، دائماً ما نبحت عن هويتنا انطلاقاً من الآخر الذي يُشكل مصدر قلق، وحيرة، وتشكيك، لذا نجد أغلب الأشخاص يبحثون عن ذواتهم انطلاقاً من الآخر المختلف والمميز. بناءً على هذا يصعب ضبط وتحديد مفهوم دقيق لهذين المصطلحين باعتبارها نتاج الدراسات المعاصرة وبين هذا وذاك نستحضر قوله تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَاخْتِلَافِ أَلْسِنَتِكُمْ، وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِلْعَالَمِينَ﴾<sup>4</sup>.

### ❖ تفاعل الأنا مع الآخر:

إنّ منطق الحياة يبدأ بالتنوع والاختلاف لينتهي إليهما، ذلك أنّ التنوع الحاصل جزء من حكمة الله، ونظام الكون، ولا يُعدُّ هذا الاختلاف، والتنوع الثقافي، والتبادل المعرفي ظاهرة العصر بقدر ماهي إشكاليته «وهي ظاهرة كوّنّت التاريخ، وبلورته عن طريق عمليات التغيير التي تطرأ على جماعات من الناس تنتمي إلى ثقافتين مختلفتين أو أكثر في اتصال، وتفاعل يتمخض عن حدوث تغيرات في الأنماط الثقافية الأصلية أو الأولية ومن البديهي أن يحدث ذلك التقاف في جو من الحرية، والتي تُعبران عن

<sup>1</sup>-عمر عبد العلي علام، الأنا والآخر، ص12.

<sup>2</sup>-شاكر عبد الحميد، الذات والآخر في عملية الابداع، مجلة سطور، ديسمبر، 1996، ص63.

<sup>3</sup>-عمر عبد العلي علام، الأنا والآخر، ص13.

<sup>4</sup>-سورة الروم، ص22.

## الفصل الرابع: تفاعل الأنا والآخر في الروايتين.

رغبة الشعوب في التقارب الحوار، والمثاقفة وإلّا تحولت إلى استيلاّب فكري، وغزو ثقافي يهدف إلى محو الآخر، وطمس معالمه، وفرض التبعية عليه وتذويب كيانه، ومعاملته بنظرة استقلالية متغطسة»<sup>1</sup>.

تتجلى أهمية ذلك التفاعل الذي يحدث بين الأنا والآخر في كونه أبلغ وسيلة للتقارب، والتواصل وازدهار الأمم، والحضارات، وبما أنّ الإنسان بطبيعته كائنا سويا يحيا ضمن منظومة اجتماعية، كان عليه أن يفتح على الآخرين، ويتفاعل معهم عبر جسور الاتصال لتحقيق التأثير والتأثر، فلا يمكن لأي أمة من الأمم أن تغلق على نفسها بل وجب الانفتاح على الآخر، والتعايش معه في ظل الحوار المتبادل؛ وقد برز في الآونة الأخيرة سجالاتاً محدداً يطرح هذه القضية، حيث توجه «تهمة رئيسية بأنه لا يعترف بالآخر، ولا يفقه التعامل معه، لأنّ الانفتاح على الآخر لدينا أضحى نوعاً من التفريط في الذات»<sup>2</sup> وهذا خطأ جسيم، لأنّ الانغلاق والعزلة الحضاريين لا بدّ أن يؤديان إلى الذبول، والاضمحلال وهذا ما نلمسه في العديد من الأعمال الروائيّة التي تعرضت إلى هذا الجانب.

هذا وتُعَدُّ الرواية الجزائرية أرضاً خصبة لتمثل الهوية، فهي تعتمد في بنائها الفني على السرد، وكل سرد يتطلب ثقافة معينة هو بدوره يستوعب ثنائية الأنا والآخر التي باتت لازمة ملحّة لكل عمل سردي، وعليه فإنّ «كل سرد روائي يتضمن بالضرورة أنا وآخر سواء كان السارد أنا وآخر أو كان السارد افتراضياً آخر كامناً خارج هذين القطبين، فالتماس هو الذي يمنح السرد وجوده ويجعله سرداً، سواء كان هذا التماس توافيقاً في حده الأقصى" أو كان تماساً تنافرياً عبر مختلف أشكال الحروب وعمليات الخصومة والقتل والعداء، وما إلى ذلك»<sup>3</sup> ولا يخرج الأنا والآخر في غير هذا الإطار لأنّ العلاقة التي تجمع بينهما كما يقول **دانيال هنري باجو** «أساسها التميز والاختلاف، فإن حصل التوافق بينهما

<sup>1</sup>- عمر عبد العالي، الأنا والآخر، ص12.

<sup>2</sup>- البشري طارق، حول العروبة والإسلام في الحوار القومي الديني، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، د. ط، 1989، ص41.

<sup>3</sup>- صلاح صالح، سرد الآخر (الأنا والآخر عبر اللغة السردية)، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 2003، ص45.

## الفصل الرابع: تفاعل الأنا والآخر في الروايتين.

بالتقليد، كانت الأفضلية للنموذج، ويكتسب المقلد هوية الآخر، أو يكتسب هوية مشوشة ترنو إلى معالجة هوية الآخر»<sup>1</sup>.

اختزلت الرواية الجزائرية قضية اللقاء بين الذات والآخر، منذ زمن بعيد، ويرجع السبب في ذلك إلى المستعمر الوافد «فعمكست الكتابة الروائية صدمة اكتشاف الآخر منذ وقت مبكر، ولكن الغريب أن هذه الصدمة لم تتوقف منذ زمن الاكتشاف الأول إلى زمن العولمة الحالي»<sup>2</sup>. فمجريات الحرب قلبت الموازين في الأعمال الإبداعية ولأنّ التفاعل بين الذات والآخر جاء من أجل صياغة جديدة تعكس رؤية تطويرية، وحضارية للعالم تقوم على أساس من الشراكة بين (الأنا) و(الآخر)، كانت الثقافة الغربية عموماً، والفرنسية خصوصاً حولت هذا التفاعل وحصرته في التعيين والتنميط والاختزال بما يخدم مصالحها. وبما أنّ الروائي الجزائري عاش جميع حالات الاستيلاء الفكري، والتعايش مع الآخر الفرنسي الذي عمد جاهداً على طمس معالم هويته، لم يتوان عن تصوير جل التفاعلات الحادثة، فالأنا المبدعة لم تصبح في معزل عن العالم ولم يعد العالم في معزل عنها، وأنّ قطيعة ورفض الآخر هي عزلة للذات، كما أنّ الاندماج غير الواعي هو تذويب للهوية، ولهذا كان اللقاء بين القطبين ضرورة وجود، وإمكانية تفاعل وهو أمر حتمي لوجود مثل هذه المشادات الثقافية حتى يتسنى لنا معرفة الآخر ويتمكن الآخر من معرفتنا، وسنحاول في هذه الدراسة أن نكتشف كيف نقل لنا "ياسمينه خضرا" الآخر وكيف تفاعلت شخصياته معه.

<sup>1</sup>-دانيال هنري باجو، الأدب العام المقارن، تر: غسان السيد، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ط1، 1997، ص11.

<sup>2</sup>-نجم عبد الله، الرواية العربية المعاصرة، عالم الكتب الحديثة، اربد، الأردن، ط1، د. ت، ص71.

أولاً: تفاعل الأنا المغتربة في رواية "فضل الليل على النهار" لياسمينه خضرا:

7- تفاعل يونس مع الآخر (البيئة الجديدة):

تبدأ رحلة الفتى نحو الاغتراب الذاتي منذ طفولته، وقد سعى "ياسمينه خضرا" إلى رصد سُبل التفاعل والتبادل الاجتماعي، والفكري والثقافي من خلال التعايش الذي حصل بين الروائي والأمم التي قصدها ونقصد هنا (التعرف على الثقافة الفرنسيّة).

نمت هذه الشخصية بين ثقافتين متناقضتين، وظهر ذلك في أنماط حياتية عديدة، وقد تحدث عنها الطفل بما حفلت به ذاكرته من مظاهر الإعجاب، والانبهار التي رآها زمن ذلك في قوله: «يقطن عمي في المدينة الأوروبية عند نهاية زقاق معبد بالإسفلت تحيطه منازل صلبة أنيقة، وهادئة وسياجات من الحديد المطرق، والنوافذ بمصراعين خشبين، كان زقافاً جميلاً بأرصفتها نظيفة، مزينة بأشجار تين مشدّبة بعناية»<sup>1</sup> تجعلنا الأنا المعجبة نتفاعل وجدانياً مع جمالية الصورة التي تُقدم المدينة في شكل جديد، والتي تتمتع بكافة مقومات الحضارة الأوروبيّة التي تُوحى بالانتماء الجديد للطفل، يواصل كلامه قائلاً: «في المدينة... تُوجد مقاعد يجلس عليها الشيوخ ليتسلوا بمرور الوقت يركض الأطفال في الحديقة العمومية، لا يرتدون أسمال أطفال جنان جاتو، بدوا كما لا تصدق لا تسمع إلا قهقهات الأطفال وزقزقة العصافير»<sup>2</sup>.

كانت البيئة الجديدة بمثابة الرّحم بالنسبة إلى القيم الثقافيّة التي بدأت جذورها تتشكل لدى "يونس" الأمر الذي يمكننا من أن «نعتبر الثقافة نفسها كبيئة مكونة الأصوات، والألوان، والأشكال والحركات والأشياء المأنوسة، والمناظر، والصور، والأفكار المتفشية في كل اتجاه... فنحن لا نتلقى الثقافة، وإنما تنفسها، تَمَثَّلنا بنفس الطريقتة التي يتم بمقتضاها تنفسنا، وتمثلنا الأوكسجين»<sup>3</sup>. فالتفاعل مع الآخر

<sup>1</sup>-ياسمينه خضرا، الرواية، ص90.

<sup>2</sup>-المصدر نفسه، ص90.

<sup>3</sup>-مالك بن نبي، آفاق جزائرية، تر: الطيب الشريف، مكتبة النهضة الجزائرية، الجزائر، د. ط، 1964، ص125.

## الفصل الرابع: تفاعل الأنا والآخر في الروايتين.

يبدأ بالبيئة، والمكان اللذان يؤديان دوراً مهماً في تشكيل صورة الآخر ذلك أنّ أهم المتغيرات ذات الفعالية في تحديد معالم التفاعل الاجتماعي يرتبط بالبيئة المكانية.

لقد تنوعت الأطر المكانية التي حلّ بها الطفل ومن بين تلك الأطر نجد منزل عمّه الذي أعجب به «كان منزل عمي يرتفع بطابق واحد، وبه حديقة صغيرة عند المدخل، وممر قصير على الجانب. تتدفق نبتة الجهنمية الذي يقوم مقام السياج وتتدلى في الفراغ، مزينة، بأزهارها البنفسجية اللون، وفوق الشرفة، تتشابك أغصان الكروم إلى ما لا نهاية»<sup>1</sup>.

بدأت فكرة الصراع الحضاري تلج عالم الفتى "جوناس" من خلال مظاهر بيئية مختلفة، فإعجابه بمنزل عمّه جعله يُقارن بين منزله الأصلي، والمنزل الحالي يقول: «كان منزلاً جميلاً، مشمساً، بدا لي في البداية متاهياً بأروقته، وأبوابه المتوارية، وأدراج سلامه المملوبة، وخزائنه الحائطية التي خلقتها غرفا فكرت في أبي، في كوخنا، في أراضينا الضائعة، وثقب الجرد في جنان جاتو، بدا لي الفرق شاسعاً إلى حد الدوار»<sup>2</sup>، فمثل هذه النظرة للآخر وهذا التفكير الذي نلمحه لدى الطفل الصغير يجعلنا نعي الواقع المرير الذي فرض نفسه في المتن السردي، بين البؤس، والشقاء الذي شهدته عائلة يونس، تأتي الصدمة الحضارية، ويتجلى من خلال قوله: «كنت أكتشف مبهوراً، أشياء العصور الحديثة»<sup>3</sup> أي أنّ "يونس" «واجه مشكلة الهوية حين واجه غربتها الحضارية بدخولها في حيز الهيمنة الأوروبية»<sup>4</sup>، فبدأت تتبادر في ذهنه ملامح تمزق هويته التي ضاعت أمام رياح التحديث.

على الرغم من هذا التمزق، والانشطار إلاّ أنّه «كان في مكان آخر»<sup>5</sup> مكان كله أحلام ويظهر ذلك التفاعل من خلال العديد من المقاطع: «أظن أنني كنت سعيداً عند عمي لم أشعر بأنّ جنان جاتو ينقصني، أقمت علاقة صداقة مع طفلة تسكن مقابل لنا اسمها "لوسات" كنا في قسم واحد

<sup>1</sup>-ياسمينه خضرا، الرواية، ص91.

<sup>2</sup>-المصدر نفسه، ص95.

<sup>3</sup>-المصدر نفسه، ص95.

<sup>4</sup>- سعد البازغي، المكون اليهودي في الحضارة العربية، المركز الثقافي العربي، المغرب، بيروت، ط1، 2007، ص59.

<sup>5</sup>-ياسمينه خضرا، الرواية، ص116.

## الفصل الرابع: تفاعل الأنا والآخر في الروايتين.

وأذن لها أبوها بأن تلعب معي»<sup>1</sup>، يُحدد السارد موقف بطله في الرواية منذ أن وطأت قدماه المدينة الأوروبية، ولم يفتأ يذكر تفاصيل حياته الجديدة، «في المدرسة، استوت لي الأمور، ابتداء من السنة الثانية، نجحت في الذوبان بين الصفوف. صحيح أنّ الأطفال الروميين كانوا غرباء نوعاً ما، يستطيعون استقبالك بالأحضان قبل أن يلفظوك مباشرة بعد التحية، يتفاهمون جيداً فيما بينهم...، أن يغدوا أحقاداً دفيناً لبعضهم البعض، ولكن بمجرد أن يعلن غريب ما، عادة ما يكون عربياً أو من فقرائهم، يتحدثون في كتلة واحدة ضده»<sup>2</sup> وبهذا تفصح الرواية عن موقف الأنا من الآخر الذي يبدو عدائياً في تعامله.

واجه "يونس" نوعاً من التعصب، وعدم التقبل من الطرف الآخر، من خلال مظاهر التعسف التي لاحظها، وقد أشار إلى طريقة تعامل الأطفال الروميين الذين آثروا استيائه «في البداية كلفوا موريس، تلميذ كسول وعدواني باضطهادي حينما اكتشفوا أنني متخاذل، عاجز عن ردّ الضربات أو البكاء، انصرفوا عني»<sup>3</sup> فالرحلة إلى الآخر، كشفت حقيقة هؤلاء من خلال تلك الممارسات غير المرّبي فيها، وقد عمد الروائي إلى رصد هذا الجدال بين يونس والآخر، لإبراز أنّ الصراع هو «الشحنة التي تنقذ الوجدان المتعب من الاستسلام أمام الأمر الواقع»<sup>4</sup> ولكنه أدرك مبكراً مثل هذه الاهتزازات.

كان "يونس" عاملاً مؤثراً، وفاعلاً في معظم أجزاء الرواية بنجده يتفاعل مع جميع الأحداث الواقعة في المتن السردي، وها هو السارد يصف لنا حالة الفتى في ظل اختفاء الأب: «بكيت ودعوت، ومع مرور الموسم، انطفأت الشاشة فوق رأسي، واسترجع السقف سطيحته، ليس من الفائدة بمكان أن نقوم مقام أشباحنا، استأنفت طريق المدرسة، ومعني يد لوسات إنّ الأطفال الكثر الذين يحومون حولي لم يخطئوا، إنهم أطفال ليس إلاّ أطفال معرضون هم أيضاً لنوائب الدهر، يقضون عقوبات تعسفية، ومع ذلك يتأقلمون معها وإذا لم يطرحوا أسئلة كثيرة، فذلك لأنّ الأجوبة في الغالب لا تأتي بشيء ذي

<sup>1</sup>-ياسمينه خضراء، الرواية، ص118.

<sup>2</sup>-المصدر نفسه، ص118.

<sup>3</sup>-المصدر نفسه، ص118.

<sup>4</sup>-غالي شكري، أدب المقاومة، دار المعارف، القاهرة، د. ط، 1970، ص06.

## الفصل الرابع: تفاعل الأنا والآخر في الروايتين.

بال<sup>1</sup>، انتقل "يونس" إلى مرحلة جديدة، كان الوعي الفكري أبرز سماتها، وتظهر نبرة اللوم في قوله: «لمت نفسي على أنني سلكت ذلك الشارع، ومررت قرب الحانة في الوقت الذي رمى فيه النادل الطارد أرضاً أبي ومعه عواملي، لمت نفسي لأنني فارقت لوسات بسرعة وتأخرت في الرجوع منشغلاً بالنظر إلى واجهات المحلات»<sup>2</sup>. وجدت الذات نفسها أمام مشاعر مختلطة بين اللوم، والحيرة، والحزن الذي لم يفارق الفتى وكلها أحداث لم تأت عبثاً بل نظرت إلى الفرد الجزائري وهو يتخبط في بؤرة نزاع، صراع النفس مع ذاتها، وصراع الذات مع الآخر.

أمام هذا الموقف الذي جعل الابن يُفتش عن والده ويتفاعل مع اختفائه يبقى البحث عنه هو الدرب الذي لجأ إليه الفتى يقول: «بعد أسابيع من اختفائه، ذهبت إلى جنان جاتو دون أن أخبر أحداً، تعلمت التجوال في المدينة، وأصبح بإمكانني زيارة أمي دون طلب الإذن من جرمان، ودون مرافقة عمّي، وبختني أمي بفضاظة، وجدت مبادرتي غيبية وأخذت مني عهداً بعدم تكرارها، كانت الأحياء تعج بالأشجار، والصعاليك، ويمكن لطفل يرتدي ثياباً جديدة أن يتعرض للسطو والسرقة من قبل أولئك المتربصين في الزوايا الخيالية المظلمة، شرحت لها أنني جئت لأعرف إن كان أبي قد عاد إلى الدار..»<sup>3</sup> بعد هذا المقتطف نجد أن "يونس" انخرط في غياهب مظلة بين الثقافة الجديدة التي برزت وبقوة من خلال طلب الإذن من جرمان وعمّه، وبين الثقافة الأصلية التي تطلب من الابن أن يسأل عن عائلته، ومن الجلي أن العائلة الجزائرية تتمتع بالترابط الأسري، وصلة القرابة التي جعلت من المجتمع قرية صغيرة، لكن الملاحظ هنا أن "يونس" لا يمثل الفتى الجزائري المحب لعائلته، الغيور على وطنه، لأنه أثبت في كثير من الأحيان تخليه عن أسرته، وتماهيه مع ثقافة جديدة، التي كان من أبرز أسبابها ترك الأب الولد عند أخيه الصيدلي حتى ينعم بحياة جيدة، لهذا جاء خطاب الأم صارماً تجاه ابنها فهي تخبره بأن والده ليس بحاجة إلى أن نتحير على حاله، وأنه في حالة جيدة حسب "باتول العرافة" وأنه

<sup>1</sup>-ياسمينه خضراء، الرواية، ص138.

<sup>2</sup>-المصدر نفسه، ص136، 137.

<sup>3</sup>-المصدر نفسه، ص133.



## الفصل الرابع: تفاعل الأنا والآخر في الروايتين.

بصدد جمع أموال كبيرة، «حينما يعود، سيمر أولاً عند عمك لاسترجاعك قبل أن يأتي لأخذنا أنا وأختك، كي يقودنا جميعاً إلى منزل كبير تحيطه الحدائق والأشجار المثمرة الكثيرة»<sup>1</sup>.

لا يمكن لأحد أن ينكر أن طبيعة العلاقة بين الابن، والأم مرهونة بذلك الموقف الصارم: «لقد حيرني طويلاً هذا الرفض الصارم الذي جابهتني به أمي، انتابني إحساس بأني المتسبب في جميع مصائب الأرض»<sup>2</sup>. كثيراً ما نجد أن الطرف الآخر «هو العنصر الاستيلابي لجميع مظاهر هويتنا لذا غالباً ما تتأرجح أسئلة الهوية والاختلاف، الذات، والآخر بين الإرادة المهووسة للاحتواء الايديولوجي وبين بلاغة المتخيل، في حين أنها أسئلة لا تكف عن إزعاج الفكر، والثقافة، بل إنها تكثف سؤال الثقافة في كليتها، لأن من الثقافات من تمتلك قدرة على الاستقبال، والضيافة والانفتاح ومنها من تُفرز على العكس من ذلك مقومات، وعناصر لا حدود لها للاستبعاد، والاقصاء»<sup>3</sup>.

ومن بين الأمور التي تركت أثرها في مخيلة الفتى المكان بنوعيه (المدينة/القرية)، فقد شكّل بحضوره القوي في النصوص الروائية أحد أهم رموز الانتماء، فتنوعت رواية "فضل الليل على النهار" بمجموعة من الأمكنة تبعا لعلاقتها بساكنيها، في كل مكان يرتاده بطل القصة، إلاّ وظهر ذلك التفاعل، المفعم بالإيجابية، ولما انتقل الفتى إلى ريو سالادو، وهناك أبحر في عوالم جديدة يقول: «كان عمي على صواب، ريو سالادو مكان مناسب لا عادة حياة جديدة»<sup>4</sup>. ثم يضيف إعجابه بمنزله الجديد، «يرتفع منزلنا على الجانب الشرقي للقرية. مرصع بحديقة رائعة وشرفة تفتح على بحر من الكروم، كان منزلاً كبيراً واسعاً ومضيئاً، بطابق أرضي، بسقف مرتفع، ليحتوي.... وينفتح على صالون شاسع، تحيطه ثلاث غرف كبيرة، وقاعدة حمام مبلطة وبداخلها حوض للاغتسال يرتكز على أقدام أسد برونزية، لم أشعر

<sup>1</sup>-ياسمينه خضرا، الرواية، ص133.

<sup>2</sup>-المصدر نفسه، ص134.

<sup>3</sup>-محمد نورالدين أفاية، الغرب المتخيل (صورة الآخر في الفكر الغربي الإسلامي الوسيط)، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، بيروت، ط1، 2000، ص08.

<sup>4</sup>-ياسمينه خضرا، الرواية، ص159.

## الفصل الرابع: تفاعل الأنا والآخر في الروايتين.

بالراحة النفسية إلا في اللحظة التي انخبت فيها على جدار الشرفة الخارجي، العائم تحت ضوء الشمس، وساح بصري خلف تخليق حجلة فكاد أن لا يعود»<sup>1</sup>.

المتأمل لهذا النص الذي هو قيد الدراسة يُلاحظ ذلك الشغف الكبير من قبل "يونس" كونه يتعرف بين الفينة، والأخرى على قرى ومدن طبعت في ذاكرته بأحلى حلة، فثنائية الريف، والمدينة انعكست بدورها على صورة الذات وعلاقتها بالآخر، فإذا كانت المدينة هي الفضاء الذي تتشكل فيه عواطفنا، وأفكارنا، وأيضا هزائمنا وحياتنا، وهي التي تحدد نظرتنا لما يحيط بنا في العالم، فإنّ الريف مرفأ للأحلام المنسية، وهو ما تجلّى في قول "يونس": «انبهرت بالمناظر الخلابة، لقد ولدت، وقضيت طفولتي الأولى بين الحقول، وها أنا أسترجع معلمي القديمة، الواحد تلو الآخر، رائحة الحرث، وصمت الأشجار، ولدت من جديد في ثوب قروي مزهرا بإدراكي أنّ ملابسي الحضرية لم تغير طبيعة روحي، إذا كانت المدينة وهما، فإنّ الريف انفعال متنام باستمرار، كل يوم جديد يذكر بفجر الإنسانيّة وكل يوم يأتي كما لو أنّه سلم نهائيا. أمام أطلال الريف، وروعة المدينة تتمزج مشاعر الانتماء، مع مشاعر الأسي، والحسرة، والإعجاب فتزداد الذات لوعة واشتياقا إزاء بقايا الآثار والذوبان في ترانيم جديدة يجعل النفس تنسى تلك المشاعر يقول: «أحببت ريو سالادو ومن الوهلة الأولى، كان بلد نعمة، يقسم أنّ الآلهة، والعفاريت عثروا في هذه الأماكن على سكينهم، يبدو كل شيء مطمئنا متحرّرا من وساوسه القديمة»<sup>2</sup>. يبقى الريف الملاذ الأول للفتي "جوناس" فهو يذكره بطفولته، وأيامه الجميلة مع عائلته، لهذا نجده معجبا بطبيعة ريو سالادو التي تُذكره بانتمائه الأول الذي أبي أن ينساه على الرغم من عوملة المدينة ومظاهرها.

يجب «الإشارة إلى أنّ الهجرة الأولى في الجزائر كانت هجرة داخلية، فالمرحلة التي سبقت الحرب العالمية الأولى كانت مرحلة اكتشاف لفرنسا، ولم تكن المخاطرة بالانتقال إلى ما وراء البحر بالفكرة التي تغري الشباب ولهذا السبب اكتفى بعضهم بالذهاب للعمل في بعض مستثمرات الخشب بسكيدة وبجاية، والبعض الآخر عمل في مناجم الفوسفات بنواحي قسنطينة، ولكن الأكثرية منهم استأجرها

<sup>1</sup>-ياسمينه حضرا، الرواية، ص159، 160.

<sup>2</sup>-المصدر نفسه، ص160.

## الفصل الرابع: تفاعل الأنا والآخر في الروايتين.

المعمر للعمل بسهولة متيحة بمجموعات كثيرة العدد مقابل أجور ضئيلة أمّا الشباب الأكثر شجاعة وجرأة وإقدامًا فغامروا بعبور البحر»<sup>1</sup> إنّ الغرض من هذا الطرح هو تبيان أنّ جلّ شخوص الرواية، كانت في نزوح دائم من القرى إلى المدن، وكانت المدينة بالنسبة لهم المكان الذي يجوي عوالم الحضارة التي تمنح لها الذات الجزائرية آنذاك.

إنّ الإنسان مجبول بالحنين إلى أصله خائف من الإحساس بالضيق في هذا الكون حريص على إثبات ذاته، والمحافظة عليها وتميزها أيضا عن غيره إنّه إثبات للذات إزاء الوجود، وإثبات لها إزاء الآخر، فالصفات الثابتة في الهوية هي الانتماء إلى الأرض، وإلى مجموعة بشرية، وهذه ثوابت في هوية الفرد والجماعة، وهذا ما ينطبق على "يونس" الذي قضى طفولته بين جنان جاتو وبين الهوية الجديدة (وهران/ ريو صالادو). فالتفاعل مع مختلف الأمكنة واضح، لأنّ كل مكان يقيم فيه علاقات جديدة تبدو وثيقة مع الآخرين، ومن الضروريات الأساسية التي تحدد انتماء الفرد الجزائري وتمكنه من التفاعل إيجابًا مع الأمور.

يحاول "ياسمينه خضرا" بسط جملة التفاعلات التي تُشكل علاقة الأنا بالآخر، وعلاقة يونس بأصدقائه كانت من أجمل العلاقات التي منحها إياه القدر، وورد ذلك في قوله الآتي: «في ذلك اليوم، ختمنا نحن الأربعة على أروع صداقة عشتها في حياتي»<sup>2</sup>، ينحو إلى إعادة صياغة لعلاقة الذات مع الآخر، علاقة لا تكون بالضرورة علاقة صراع، بل إنّ العلاقات الإنسانية لها نصيب وافر، وهذا ما نستخلصه مع "يونس" الذي كوّن علاقة صداقة مع "جان كريستوف"، "فابريس اسكاماروني"، "سيمون بن يامين"، "أندري صوزا"، كانوا يلقبونها بـ«أصابع المدراة»<sup>3</sup> نظرا لطبيعة الأخوة، والصداقة، والوفاء الذي جمعهم، يقول "يونس" «كنا لا نفترق أبدا»<sup>4</sup> رغم اختلاف الديانات والمستوى المعيشي، إلّا أننا نشم رائحة التعايش بينهم وهو ما نلاحظه في قوله: «كنا أنا وسيمون متلازمين

<sup>1</sup> - أم الخير جبور، الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية، ص 275.

<sup>2</sup> - ياسمينه خضرا، الرواية، ص 172.

<sup>3</sup> - المصدر نفسه، ص 184.

<sup>4</sup> - المصدر نفسه، ص 184.

## الفصل الرابع: تفاعل الأنا والآخر في الروايتين.

باستمرار»<sup>1</sup>. إنَّ قصة الصداقة هذه لها ارتباط بالتاريخ، تاريخ يمثل الذات المتأصلة في يونس وهو في مرحلة جديدة من بناء نفسه وإعادة بناء العلاقات.

كانت العلاقة بين الأنا والآخر متوترة تارة صداقة وأخرى عداوة، وهذا ما وضحته العلاقة بين "جوناس" و"جون كريستوف" اللذان تطورت علاقتهما من العداوة إلى الصداقة بدلالة العفو والصفح التي جددت علاقة الصداقة بينهما، وتذكير "جوناس" "جان كريستوف" بالحصان الخشبي الذي يوحى برمز حضارة الآخر، حصان طروادة، فقد تنازل الآخر عنه للأنا كعربون هدية للصداقة، واعتدار عن حادثة الضرب التي وقعت أول لقاء جمعه بهم، لتتطور وتتوحد قبل أن تهتم مرة أخرى بظهور شخصية "إيميلي" التي كانت سببا في توترها وزرع الشقاق بين الشبان ومن ثم فراقهم.

إلاَّ أنَّ اللقاء الأخير بين الأصدقاء تم بعد الاستقلال بسفر "يونس جوناس" إلى (إكس أونروفانس) لزيارة قبر "إيميلي"، حيث استقبله ميشال في المطار بعد أن استعاد صفاء ذهنه كليا واسترجع أصله وبلده الحقيقي.

إنَّ روائياً مثل "ياسمينة خضرا" لا ينفك ينقل لنا كل موقف مؤثر تعرض له بطله، فقد وصف عالم يونس/جوناس الغريب يقول: «كنت جالسا خلف المصرف، أتأمل هذا العالم الغريب نادما على المغامرة التي قادتني إليه، إنَّه أشبه بوكر اللصوص، تنبعث منه روائح النبيذ المزغول، وعرق الأجساد الهائجة، يخيم على المكان ضغط مبهم كما العفوية المشؤمة تكفي شرارة، كلمة في غير محلها، ربما نظرة بسيطة كي تفجر البناية...»<sup>2</sup>.

خلف كل بيئة جديدة، يحدد الانتماء الاجتماعي للأفراد، فيونس بعد انتقاله من مكان إلى مكان تعرف على مظاهر اجتماعية غريبة عن ثقافته، وفي كل مرة يكتشف فيها الجديد، يبقى مذهولا تارة، ومعجبا طورا آخر، ويواصل حديثه عمّا شاهده في ذلك العالم الغريب مع ذلك «كان الديكور رغم

<sup>1</sup>-ياسمينة خضرا، الرواية، ص 185.

<sup>2</sup>-المصدر نفسه، ص 205.

## الفصل الرابع: تفاعل الأنا والآخر في الروايتين.

أنه اصطناعي وذو إلهام ساذج، مسليا بستائره المحملية الخفيفة، الشفافة تقريبا، والمرايا المذهبية، واللوحات الرخيصة التي تصور حوريات بلباس حواء، والموتيفات المزينة المنسجمة مع الجدران المغطاة بالموزاييك، والمقاعد الصغيرة الشاغرة في الزوايا...<sup>1</sup>، بصورة أدق خلف مواخير المدينة تتحدد هوية الأشخاص، هوية تكشف الآخر الغريب عن الثقافة المحافظة، «بداخل القاعة الكبرى المضطربة بدخان السجائر، وقف زبائن يترصدون فرائسهم، مكومين كأفظاظ، كان بعضهم سكراناً، ولم يتوقف عن الغمغمة، والترنح عرضت العاهرات أجسادهن... يواجهن الزبائن، ترتدي بعضهن ثياباً خفيفة في شالات شفافة، هن أشبه بلوحة أوجين دولا كروا العصاي... تدخن جميعهن في صمت، وترمقن القطيع المعروض فبالتهن...»<sup>2</sup>، إن التمزق الداخلي الذي شعره "يونس" جزاء عوامة الانتماء سيفضي به لا محالة إلى تغيير زاوية النظر إلى آناه (ذاته) التي باتت تتجاوزها اتجاهات سياسية، واجتماعية، وثقافية، ونفسية متشعبة ما يؤكد لنا أن الهوية بناء متحرك لا يعرف الثبات.

تفاعل "يونس" مع فضاء جنان جاتو الذي شكّل في وقت مضى هويته، فكانت هذه الهوة تتعمق في نفسه يوماً بعد يوم، على الرغم من إعجابه بالحياة الحضارية، إلا أنه في كل حين يتذكر ماضيه، ولا يتوانى عن زيارته لمعرفة أخبار عائلته: «لم يخن حدسي، لقد وقعت أشياء غريبة في جنان جاتو منذ زيارتي الأخيرة»<sup>3</sup>، يظهر أن التغيرات التي تطرأ على الإنسان تمس معظم جوانب حياته، فحتى الأمكنة تنكرت لأصلها، ويظهر جلياً في قوله: «كان الحوش فارغاً كما لو أن زوبعة جرّده من ساكنيه، وُضع سياج شوكي مكان الباب لمنع الدخول، ولكن أيادي متهورة نجحت في رسم ثقب انزلت غيره إلى داخل المسكن القديم، كان الفناء يعج بالأنقاض المحروقة وزبل الحيوانات، وهناك في زاوية، بقي البئر بغطائه المعوج، اختفت أبواب ونوافذ الغرف، انهارت الجدران وتشبثت بقايا الروافد الخشبية المحترقة بالسقف المفتوح على سماء بزرقة شاحبة لم تكن غرفتنا إلا خراباً تتناثر وسطها هنا وهناك أواني مطبخية

<sup>1</sup>-ياسمينه خضرا، الرواية، ص205.

<sup>2</sup>-المصدر نفسه، ص204، 205.

<sup>3</sup>-المصدر نفسه، ص212.

## الفصل الرابع: تفاعل الأنا والآخر في الروايتين.

بالية وصور نصف محروقة»<sup>1</sup>. جنان جاتو جزء من تاريخ الجزائر الجريح، صورة للجزائر المستعمرة، ومعلم تاريخي من طفولة "يونس" المفقودة طفولة البؤس والشقاء، كانت ردة فعله مؤلمة لما آل إليه الوضع، «صعت صوت حلقي، لا يوجد أحد هنا»<sup>2</sup>، نستحضر هنا حكمة طالما قرعت في أذهاننا "دوام الحال من المحال" فحتى جنان جاتو تغيرت ملامحه، وأضحى أكثر روئًا «رجعت إلى شارع الصيادين، وقلبي يتمزق أزعجني أصدقائي بأسئلتهم، مشيت، ومشيت دون وجهة معينة، ألف مرة، توقفت وسط القارعة لأشدّ رأسي بيديّ ألف مرة، حاولت التحكم في أعصابي بالقول أنّ أمي وأختي بخير، وفي مكان آمن، وربما أحسن من السابق»<sup>3</sup>.

تبقى العائلة أصل الانتماء الأول للفرد، فمهما تعددت ثقافتهم وآراؤهم، ومعتقداتهم، يرجع الإنسان إلى طبيعته الأولى، وهنا نجد أن الفرد الجزائري بصفة عامة لا يستطيع العيش بمعزل عن مكوناته الثقافية التي تُحدد ملامح شخصيته ووجوده.

بقيت الذات المضطربة تبحث عن نفسها في وجوه الآخرين فيونس كان على موعد مع لقاء القدر، هذا القدر الذي يجمعه مع عائلته لكنه بقي عالقًا في مخيلته: «كنت أفكر في هذه الأشياء حينما نُحِيل إليّ أنّي رأيت... أبي أكيد أنه هو، كُنت سأتعرف عليه وسط مائة ألف شبح يزحفون في الليل، وسط مائة ألف شقي يجرون نحو حتفهم»<sup>4</sup>. عمدت الرواية على استبيان سجلها التاريخي، من خلال انتقاء بعض الحقائق التي عاشتها الأسرة الجزائرية، فالبحث عن الآخر هو بمثابة البحث عن المجهول، «لقد عاد أبي... كان يعبر ساحة قرية الزنوج، وسط الحشد، يزرع تحت معطف ثقيل رغم القيظ يمشي قدامه مستقيمًا، يجر قدميه، ركضت خلفه، وسط أدغال من الأدرع، والسيقان... كان يتعد بلا هواده، منحت تحت معطفه الأخضر لم أكن أريد أن يغيب بصري، خوفًا من عذم العثور

<sup>1</sup>-ياسمينه خضرا، الرواية، ص212.

<sup>2</sup>-المصدر نفسه، ص 212.

<sup>3</sup>-المصدر نفسه، ص214.

<sup>4</sup>-المصدر نفسه، ص215.

## الفصل الرابع: تفاعل الأنا والآخر في الروايتين.

على أثره ثانية»<sup>1</sup>. «إنَّ محاولة الرواية طرح ذاتها على أنَّها معالجة جديدة لقضية تصادم الحضارات عن طريق الإشارة المضمرة، والمكشوفة التي تتخلل نسيج العمل كله تبدو منذ البداية»<sup>2</sup>.

في خضم هذه المشاهد الحقيقية يصعب علينا تحديد هويّة النَّاص أهى وجهة نظر "يُونس" أم "جوناس" أم الكاتب، خصوصاً، وأنَّ النص اعتمد على وجهة نظر الفتى طوال مراحل حياته، وهذا ما يتضح من خلال التسلسل الزمني للنص. ظل يُونس يُصارع نفسه حول مصير أسرته التي أنهكها التعب حتى النخاع، «لم أر أمي وأختي مرة أخرى أبداً، أجهل مصيرهما، وإنَّ كانتا على قيد الحياة أم أنهما تحولتا إلى رميم وسط الرميم، ولكنني رأيت أبي مراراً، تقريباً كل عشر سنوات، تارة وسط سوق أو بداخل ورشة، تارة بمفرده في زاوية زقاق أو على عتبة مستودع مهمل»<sup>3</sup> تمكنت الرواية من إثارة سجل الغير (الآخر) بتوظيفها حمولة اجتماعية رصدت الفترة الكولونيالية التي تميزت بالعنصرية، والتهميش.

ضمن هذه الكوكبة الضيقة من الأصدقاء، يتحرك الفتى بشخصيته يونس/جوناس، بحسب موقعه في النص فيؤثر في الآخر ويتفاعل معه بطريقته يقول "يونس": «كُنَّا شبانا مغترين بسنواتنا العشرين، كان الزغب المتنامي على شفاهنا لا يرقى لأن يكون في صف (الشلاغم)، إلا أنه يؤكد على إرادتنا في أن نكون ناضجين وأسياد اختياراتنا، لا نفترق، كما أصابع المذراة نعيش لأنفسنا، ونشكل نحن الأربعة عالمًا بأكمله»<sup>4</sup>. وهو في حديثه عن أصدقائه لا يخلو من إبراز معنى الوفاء «من جديد كنا معًا ملتحمين كما أصابع المذراة، مسرورين بالحفاظ على حياتنا المرححة، بنفس الحماس السابق»<sup>5</sup>. إنَّ علاقة الصداقة تواجه الكثير من التحديات التي لن تستطيع الاستمرار إلا بتخطيها، واستيعاب المعنى الحقيقي للصداقة وقيمها الحضارية الذي يتجاوز الميولات الشخصية والحسابات البراغماتية التي تُعد أبرز عامل لهدمها.

<sup>1</sup>-ياسمينه خضرا، الرواية، ص215.

<sup>2</sup>-رشيد العناني، استنطاق النص (مقالات في السرد العربي)، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ط1، 2006، ص99، 101.

<sup>3</sup>-ياسمينه خضرا، الرواية، ص215.

<sup>4</sup>-المصدر نفسه، ص250.

<sup>5</sup>-المصدر نفسه، ص301.

إنَّ علاقة الذات بالآخر هي علاقة مبنية على الاحترام المتبادل، "فيونس" تأقلم مع بيئته، وفرض نفسه كشخصية فاعلة على كافة المستويات. في كثير من الروايات الجزائرية نجد تظاهرات العلاقة بين الذات، والآخر مبنوثة في ثنايا الثقافة الإنسانية، وذلك لاعتبارات «دينية، وتاريخية، وجغرافية، إذ يغدو الأنا رمزاً للوطنية المسحوقة المقاومة في مقابل الآخر الذي هو رمز التعدي، والهيمنة بمختلف أنواعها وهو موقف اصطنعتة الأنا عن الآخر»<sup>1</sup>.

يبقى "يونس" حبيس هذه العلاقة الأخوية، على الرغم من عمق مشاعر أصدقائه العدائية ضد الأهالي، ما يحدث زلزال وجودي في ذاته الأمر الذي جعله «ينقسم بين الوفاء لأصدقائه، والتضامن مع أهله»<sup>2</sup>.

### 2-تفاعل ماحي مع الآخر:

يمثل العم "ماحي"، نموذج الرجل الجزائريّ الأصيل فقد جمع بين ثقافتين مختلفتين، كونت ذاته، وصقلت تجربته في الحياة، بالرغم من التنشئة الفرنسية التي كان لها بالغ الأثر في مشواره، إلا أننا نلمح الثقافة الجزائرية من خلال العديد من المواقف، لنصل إلى أنّ «الثقافات تتفاعل، وتتداخل، ويقترض بعضها من بعض بدون قيود، وشروط إذا كان ما يقترض سيد الضرورات، والحاجات، وأمّا ما زاد على الضرورات، والحاجات فإنّ هناك أولويات نفسانية تتدخل لتحديد كفاءات التعامل والاقتراض»<sup>3</sup>، من هنا تبدأ رحلة العم نحو الآخر لنرى كيف تفاعل معه وتؤثر به.

يظهر تفاعل العم مع الآخر (الفرنسي) منذ شبابه فبعد أن تحصل على البكالوريا التقى بجيرمان الشاب الفرنسية، وهنا بدأ احتكاكه بالآخر يقول في ذلك: «لم يعترض أبي على اقتراننا برغم علمي أنّ عينيه قد حطت على قريبة أو بنت حليف ليزوجها لي»<sup>4</sup>. كان والد "ماحي" رجلاً شديداً السلطة له

<sup>1</sup>-محمد شوقي الزين، الذات والآخر، دار الضفاف، بيروت، دار الأمان الرباط، دار الاختلاف، الجزائر، د. ط، د.ت، ص09.

<sup>2</sup>-ياسمينه خضرا، الرواية، ص249.

<sup>3</sup>-محمد مفتاح، مشكاة المفاهيم النقد المعربي والمتأقفة، المركز الثقافي العربي، بيروت، د. ط، 2000، ص08.

<sup>4</sup>-ياسمينه خضرا، الرواية، ص103.



## الفصل الرابع: تفاعل الأنا والآخر في الروايتين.

لكلمة الأولى، والأخيرة في إدارة شؤون المنزل، حين تعرض الأمر بمأحي، لم يكثر بالأمر، ولم يتدخل في شؤونه، «بعد نيل شهادة الصيدلة، سأني عمًا أريد أن أفعله بمأحي المهنية اخترت العيش في المدينة، وفتح صيدلية، وافق دون شروط مسبقة هكذا اشترت هذا المنزل وهذه الصيدلية»<sup>1</sup>.

أثار الناص نقطة مهمة، فالأب منح للابن حرية الاختيار في كافة جوانب حياته، وهذا ما يتجلى في قوله: «لم يأت جدك لزيارتي هنا، ولو مرة واحدة، ولا حتى حينما تزوجت بجيرمان لم ينكرني أراد أن يمنح لي حظي في الحياة»<sup>2</sup> وبالفعل عاش "مأحي" حياة أفضل بكثير من "عيسى" الذي قهرته ظروف الحياة.

تفتح الذات (العم) على الآخر، وتتجاوب معه في عديد من الأمور، ويظهر ذلك في طريقة تعامله مع ابن أخيه: «كان عمي يعتني بي كما لو تعلق الأمر بقرة عينه، يشجعني انشراح مزاجه، من حين لآخر، يدعوني إلى مكتبه ويقص عليّ حكايات لا أستوعب لا معناها ولا مقاصدها»<sup>3</sup>. إن معرفة الآخر من أجل احتوائه، والتعايش معه في جو ملائم، يستدعي توفر شروط في الأنا تتمثل في قدرتها على تقبل الآخر، والانفتاح على شخصه، «ويتطلب هذا المجهود تضحية الفرد بتحيزاته الخاصة ووجهات النظر الضيقة، فذلك هو الطريق الوحيد لمعرفة الآخر بوصفه مختلفًا وليس برد الآخر لمقاييس الفرد الخاصة أو تقدير ثقافة الآخر في مصطلحات ثقافة الأنا، فذلك يؤدي إلى عجرفة ثقافية أو تكبر ثقافي»<sup>4</sup> وهذا ما نرصده في احتضان العم "ليونس"، وإعطائه الحب والرعاية الكافية التي تُغنيه عن حنان وعطف الأب.

لا شك أن التواصل بين الأشخاص فرض سلطته في الرواية، وهذا ما نلاحظه على العم الذي تفاعل مع جل الأقطاب المتفاهمة، والمتناطحة يقول السارد على لسان "يونس": «واصل عمي استقبال

<sup>1</sup>-ياسمينه حضرا، الرواية، ص104.

<sup>2</sup>-المصدر نفسه، ص104

<sup>3</sup>-المصدر نفسه، ص117.

<sup>4</sup>-محمد شوقي الزين، الذات والآخر، ص20.

## الفصل الرابع: تفاعل الأنا والآخر في الروايتين.

زواره الغرباء، يأتون متفرقين وسط الليل، ينغلقون داخل الصالون خلال ساعات وهم يدخنون كالمصانع... تنطلق أحاديثهم وتنتهي دائماً بالطريقة نفسها، ملبّدة في البداية، تتخللها لحظات، صمت، وتأمل بعد ذلك قبل أن تشتعل وتهدّد بإيقاظ الجيران، يستخدم عمي منزلته كصاحب المكان كي يُصالح بين الأمزجة، ويقرب بين الأقطاب المتناطحة حينما لا تجد الاختلافات ميداناً للتفاهم يخرج الضيوف إلى الحديقة لاسترجاع راحة النفوس... بعدما ينتهي الاجتماع، ينسحبون على أطراف الأقدام، الواحد وراء الآخر، وهم يُحدقون ملياً في الضواحي قبل أن يبتلعهم الليل»<sup>1</sup>.

إنّ الحديث عن الحوار الذي دار بين العم وزواره يفرض عليهم أن يكونوا كمّا هم بكل ما يحملونه من قيم، وتوجهات، وتصورات، بحيث تُحاور الأنا الآخر، بهدف تفادي الوقوع تحت طائلة أي صراع، «فعند الدخول في التّحاور مع الطرف الآخر يجب طرح هذه الملامح بصورة كلية، فلا تخفي منها أي شيء، لأنّ ذلك يسهل مهمة إيجاد نقاط التشابه به والاختلاف»<sup>2</sup>، لا بدّ من فهم طبيعة القضايا التي تعرض لها العم في تعايشه مع الآخر الغريب ومن ثمة وجب «احترام الرأي، والرأي الآخر، وإيجاد مساحات مشتركة في التلاقي والتداخل وتجاوز الصوت الواحد ممّا قد يدعو إلى الانغلاق أو الوقوف عند حد الاستعلاء على الآخر أو نرجسية الذات»<sup>3</sup>.

يلعب المستوى العلمي للعم دوراً مهماً في إقامة علاقات متبينة والخوض في نقاشات هادفة تخدم وطنه بالدرجة الأولى، ما جعله عرضة لمضايقات الشرطة نتيجة انتمائه السياسي «لقد أوقفت الشرطة ماحي الصيدلي، أخذته قبل قليل بداخل شاحنتها، لم يكن أعوان الشرطة لطفاء معه»<sup>4</sup> يعكس السارد لنا صورة الانتماء للعم، فالوطن أغلى ما يمكن أن يختصر هويتنا.

<sup>1</sup>- يasmine خضرا، الرواية، ص138، 139.

<sup>2</sup>- Lahcen zegdar , le discours des européens libéraux d'Algérie fac ea la guerre de libération nationale revue de sciences politiques et relations. Internationales N03.P 123.

<sup>3</sup>- عبد الله التطاوي، الحوار الثقافي مشروع التواصل والانتماء، الدار المصرية اللبنانية، د. ط، 2006، ص27.

<sup>4</sup>- يasmine خضرا، الرواية، ص144.

من البديهي كل تجربة تؤثر في صاحبها وهذا ما حدث مع "ماحي" «أطلق سراح عمي بعد أسبوع من الاعتقال كان عليه انتظار الليل كي يعود إلى المنزل، مختلسًا طريقه، خداه منهاران، والنظرة داكنة، بضعة أيام من السجن كانت كافية لتغييره كلية، كدنا لا نتعرف عليه ضاعفت لحيته غير الحليقة من تشنج تقاسيم وجهه وكست سحنته التائهة بصمة شبحية، يبدو أنّ الشرطة جوعته ومنعته من النوم ليل نهار»<sup>1</sup> رسم لنا السارد مشهد الآخر في تعامله مع الأنا، فصورة الاضطهاد تحضر من خلال معاملة الشرطة للعم، ما زاد حالته سوءًا "كان عمي بليد الذهن تقريبا، لا يفهم في الحين ما يقال له، ويقفز إلى السماء حينما تطلب منه جرمان إن كان يحتاج إلى شيء في الليل، أسمعته يذرع الغرفة ويتلفظ بكلام مبهم... كان يراقب الزقاق بلا هوادة كما لو أنه يتوقع رؤية ملجأ عفاريت الجحيم إلى منزله..."<sup>2</sup>، ليس بالضرورة أن يكون اللقاء بين الأنا والآخر وديا، فقد ذهب "كوستر" ( MICHEL DE COSTER ) إلى أن «مجموع التفاعلات التي تحدث نتيجة شكل من أشكال الاتصال بين الثقافات المختلفة مثل التأثير و التآثر، والاستيراد والحوار والرفض والتمثل وغير ذلك، مما يؤدي إلى ظهور عناصر جديدة في طريقة التفكير، وأسلوب معالجة القضايا، وتحليل الإشكالات وهو ما يعني أنّ التركيبة الثقافية، والمفاهيمية لا يمكن أن تبقى أو تعود بحال من الأحوال إلى ما كانت عليه قبل هذه العملية»<sup>3</sup>.

كشف "ياسمينه خضرا" الوجه الحقيقي للآخر المستعمر، الذي سيطر على البلاد عسكريًا فروضّ العقول، وكسر الإرادات، وهجّن الهويات، من خلال ممارسة إمبريالية ثقافية تصعب مواجهتها من قبل شعب لا يزال بدائيًا، فوجدت الطبقة المثقفة نفسها في مواجهة الآخر، الذي جاهد بكل السبل لإنارة الطريق، وطرده المحتل من البلاد، إلا أنّ تلك المحاولات لم تجد نفعًا، وما تعرض له ماحي خير دليل على

<sup>1</sup>- ياسمينه خضرا، الرواية، ص144.

<sup>2</sup>- المصدر نفسه، ص145.

<sup>3</sup>- أندري تيفلان، التعليم باعتباره مناقفة، تر: لحسن بوتكلاي، ص01. ينظر:

## الفصل الرابع: تفاعل الأنا والآخر في الروايتين.

ذلك: «كانت حالته تسوء من يوم لآخر، ينغلق على نفسه داخل الغرفة، ويرفض الفتح عندما ندق الباب، كما لو أن جنا مشؤوما يسكن بالدار»<sup>1</sup>.

لم يستطع "ماحي" أن يتقبل ما حدث له، فبعد أن استرجع قسطاً من صفاء ذهنه، عبّر لجرمان عن مشروعه «لم يكن ممكناً لنا أن نبقي في وهران كان لزاماً علينا، أن نغير آفاقنا»<sup>2</sup>، فالاندماج مع الوضع الراهن يوحى بالتمسك بهويته، وانتمائه «تصوروا... تريد الشرطة أن تؤلّبني ضد أهلي، كيف اقتنعوا أن بإمكانهم أن يجعلوا مني واش؟ هل أنا قادر على الوشاية بأسماء أصدقائي المناضلين»<sup>3</sup>، يجد الباحث نفسه أمام صراع، ورفض تام للآخر الذي شكّل صورة نمطية، وقالبا جاهزا لأحفورة القوالب الزمنية التي ثبتت تلك الصورة، مع وجود اختلافات في طريقة الطرح، وبما أن الصراع جزءاً من التفاعل، «فإنّ للمسيطر صورة مركزية تردّنا إلى فانتازمات المستعمر القديم، ورأسم الشعوب المستعمرة، ومستغل العالم الثالث... فتظهر صورة بماهي "الصورة العلامة" أو صورة العرض (image symptome)، فهي علامة السيطرة المستمرة»<sup>4</sup> إذا وبعبارة أدق فإنّ رفض الآخر أصبح موجوداً في الذاكرة الجماعية للأننا، وهذا ما ينطبق على ماحي فقد «شرح لجرمان أنّه مسجل عند الشرطة، وأنها ستراقبه عن قرب وبهذه الكيفية، سيجعل أقرابه و أصدقاءه في خطر»<sup>5</sup>، إنّ انتقاء الكاتب لواقع الحياة في حقبة معينة، جعل شخصياته في تفاعل، وتبادل مستمر «لقد كتب علي في مكان ما أني سأرحل دوما وأترك خلفي جزءاً من ذاتي»<sup>6</sup>.

<sup>1</sup>-ياسمينه خضرا، الرواية ص145.

<sup>2</sup>-المصدر نفسه، ص 145.

<sup>3</sup>-المصدر نفسه، ص 147.

<sup>4</sup>-ماري جوزيف باريزاي، ضمن كتاب صورة العربي ناظرًا ومنظورًا إليه، تح: الطاهر لبيب، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط1، د. ت، ص 631، 632.

<sup>5</sup>-ياسمينه خضرا، الرواية، ص 147.

<sup>6</sup>-المصدر نفسه، ص 147.

برز الجانب الأبوي للعم "ماحي" حينما كان يقدم في كل مرة نصائح للفتى "يونس" «لا تأخذه إلى أي مكان، لقد حان الوقت كي يتعلم الدفاع عن نفسه»<sup>1</sup>. ويظهر تأثره بالقضايا الوطنية من خلال بعض رموز الانتماء «كان عمي ملتصقا... يحرك الزر بأصابعه المرتجفة بحثا عن محطات أقل تشوشا»<sup>2</sup> فقد كان يبحث عن أخبار تتعلق بالجيش الوطني، وعن القمع الدموي الذي يتعرض له المسلمون، ما ينم على تعلقه الروحي بقضايا الوطن والوطنية الراسخة في أعماقه حتى النخاع «كاد عمي ينهار تحت سعة الكارثة التي أحزنت الشعب المسلم، ذات مساء، ضغط بيده على قلبه وسقط أرضا»<sup>3</sup>. عند الحديث عن الوطن يهون كل شيء، وفي كل ناحية يثبت لنا "ياسمينه خضرا" انتماء شخوص روايته إلى هذه الأرض التي تأتي الغريب، وتفرض الخضوع له ولو بشكل من الأشكال. «عاد عمي تدريجيا إلى الحياة، استرجع قليلا من حيويته وجزءا من عاداته: هوسه الكبير للكتب سيستهلكها بلا توقف، بشراهة لا حد لها، فلا ينتهي من رواية إلا ليفتح كتاب فكري، يقرأ في اللغتين... لا يخرج من المنزل بعد ولكنه أصبح يخلق لحيته يوميا ويرتدي لباسا محترما... لم يعد صراخه يرتفع من أجل أمور تافهة، ثم ينسحب إلى مكتبه إلى غاية الوقت الذي، آتية بالجريدة، بعد الأخبار يفتح دفترا من دفاتره الكثيرة، يغطس ريشته في المحبرة، ويكتب إلى غاية منتصف النهار»<sup>4</sup>.

إنّ الأديب الجزائريّ «يُصارع على أكثر من مستوى: إنه يُصارع باعتباره داعية سياسياً، ومرشدا إنسانياً، كما يُصارع من أجل إبداع فن يحمل (الهويّة) خاصة، لا يقل شأنًا عن الآداب العالمية الأخرى»<sup>5</sup> فهو يُحاول تمرير رؤاه عبر رسائل مستفزة، تهدف إلى تحقيق الهويّة الذاتية عبر عديد من القضايا الوطنية.

<sup>1</sup>-ياسمينه خضرا، الرواية، ص148.

<sup>2</sup>-المصدر نفسه، ص170.

<sup>3</sup>-المصدر نفسه، ص240.

<sup>4</sup>-المصدر نفسه، ص253.

<sup>5</sup>-وادي طه، الرواية السياسية، الشركة المصرية العالمية للنشر، دار نوبار للطباعة، لوجمان، القاهرة، ط1، 2003، ص37.

## الفصل الرابع: تفاعل الأنا والآخر في الروايتين.

أحدثت كلمة "واش" في نفسية "ماحي" جرحًا، وشرخًا لا يندمل رغم تغيير مكان إقامته لكنه ظل في حالة مزرية، ويظهر ذلك من خلال ردة فعله: «ضرب عمي فجأة بقبضته على الطاولة ويده أسقط الصحون والكؤوس لتتكسر على الأرض... ليس لأحد الحق في الحكم عليّ»<sup>1</sup>.

ثمة دلالات تنشطر بين الثابت والمتحول، الأنا والآخر، والتفاعل الذي حققه الناص يبرز من خلال انفعال العم "ماحي" تجاه الآخر «كان عمي يتخاصم مع غريب في مكتبه المغلق بالقفل من الداخل... كان يستشيط غضبا يصرخ: لست جباناً لم أحن أحداً، أسمع؟ لا تنظر إلى هكذا، أمنعك من الاستهزاء بي، لم أبع أحداً... أسمع؟ لا أحد، لا أحد. انفتح باب المكتب، خرج عمي شاحبا من الغضب يرغي فمه زبدا...»<sup>2</sup>، هناك العديد من اليقظات التي تترك وجودنا وهو ما حدث مع ماحي الذي كان مخلصاً لوطنه ولقضيته.

استطاع "ياسمينه خضرا" أن يعبر بنا عبر جسر الآخر من خلال تفاعله الدائم في المتن السردي، وفي كل مرة ينقل ما يحدثه من خلل في نفس يونس: «استرجعت سحنته بعض ألوانها، زاد وزنها قليلاً، وبدا كما لو أنه استعاد شبابه... سررت بالعثور على عمي الرجل الذي سحرني في وهران قبل يوم النحس الذي اعتقلته فيه الشرطة»<sup>3</sup>. نوه إلى أن الآخر شكّل في فترة من الفترات، مصدر صراع، وخوف، وألم للأنا نتيجة الممارسات المضطهدة له.

لا يغيب عنا، ذلك اللقاء الحضاري بين الشرق والغرب (الأنا والآخر) من خلال علاقة العم بزوجته "جيرمان" التي اختصرت صورة التعايش بأبسط معانيه، «يخرج باستمرار للتجول، برفقة جيرمان، أحب أن أراها يمشيان جنباً إلى جنب، وسط البساتين، ملتحمين إلى حد لا يُعيران إلا اهتماماً خفيفاً للعالم المحيط بهما، يوجد في بساطة علاقتهما في سيولة وحدة شعورهما لطف وعمق وأصالة تحوّلها إلى

<sup>1</sup>-ياسمينه خضرا، الرواية، ص254.

<sup>2</sup>- المصدر نفسه، ص255.

<sup>3</sup>-المصدر نفسه، ص325.

## الفصل الرابع: تفاعل الأنا والآخر في الروايتين.

قديسين تقريباً»<sup>1</sup>. نستحضر هنا "جورج طرابيشي" في كتابه شرق وغرب ، رجولة وأنوثة ، حين أكد على أنّ «عملية المثاقفة بافتراضها وجود طرفين موجب وسالب، فاعل ومنفعل، ملقح وملقح تطرح نفسها كعملية ذات حدّين مذكر ومؤنث، ولكن نظر إلى الثقافة الحديثة، نظير القديمة هي في الأساس والجوهر ثقافة ذكور، فإنّ المثاقفة لا توقظ في الطرف المتلقي إحساساً بالدونية المؤنثة بقدر ما تبعث فيه شعوراً مرهقاً بالحصاء الفكري، والعقّة الثقافية، تحت وطأة هذا الإحساس الذي لا يطاق ذلّه، يلوذ مثقف المستعمرة أو المستعمرة السابقة، أول ما يلوذ بماضيه الحضاري الذي يفترض فيه أنّه ينمّ هو الآخر عن رجولة»<sup>2</sup>. أثرى "جورج طرابيشي" بدراسته هذه العلاقة بين الشرق، والغرب من خلال مدخل الذكورة والأنوثة، التي تُشكل بؤرة الصراع من جهة، ومن جهة أخرى بؤرة التعايش التي نلمحها في معظم الروايات. ويُضيف السارد في توصيف تلك العلاقة، «يُشكّلان الزوج الأكثر احتراماً رأيته في حياتي، عندما أشاهدتهما، وهما يتجولان، ومكتفين بنفسيهما، تتناوبن سكينه لا حدّ لها وتملأني بفرح جميل كجمال سعادتهما الخجولة، كانا يُمثّلان الحب بلا تنازل الحب الكامل في الشريعة»<sup>3</sup>. تقدم الرواية نموذجاً للأنا في صلتها بالآخر من خلال علاقة أكثر عمقاً ونضجاً مقارنة بالعلاقات الموجودة داخل المتن فعلاقة الزواج التي ربطت العم "ماحي"، وزوجته الفرنسية "جيرمان" توحى بالانسجام والتآلف على الرغم من العلاقة المتوترة التي كانت تسود البلاد والصراع الأزلي بين الأنا والآخر.

ولا يقتصر "ياسمينه خضرا" في تفعيل علاقة "ماحي" بالآخر الحبيب، بل يتعداه إلى علاقته بالابن ويتجلى ذلك في حديثه مع يونس: «ليس ضرورياً لشخص يعتقد أن مشاكله لا تخصه إلا هو... اعلم أنك لست وحيداً "يونس"، ولا تظن أبداً أنك تزعجني، أنت الذي أعزه أكثر من أي شخص آخر في هذا العالم، أنت ما بقي لي من قصتي...»<sup>4</sup>.

<sup>1</sup> - ياسمينه خضرا، الرواية، ص325.

<sup>2</sup> - جورج طرابيشي، شرق وغرب، رجولة وأنوثة (دراسة في أزمة الجنس والحضارة في الرواية العربية)، دار الطليعة، بيروت، ط1، 1977، ص11.

<sup>3</sup> - ياسمينه خضرا، الرواية، ص325.

<sup>4</sup> - المصدر نفسه، ص326.

أحب العم "يونس" حبًا كبيرًا، كان دائمًا المرفاً الحقيقي للطفل، السند والرعاية التي تلقاها من قبله خولته أن يكون ابناً له، يتناقش معه في مواضيع مختلفة ذات بعد إنساني، اجتماعي، «إنما أحببتُ دائماً سماع خطاب القلوب، بالنسبة إليّ، لا توجد أروع سمفونية... أتسمح؟ طبعاً. يُمكنك إيقافي متى شئت يا ولدي»<sup>1</sup>. لم يتمه العم "ماحي" في الذوبان الحضاريّ الذي مس أطر حياته العامة، بل عمد على المحافظة على ذاته وكيونته التي بقيت تصدح بها نفسه متجسدة في جملة المواقف الإنسانية التي تحتزل طينة هذا الرجل.

من بين المواضيع التي أثارت حفيظة "ماحي" موضوع المرأة وهو بهذا الطرح ينحو بنا نحو الآخر المختلف، «...حينما لا تكون المرأة الطموح الأسمى للرجل حينما لا تُشكل نهاية كل مبادرة في هذا العالم، لا تستحق الحياة أفراحها ولا أفراسها»<sup>2</sup>، إنَّ الوقوف على هذه الرؤية يُمكننا من الوصول إلى العمق الدلالي لقصة العم، قصة نباهة وحنكة لا نظير لهما، يخوض مغامرات فكرية صوب كل تجربة، إذا تعلق الأمر بالوطن فهو الحكيم، والسياسي، والثائر، والمجاهد، وإذا تعلق الأمر بالجانب الإنساني، فهو المرابي الفاضل، أو الشمعة التي تُنير دُروب الآخرين، لا ينفك في تقديم دروس وعبر لأفضل الناس لديه، «الجنة بدون حوريات ليست إلاّ طبيعة ميتة، بلا أدنى مذاق»<sup>3</sup>، ثم يصل إلى ما يُسمى بفلسفة الحياة، «غروب الشمس، الربيع، زرق البحر، كل هذه الأشياء التي نقول عنها ساحرة ليس كذلك إلاّ إذا دارت حول امرأة يا ولدي لأنّ الجمال المطلق هو المرأة، أمّا الباقي... ما هو إلاّ متاع الزينة»<sup>4</sup>. استعمل السارد العديد من الأساليب في البحث عن مسألة اللقاء بين الأنا، والآخر من خلال منح المتلقي رؤية تفاعلية تجمع كليهما، «...وددت لو أعرف أبناءك يا ولدي الأكيد أنهم سيمثلونني سعادة،

<sup>1</sup>-ياسمينه حضرا، الرواية، ص350.

<sup>2</sup>-المصدر نفسه، ص351.

<sup>3</sup>-المصدر نفسه، ص351.

<sup>4</sup>-المصدر نفسه، ص351.



## الفصل الرابع: تفاعل الأنا والآخر في الروايتين.

لم يقفز طفل على ركبتي أبدأً تالأت عيناه بالدموع، تزوّج يونس، الحب وحده قادر أن يثأر لنا من نوائب الدهر...»<sup>1</sup>.

كانت هذه آخر معزوفة حزن، تُعزف على ألحان "يونس" والمشهد الختامي يُصور ألم يونس من فقدان أعز ما يملك، «أحسست بالبرد الذي يسري في جسده وينتقل إلى جسدي، يتسرب عبر كامل كياني... كان يستعد للرحيل... كانت ليلة غريبة عميقة وغير واقعية، في آن واحد في الخارج عوى ذئب مثلما لم أسمع بهيمة تعوي أبدأ، طبعت أصابع عمي على معصمي دمغة بنفسجية مثل مكربة، منعت الدم من السيلاان يكاد ذراعي يتجمد»<sup>2</sup> أعقب هذا الوصف رد فعل "يونس" المصدوم نفسيًا لما آلت إليه حالة عمه: «لم أقتنع بأن شخصًا عزيزًا عليّ يملك حق الانطفاء كما الشمس عند سقوط الليل... لا يرى عمي بلده يرفع السلاح ضد المستعمر، لم يره التقدير جديرًا بذلك، وإلا كيف نفسر وفاته قبل خمسة أشهر من لهب التحرير المنتظر الذي أجل مرارًا؟»<sup>3</sup>.

كان "ماحي" أيقونة علمية، ومعرفية، شخصية استطاعت أن تلج بالمتلقي نحو عوالم الانتماء دون الدوبان في هوية الآخر، احتضن "يونس" وعلمه مبادئ الوفاء للوطن، فكان ركيزة متينة في تحقيق التفاعل بينه وبين باقي الشخصيات.

### 3-تفاعل حدة مع الآخر:

قدمت الرواية مساحة تفاعلية مع قارئها، وهذا بتشكيلها لشبكة تواصلية انطلاقًا من المختلف الذي قدمته شخصياتها، حيث عرضت لنا شخصية "حدة" التي خرقت أفق تلقينا.

يجد المتمعن في شخصية "حدة" لفحوى الرسالة التي تُحاول الشخصية إيصالها، أن الحياة تتغير ولا يبقى شيء على حاله. تتخبط حدة في محيط موبوء، فبعد أن تركها زوجها، لم تجد ما تُعيل طفلها،

<sup>1</sup>-ياسمينه خضراء، الرواية، ص383.

<sup>2</sup> المصدر نفسه، ص 383.

<sup>3</sup>-المصدر نفسه، ص383.

## الفصل الرابع: تفاعل الأنا والآخر في الروايتين.

وجدت نفسها في بيئة غير بيئتها، وبما أنّ النَّاص اشتغل على زمنين مختلفين، نجد هذه الشخصية في تنام مستمر يقول السارد: «استأنفت النساء ضحككهن من جديد، الأفواه مفتوحة على اتساعها... وحدها حدة لم تضحك، كانت منكمشة على ذاتها، تبدو ضئيلة ولكن جمالها يُسلب العقل... بدت حزينة لم تُنبس بنت شفة منذ أنّ أخذت مكانها وسط الأخرى...»<sup>1</sup>. يتضح أنّ حدة كانت ميؤوس على حالها فوضعها الاجتماعي يوحى بذلك.

بين الإعجاب بالآخر والذوبان فيه، وبين سلخ الذات عن جلدتها يكمن مربط الفأس، «ولعل المسألة تكون أكثر وضوحًا وواقعية حين تجد الذات نفسها في مواجهة مع "الآخر" وتبدأ في ممارسة عمليتي الإقصاء، والاستيعاب اللتين يفرضهما الاختلاف، أو بصورة أكثر تحديدًا متغيرة المكان»<sup>2</sup> واجهت حدة الواقع المرير من خلال ذوبانها في الآخر بطريقة تفاعلية تُبرز مدى براعة الكاتب في نقل الواقع الجزائري.

كانت "بتول العرافة" بمثابة مرآة المستقبل، فهي التي تقرأ خطوط يد جيرانها، وتتنبأ لهم بمصيرهم وصدق من قال "كذب المنجمون ولو صدقوا"، فبتول أصابت إلى حد كبير فيما رأت عن مصير حدة، «مدّت ذراعها فوق المائدة وقدمت راحة يدها لبتول، قولي لي ماذا ترين؟ يحمل صوتها حزنًا كبيرًا، تملكين يد جينية يا حدة، ...أريد أنّ أعرف لم أعد قادرة على التحمل... تنهدت بتول، لا أرى زوجك في هذه اليد، يا عزيزتي ولا في أي مكان، لا أحس بحضوره ولا بأي أثر له، إمّا أنه ذهب بعيدًا جدًا، ونسيك تمامًا، أو أنه ليس من هذا العالم شيء مؤكد إنه لن يعود إليك»<sup>3</sup>.

في إطار هذه الرؤية، تظهر حدة كشخصية، متأزمة، فهي صورة لتشظي الذات بين قطبي الأنا والآخر في مرحلتين فارقتين من حياتها، كانت الرؤية بالنسبة لبتول «رؤية مضببة، يوجد كثير من الناس حول حدة، وكثير من الضجيج أيضًا، يُشبه حلمًا، ولكنه ليس كذلك، إنه أمر غريب، ربّما أنا أهدي

<sup>1</sup>-ياسمينه خضراء، الرواية، ص57.

<sup>2</sup>-نحال مهيدات، الآخر في الرواية النسوية العربية، عالم الكتب الحديث، عمان، ط1، 2008، ص12.

<sup>3</sup>-ياسمينه خضراء، الرواية، ص58.

## الفصل الرابع: تفاعل الأنا والآخر في الروايتين.

فقط...»<sup>1</sup> لم تشأ "بتول" أن تصدم حدة بآرائها لكن الكاتب مرّر لنا تلك المشاهد عبر صفحات روايته، لينقل "يونس" ما رآه في ذلك اليوم، عندما كان في أحد المواخير مع أصدقائه يقول: «فجأة، انطفأ الضجيج، وتبخر الجميع في القاعة الكبيرة لم أعد أرى إلا إياها، كما لو أنّ شعاعاً ضوئياً انبثق من مكان ما وسلط نوره عليها مهملاً الباقي، تعرفت عليها مباشرة... لم يظهر تجعد واحد على جسدها، جسد مراهقة ملفوف بشال، شعر فحمي يتدلى على صدرها والوجنتان الرائعتان على خديها: حدة... حدة الجميلة، حي السري السابق، هلوسة طفولتي الأولى... كيف رست في هذه القدرة القبيحة، هي التي كانت عند خروجها إلى الحوش تضيئه كالشمس»<sup>2</sup>، هكذا تقمصت حدة هوية جديدة بعيدة عن اضطرابات جنان جاتو، «صُغت، ذهلت، تجمّدت من لا تصديقية ما أرى... لفظني هذا الظهور غير المتوقع سنوات إلى الخلف، فسقطت في الفناء الداخلي لمسكننا في جنان جاتو، وسط الجارات المقهقهات... حدة لم تكن تضحك في تلك الصبيحة... كانت حزينة... وبتول العرافة: أرى كثيراً من الرجال حولك يا "حدة" ولكن فرحاً قليلاً... يُشبهه حلماً ولكنه ليس بحلم»<sup>3</sup> إنّه الاغتراب في أبعث صورته «كانت بتول على صواب، يوجد عدد كثير من الرجال حول حدة الجميلة وقليل من الفرح، يشبه فناؤها الجديد حلماً بشذراته الرخيصة وأضوائه الخافتة، وديكوراته الشبحية، وسكراته، ولكنه ليس بحلم... تفاجأت بنفسي واقفاً خلف المصرف ذراعي متدلّيتان، فاتحاً فمي من الدهول، عاجزاً عن التلفظ بتلك اللفظة المرعبة التي تجتاحني مثل غيمة والتي تريد إخراجي من كياني»<sup>4</sup>، لاشك أنّ انحدار حدة صوب الآخر، فرضته الظروف التي مرت بها فجاء التفاعل كنتيجة حتمية لظروف تاريخية، عصفت بالعائلات الجزائرية.

تفاعل "يونس" مع حالة حدة تفاعلاً كبيراً، وقد نقل الناص وضعه لم «يكن بمقدوري أن أنام طوال الليل، وأنا مضطرب البال تحت الغطاء، ورأسي يعج بصورة حدة العاهرة، يرن صوت بتول

<sup>1</sup>-ياسمينه حضرا، الرواية، ص59.

<sup>2</sup>-المصدر نفسه، ص207.

<sup>3</sup>-المصدر نفسه، ص207.

<sup>4</sup>-المصدر نفسه، ص208.

## الفصل الرابع: تفاعل الأنا والآخر في الروايتين.

الشبحي في صدغيّ، ...بدا لي أني أحضر ميلاد شؤم سييء، وأنني سأصادفه، عن قريب...ولكن صورة حدّة العارية في عمق الرواق وهي تدور على نفسها، تذكرني براقصة بالي للبيانو الميكانيكي فيما كان صوت العرافة يصنّف عليها كالريح المشؤومة»<sup>1</sup>.

يُلاحظ القارئ للرواية "ياسمينة خضرا" أنه قدّم العديد من الدلالات والشفرات التي تدل على أنّ الرواية الجزائرية هي مأساة إنسانية كونه غربل وبدقة هذا الواقع وأزال الغموض عن جوانب الحياة المختلفة، "لم يخن حدسي، لقد وقعت أشياء غريبة في جنان جاتو منذ زيارتي الأخيرة..."<sup>2</sup>. اختزل الكاتب مشهد جنان جاتو في رسم أبشع الصور، وهي علامة مؤكدة على ما حدث للعائلات التي كانت تقطن هناك يقول "يونس" «لم تُخطئ بتول العرافة كانت تمتلك سلطة غيبية رهيبية»<sup>3</sup> كشفت شخصية حدّة تصدعات الهوية وتشوهها فلم يكن الآخر هو المستعمر بل أصبح جزءا من ذاتها، يُشاطرها الهوية من خلال تعايشها معه وبكل حرية.

<sup>1</sup>-ياسمينة خضرا، الرواية، ص211.

<sup>2</sup>-المصدر نفسه، ص.212.

<sup>3</sup>-المصدر نفسه، ص.214.

ثانياً: تفاعل الأنا المغتربة في رواية "كيف ترضع من الذئبة دون أن تعضك" لعمارة لخصوص:

يقول أمين معلوف: «علمتني حياة الكتابة أن أحذر الكلمات تلك التي تبدو أكثرها شفافية هي في أغلب الأحيان أكثرها خيانة أحد هؤلاء الأصدقاء المزيفين هو بالتحديد كلمة (هوية)، فجميعنا نعتقد معرفة ما تعنيه هذه الكلمة، ونستمر بالثقة لها حتى عندما تبدأ هي بقول العكس بمكر»<sup>1</sup>. وهذا ما مثله أغلب الروائيين في أعمالهم.

وبما أن موضوع الهوية قد طرح بجدّة، فقد دأب الأدباء الجزائريون على استنطاق مواطن الهوية في أعمالهم منذ زمن بعيد، وتفننوا في طرح سؤال الهوية في أكثر من معالجة، وفي أكثر من مراجعة فكرية، أو فلسفية، أو أدبية، أو أنثروبولوجية، أو ثقافية وظلت هذه اللفظة مرهونة بوجود الإنسان، ومدى إحساسه بذاته، وإحساسه كعضو بالجماعة المنتمي إليها.

عكف "عمارة لخصوص" في روايته "كيف ترضع من الذئبة دون أن تعضك" على نقل القارئ نحو عوالم الاغتراب<sup>(\*)</sup>، جسدها شخصيات مختلفة لتكون إيطاليا بوتقة تنصهر فيها كل الأعراق، والأجناس. تتميز هذه الرواية بالعمق المعرفي، والإتقان الفني، هي رواية لمقاربة صورة الحوار بين الحضارات في ضوء رؤية اغترابية للأنا نحو الآخر (شرق/غرب)، وخلال هذا المبحث سنرى مدى تفاعل شخصيات الرواية مع الآخر؟

7- تفاعل بارويز منصور صمدي مع الآخر:

يُعَدُّ الآخر بكل أطيافه، وألوانه ذو خصوصيات، وسمات تُبرز ماهيته ومعدنه، ولا يمكن إدراك هذا الآخر إلاّ بإدراك الذات التي تُساهم بشكل أو بآخر في التعرف على ذاتها انطلاقاً من هذا الآخر.

<sup>1</sup> - أمين معلوف، الهويات المتقاتلة (قراءات في الانتماء والعولمة)، تر، نبيل محسن للطباعة والنشر والتوزيع، سوريا، ط1، 1999، ص13.

## الفصل الرابع: تفاعل الأنا والآخر في الروايتين.

لا شك أنّ الاحتكاك بثقافة الغير يشمل جميع الأشياء، من لغة، عادات، وتقاليد، دين... إلخ، ومن خلال هذه الثقافة يتأثر الشخص المغترب، وعند قراءتي للرواية "عمارة لخصوص" لفت انتباهي هذا التأثير.

تفاعل "بارويز" مع المكونات الثقافية للشعب الإيطالي، من خلال الصفحات الأولى للنص، إذ نجد تفاعله مع الطعام كنسق ثقافي يُعبر عن أصالة الشعب، فلطالما كان للطعام بُعد ثقافي مميز، ولغة تنقل المعاني من خلال بنيتها، ومكوناتها، وتسهم في تنظيم العالم الطبيعي، والاجتماعي.

ارتأى الكاتب أن يتحرى معالم، وملامح مدينة روما الإيطالية، من خلال بارويز الذي يُبدي نفورًا واضحًا للأكل الإيطالي: «كنت جالسًا على أحد مقاعد الميترو... إذا وقع بصري على شابة إيطالية وهي تلتهم بنهم بيتزا بحجم المظلة، فأصابني الغثيان، كنت على وشك التقيؤ، يا له من مشهد فاحش حقًا...»<sup>1</sup>، أثبت "بارويز" موقفه الرفض لهذا النوع من الطعام ما جعله في وضعية تساؤل دائم «كيف يستطيع الإيطاليون التهام هذه الكميات المعتبرة من العجائن في الصباح، والمساء»<sup>2</sup>، إنّ الأنا الباحثة عن الآخر، تخوض حربًا على العادات في محاولة منها لإثبات ذاتها، «حين يطغى إحساس الأنا بظلم الآخر، وهيمته، تبادر إلى الدفاع عن نفسها خشية الذوبان فتقوي انتماءها إلى الجماعة وتتماهى بها من أجل الحصول على الاعتراف ومواجهة الإقصاء أو المسخ الذي هو الموت، لذلك نبحت عن الهوية التي تتميز بها عن الآخر المختلف ويجمعها بمن يأتلف معها كي يزداد إحساسها بكيونتها»<sup>3</sup>، فموقف "بارويز" يخص الطعام فقط، «أنا أكره البييتزا كرها لا نظير له، لكن هذا لا يعني أنني أكره كل من يأكلها... أنا لا أكن أي عداً للإيطاليين»<sup>4</sup>، ربما كان رفض بارويز للطبخ الإيطالي غايات أخرى، كأن

<sup>1</sup>- عمارة لخصوص، كيف ترضع من الذئبة دون أن تعضك، منشورات البربخ، الجزائر، د. ط، 2017، ص13.

الاغتراب: هو النفي عن الوطن والانفصال عن الأرض التي يعيش فيها الإنسان، ينظر: أشرف علي دعدو، الغربة في الشعر الأندلسي عقب سقوط الخلافة، دار نهضة الشرق، القاهرة، د. ط، 2002، ص20/19.

<sup>2</sup>- عمارة لخصوص، الرواية، ص13.

<sup>3</sup>- ماجدة حمود، إشكالية الأنا والآخر (نماذج روائية عربية)، عالم المعرفة، الكويت، د. ط، 2013، ص21.

<sup>4</sup>- عمارة لخصوص، الرواية، ص14.

## الفصل الرابع: تفاعل الأنا والآخر في الروايتين.

يتمسك بأصوله الإيرانية، والطبخ الإيراني، وبما أن إيطاليا بلد غني بل، ويُعدُّ من أكثر مطابخ العالم تنوعًا على كافة المستويات، ويختلف الطعام عندهم من منطقة لأخرى، فإنَّ النَّاص نقل لنا بعض الأصناف من خلال نفور "بارويز" للأطعمة الرومانية، «..من المشهيات لانتبياستي المتمثلة في لايروسكيتا بالطماطم أو بالزيتون ثم الطبق الأول أي البريمو الذي يشتمل على العجائن المتنوعة التي لا أطيق رؤيتها من سباغيتي ورفيولي وفيتوشيني ولازانيا إلى آخر القائمة...»<sup>1</sup>، هذه بعض المعلومات التي جمعها "بارويز" من عمله المتقطع في المطاعم الإيطالية.

عادة «ما تتبع النظرة إلى الآخر من أعماق الذات، فتصبح الصورة التي نشكلها عنه مرآة تعكس رؤيتنا لأنفسنا، فحين ننظر بعين القداسة لذواتنا، وننزها عن الخطأ تبدأ عملية تشويه الآخر دون وعي منا، فنعلي شأن الذات على حسابه ونمعن في إظهار سلبياته، فيطغى صوت على الأصوات الأخرى، عندئذ يحل التوتر محل التواصل الإنساني»<sup>2</sup>، وتواصل بارويز مع المطبخ الإيراني لم يكن على ما يُرام. ويظهر جليًا في كلامه: «قيل لي أكثر من مرة إذا أردت أن تشتغل طبًاخًا في إيطاليا يجب عليك أن تتعلّم أصول الطبخ الإيطالي، ما حيلتي؟ لا أطيق رؤية البيتزا والسباغيتي وأحواتها،... أنا لن أبقى طويلاً في روما، بعد زمن قصير أعود إلى شيراز»<sup>3</sup>. «إنَّ الانحياز المطلق لكفة الأنا والمقاطعة التامة للآخر ينتج عنه اغتراب الأنا وانعزالها عن قضاياها ويفقد هويتها المتطورة والمستمرة، ويسلبها القدرة على الإبداع الذاتي المستقل، فإنه لا بد من الاعتراف بأن المتعصب لهويته يُسيء إليها بالدرجة الأولى، لأنّه ينكر عليها حقها في التطوُّر، والتفاعل، والنمو باتجاهات غير مسبوقه ومعروفة، وغالبًا ما يكون ذلك التعصب سببًا لفقدان الحساسية الإنسانيّة شرط الحضارة الأولى»<sup>4</sup>، يتضح لنا أنّ "بارويز" مثال للإنسان المتعصب للآخر، «أنا أسأل لماذا نُصّرُ السلطات الإيطالية على إنكار الحقيقة التي يعرفها الأطباء النزهاء، العجائن

<sup>1</sup> - عمارة لخص، الرواية، ص 15.

<sup>2</sup> - ماجدة حمود، صورة الآخر في التراث العربي، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط 1، 2010، ص 87.

<sup>3</sup> - عمارة لخص، الرواية، ص 21.

<sup>4</sup> - مجموعة باحثين، العولمة والهوية الثقافية، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، مصر، د. ط، د. ت، ص 85.

## الفصل الرابع: تفاعل الأنا والآخر في الروايتين.

تزيد في الوزن، وتسبب السمنة... تسد منافذ عروق الدم، وبالتالي يتوقف القلب عن الخفقان»<sup>1</sup>. شخص الكاتب شخصية "بارويز" من خلال تعامله مع الآخر، فكانت أغلب علاقاته تتأرجح بين المحبة والمودة في محاولة منه لإثبات هويته ومن العلاقات الأخوية، علاقته بـ "أمديو"، صديقه الوفي والمخلص يُسانده وقت الحاجة، كما أنه الملاذ الذي يلجأ إليه عند أزماته النفسية يقول: «أمديو كالمرفأ الجميل، نبحر منه لنعود إليه دائماً»<sup>2</sup>، ثم يضيف: «عندما أُطرد من العمل أجد نفسي كالغريق وحده أمديو يمد لي يد المساعدة...»<sup>3</sup>. كانت الأنا المعجبة واضحة على بارويز «كنت أنظر إليه مدهوشاً... كان رائعاً، كنت أستمع إليه وهو يتكلم إيطالية أنيقة... نذهب سوياً للقاء أصحاب المطاعم...»<sup>4</sup> قدّم "بارويز" صورة إيجابية، على غرار الصورة السلبية الأولى والمتمثلة في - كرهه للبيتزا- متمثلة في شخص أمديو، الذي مثّل بالنسبة إليه الزميل، الصديق، الأخ، المثقف، المنفى والوطن في آن.

مزج "عمارة لخصوص" روايته بجملة من المتناقضات ولئن كانت هذه الرواية "رؤية الأنا للآخر"، بواسطة التلاقح الحاصل بين الأفراد وبارويز لم يكن رافضاً للسلطة الإيطالية (الشرطة)، وإنما تعدى ذلك إلى الواقع الإيطالي ككل ويبدو ذلك من خلال «كنت في الأعلى... في اللجنة في شيراز... أما الآن فأنا هنا في أسفل المستنقع... في الجحيم أقاسي حرقه الحنين والفراق»<sup>5</sup>. لخصت الرواية معاناة المهاجرين في مصعد العمارة التي يقطنها المهاجر الغريب.

يظهر احتقار الإيطالي للمهاجر في معاملة بندتا البوابة بندتا النابوليتانية: «...ترصدني كقطة شرسة، ما إن أضع قدمي في المصعد حتى تصرخ في وجهي: واؤو! واؤو! ... لا تكف عن تسليط لسانها القبيح وإسماعي ما لا أرغب»<sup>6</sup>. الأكيد أنّ «الآخر الغربي يحتمي بمركزتيه، حين يتكئ على

<sup>1</sup>-عمارة لخصوص، الرواية، ص21.

<sup>2</sup>-المصدر نفسه، ص22.

<sup>3</sup>-المصدر نفسه، ص22.

<sup>4</sup>- المصدر نفسه، ص22.

<sup>5</sup>-المصدر نفسه، ص18.

<sup>6</sup>-المصدر نفسه، ص18، 27.



## الفصل الرابع: تفاعل الأنا والآخر في الروايتين.

القول بالخصوصية المطلقة لتاريخ الغرب، الذي أنضجته عوامل خاصة وداخلية، وأثمر عن حضارة غنية ومتنوعة<sup>1</sup>، لهذا لا يمكن «أن نتجاهل الدور الذي يضطلع به "الآخر" بشأن تصور "الذات" لذاتها، ولا يمكن تجاهل الصراع الذي يحصل بين الذات، والآخر، فالآخر حاضر، وبكيفية وجودية، إنه يُشكل أفقًا للذات، وأحيانًا جزء من النظرة إلى الذات، بغض النظر عن الأشكال التي يتقدم فيها (شريك/مسالم/غاز/محتل)»<sup>2</sup>. أنشأت الرواية رؤية عنصرية عنوانها "الآخر الإيطالي" الذي اكتسح المتن السردي بتصرفات غير أخلاقية، لا توحى بحضارة ورقية مدينة روما الأثرية، وتواصل العنصرية عزفها مع بارويز، وهذه المرة مع "الغلادياتور" يقول: «رأيتُه بعيني يبول في المصعد... لا يحق لك الكلام، هل فهمت أيها الأجنبي الحقير؟»<sup>3</sup>.

إنَّ صورة الحوار الثقافي الذي جسده شخصية "بارويز" استدعى وجود ثقافات تعترف ببعضها وبقدرتها على الحوار مع ثقافات أخرى، تحترم خصوصيتها وهويتها لكن بارويز تفوق في ذاته، ما جعل هويته تنغلق وتنحصر حول مطبخه الإيراني فقط وعدم تفاعله مع الإيطاليين شكل فشل ثقافي، إذًا فهو نموذج للفشل التفاعلي.

### 2- تفاعل إقبال أمير الله:

في قلب ذلك التنوع الثقافي الذي يعرفه الفضاء الإيطالي، يحط "إقبال أمير الله" برحاله هناك، بهويته الدينية المتفردة التي حملت له عنصرية واضحة من طرف الآخر، وإن كان إقبال شخصية مدافعة عن الدين الإسلامي في كثير من المواقف التي مرت معه.

يعمد النَّاص في بناء هذه الشخصية بناءً اضطراريًا ليمكن من تفادي مواجهات الإيطاليين المستفزة، فمعاناته مع العنصريين لم تقتصر على شخص بعينه بل طالت معظم الأشخاص الذين

<sup>1</sup>- إبراهيم عبد الله، المركزية الغربية (إشكالية التكون والتمركز حول الذات)، المركز الثقافي العربي، ط1، 1997، ص33.

<sup>2</sup>- نihal مهيدات، الآخر في الرواية النسوية العربية، ص37.

<sup>3</sup>- عمارة لخص، الرواية، ص25.

## الفصل الرابع: تفاعل الأنا والآخر في الروايتين.

صادفهم وأولها البوابة "بندتا"، التي تكره الأجانب كرهًا شديدًا، «إنَّها تكرهني بلا سبب ولا تردّ على تحيتي بل تتعمد إهانتي عندما تناديني: يا "باكستاني"، قلت لها مرارًا أنا من بنغلادش...»<sup>1</sup> نسج "عمارة لخصوص"، الآخر المتعصب بكل مصداقية، ودقة لامتناهية، وهو ما ظهر لنا بصورة سلبية توحى بالتخلف الذهني والتعصب الهووي، لأن الحوار الحضاريّ يتطلب قبول الآخر بكل إيجابياته وسلبياته، «أي أنّ ثقافة التسامح، والتعامل الأخوي بين الشعوب تحتاج إلى نضج فكري ومعرفي يقوم على التمعّن في ثقافة الآخر بعيدًا عن العقد النفسية مثل الرهاب والهوس»<sup>2</sup>. لكن "بندتا" البوابة العنصرية لم تترك أي فرد سواء أجنبي، عربي، أو أي جنسية أخرى.

لا شك أنّ العلاقة بين الشرق والغرب تحكمها العديد من التوترات، وقد نجحت الرواية في رسم حالة العنف اللفظي، والتهميش، والمعاناة التي طالت المهاجرين، ما نجم عنه اغتراب ذاتي للأشخاص المنبوذين اجتماعيًا. فالمساس بالآخر يُعدُّ أمرًا غير مستحب، فقد لقي إقبال احتقارًا كبيرًا من قبل ساندرودندينيني: «كم عدد زوجاتك؟ زوجة واحدة... أنت مسلم مزيف، لن تذهب إلى الجنة لأنّ المسلم الحقيقي مطالب بالصلاة خمس مرات في اليوم، وصوم رمضان، والزواج من أربعة نساء»<sup>3</sup>.

إنّ الأنا المسلمة لا تنكر الآخر لأن الإسلام دين يقبل الآخر، فالإسلام منذ البداية اهتم بتعريف العلاقة مع الآخر والتقنين لها، فقد اعترف بحقيقة الاختلاف والتنوع الثقافيّ والحضاريّ، وقد جاء في الذكر الحكيم ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ﴾<sup>4</sup>، فالاختلاف سنة كونية سنة كونية، لهذا وجب احترام الأديان وهذا ما حاول إقبال تفسيره لساندرودن: «حاولت أن أشرح له أنني فقير ولست غنيًا مثل أمراء الخليج حتى أعيل أربع أسر دفعة واحدة..»<sup>5</sup>.

<sup>1</sup> - عمارة لخصوص، الرواية، ص51.

<sup>2</sup> - ماجدة حمود، صورة الآخر في التراث العربي، ص29.

<sup>3</sup> - عمارة لخصوص، الرواية، ص52.

<sup>4</sup> - سورة هود الآية: 117.

<sup>5</sup> - عمارة لخصوص، الرواية، ص53.

## الفصل الرابع: تفاعل الأنا والآخر في الروايتين.

عانى "إقبال" من اضطهاد الشرطة التي ترمز إلى السلطة المستبدة، والظلمة يقول: «بدأت مشكلتي مع الشرطة عندما ذهبت لسحب وثيقة الإقامة، لاحظت أنهم خلطوا بين الاسم واللقب»<sup>1</sup>، في ظل هذا المناخ المشحون بنظرة العداة إلى الأجنبي، تفجرت أسئلة الهوية في الرواية، وأضحى الفرد المغترب يُعاني من «مشاعر الغربة وعدم الاتصال وفقدان الاستقرار النفسي، وغموض المستقبل، ووضع الاختلاف عن الوضع الطبيعي، وفقدان الحماية، والشعور بانعدام الغاية من الحياة»<sup>2</sup> لي طرح بذلك "عمارة لخص" أزمة وجود الإنسان المغترب، فكانت أزمة هوية بالدرجة الأولى.

على الرغم من تشبث إقبال بمعالم الهوية الإسلامية إلا أنه تغلغل في عمق الثقافة الرومانية/الإيطالية، فهو بذلك مثال للشخصية التفاعلية التي تقبل ثقافة الغير دون الانحلال فيها.

### 3- تفاعل ماريا كريستينا غونزاليز:

يتخذ "عمارة لخص" في روايته، من شخصية "ماريا كريستينا" رمزاً للقاء الذات بالآخر، سواء كان لقاءً إيجابياً تفاعلياً أو سلبياً رفضياً فعندما «يصبح الاختلاف الثقافي ذريعة للتعصب العنصري، ولنزعة التفوق، والامتياز العرقي التي تنشر فكرة عدم التكافؤ، والمساواة بين الثقافات البشرية، فعندئذ يكتسي المشكل طابعاً آخر، وتنجم عنه إسقاطات أخلاقية، وسياسية، وأنواع من السلوك المادي والمحتقر لثقافة الغير، وهنا يصبح السؤال المخرج، عن العلاقة بين الاختلاف الثقافي وتعدد الأجناس والسلالات البشرية سؤالاً ملحاً»<sup>3</sup>، برز هذا السؤال حينما هاجر هؤلاء إلى الآخر الأجنبي، فزاد من هوة الصراع وقوة المشاكل.

لا شك أن إثارة الناص لقضايا بعينها يجعلنا نشعر بمدى أهميتها من جهة، ومن جهة ثانية اطلاعنا على الديانات، وما تحتويه من فوائد علمية، ودينية تخدم الرأي العام، وبما أن الدين هو دستور الحياة، نجد أن شخصيات الرواية تتفاعل معه بشكل مستمر. وهذا ما أوضحته حينما قالت: «...للأسف

<sup>1</sup>- عمارة لخص، الرواية، ص 54.

<sup>2</sup>- حمادي سعدون، دور الأدب في الوعي القومي العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، ط3، 1984، ص 37.

<sup>3</sup>- عبد الرزاق الداوي، موت الإنسان في الخطاب الفلسفي المعاصر، دار الطليعة، بيروت، لبنان، ط1، 1992، ص 95، 96.

## الفصل الرابع: تفاعل الأنا والآخر في الروايتين.

ليومنا هذا لم أذق حلاوة الإنجاب رغم أنني تجرّعت مرارة الحمل عدة مرات، أعرف أن الكنيسة والبابا والقساوسة يُعارضون الإجهاض بشدة، لكن لماذا يفكرون في الجنين فقط؟ ألاّ أستحق القليل من العناية والاهتمام: من يفكر في المسكينة ماريا كريستينا»<sup>1</sup>.

فضحت البداية الغامضة مرارة الأوضاع التي تشهدها روما وتمكنت "ماريا كريستينا" من تعرية الواقع المشوه من خلال عملية الإجهاض ومن خلال الكشف عن حيثيات الوضع المتردي: «تدعو حالتي إلى الحيرة والتعجّب، من عادة النساء الفرّح الشديد عندما يحملن، أما أنا فأبكي كثيراً من شدة الخوف: الخوف من ضياع العمل، الخوف من الفقر، من المستقبل، من الشرطة، الخوف من كل شيء»<sup>2</sup> بهذا المشهد المأساوي تكون "ماريا" قد صدمت الواقع المرير التي تعيشه في كنف الآخر، بعدما كانت أوروبا رمزا للحضارة، والرقي، رمزا للأصالة والتطور نجد خلف هذه الرؤية الجمالية عالما موبوءا بمظاهر الفساد. تقول: «كثيراً ما أتمنى موت العجوز رُوزا ثم يعتزني الندم الشديد عندما أفكر في العواقب، أخشى أن يكون موتها موتي أيضاً، إلى أين سأذهب؟ كيف سأعيل أفراد أسرتي الفقراء في ليما؟... هل من العدل أن أعيش شبابي سجيناً بين أشباح الموت»<sup>3</sup>.

تجرّعت "ماريا كريستينا" مرارة الظلم وقسوة الحياة في إيطاليا، وفي خضم البحث عن ذاتها تتشكل هويتها داخل النسق الثقافي الذي تعيش فيه، والمتأمل للمتن السردي يجد أنّ هذه الشخصية بلا وثائق تثبت هويتها وجاء ذلك في قولها: «أريد أن أشعر بالاطمئنان لكن المصيبة أنني بلا وثائق، إني كالتقارب الصغير الذي تحطم شراعه وصار تحت رحمة الصخور والأمواج»<sup>4</sup> ثم تؤكد معاناتها مع البوابة: «لو كنت أملك وثيقة الإقامة ما تركت البوابة النابوليتانية تسخر مني وتعيرني كما يلح لها...»<sup>5</sup>. وجدت الذات المغتربة نفسها في منفى الخوف والهلع، «أنا أخاف من البوابة لأنّها قد تبلغ الشرطة، أنا لا أملك وثيقة

<sup>1</sup>- عمارة لخص، الرواية، ص 71.

<sup>2</sup>- المصدر نفسه، ص 71.

<sup>3</sup>- المصدر نفسه، ص 72.

<sup>4</sup>- المصدر نفسه، ص 74.

<sup>5</sup>- المصدر نفسه، ص 74.

## الفصل الرابع: تفاعل الأنا والآخر في الروائيتين.

الإقامة...»<sup>1</sup>، تم تضيف «الحقيقة أنَّ البوابة الملعونة هي التي وشت بي لدى السنيورة باؤلا ابنة العجوز رُوزا بذريعة أنني أجلب رجالاً إلى البيت وأقضي معهم كل الليل ولا أعطني بالعجوز المريضة»<sup>2</sup>، وجدت ماريا عنصرية من قبل الغير بذريعة وزنها الزائد، «هل من العدل أن أمنع من استعمال المصعد بينما يسمحون لكلب السنيورة فإياني التبول فيه؟...»<sup>3</sup>.

كان تفاعل "ماريا كريستينا" مع الثقافة الإيطالية عبر التلفاز، الوسيلة الوحيدة التي تصلها أخبار روما فهو كما تقول: «التلفزيون هو الصديق، والأخ، الزوج، والابن، والأم، ومريم العذراء، التلفزيون كالهواء تماماً، هل يستطيع الإنسان أن يعيش بلا هواء»<sup>4</sup>. من هذا المنطلق أراد الكاتب أن يؤسس لصورة هوية جديدة تستطيع أن تقف في وجه الآخر المهيمن على معطيات الحضارة السائدة بكل مكوناتها الثقافية وعناصرها، لتكون شخوص الرواية في صراع دائم بين إثبات وجودها، وتقبل حضارة الآخر في أجواء مفعمة بالخيبات وشتات الأحلام التي باتت الهاجس الذي يسعى كل فرد إلى تحقيقها. تمثل شخصية "ماريا كريستينا" مثال المرأة الضعيفة، الخائفة والمضطهدة، فهي رمز للاستسلام والرضوخ للذئبة روما وفريسة سهلة لمن اعترض طريقها.

### 4-تفاعل يوهان فان مارتن:

اختار الكاتب لأبطال روايته، انتماءات متعددة، ليرز طبيعة الصدام، وتأثير الآخر في الذات، فنلتقي بشخصية يوهان الشاب الهولندي المهاجر الذي نجده متأثراً بالثقافة الإيطالية ورموزها. ترعرع "يوهان" في محيط ثقافي متفتح على الكرة، وبخاصة كرة القدم الهولندية وفي مقابل ذلك نجد أفراد عائلته يُكونون موقفا عدائيا للكرة الإيطالية، وهذا ما نكتشفه من خلال كلام والده: «دعك يا

<sup>1</sup>-عمارة لحوص، الرواية، ص 74.

<sup>2</sup>-المصدر نفسه، ص75.

<sup>3</sup>-المصدر نفسه، ص 75

<sup>4</sup>-المصدر نفسه، ص76.

## الفصل الرابع: تفاعل الأنا والآخر في الروايتين.

يُوهان من إيطاليا لن تتعلم شيئاً من الإيطاليين...»<sup>1</sup> تُبرز شخصية "يُوهان" مدى إعجابه بالثقافة الإيطالية، ويتجسد ذلك من خلال سفره لدراسة السينما، «جئت إلى روما لدراسة السينما وتحقيق الحلم الذي راودني منذ الصغر، أنا معجب بالسينما الإيطالية كثيراً، لا أخفي تعلقي بالواقعية الجديدة التي أحدثت قفزة نوعية في صناعة السينما وطرحت نفسها بديلاً لسينما هوليوود»<sup>2</sup>، تُعرف روما مركز الحضارة منها ولدت ثقافة السينما، وإليها ترجع أصولها، وتفاعل يوهان مع ثقافتها واضح من خلال فكرة إنشاء فيلم جديد أبطاله سكان العمارة وعلى رأسهم البوابة "بندتا" يقول: «حلمت بإسناد دور البطولة للممثلة الألمانية أنا شيغولا، التي شاركت في معظم أفلام فاسبندر، قد يناسبها دور سيدة الكلب إلزابتا فاياني، أنا معجب كثيراً بالإيراني بارويز لأنه يذكرني بأنطوني كوين... أما البوابة بندتا فهي الشخصية المحورية في فيلمي القادم لأنها تمثل الواقع الشعبي...»<sup>3</sup>، ولع "يُوهان" بالواقعية الجديدة، التي برزت كحركة ثقافية سينمائية في الأربعينيات في إيطاليا، تعتمد على التصوير المباشر، والبسيط لمعاناة الطبقات الفقيرة في المجتمع. خلال إقامته في إيطاليا أقام "يُوهان" علاقات صداقة مع الإيطاليين، والمهاجرين، جلبت له عراقيل بيروقراطية، وبخاصة مع الشرطة التي ألقت القبض عليه بسبب بعض الغرامات من الماريخوانا" في نهاية المطاف أطلقوا سراحه بعد أن تعهدت على الإقلاع عن جلب المخدرات إلى إيطاليا والابتعاد كلياً عن تدخين الماريخوانا، لم أفهم بعد علاقة الماريخوانا بالمخدرات كاهروين هل هناك حقاً وحدة أوروبية»<sup>4</sup>. لم تتوقف مشاكل "يُوهان" مع الشرطة عند هذا الحد بل كلما وجدوه في وضع مخجل للحياء ألقوا القبض عليه، «...أنا لا أفهم لماذا توقفوني، لقد دفعت لها المال المتفق عليه مسبقاً، أنا لم أرتكب جنحة ضد القانون، ليس هذا الشارع هو الحي المخصص لبائعات الجنس، على غرار حي الأضواء الحمراء في أمستردام»<sup>5</sup>.

<sup>1</sup>-عمارة لخص، الرواية، ص76.

<sup>2</sup>-المصدر نفسه، ص96.

<sup>3</sup>-المصدر نفسه، ص100.

<sup>4</sup>-المصدر نفسه، ص98.

<sup>5</sup>-المصدر نفسه، ص98.

تُجسد شخصية "يوهان" مثالا للشباب الطموح، الحالم، والمقدام صوب أحلام مجهولة الهوية، انخرط في مجتمع تُحيط به ذئاب هائجة، متربصة أملاً مع كل ذلك تحقيق نجوميته عبر بوابة السينما الإيطالية، استعمله الروائي كرمز لتجسيد صراع العقلية في ظل تربص الذئبة.

#### 5- تفاعل عبد الله بن قدّور:

تسطو ظاهرة الاغتراب على حالة الإنسان المهاجر، فتجعله يُعاني نوعاً من الاضطراب في علاقته بنفسه، وأيضاً بالعالم كلّ، فيعاني على جميع الأصعدة فقدان الألفة والخلان، وكذا احترامه لذاته، وفقدان السلام والطمأنينة وهو في بحثه عن الآخر يفقد كيانه في لحظة من اللحظات وهذا ما عمد "عمارة لخص" إلى إبرازه في عمله هذا.

عاش "عبد الله بن قدّور" حياة المغترب المحافظ على ديانته، متمسكاً بمقومات هويته الثقافية، على الرغم من أنّه في روما الذئبة إلاّ أنّه بقي ملتزماً بأصوله الجزائرية. وجد قدّور نفسه يُعاني من أزمة هوية حينما اقترح عليه بعض الإيطاليين تغيير اسمه ورفض ذلك رفضاً مطلقاً يقول: «حاول الكثير من الإيطاليين الذين أعرفهم إقناعي بتغيير الاسم وعرضوا عليّ مجموعة من الأسماء الإيطالية، ألساندرو، فرانثيسكو، ماسمليانو، غويدو... ولكنني رفضت رفضاً مطلقاً»<sup>1</sup>، غالباً ما تكون الأسماء بؤرة النزاع، لكن قدور إيماناً منه بضرورة الحفاظ على هويته قرّر عدم تغييره «بصراحة أنا لا أحترم كل من يغير اسمه أو يتنكّر لأصله... لا أريد أن أعصي والدي الذي منحني هذا الاسم والله تعالى نهانا عن عقوق الوالدين وهي من الكبائر كالقتل والزنى، وشهادة الزور...»<sup>2</sup>.

أبدى "عبد الله بن قدور" انزعاجه من معالم الثقافة الجديدة، التي تفرض عليهم الانسلاخ عن حضارتهم، والمعضلة التي وقفت في وجه عبد الله لم تنته هناك «فقد عمد البعض إلى حيلة جد منتشرة

<sup>1</sup> - عمارة لخص، الرواية، ص 129.

<sup>2</sup> - المصدر نفسه، ص 129.

## الفصل الرابع: تفاعل الأنا والآخر في الروايتين.

في روما وهي حذف الجزء الأول أو الجزء الثاني من الاسم فصرت أسمع من يناديني إما: عبد أو الله»<sup>1</sup> وهو ما أدى إلى استيائه.

تظهر الهوية الدينية في دعوة "عمارة لخصوص" على لسان شخصياته إلى الدفاع عن انتماءاتهم، وأفكارهم المختلفة، لهذا نجد "عبد الله بن قدّور" يؤكد على إسلاميته في كثير من المواقف، يقول: «لن أغير جلدي ولا ديني، ولا لغتي، ولا بلدي ولا اسمي مهما حدث، أنا فخور بنفسي، ليس مثل المهاجرين الذين يغيرون أسماءهم حتى ينالوا رضى الإيطاليين»<sup>2</sup>، «إنّ الدين هو التعبير الجوهرى للاغتراب لأنّ الناس هم من يخلقون عالم المعتقدات، والسلطة الدينية ولكن يرونها بعد ذلك شيئاً خارجياً أو أجنبياً عن أنفسهم»<sup>3</sup>.

لم يستطيع "عبد الله بن قدّور" تقبل الآخر الإيطالي من خلال ألفاظ غير مستحبة في شريعتنا كلفظة (الخنزير) التي ترمز للفحولة عندهم يقول في هذا الصدد «لو سمعت أحدا يناديني يا خنزير فأني سأقطع لسانه لأن الخنزير أو الحلوف - كما نسميه في بلادنا- مكروه لا علاقة له بالفحولة والرجولة بل هو أقرب للشتيمة والإهانة»<sup>4</sup> يتيح لنا هذا التشبيه الرؤية الضبابية التي يختبئ من خلالها المهاجرون الذين يرون اندماجهم مع الواقع الإيطالي، والثقافة الإيطالية ما هو إلّا تجنّباً لعوائق وصدّات هم لا غنى عنها، وفي غالب الأحيان تتماهى الأنا مع الآخر، ويُعجب المغلوب بحضارة الغالب إذا لاحظنا هذه الشخصية نجدها لم تواجه مشاكل بيروقراطية كبقية المهاجرين إلّا فيما يتعلق بقضية الاسم.

تُمثّل شخصية عبد الله بن قدّور الرجل الشرقي المحافظ على عاداته وتقاليده، الذي كان رقيه الدين الإسلامي حتى لا ينحرف تجاه ذبّة روما، وتطلعاتهم الحضارية المخالفة للسائد.

<sup>1</sup>-عمارة لخصوص، الرواية، ص129.

<sup>2</sup>-المصدر نفسه، ص130.

<sup>3</sup>-جون سكوت، علم الاجتماع المفاهيم الأساسية، تر: محمد عثمان، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت، ط1، 2009، ص49.

<sup>4</sup>-عمارة لخصوص، الرواية، ص134.



6- تفاعل أحمد سالمى/أمديو:

ارتبط اسم "أمديو" في كامل أجزاء الرواية بجرمة قتل "الغلاذياتور"، فكانت شخصيته العيشية تكشف هويته من خلال علاقته بالمهاجرين، والإيطاليين، وقد أظهر تأقلمه المتسامح، ترحابًا كبيرًا بين الشخصيات، فهو شخصية إيجابية مؤثرة ولها صوت مسموع في المتن السردي.

ترك "أمديو" انطباعًا رائعًا مع جلّ الشخصيات، وهو ما أكده بارويز في قوله: «لا غرابة في تشبيه أمديو بالفاكهة، فلنقل إنه حلو وطيب كالعنب وما أحلاك يا عصير العنب»<sup>1</sup>، وأمام هذا التشبيه سعى الروائي إلى إظهار مكانة "أمديو" بين المهاجرين بتجرعه ثقافة الذئبة حتى يتمكن منها.

لقد تجرع "أمديو" ثقافة الذئبة حتى الارتواء، وهذا ما نلاحظه على كلام البوابة بندتا: «ماذا تقولون؟ السنيور أمديو أجني؟ لا أصدق أنه ليس إيطاليًا، أنا لم أفقد عقلي بعد، بإمكانى التمييز بين الإيطاليين والأجانب»<sup>2</sup>، حضر "أمديو" حضورًا طاغيًا في الرواية، ما جعل المهاجر "إقبال" يُعجب بشخصه، «السنيور أمديو إيطالي متميز، إنه ليس فاشيًا يكره الأجانب»<sup>3</sup> على الرغم من غموض شخصه إلا أن تعامله الراقي بدّد جميع الانتماءات العرقية بين الأطراف، وهذا صرحت به الزابتا فابيانى: «السنيور أمديو هو الشخص الوحيد المتسامح في هذه العمارة، لم يتضايق من فالتينو عندما كان ينبح بل يُعامله بعطف وحنان»<sup>4</sup>، لم تختلف "ماريا كرسينا غونزاليز"، عن الآخرين فهي دائما ما تردد «عندما أتزوج وأنجب ولدًا سأسميه أمديو... هو الوحيد الذي يعطف عليّ، ويقف إلى جانبي في أوقات المحن»<sup>5</sup>. هذه النظرة الموحدة اتفق عليها الجميع وجاء الرد صريحًا من قبل الأستاذ الجامعي "أنطونيو ماريني": «عندما أخبرتني البوابة أنّ "أمديو" من الجنوب، لم أصدق لأنّ طريقته في الكلام

<sup>1</sup> - عمارة لخص، الرواية، ص 15.

<sup>2</sup> - المصدر نفسه، ص 36.

<sup>3</sup> - المصدر نفسه، ص 51.

<sup>4</sup> - المصدر نفسه، ص 61.

<sup>5</sup> - المصدر نفسه، ص 71.

## الفصل الرابع: تفاعل الأنا والآخر في الروايتين.

والتحيّة والمشي أشبه بطريقة أهل ميلانو أو طورينو... يؤمن بقيم الكنيسة المتمثلة في قداسة العمل والعائلة، كما أنّه مطلع على الإنجيل»<sup>1</sup>، سعة ثقافة "أمديو" وإلمامه بجميع الأمور، حفز الكل على التفاعل معه، فنقل بذلك صورة المثقف المهاجر بامتياز، "فماريا كريستينا" رغم علاقاتها المتوترة مع باقي سكان العمارة إلا أنّها أبدت ارتياحاً كبيراً لأمديو.

ومن جملة التفاعلات التي رصدها النّاص، تفاعل "أمديو" مع الآخر المهاجر حينما تزوج ستفانيا مستارو، مع معرفتها بحقيقته إلا أنّها أحبته تقول: «لا أعرف من يكون أمديو، من هو أمديو قبل الاستقرار في روما؟ ... هناك غموض يلف حياته السابقة ربما هذا سر عشقي له»<sup>2</sup>. ضاق أمديو مرارة الغربة حتى انسجم معها ومع ثقافتها، لحد جعل من "عبد الله بن قدور" يتساءل: «لماذا سمّي نفسه أمديو؟ هذا هو السؤال الذي يجيّرني، اسمه الحقيقي أحمد، وهو اسم عظيم لأن اسم الرسول-صلى الله عليه وسلم- قد ذكر في القرآن والإنجيل»<sup>3</sup>.

من خلال شخصية "أحمد سالمى" نستخلص أنّ المهاجر لا يكون بالضرورة إنساناً مهمشاً بل هو محبوب من طرف الجميع، شخصية مثقفة، وواعية، تتصف بالأخلاق السمحة، ما يدل على تماسكها بدينها، إذ أنّ أمديو جمع بين الموروث الأصلي والموروث المكتسب، الذي أهله بأحقية التربع على الجسر الرابط بين الشرق والغرب.

في نهاية هذا المبحث توصلنا إلى جملة من النقاط أبرزها:

✓ طرح الروائي الجزائري (ياسمينة خضرا/عمارة لخص)، تساؤلاته عن الهوية، والانتماء، من خلال تقديم شخصيات متنوعة عرقياً، طائفياً، طبقياً، ليبرز مدى تفاعل الأنا مع الآخر، والآخر مع الأنا.

<sup>1</sup> - عمارة لخص، الرواية، ص 89.

<sup>2</sup> - المصدر نفسه، ص 120.

<sup>3</sup> - المصدر نفسه، ص 129.

## الفصل الرابع: تفاعل الأنا والآخر في الروايتين.

✓ قضية الصراع بين الأنا، والآخر هي قضية ضاربة جذورها منذ القدم لكن تناولها الروائي بمنظور مختلف يهدف إلى التعايش والحوار.

✓ أثر الاستعمار في الفرد ككل، فغير من هويته، ومنحه تمزقاً داخلياً مما جعل الهجرة الطريق الوحيد للنجاة.

✓ يلتقي كل من ياسمينه خضراء، وعمارة لخص في نقطة محورية الأنا وهي صورة الفرد الجزائري وهو يعاني من أزمة وجود، وانتماء، وتمزق داخلي جزاء الآخر الذي حاول جاهداً طمس ملامح هويته بشتى السبل.

المبحث الثاني: تفاعل الفرنسي مع الآخر الجزائري في رواية "فضل الليل على النهار لياسمينه

خضرا".

تمهيد:

استأثرت العلاقة بين الشرق والغرب اهتمام الباحثين منذ أمد بعيد فلجأ العديد من الروائيين لتجسيد ثنائية الأنا والآخر عبر مجموعة من الرؤى والصور المتقابلة، وقد باتت صور الآخر مؤشراً لارتداد الآفاق الفكرية والثقافية.

كان الاستعمار الفرنسي أحد أوجه المثاقفة التي شهدتها الجزائر، منذ أن وطأت أقدامه أرض الجزائر فعمد إلى فرض كل أشكال ومظاهر الهيمنة الثقافية على الجزائريين وخصوصاً اللغة التي مُنع تدريسها في المؤسسات الكولونيالية لأنها تزور التاريخ، وتقتلح معالم الجغرافيا، فأنشأ أجيالاً هجينة وتابعة له ثقافياً، بيد أن هذه المظاهر جعلت من الأدباء يتأثرون بالوضع اللغوي العام، فأبدعوا أدباً جزائرياً خالصاً باعتبار الخلفية الحضارية التي يستند إليها مبدعوه في ظل هذه الأجواء المشحونة بين الطرفين، «تخطت علاقة الأنا، والآخر، تلك الصورة الظاهرة في المرايا التي عكست انفعال الذات بالوضعية الراهنة لحضارة الآخر، كما لو أن الارتباط، والتداخل المقلق بين طرفي هذه العلاقة يقع في صلب القضية، ولا يُعبر عنها في القول: بحضارتين مكتملتين، ولا يتمظهر مبدأ الرفض، والقبول، العدا، والتبعية...»<sup>1</sup>. من هنا حاول "ياسمينه خضرا" في رواية "فضل الليل على النهار"، بسط جلّ التفاعلات التي تربط الذات الفرنسية بالآخر الجزائري، وهذا ما سنقف عليه في هذا المبحث.

7- تفاعل جوناك مع الأنا المهاجرة:

حضرت شخصية "جوناك" في الرواية بين نمطين مختلفين، أو بعبارة أدق أراد "ياسمينه خضرا" لهذه الشخصية أن تتحلل زمنين متناقضين بين شخصية "يونس" التي انطلقت من رحم معاناة جنان

<sup>1</sup> -نديم قاسم نجدي، أثر الاستشراق في الفكر العربي المعاصر، دار الفارابي، لبنان، ط1، 2005، ص364.

## الفصل الرابع: تفاعل الأنا والآخر في الروايتين.

جاتو، وبين "جوناس" الذي انخرط في الثقافة الفرنسيّة وأصبح فرنسيًا بالنسبة للفرنسيين من هنا نستنبط مدى العمق الهووي الذي تعيشه هذه الشخصية.

لم يتعد "جوناس" كثيرًا عن الرجل المثقف، الواعي المحبوب من قبل الفرنسيين أنفسهم وكانت أغلب علاقاته مع الآخرين تمتاز بالود والوثام والتصالح النفسي، إلا في علاقته مع الحبيب (الفرنسي) التي كانت علاقة ضد الطبيعة يقول: «كنت متضايقًا، شقيًا بلا أدنى شك، بسبب غموض موقفي، وجبني وعجزني عن اتخاذ قرار نهائي، لأرجع لهذه الفتاة حريتها وكرامتها وقد أبقيتها رهينة ترددي... حكايتنا ليس لها مستقبل، ما هذا الحب الذي يبني على انتهاك المحرمات، بلا نبل ولا تبريك؟ كيف يفعل ليعيش وسط النذالة التي تسقيه مثل مياه ملوثة؟»<sup>1</sup>، شاءت الأقدار أن تنطفئ شمعة الحب التي كانت تجمع بين "جوناس وإيميلي"، هذا الحب الذي انتهك المحرمات لم ير النور، ما زاد من حالة اليأس والحزن لدى جوناس: «لم أعد أطيق العيش في نفس القرية التي تتنفس فيها...»<sup>2</sup>. يبدو أن العلاقة مع الآخر الفرنسي غالبًا ما تكون مضطربة، تتسم بالعدوانية المطلقة يقول جوناس: «حينما تلتقي عيوننا ولو صدفة، أرى العدوانية اللامعة في بصرها وأحس بها تلدغني إلى عمق كياني...»<sup>3</sup> شغلت إيميلي حيزًا شاسعًا في حياة جوناس، كانت الحياة، والألم بالنسبة له، ويظهر ذلك من خلال عبارات الأسى التي عبّر بها عن وجعه: «تدفقت دموعي مداراة متدحرجة على خدي، مبللة ذقني ورقبتي، بكيت وشعرت بنفسي أفرغ همومي...»<sup>4</sup>.

قصة "جوناس وإيميلي" ماهي إلا إسقاط لعلاقة النزاع بين الجزائر وفرنسا، علاقة صراع، واحتدام، وتوتر، لأنّ «الهوية الكولونيالية تعمل قبل كل شيء عن طريق منطق مانوي قائم على الإقصاء والاستبعاد... يجري إقصاء المستعمرين عن الفضاءات الأوروبية، ليس فقط على الأصعدة المادية،

<sup>1</sup>-عمارة لحوص، الرواية، ص348.

<sup>2</sup>-المصدر نفسه، ص358.

<sup>3</sup>-المصدر نفسه، ص359.

<sup>4</sup>-المصدر نفسه، ص435.

## الفصل الرابع: تفاعل الأنا والآخر في الروايتين.

والإقليمية، وليس فقط من حيث الحقوق والامتيازات بل وحتى على مستويات الفكر، والقيم، يجري بناء الذات المستعمرة في خيال المركز بوصفها آخر<sup>1</sup>، وبالتالي فإن إفرازات الكولونيالية امتدت إلى غاية العلاقات الإنسانية لتشكّل علاقة إيميلي وجوناس محطة مهمّة لتقبل الآخر، والاعتراف به كشريك، على الرغم من فتور تلك العلاقة إلّا أنّها بقيت تُطارِد جوناس بقية حياته، «تستحوذ إيميلي على انشغالاتي، تحتل مساحات جديدة تتحول إلى مركز اهتمامي الرئيسي»<sup>2</sup>، أراد الروائي أن يرسم علاقة الجزائريّ المغترب عن وطنه في علاقته مع الآخر الفرنسيّ، وبين القبول والرفض تظهر الهوية كأحد أبرز العوامل الفاعلة لاكتشاف الذات.

وقف الكاتب عند عتبات الآخر منذ البداية ليرصد «حاجة الإنسانية إلى الكشف عن الهوية عبر الاحتكاك بالآخر قديمة، متشعبة التعبير... فالعين يحتاج إلى الضّد بغية رسم ملامحه»<sup>3</sup> وهو أول ما يتلقاه القارئ في أثناء قراءته لهذه الرواية.

مثلت شخصية "جوناس" صورة الفرد الجزائريّ المنقسم بين هويتين مزدوجتين بين "يونس" الذي يُمثل انكسارات جنان جاتو، "وجوناس" بالنسبة للفرنسين، مزج بين اللغتين العربية، والفرنسية، أهله مكانته بأن يتقلد منصباً مرموقاً، فهو شخصية كاريزمية مثقفة، محبة للغير، ومساعدة له في الوقت نفسه.

### 2- تفاعل إيميلي مع الأنا المهاجرة:

تكشف العلاقة التفاعلية التي أقامها الروائي بين أبطال روايته تعبيراً عن صراع أزمي بين الآخر الفرنسيّ والأنا الجزائريّة، والمتمثلة في علاقة الحب التي جمعت "إيميلي" المرأة الفرنسية، وجوناس الشاب الجزائريّ والواضح أنّ جسر التواصل بينهما تحول إلى علاقة معقدة فرضتها الظروف، وهذا ما نستشفه من حديثه، «تفرستني إيميلي بالحاح، هل كانت تقرأ في أفكاري؟ ... عيناها يا إلهي! من

<sup>1</sup> - مايكل هاردت وأنطونيو نيغري، الإمبراطورية، تر: فاضل جتكر، مكتبة العبيكان المملكة العربية السعودية، د. ط، 2002، ص193.

<sup>2</sup> - ياسمينه حضرا، الرواية، ص346.

<sup>3</sup> - دلال البرزي، الآخر المفارقة والضرورة (صورة الآخر ناظرًا ومنظور إليه)، ص108.

## الفصل الرابع: تفاعل الأنا والآخر في الروايتين.

يُقاومها؟..»<sup>1</sup>، طريقة إيميلي في الحديث وجميع سلوكاتها تُوحى بأنها فتاة حضرية قادمة من المدينة، تتمتع بالجرأة، والشجاعة، وهذا ما نكتشفه على لسان إحدى الشخصيات: «أكيد أنّها حضرية جاءت ضيفة عند أقرباء لها في ريو على حسب طريقة لباسها وسلوكها... لم أر أبدا فتاة من عندنا تجلس إلى الطاولة بهذه الكيفية..»<sup>2</sup>، خلف مظاهر الإعجاب بين الأنا والآخر، يكمن الوصال بين الطرفين، «كانت إيميلي رائعة في فستانها العجري البسيط شعرها منطلق إلى الورا الكتفان عاريان، كانت لذيذة الالتهام»<sup>3</sup> لم يتوان الجزائريّ عن الإعجاب بكل ما هو فرنسيّ ففرنسا تجذرت حتى النخاع في الثقافة الجزائرية والإعجاب بها ومظاهرها يُعدُّ أحد عوامل الحضارة.

إنّ المرأة عادة لا تستطيع أن تعيش خارج أسوار الحب، فهو بالنسبة إليها أكبر من مجرد إحساس فعبره تُحقق ذاتها وتستشعر كينونتها، "وإيميلي" كانت تتوقع الكثير من علاقة شبه مستحيلة تحكمها العادات والتقاليد، فشكّل الحب رهاناً خاسراً بالنسبة للشخص الرواية، وبالأخص ثنائية إيميلي/جوناس، إذ عادة ما تنتهي علاقات الحب إلى طريق مسدود، وهو ما جعل سيمون يستاء من الخاتمة التي اتخذتها الأمور عند نهاية الصيف، «أبدى سيمون سخطه على الخاتمة... هناك نفاق كبير، زوابع كثيرة مكتوبة قدر بأن تلاعب إيميلي كان قدراً، لا يستحق الشاعر أن يُرمى عند دورة غطس لقد استثمر جسداً وروحاً في هذه العلاقة، ويتفق الجميع في القرية على الاعتراف بأنهما يُشكلان زوج حلم وأنهما يملكان كل ما يمكن أن يجعلهما سعيدين»<sup>4</sup>، كانت "إيميلي" تتردد كحلم جميل بين الأصدقاء وكل يريد الظفر بها، «لأنّ العلاقات الكولونيالية تستتبع بطبيعتها انفلاتاً للمشاعر الجنسية: فالرجل الأبيض يعتقد، ويتصرف على أساس أنّ جميع نساء المستعمر مباحات له، ويرد الرجل المستعمر بتطرف مماثل، أنّ كل امرأة بيضاء مشتهاة، ونقاء بشرتها دعوة دائمة إلى الاغتصاب»<sup>5</sup> شكّلت "إيميلي" الحب

<sup>1</sup>-ياسمينه خضرا، الرواية، ص299.

<sup>2</sup>-المصدر نفسه، ص274.

<sup>3</sup>-المصدر نفسه، ص312.

<sup>4</sup>-المصدر نفسه، ص319.

<sup>5</sup>-جورج طرايشي، شرق وغرب رجولة وأنوثة، ص10.

## الفصل الرابع: تفاعل الأنا والآخر في الروايتين.

المستحيل الذي سحر الجميع، «إيميلي ليست شيئاً، ليست تحفة فنية نشترتها من محل أو ملكية نتفاوض حولها، لا تنتمي إلا لنفسها، إنها حرة في اختيارها كما هي حرة في تخليها عنم تُريد...»<sup>1</sup> تماهت "إيميلي" بين جانبيين، جانب إيجابي من خلال تفاعلها المستمر مع الأنا المهاجرة "يونس" والجانب السلبي حين تركت أبناء جلدتها يتخبطون في مشاعر مزيفة، أكدت من خلال قولها مدى حبها لجوناس حيث قالت في هذا الصدد: «لم تفهميني؟... لم أكن أرتمي في حضن هذا وذاك إلا لتراني، لم أكن أضحك بملء شوقي إلا لتسمعي... لم أعرف كيف أقول لك بأني أحبك»<sup>2</sup> بهذا الشكل تختزل هوية "إيميلي" في تمسكها بالأنا المهاجرة، وتثبت في أكثر من موقف صدق مشاعرها الجياشة نحو "جوناس": «تعرف مشاعري نحوك،... لا يوجد عيب ولا جريمة عندما نحب، إلا إذا ضحينا به، حتى، وإن كانت التضحية من أجل أهداف نبيلة»<sup>3</sup>، فشلت "إيميلي" في تحقيق التواصل مع الأنا المهاجرة على الرغم من الجهود الكبيرة التي بذلتها.

عبر "ياسمينة خضرا" عن الآخر من خلال شخصية "جوناس" إذ لم يكن في طرحه هذا بعيداً عن توصيف العلاقة التي جمعت الجزائر بفرنسا، «التي تأسست على مبدأ اللاتوازن بين الحاكم والمحكوم أو بين الغالب، والمغلوب، فهذه العلاقة قامت على الرفض المتبادل والمتواصل منذ ما يفوق القرن»<sup>4</sup> ولهذا السبب وجدنا علاقة الجزائري بالآخر علاقة شبه مستحيلة على جميع الأصعدة.

اختزل "ياسمينة خضرا" الوطن في صورة المرأة، ووفق تقنية الترميز التي تجعل المرأة رمزا للوطن نجد "إيميلي" تتوشح بهويتها الفرنسية كرمز لفرنسا، وفي المقابل يأخذ الوطن ملامحها، كأم، وحببية، وابنة. مثلت هذه الشخصية نموذج الحب المستحيل، قصة عشق لم يكتب لها الخلود، إذاً فهي مثال المرأة الجريئة، الحاملة، الراضخة للقوانين والأعراف التي فطرت عليها، فهي نموذج للفشل العاطفي.

<sup>1</sup>-ياسمينة خضرا، الرواية، ص322.

<sup>2</sup>-المصدر نفسه، ص337.

<sup>3</sup>-المصدر نفسه، ص341.

<sup>4</sup>-أم الخير جبور، الرواية الجزائرية المكتوبة باللغة الفرنسية، ص198.



3-تفاعل جيرمان مع الأنا المهاجرة:

تمسكت هذه الشخصية بهويتها وثقافتها الفرنسية التي قادتھا إلى التعايش مع الأنا المختلفة، كانت "جيرمان" شخصية مرحة، مُحبة للآخر المختلف عنها كلياً، بداية مع زوجها "ماحي" ثم مع "يونس" التي كانت علاقته معها علاقة الأم بابنها.

فتح "ياسمينة خضرا" حواراً حضارياً يجمع بين ثقافتين متنوعتين، بعيداً عن جميع التحيزات ومصالح القوميات الضيقة ليرتقي بنا إلى فضاء كوني يسوده التسامح الديني والاثني، والعربي، وظهر هذا الحوار في معاملة جيرمان الطيبة لـ **جوناس**: « كانت تبسم لي كلما رفعت بصري باتجاهها تدلني من اليوم الأول»<sup>1</sup>، «تتردد جيرمان على غرفتي مرات عديدة... تُحرك الغطاء، تلمس جبهي خلسة، تسوي وسادتي تم تغادر الغرفة بعد أن تغطيني جيداً»<sup>2</sup>. عمد الناص إلى إبراز الجانب الجيد للآخر باعتبار أن «الكونية الحقيقية تقوم على التسامح، والمنافسة، والقبول، والتعايش، والتنافس السلمي بين الأفكار وبين الثروات الثقافية، ما يسمح بالحلول مكان لعبة العنف والقوة، وسيكون ذلك نتيجة حركة تقارب مزدوجة، إنها أولاً حركة الغرب باتجاه الشرق، وقد صار ذلك ممكناً بفضل مثقفي الشرق، أبناء الثقافات غير الغربية، والمثاقفين مع قيم الغرب»<sup>3</sup> لم تكن "جيرمان" شخصية متعصبة وعنصرية، بل حافظت على هويتها الفرنسية وتقاليدھا الدينية.

شخص الروائي الواقع الجزائري بكل جدارة وكانت ثنائية القبول والرفض واضحة للمتلقي، فقبول الآخر للأنا يتجسد من خلال موقف جرمان مع جوناس، وموقف الرفض، الأم لابنها، وهذه الثنائية الضدية كانت على وفاق لأن الظروف فرضت ذلك. وصلت الثقافة الفرنسية إلى "جوناس" عن طريق أنساق متعددة كاللغة، والدين، فتعلم اللغة الفرنسية وتثقف ثقافتها أما الدين فنجده في الحوار الحضاري في فهم الأديان، وجوناس لم يجد عائقاً في التواصل مع جرمان كونها مسيحية، ويظهر ذلك من خلال

<sup>1</sup>-ياسمينة خضرا، الرواية، ص95.

<sup>2</sup>-المصدر نفسه، ص132.

<sup>3</sup>-جيرار لوكلاك، العولمة الثقافية، تر: جورج كتورة، دار الكتاب الجديد، د. ط، 2004، ص391.

## الفصل الرابع: تفاعل الأنا والآخر في الروايتين.

بعض العبارات، «يوم الأحد بعد القدّاس، لا تأخذني جرمان إلى أي مكان، تنزوي في غرفتها راکعة على ركبتيها أمام الصليب تغرق في دعاء طويل»<sup>1</sup> حاول "ياسمينة خضرا" أن ينطلق من وعي كل أمة بمعالم حضارتها ومقومات هويتها، مع ضرورة تجنب الأحكام المسبقة «والاتفاق على إعادة صياغة صورة للآخر في إطار التفهم والتسامح والرغبة في بلورة قيم إنسانية لإحداث التفاعل الحضاري وعليه يجب الخروج من النظرة الاغترابية للآخر الحضاري والبدء بحوار قائم على نظرة استيعابية لمكوناته وقيمه الحضارية»<sup>2</sup>.

تُبرز "جرمان" كشخصية قيادية من خلال إدارة شؤون المنزل في ظل غياب زوجها، «استرجعت جيرمان السيطرة على شؤون العائلة، واهتمت شخصياً بتسيير الصيدلية، كانت في الفرن، والطاحونة في آن واحد»<sup>3</sup>، كما أنّها الزوجة الأكثر حباً وألفةً، وتوافقاً هذه الصورة التي رسمها الناص والتي جمعت كل من جيرمان وزوجها (ماحي) «يُشكّلان الزوج الأكثر احتراماً رأيته في حياتي... كان يُمثّلان الحب بلا تنازل، الحب الكامل»<sup>4</sup>، في الوقت الذي ينتمي كل واحد منهما إلى ديانة معينة، نجد هما يمثّلان إلى قول الله تعالى: ﴿وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾<sup>5</sup>. من خلال شخصية "جرمان" تظهر ملامح الآخر المتسامح الخلق، والمحِب، كانت مثال المرأة المخلصة، والوفية، امرأة تتمتع بالشجاعة، والصبر، حين جسدت رحلة التعايش السلمي في أبسط معانيه.

### 4-تفاعل جان كريستوف مع الأنا:

يوصل "ياسمينة خضرا" رسم الآخر بحمولته الثقافية التي من خلالها يُبرز مدى الصراع، والتقبل الذي تحدّثه الشخصية في نفس القارئ إذا نظرنا إلى شخصية "جان كريستوف" أحد أصدقاء

<sup>1</sup>-ياسمينة خضرا، الرواية، ص140.

<sup>2</sup>-يوسف الحسن، الحوار الإسلامي المسيحي (الفرص والتحديات)، منشورات المجمع الثقافي، أبو ظبي، د. ط، 1977، ص23.

<sup>3</sup>-ياسمينة خضرا، الرواية، ص145.

<sup>4</sup>-المصدر نفسه، ص325.

<sup>5</sup>-سورة الروم الآية: 21.

## الفصل الرابع: تفاعل الأنا والآخر في الروايتين.

"جوناس" المقربين نجدها شخصية نرجسية، متكبرة، وفخورة بنفسها، يُريد لفت الانتباه إلى أبسط الأشياء «عندما يكون في الشارع، يجد دائماً وسيلة لجلب الأنظار إلى شخصه... نرجسياً وحاضراً دوماً فخوراً بأن يكون بمفرده محور اهتمام الجميع»<sup>1</sup>، يبدو أن فكرة النرجسية والتباهي بالنفس، والافتخار بها كان لها صدى كبيراً على ذات كريستوف فقد تأثر بشكل أو بآخر «بالرجل الغربي الذي يميل إلى اعتبار نفسه أرفع من باقي المخلوقات وغير ذي صلة بها»<sup>2</sup>، وهذا ما يفسر فكرة المركزية عند الغربيين»<sup>3</sup>. اتسمت علاقة "جان كريستوف" مع الأنا، بالتوتر والنزاع، وغالباً ما تنتهي بصراع دائم، أحب "ايميلي" لكن هذا الحب لم يبرح طويلاً بعد أن اكتشف علاقتها "بجوناس" يقول "يونس" «دمرتني الضغينة التي تنبعث من عينيه كحصى بركان على وشك الطفح... نويت إهداء هذه الورود إلى عشق عمري، ولكنها لا تصلح إلا لأزهار قبر أحلامي... ما أحقني! ما أبلدني... وأنت جوناس ما أقدرك»<sup>4</sup>، اتخذ "كريستوف" موقفاً سلبياً تجاه صديقه فانهاled عليه ساخطاً ناقماً لما سمعه، وكانت ردة فعله غير متوقعة: «اذهب إلى الجحيم أيها القدر! ... لست إلا حقيراً، منافقاً وسخاً، مزيلة خراء! ... لماذا تنصب في طريقي كنذير شؤم»<sup>5</sup>، تمسك كريستوف بنظرته الضيقة تجاه الآخر، فعبّر عن رفضه القاطع له: "ألعنك! ألعنك! وألعن اليوم الذي وضعك في طريقي لا أريد أن أراك، ولا أن أسمع صوتك إلى يوم الدين، يا منافق، يا حقير، يا جحود!»<sup>6</sup>. لم يمتلك "جان كريستوف" لمبادئ الحوار البناء، بل دأب على مقاطعة الطرف الآخر، ما ينم على سلبية الموقف، ولأن «المشاركة والحوار الحضاريّ إرادة حضارية قبل أن تكون فكرية، أو أمنية، أو رغبة»<sup>7</sup>، فلا يتحقق التواصل إلاً بوعي كل منهما.

1- ياسمينة خضراء، الرواية، ص 290.

2- دوبرو رينيه، إنسانية الإنسان (نقد علمي للحضارة المادية)، مؤسسة الرسالة، بيروت، د. ط، 1984، ص 173.

3- إبراهيم عبد الله، المركزية الغربية إشكالية التكون والتمركز حول الذات، المركز الثقافي العربي، مصر، ط 1، 1997، ص 65.

4- ياسمينة خضراء، الرواية، ص 332.

5- المصدر نفسه، ص 333.

6- المصدر نفسه، ص 333.

7- يوسف الحسن، الحوار المسيحي الإسلامي، ص 41.

## الفصل الرابع: تفاعل الأنا والآخر في الروايتين.

اختفى "جان كريستوف" ولم يعثر عليه أحد بعد البحث المستمر «في المواخير، والحانات، والفنادق الرخيصة في حي اسكاليرا حيث يمكن ومقابل بضعة أوراق نقدية أن يختفي امرؤ أيامًا وليالٍ برفقة عاهرة عجوز واحتساء نبيذ سيء وتدخين سجائر الحشيش...»<sup>1</sup> تظهر ملامح الآخر السلبي، الموبوء والأخلاقي حين حصره النَّاص بين المواخير، والحمامات، والعهرات... إلخ وهذا يدل على أنَّ المستعمر رسخ المفاهيم المغلوطة لأبنائهم، وأبناء غيرهم، فهذا التناقض الصارخ في التصوير ما هو إلاّ لوحة فنية حقيقية لا يُمكن للتاريخ نسيانها.

في نهاية المطاف، تُبرز صورة الآخر المتسامح حينما قرر "جان كريستوف" ترك الأحقاء الدفينة على جنب ليودع صديق عمره جونا، فقد كان اللقاء مفعماً بالمشاعر الحساسة: «ضممنا بعضنا بعضاً بشدة... أنا شخت جُوناس، لا أملك وسائل حقدي، يطيح بي أدنى غضب صغير»<sup>2</sup>، قرر "كريستوف" الصفح عن "جونا" بعد حقد دام خمس وأربعين سنة، للتجلى صورة الآخر الإيجابي بغض النظر عما ورد منه سابقاً. تمثل شخصية "جان كريستوف" نموذجاً للتعصب، والأنانية، وحب الذات، كما أنَّه شخص انطوائي يرفض الحوار الفعّال، ويميل إلى الوحدة والعزلة.

### 5- تفاعل فابريس مع الأنا:

إنَّ موقف "فابريس" من الأنا موقف وفاق وتصالح شخصيته المثقفة أدّت دوراً مهماً في تكوين علاقات جيدة مع الأشخاص، فهو شاعر، وصحفي كبير، مكانته الاجتماعية حولته للارتقاء في طريقة تعامله مع الأنا الجزائرية، جمعته علاقات جيدة مع أصدقائه فكان يدعوهم في كل مناسبة لحضور أي حفل يُقام على شرفه، «كان ذائع الصيت في ريو، يوقفه الجميع في الشارع، الفتيات، والفتيات، وكذا الأشخاص المسنون، طبعي إنه شاعر»<sup>3</sup>. لم تقتصر شاعريته على فئة معينة بل إنه شاعر الفتيات الأول يقول سيمون: «رأيتُه يغازل عذراء أول أمس... لم يكن الأمر مجرد لقاء عابر، كان متكئاً على سيارة

<sup>1</sup>- يasmine خضرا، الرواية، ص335.

<sup>2</sup>- المصدر نفسه، ص540، 541.

<sup>3</sup>- المصدر نفسه، ص279.

## الفصل الرابع: تفاعل الأنا والآخر في الروايتين.

أمها، مشبكا ذراعيه على صدره منشرحًا... والفتاة لم تكن مستعجلة لتلتحق بيبتها»<sup>1</sup> تشبث "فابريس" بهويته المتفردة، والتميزة عن باقي عناصر الرواية، لم يظهر عداوة، ولا حقدا دفينا تجاه الأنا أو الآخر، ما يوحي لنا بتواصله الإيجابي على كافة المستويات، بل بقي الصديق الوفي المحافظ على عهد الأصدقاء يقول "جوناس": «... لم ينقطع الحبل بيني وبين فابريس أبداً، فبعد أن أصبح صحفياً كبيراً، وكاتباً ناجحاً، كنت أراه بانتظام... كان يقيم عندي، عند كل زيارة من زيارته... ومهما كان الجو مطراً، قاراً أو قارئاً كنت أرافقه لزيارة قبر أبيه»<sup>2</sup>. إنَّ الغاية من توظيف الكاتب لشخصيات متنوعة هو الكشف عن التنوع الثقافي، والفكري، والعقائدي، والإيديولوجي لكل شخصية.

جسدت هذه الشخصية "فابريس" همزة وصل بين الشرق، والغرب أو بين الآخر والأنا روحها الطيبة جعلت منها شخصية متحاورة إلى أبعد الحدود، لتكون بذلك رمزاً لحوار الحضارات.

### 6- تفاعل سيمون مع الأنا:

نسج "ياسمينه خضرا" لقصته تفاعلات عديدة، جمعت بين علاقات الصداقة، الحب، الكره، والصراع، ليكُون بذلك ثقافة إنسانية عالمية تسعى إلى استيعاب الواقع الإنساني بدوافعه ورغباته التي تظل مكبوتة خلف اتجاهات وايدولوجيات معينة.

حضر "سيمون" كرمز حيوي، فكاهي وعدواني في الآن نفسه، يتفاعل مع الآخر بطريقة غير متوقعة، «يستطيع دون سابق إخبار أن يركل زميلاً له، فقط ليضع حدًا لحوار أزعجه»<sup>3</sup>، كما أنه يغذي عدوانية صريحة «اتجاه البنات وبالأخص الجميلات، والمجتهدات»<sup>4</sup>، لا يخفي "سيمون" تدمره المستمر من مكانة الفقير، لكن سرعان ما تتطور حالته إلى الأفضل إذ يقول لـجوناس: «أنا في أوج الازدهار،

<sup>1</sup> - ياسمينه خضرا، الرواية، ص 278، 279.

<sup>2</sup> - المصدر نفسه، ص 522.

<sup>3</sup> - المصدر نفسه، ص 170، 171.

<sup>4</sup> - المصدر نفسه، ص 171.

## الفصل الرابع: تفاعل الأنا والآخر في الروايتين.

والمنافسة شرسة، نترك جزءاً من جلدنا عند كل شبر منتزع...»<sup>1</sup> أبعدته وضعه الاجتماعي الجديد عن أصدقائه، ما شكّل شرخاً في طبيعة العلاقات الإنسانية. سعى الروائي إلى ربط صورة الآخر بهويته التي يستتر خلفها فبعد أن اقترحت السيّدة كازيناف خطبة يد ابنتها لسيمون بدأ يترنح سعادة «هو الذي وصف إيميلي بالسرعوفة والغاوية»<sup>2</sup> تتغير العلاقات بتغير المراكز الاجتماعيّة، وتتبدل الأوضاع بتبدل الأماكن قُتل "سيمون" على يد الفلاقة أشعلوا النار في بيته فمات مخلّفاً وراءه جراحاً عميقة في نفس "إيميلي" وفي نفس أصدقائه وخاصة "جوناس" حيث يقول: «قرفصت قرب جسد صديقي وأنا في وضع يُرثى له لم أكن متأكداً من دقة حركاتي ولا صفاء أفكاري، انطلقت يدي من تلقاء نفسها لتتحط على ظهر الميت كما لو أنّها تحاول إيقاظه»<sup>3</sup>.

شخصية "سيمون" تترنح بين الطموح وعدم الرضوخ للأمر الواقع، فهي رمز لعدم الاستسلام بغية تحقيق الأهداف المنشودة كان تفاعلها مع الأنا سطحيّاً رغم القرابة التي جمعتهم.

### 7- تفاعل السيّدة كازيناف مع الأنا:

تفاعلت السيّدة "كازيناف" والدة "إيميلي" في المتن السردي من ناحيتين الناحية الأولى حين أغوت "جوناس" فأصبحت مثلاً للمرأة الغاوية والناحية الثانية حين وقفت في وجهه حتى لا يُقيم أية علاقة مع ابنتها، فكانت مثلاً للمرأة الحامية المدافعة عن ابنتها.

إنّ معاملة السيّدة "كازيناف" "لجوناس" لم تكن كسابق عهد، وهذا ما نراه في حديثه معها: «... نزعت نظاراتها الشمسية... لم يفعل السحر مفعوله، بقيت كالصخرة الصماء، لم تكن إلاّ زبونة كبقية الزبائن وأنا لم أعد ذلك الفتى السابق الذي يقع في أحبالها عند أولى ابتساماتها، زعزعتها هذه المعاينة قليلاً لأنّها طفقت تدق أصابعها على المصرف الذي يفصلنا»<sup>4</sup> لم يعد "جوناس" ذلك الفتى

<sup>1</sup> - ياسمينه حضرا، الرواية، ص360.

<sup>2</sup> - المصدر نفسه، ص363.

<sup>3</sup> - المصدر نفسه، ص422.

<sup>4</sup> - المصدر نفسه، ص302.

## الفصل الرابع: تفاعل الأنا والآخر في الروايتين.

الذي تغويه امرأة، كما لم يكن اللقاء بين الأنا والآخر محتمل الوقوع لهذا لم تعجبها حياد لهجته، وبات الأمر محسومًا بالنسبة "لجوناس" ما جعل السيدة "كازيناف" تُحافظ على رزانتها «لم تكن كاملة إلا حينما تفرض قواعد لعبتها، إنها من الأشخاص الذين يحضرون جيدًا ضرباتهم باختيار المكان ولحظة بداية المشهد... قد تكون قضت الليلة وهي تبني حركة بعد حركة، تفاصيل لقائها معي غير أنها راهنت على فتى لم يعد من هذا العالم»<sup>1</sup>، إنَّ خصوصية اللقاء فشلت فشلاً ذريعاً من خلال قولها لتتأكد من ذلك: «إذا كنت مشغولاً سأعود مرة أخرى... هل تريد ربح الوقت؟ هل تنسحب كي تعود إلى الهجوم وهي مسلحة أفضل...؟»<sup>2</sup>. كانت السيدة "كازيناف" تريد معرفة طبيعة العلاقة التي تجمع "جوناس" بابنتها فوجدت الرد جافاً قاسياً، فقررت أن تُصارحه: «أنت فتى عاقل... سأكون صريحة معك، السيد جوناس... أنت مسلم، مسلم مستقيم حسب معلوماتي وأنا كاثوليكية لقد رضخنا للحظة ضعف في حياة سابقة، أتمنى من المولى أن يغفر لنا زلتنا، إنها سقطة يتيمة بلا مستقبل... ومع ذلك يوجد ذنب لا يغتفر، ولا يحتمل: زنى المحارم!...»<sup>3</sup>. انتهكت "كازيناف" حرمة الأديان وفجرت صراعاً دينياً دفيناً، «إنَّ زنى المحارم من أبشع المعاصي... لا ننام مع الأم وابنتها دون إهانة الله وملائكته، وأوليائه الصالحين بل حتى شياطينه أمنعك من الاقتراب من ابنتي... فضلت أن أظهر حازمة، قوية، ولكن المسألة تتعلق بعائلي، بابنتي، بإيماني، بضميري...»<sup>4</sup>. إنَّ اختلاف سلوك الطرفين ناتج عن اختلاف الموجه والمؤطر وهو المعتقد الديني، فاستقامة "جوناس" راجع لكونه مسلماً، أما ما تبدو عليه من عبث وهو فراجع لكاثوليكيته، وهي ترى بأنَّ الأمر سيكون عائقاً أمام استمرار علاقتهما.

كان تفاعل الآخر مع الأنا تفاعلاً عاطفياً خارقاً للقواعد، والأعراف، والديانات، وما أزم من حدة الوضع هو إعجاب كل من الأم، والبنت "بجوناس"، فكانت سبباً كافياً لانفصالهما، حيث كانت السيدة "كازيناف" هي المذنبة «أليست تلك المغامرة العابرة هي التي أجبرتني على التخلي عن

<sup>1</sup> - ياسمينه حضرا، الرواية، ص 302.

<sup>2</sup> - المصدر نفسه، ص 303.

<sup>3</sup> - المصدر نفسه، ص 305.

<sup>4</sup> - المصدر نفسه، ص 306.

إيميلي؟<sup>1</sup>. تظهر السيّدة "كازيناف" كصورة للمرأة المذنبة، الخائنة، والغاوية فأنحصرت هويّتها الضيقة ضمن هذه المجموعة كما أنّها صورة للحرمان العاطفي وسبب لحدوث شرخ في العلاقات الإنسانية.

#### 8-تفاعل أندري مع الأنا:

"أندري صوزا" لم يتعد كثيرا عن الموقف المتعصب الذي اتخذته الآخر الفرنسيّ في مشاداته العنيفة، فبدأ شخصا مغرورا، انتهازيا، وظالما يكثر العمال الذين يشتغلون عنده، فنجد دائما «مرتابا من العرب»<sup>2</sup>، يعاملهم أسوء المعاملة، ونخص بالذكر خادمه جلول يقول مبرزا عنفه اللامتناهي "بالأمس جاء مخمورا من المدينة وضربني ضربا مبرحا"<sup>3</sup> «لم يتوان أندري في استخدام السوط كي يؤدب خادمه»<sup>4</sup>. تظهر وحشية أندري من خلال شخصيته التي اكتسبها من واقعه، فالاستعمار نقطة سوداء في تاريخ الإنسانية لأنّه منح أفراده أساليب تدميرية في تعامله مع الغير، اقترن السوط بأندري فنجد زملاءه: «يتخيلونه مستقيما في جزم إقطاعي، السوط إزاء الفخذ، والصرخة قاضمة، يركل مؤخرات العمال الموسمين، طامعا في الأولب لنفسه فقط»<sup>5</sup> تغير أندري جذريا ويرجع ذلك إلى هوسه بالحلم الأمريكي الذي يُقاد إلى اختراق الطابوهات، وكسر عادات المجتمع، معلنا بذلك تمرده على تلك الأوضاع إذا تأملنا الرواية نرى بأنّ أغلب علاقاته مع أصدقائه وخصوصا "جوناس" تتمتع بالسلم والمصالحة.

وكخلاصة لما سبق: يمكننا القول أنّ رواية "فضل الليل على النهار" تمتاز بكثرة اللقاءات المفاجئة والصدقات، وحالات الحب المستحيلة التي تحكمها الأعراف، والقوانين، والعادات، والعلاقات التي

<sup>1</sup>-ياسمينه خضرا، الرواية، ص361.

<sup>2</sup>- المصدر نفسه، ص145.

<sup>3</sup>-المصدر نفسه، ص243.

<sup>4</sup>-المصدر نفسه، ص244.

<sup>5</sup>-المصدر نفسه، ص263.



## الفصل الرابع: تفاعل الأنا والآخر في الروايتين.

تتجاوز العدوانية الدينيّة، والسياسيّة، والثقافية، فالمسيحي يرتبط بصداقة قوية مع المسلم واليهودي وتُقام الروابط مع الآخر بدون أي حساسيات.

كان تفاعل شخصيات الرواية منقسمًا بين القبول والرفض، إذ نجد شخصيات تفاعلت مع الأنا بكل إيجابية، في حين اتخذ البعض الآخر موقفًا سلبيًا منهم، وهذا الاختلاف ميزة تفرضها قوانين الطبيعة.

المبحث الثالث: تفاعل الإيطالي مع الآخر في رواية "كيف ترضع من الذئبة دون أن تعضك"

عمارة لخصوص.

تمهيد:

اشتغل الروائي الجزائري على قضايا ذات بعد عالمي، فساهم في الرقي بهذا الفن الجميل الذي أضحي ضالة كل باحث للتقصي والتنقيب، ولا غريب إذا قلنا أن طرق إبداعهم اختلفت لكن مع ذلك يبقى الفرد الجزائري محور أعمالهم ومجمل أقوالهم وروح إبداعهم.

انطلاقاً من المعاناة، تشتد الهمم وتنفرد التجارب بانفراد رؤى أصحابها كي تعبر جسراً فكرياً وثقافياً، مغايراً، يرسم ملامح هوية جديدة أراد لها أصحابها أن تتخطى حدود "جزائرية النص"، في بعده الجغرافي والفني. ما جعل "عمارة لخصوص" يخوض مغامرة أدبية إنسانية نحو الغريب الذي هو جزء من ذواتنا فلخص موضوع الهجرة والمهاجرين ضمن حوار حضاري يهدف إلى التعايش السلمي، بيد أن رواج الثقافة الغربية بكل أطيافها في العالم العربي شكّل خطراً على الذهنيات العربية وبات «مشروع التوسع الغربي خطوة تُهدد أفرادنا لأنه سوغ منطقياً لاحتلال العالم وإبادة الحضارات»<sup>1</sup> فتصدى الروائي لهذه الموجة من خلال أعمال قُدر لها كشف الآخر العنصري مبرزا الهوية المشتتة والتي تعكس القيم الفردية وخلال هذا المبحث سنتعرف على الإنسان الإيطالي في تفاعله مع الآخر لنرصد بكل موضوعية آثار المثاقفة الغربية، وأبرز إفرزاتها.

7- تفاعل بندتا اسبوريثو مع الأنا:

كعاداته يضعنا "عمارة لخصوص" في واقع مخالف انطلاقاً من شخصياته التي غيرت نظرنا إلى الإيطالي، كونه حضر كرمز للسلطة القهرية، فمن خلال شخصية بندتا، تتضح مدلولات عديدة، دينية، اجتماعية طائفية بداية من قولها: «أنا من نابولي، أقولها بصوت مرتفع دون خجل ثم لماذا أبحل؟ ألم

<sup>1</sup> - عبد الله إبراهيم، المركزية الغربية، المركز الثقافي العربي، ط1، 1977، ص33.

## الفصل الرابع: تفاعل الأنا والآخر في الروايتين.

يولد طوطو toto في نابولي، إنه أكبر ممثل في العالم»<sup>1</sup> ارتأت "بندتا" أن تُعزز حضورها لدى المتلقي بتحديد انتمائها الجغرافي في إشارة للتمييز بين الشمال والجنوب.

لقد هيا الكاتب القارئ لسجل بندتا لمغامرات تعسفية، تُظهرها للمهاجرين ذوي جنسيات مختلفة، وطوائف متعددة، بحيث تمنعهم من استعمال المصعد لأسباب تافهة، وبعدها وجدت لورانزو مانفريدي مقتولاً في المصعد بدأت تشكك في مقتله فتقول: «اجثوا عن المجرم الحقيقي أنا أشك في صديقه الألباني لم أفهم سر صداقة السنيور "أمديو" بذلك المنحرف... أنا أقول إن الألباني هو القاتل الحقيقي»<sup>2</sup>، ترى بندتا أن سبب انحراف الشباب الإيطالي هو البطالة ما يدفعهم إلى الانحراف: «لم يكن الغلادياتور شخصاً محبوباً في ساحة فيتوريو، أنا متأكدة أن سبب انحرافه هو البطالة، ما أكثر الشبان الإيطاليين الذين لا يجدون عملاً شريفاً فهم مجبرون على السرقة والكسب غير المشروع، يجب طرد العمال المهاجرين، وتعويضهم بأبنائنا المساكين»<sup>3</sup>، تكره بندتا الذين يتنكرون لأصلهم وبلددهم، كلورانزو، وماريا كريستينا، وإقبال الباكستاني، فمثلاً تقول عن الألباني لورانزو، أنه القاتل الحقيقي بأنه يستعمل الكلمة الألبانية "كاتسو" للسب والشتيم، «ثم ما يزيد في شكوكي إنكاره الشديد لبلده الأصلي، حاول مرارا إقناعي أنه من بلد آخر غير ألبانيا، إنه ليس الوحيد الذي ينكر بلده الأصلي حتى يتجنب الطرد الفوري من إيطاليا»<sup>4</sup>، يظهر الوجه الآخر للبيئة الإيطالية من خلال عدم توفير فرص العمل لأبناء بلدها، ما يجعل بندتا تتذمر "إذا كانت فرص العمل غير متوفرة لأهل البلد، كيف نستطيع استقبال هذه الأعداد الكبيرة من المهاجرين؟.. الذين يحملون الأمراض المعدية كالطاعون والملاريا»<sup>5</sup> لم تتأخر "بندتا" عن إصاق ظاهرة الإجرام بالمهاجرين وطال ذلك كلب "إلزابتا فابيانى".

<sup>1</sup> -عمارة لخص، الرواية، ص35.

<sup>2</sup> -المصدر نفسه، ص39، 40.

<sup>3</sup> -المصدر نفسه، ص39.

<sup>4</sup> -المصدر نفسه، ص40.

<sup>5</sup> -المصدر نفسه، ص42.

## الفصل الرابع: تفاعل الأنا والآخر في الروايتين.

لعل الشخص الوحيد الذي كانت بندتا على وفاق معه هو أمديو لهذا نجدها تتساءل حول انتمائه، «ماذا تقولون؟ السنيور أمديو أجني؟ لا أصدق أنه ليس إيطاليًا، بإمكانني التمييز بين الإيطاليين والأجانب»<sup>1</sup>، ثم تضيف «يجب أن تعرفوا أن السنيور أمديو هو الوحيد الذي يمتنع عن استعمال المصعد في هذه العمارة احترامًا لي»<sup>2</sup>. استطاعت "بندتا" من خلال سجلها في الرواية أن تصنع مشهدًا تفاعليًا يطغى عليه التمييز العنصري، لتحمل بذلك كل صفات الديكتاتورية، فهي نموذج للمرأة غير الوفية لأبناء بلدها، وللمهاجر بصفة خاصة.

### 2- تفاعل الزابتا فأبياني مع الأنا:

لعل ما يُثير الانتباه حول "الزابتا فأبياني" هو ذلك التفاعل الذي يظهر على مستويين مختلفين، الأول علاقتها مع المهاجرين الوافدين إلى إيطاليا، والثاني مرتبط بالإيطاليين أنفسهم، فتمنح للغير للتعرف عليها من خلال كلبها «فالتينو» الذي قالت عن اختفائه: ذهبت إلى المحامي لأرفع قضية ضد مجهول، من أساء إلى الصغير فالتينو يجب أن يُعاقب»<sup>3</sup> نجد أنّ "الزابتا" تُشبه إلى حد كبير شخصية "بندتا" البوابة، في موقفها المتعصب للآخر المختلف، فحملت مسؤولية اختفاء فالتينو المهاجرين الصينين «إنّ صدقت الشكوك عن تورط الصينين في اختطاف فالتينو فإنّ أقل ما يمكن أنْ عمله السلطات الإيطالية تضامنا معي هو قطع العلاقات الدبلوماسية مع الصين، ووضع أصحاب المطاعم الصينية في السجن،... يجب طرد الصين من الأمم المتحدة ومحاصرتها اقتصاديًا، وسياسيًا هذا لا يشفي غليلي، ينبغي إعلان الحرب على الصين»<sup>4</sup>، إنّ الظلم الذي يتعرض له المهاجر، من قبل الإيطاليين غدا ظاهرة تُميز المجتمعات الغربية، التي كانت تُنادي بالإنسانية للمهاجر لم يعد يتمتع بالحقوق الكافية للعيش بسلام، وهذا ما نستخلصه من قولها: «تشهد ساحة فيتوريو من حين لآخر مسيرات للمطالبة بحقوق المهاجرين: الحق في العمل، الحق في السكن، الصحة، الانتخاب، أنا أقول إنه من الواجب أنْ

<sup>1</sup>-عمارة لحوص، الرواية، ص36.

<sup>2</sup>-المصدر نفسه، ص38.

<sup>3</sup>-المصدر نفسه، ص61.

<sup>4</sup>-المصدر نفسه، ص63.

## الفصل الرابع: تفاعل الأنا والآخر في الروايتين.

نبدأ بأهل البلد الأصليين الذين ولدوا في إيطاليا والكلاب هم من أبناء هذا البلد»<sup>1</sup>. يبدو أنّ هذه الرواية مبطنة بصورة تمجينية حول المهاجر فلا تنفك في إبداء رأيها عنه: «أنا لا أثق في المهاجرين...»<sup>2</sup> فالمهاجر في نظرها إنسان غير سوي، ناكر للمعروف، ويفتقر ذرة الاحترام والوفاء، «لا نحتاج إلى المهاجرين نعلّمهم الإيطالية، ومنحهم السكن والعمل ثم نجدهم يتاجرون في المخدرات في الحدائق العامة، ويغتصبون بناتنا هذا غير معقول على الإطلاق»<sup>3</sup>. إنّ نظرة الاستعلاء سمة أساسية في بناء النص، فالأمر لم يعد في ضرورة تقبل الآخر، وإتّما لا بد من تغيير العقلية التي باتت سلبية إلى أقصى درجة، فجاء رفضها لبلدها من خلال قولها: «إذا لم يعد فالنتينو سالما ومعافى، فإني لن أدفع الضرائب بعد اليوم بل سأهاجر إلى سويسرا بلا إبطاء ولن أرجع إلى إيطاليا أبداً»<sup>4</sup>، من هنا نكتشف أنه «ليس هناك، ولا يمكن أن تكون هناك حضارة عالميّة بالمعنى المطلق الذي نعطيه غالباً لهذا المصطلح»<sup>5</sup> فالحضارة العالمية التي ينشدها الآخر لم تعد موجودة كونها تتسع لثقافات عديدة ومتنوعة والآخر الإيطالي أثبت العكس.

لعل ما يشد انتباهنا أنّ النّاص حصر سجل "إلزابتا" بين إطارين "فالنتينو والمهاجر" ليوحي بمدلولات خفية تنقسم بين الثابت والمتحول إذاً فهذه الشخصية بنظرها الضيقة ورؤيتها للآخر النقيض جعلها تدور في بوتقة التعسف والظلم، والانحراف الهووي.

<sup>1</sup> - عمارة لخصوص، الرواية، ص 64.

<sup>2</sup> - المصدر نفسه، ص 64.

<sup>3</sup> - المصدر نفسه، ص 65.

<sup>4</sup> - المصدر نفسه، ص 66.

<sup>5</sup> - تزفيتان تودروف، نحن والآخرين، تر: ربي حمود، دار الهدى، دمشق، ط1، 1999، ص 90.

3-تفاعل أنطونيو ماريني:

منح "عمارة لخصوص" للقارئ فرصة التعرف على شخصياته كل بمهمته فإلى جانب المهاجر البطال، والبوابة، والخدمة، نجد شخصية المثقف التي جسدها الأستاذ الجامعي "أنطونيو ماريني"، فقدّم لمحة عامة عن الوضع في إيطاليا.

يصدّم "أنطونيو ماريني" السائح، بأنّ روما ليست كما يراها: «روما المدينة الخالدة! روما الجميلة! روما الحب! أنا آسف لا أرى روما بعين السائح الذي يأتي إليها أسبوعًا أو أسبوعين... أنا لا أعيش في جنة السياح وإنما في جحيم الفوضى...»<sup>1</sup>، وما خفي كان أعظم فخلّف روما الجميلة قبح لا ينتهي فهي الجحيم بعينه حسب أنطونيو: «بالنسبة إليّ لا فرق بين روما ومدن الجنوب...»<sup>2</sup>، من أول وهلة تبدو شخصية المتعصبة اتجاه «الجنوب القائم على الكسل والتخلف»<sup>3</sup> وهو ما يُبرز التناقض بين الشمال والجنوب. اكتسح مشهد التشويه مساحة كبيرة في الرواية، تشويه مدينة روما بإظهار وجهها الحقيقي: «أليست الذئبة هي رمز روما؟ أنا لا أثق أبدًا في أبناء الذئبة لأنهم حيوانات مفترسة متوحشة، إن الحيلة الخبيثة هي وسيلتهم المفضّلة في استغلال عرق الآخرين...»<sup>4</sup> إنّ التنوع الثقافي الذي تشهده إيطاليا، لا يُطرح بشأن الثقافات من حيث علاقاتها المتبادلة، بل «هي موجودة أيضًا في صلب كلّ مجتمع ضمن جميع الطبقات والفئات، فالملل والأوساط المهنية أو الطائفية تحرص على تطوير بعض الفروقات التي يعول عليها كلٌّ منها أهمية بالغة»<sup>5</sup> والملاحظ أنّ ثقافة العنصرية راسخة في المجتمع بأكمله، فلا فرق بين الأستاذ والبطال كونهما يُمثّلان النظرة نفسها.

<sup>1</sup> -عمارة لخصوص، الرواية، ص 84.

<sup>2</sup> -المصدر نفسه، ص 84.

<sup>3</sup> -المصدر نفسه، ص 85.

<sup>4</sup> -المصدر نفسه، ص 85.

<sup>5</sup> -كلود ليفي شتراوس، مقالات في الإناسة، تح: حسن قبيسي، دار التنوير للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، د. ت، ص 165.

إذا كان الأستاذ منارة يهتدى بها طالب العلم، فإن أنطونيو بؤرة لزرع الحقد والكراهة في نفوس طلبته في حديث له يقول: «أنا ملاحظ متمرس بإمكانني التمييز بين الكسول والمجتهد، مثلاً بندتا، ساندر، إلزابتا هم رموز الجنوب المتمثلة في الكسل والثثرة والتخلف والنميمة والإيمان بالشعوذة والبربرية...»<sup>1</sup>، كانت هذه الرواية طافحة بالإيماءات النفسية للشخص، ولأن عمارة لخص لم يقف موقف الوصف الخارجي بقدر ما كان يتوخى تقديم صورة حية عن الإيطالي في علاقته بالآخر، وعلاقته بأناه. نرى بأن "أنطونيو ماريني" جسد المثقف المنحرف فكرياً، ما يريح ازراء الجنوب، ولهذا لم يوجه عنصريته تجاه المهاجرين فحسب، بل نقد واقعه أيضاً.

### 4- تفاعل ساندر و دنديني:

لكل شخصية في الرواية هويتها التي تميزها عن باقي الشخصيات الأخرى فنرى تبايناً في طرق التفكير، والتعبير، وبما أن ساندر أحد شخصيات الرواية نجده يفسح المجال ليقدم مثلاً واضحاً عن إيطالي بسيط متعصب في الانتماءات الكروية، التي حددت ملامح هويته، فبرز الانتماء الوطني للإيطاليين من خلال "كرة القدم"، وهذا ما أكده قوله: «أنا لا أوافق على وصف كرة القدم بأنها مجرد لعبة للتسلية وتمضية للوقت، كرة القدم هي مدرسة تعلمك الجد والصبر، والمثابرة، وحب الفوز، والمقاومة إلى ثانية»<sup>2</sup> كان "ساندر" مولعاً بالرياضة الإيطالية لهذا نجد أغلب حديثه عنها وفي مرات عديدة يتشاجر مع زوجته حول مصير ابنتها الدراسي، أراد "ساندر" أن يحيا ابنه حياة كبار اللاعبين من البذخ والترف فقرر عدم إرساله إلى المدرسة، التي تُعد في نظره لا فائدة من ورائها.

إن تعامل "ساندر" مع الآخر لم يكن كبقية أفراد العمارة، فهو يتعامل مع مختلف الأجناس باحترام، «بإمكانني أن أميز بسهولة بين البنغالي والهندي، بين الألباني، والبولوني، بين التونسي والمصري...»<sup>3</sup>، من هنا نستخلص أن تعامله مع المهاجر، لم يكن تعاملًا عنصرياً، بل يتعامل بمحقد مع

<sup>1</sup> -عمارة لخص، الرواية، ص86.

<sup>2</sup> -المصدر نفسه، ص110، 111.

<sup>3</sup> -المصدر نفسه، ص105.

## الفصل الرابع: تفاعل الأنا والآخر في الروايتين.

أهل الشمال، فيقول: «نحن نعامل المهاجرين بمحبة وتسامح، أنا لا أحب أهل الشمال لأنهم يتحكّمون في ثروات البلاد ويحتكرونها، أولاد الحرام، لا يفكرون إلّا في مصالحهم»<sup>1</sup> ثم يضيف قائلاً: «إنّ فضائح أهل الشمال لا تنتهي أبداً، فقد فضحتهم عملية الأيدي النظيفة (Mani pulite)، التي قادها القضاة وأزالت الستار عن الرشوة المستشارية في مدن الشمال وعلى رأسها مدينة الفساد ميلانو»<sup>2</sup>، إنّ تفاعل ساندرو مع باقي الشخصيات، يتخللها الود وبخاصة مع "أمديو" الذي أبدى له ارتياحاً كبيراً «ترك أمديو منذ اللقاء الأوّل انطباعاً جيداً»<sup>3</sup>.

إذا كان تعامل هذه الشخصية مع الأنا المهاجرة كان تعاملًا عاديًا لا حقد ولا كراهية، على العكس منه تعامله مع الإيطالي القادم من الشمال.

### 5- تفاعل ستيفانيا مسارو:

تظهر "ستيفانيا" بحلّة جديدة، في تفاعلها واندماجها مع الغير، حينما قدمت لنا مسحة شعورية عاطفية، انبثقت من عمق النفس، وصدق المشاعر، مشاعر جمعتها بالآخر النقيض لترسم قصة حب أسطورية. لم تهتم "ستيفانيا" لا بالعرق، والدين، والعادات، والتقاليد، والأعراف، فالأمر بالنسبة لها لا يتعلق بالهويّة والحمولة الثقافيّة، والبنية الاجتماعيّة، والاقتصاديّة وإتّما بالأخلاق، والمشاعر، والقيم التي تُبرز إنسانية الإنسان، ومعدنه الأصيل.

نجد نشوة التعايش السلمي في قبولها للطرف الآخر وزواجها به، تقول: «أمديو المدهش الذي عشقني وعشقتة... لقد ضحى "أمديو" بكل شيء من أجلي، إذ تنازل عن وطنه ولغته، وثقافته واسمه وذاكرته، أراد أمديو إسعادي بأي ثمن... لا مجال للمقارنة بين قصتي مع "أمديو" وقصة حب (love story)، لبتريك سيغال»<sup>4</sup> كانت ستيفانيا تعيش في عمارة السيد "كرنغالي" في ساحة فيتوريو، لم

<sup>1</sup>-عمارة لحوص، الرواية، ص111.

<sup>2</sup>-المصدر نفسه، ص110.

<sup>3</sup>-المصدر نفسه، ص106.

<sup>4</sup>-المصدر نفسه، ص117.



## الفصل الرابع: تفاعل الأنا والآخر في الروايتين.

تكن تحب سكان العمارة، وبخاصة البوابة "بندتا" تقول عنها أنّها «كثيرة الثروة والنميمة خصوصاً أنّها تكرهني منذ الصغر»<sup>1</sup> كما تُبدي قلقها من الأستاذ ماريني «لأنّته مثل شرطي المرور لا يتوقف عن الأمر والنهي وتوزيع الغرامات يميناً ويساراً»<sup>2</sup>، كما وأنّها تكره أيضاً "إلزابتا فأبياني"، ويتجسد ذلك من خلال قولها: «لا أخفي عدم ارتياحي للجارّة إلزابتا، لم تتردّد هذه الغيبة في إطلاق اسم معبود النساء فالتينو على كلبها الصغير الذي لا يكف عن النباح في الليل كأنه ذئب البراري في إحدى المرّات اتهمني بالعنصرية، لا أعرف كيف لم تحمليّ مسؤولية اختفاء كلبها لحد الآن»<sup>3</sup>. كانت ستيفانيا الملاك الحارس لأمديو أظهرت حبّاً جمّاً تجاه المهاجر المجهول الهويّة، وفي مقابل ذلك عبّرت عن رفضها لسكان عمارتها لنظرهم الضيقة وروحهم المتسلطة.

### 6-تفاعل ماؤزو بتاريني:

عكف "عمارة لخصوص" على توظيف شخصية سلطوية لقمع الجرائم وإتمام التحقيقات من خلال مفتش الشرطة "ماؤزو بتاريني"، الذي تفاعل مع المتلقي بطريقة غير مباشرة حينما صرح: «لقد تعلمت من عملي كمفتش الشرطة أنّ الحقيقة مثل قطعة نقود، تتألف من وجهين مختلفين، الوجه الأوّل يكمل دائماً الوجه الثاني»<sup>4</sup>. كان الوجه الحقيقي لشخصيات الرواية يتراوح بين قبول الآخر ورفضه، ومعظم هؤلاء اتخذوا من العنصرية عنواناً لهم، فموقف ماؤزو لا يختلف عن بندتا، وأنطونيو ماريني....

لم يستطع "ماؤزو" التصرف بحزم مع المهاجر، لأنّه مراقب من طرف صحف اليسار يقول في هذا الصدد: «... الكثير من الإيطاليين يتساءلون عن مسألة طرد المهاجرين المنحرفين خصوصاً أنّ نصف المساجين في السجون الإيطالية أجنب، نحن بين المطرقة والسندان أو بين اليمين واليسار...»<sup>5</sup>، أصدر

<sup>1</sup> -عمارة لخصوص، الرواية، ص119.

<sup>2</sup> -المصدر نفسه، ص119.

<sup>3</sup> -المصدر نفسه، ص119.

<sup>4</sup> -المصدر نفسه، ص141.

<sup>5</sup> -المصدر نفسه، ص142.

## الفصل الرابع: تفاعل الأنا والآخر في الروايتين.

"ماؤزو" أحكاماً مسبقة في قضية مقتل "الغلادياتور" والتي راح ضحيتها المهاجر "أمديو"، فوجه أصابع الاتهام له، وهذا الأمر ليس جديد على الشرطة الإيطالية، فاضطهدت بارويز، وإقبال البنغالي والعجوز "بندتا" وغيرهم من سكان العمارة الذين لقوا أسوأ المعاملة من طرف الشرطة.

أُجبر المهاجر (سواء أكان جزائرياً أو من بلاد أخرى)، على ترك وطنه بل واضطر إلى ذلك بعد الظروف المضنية التي واجهها بعد الحركات الاستعمارية التي شهدتها تلك البلدان فهاجر بعضهم إلى أوروبا وبخاصة فرنسا وإيطاليا، لتحسين أوضاعه، والبعض الآخر لجأ إلى ذلك بحثاً عن ذاته ومحاولة لنسيان معاناته وواقعه البائس، ولكن وللأسف لم يعثر هذا المهاجر هناك إلا على خيبات الأمل المتتالية.

بناءً على ما تقدم: سعى "عمارة لخصوص" إلى بناء جسور التواصل بين الثقافات، والحضارات، فلم يتخل عن معركته الأساسية ضد كل أنواع التمييز: العرق، اللون، الطائفة، اللّغة، الطبقة لكن واجهته حملة شرسة من قبل الآخر الذي أزال اللثام عن همجيته، وعمد جاهداً وبكل السبل والطرق على إبادته وتعنيفه.

المبحث الرابع: أبرز تجليات الصراع في الروايتين.

تمهيد:

يُعَدُّ الصراع في الخطاب الروائي الجزائريّ أحد أهم الركائز التي يقف عندها الروائي لاستنطاق جملة التفاعلات التي تتحرك بموجبها الأحداث وتنمو الشخصيات ولا يحدث ذلك إلا بوجود عناصر فاعلة بين الأحداث والشخصيات.

كانت النصوص الجزائرية فرصة سانحة لتعرّف بطبيعة الصراع القائم بين طياتها، فالمواضيع التي أثارها تنبثق من البيئة المحلية، أو البيئة التي ارتحل إليها الأديب ذلك أنّ الصّراع ملازم للإنسان منذ الأزل، فاستفاد الروائي منه في بناء أحداث روايته. ومن خلال استقراءنا لروايتي "فضل الليل على النهار" لياسمينه خضراء، "وكيف ترضع من الذئبة دون أن تعضك" لعمارة لخصوص نجدها طافحة بملامح الصراع لانعدام الحوار بين الطرفين سواء كان الجزائري/ الفرنسي، أو المهاجر/ الإيطالي.

7- الصراع الديني:

يُعَدُّ الدين (الديانة) أقوى مرتكزات الهوية التي تُشكّل معنى الأنا الجمعي لأي أمة من الأمم، وهو أحد الرموز القوية للحضارات، والدين «هو المعتقد الذي تُؤمن به جماعة من الأفراد، ويؤثر على سلوكياتهم، وحياتهم، ويرتبط بمختلف مناحي حياتهم وكثيراً ما يكون سبباً للتصادم بين الحضارات، نظراً لاختلاف الأديان وتُشير الملاحظة إلى أنّ اشتراك أفراد جماعة ما في العقيدة الدينية يمثل بحق مقوماً بارزاً من مقومات الذاتية الإثنية لهذه الجماعة ذلك أنّ العقيدة الدينية تؤثر تأثيراً بالغاً في سلوك الجماعة، وعلى نحو يفوق في بعض الأحيان تأثير اللغة أو السلالة ففي مواقف أو أوضاع معينة قد يتغاضى المرء في سلوكه عن رابطة السلالة أو اللغة أو حتى الإيديولوجية من أجل العقيدة الدينية، فما بالك إذا ما

## الفصل الرابع: تفاعل الأنا والآخر في الروايتين.

تعرضت العقيدة للتهديد أو الاحتقار من طرف جماعة دينية أخرى فهذا حتما سيولد صراعات طويلة الأمد ومستعصية الحل»<sup>1</sup>.

إنّ اتصال الشخصية الجزائرية بالبلاد الغربية يؤدي إلى احتضان ثقافتها لا محالة بغض النظر عن خلفيتها، فياسمينه خضرا أدرج في روايته "فضل الليل على النهار" العديد من الديانات من بينها الديانة المسيحية الذي تعايش مع معالمها، متمثلاً في غرفته بمكونات ثقافية غريبة «عرفتي تقع في عمق الرواق... لوحات معلقة على الجدران، يصور بعضها مناظر رائعة، وعلى بعضها الآخر أشخاص في وضعيات خشوع، الأيدي مضمومة تحت الذقن، فوق المدفأة الكبيرة، يوجد تمثال نحاسي لطفل بجناحين يقف على دكة مربعة الشكل، يعلوه صليب...»<sup>2</sup>، كان "ماحي" على وعي كبير بثقافة الغير، فنجده يسرد لجوناس كيف عالجته الراهبات حينما كان مريضاً: «لم يتمكن الأطباء ولا الدراويش من علاجي... إنّ الأخوات الطيبات هنّ اللاتي أنقذن حياتي»<sup>3</sup>. نجم عن زواج العم ماحي المختلط، ثقافة أجنبية أثرت في الطفل، فبدت ملامح الغير تتضح من خلال الطقوس الدينية الممارسة يقول: «في يوم الصعود... ننضم إلى قافلة الحجاج الذين يطوفون حول "مصلى سانتا كروز"، كانوا بالمئات نساء، وشيوخاً، وأطفالاً يتزاحمون عند أقدام العذراء، تسلق بعضهم جوانب الجبل بأقدام حافية، وهم يتشبثون بأشواك الوزال وبالأحراش، وزحف بعضهم الآخر على ركابهم التي أدمتها الجراح»<sup>4</sup>، الواضح أنّ "جوناس" كان يرصد هول التضحية التي كانوا يقومون بها، «كان كل هذا الجمع الخاشع يتمايل تحت الشمس القائظة، العيون جاحظة، الوجوه منزوفة، وهم يدعون الأولياء الصالحين، ويتوسلون إلى المولى لإنقاذ حياتهم البائسة، أفهمني لوسات أنّ المصلين اسبانيون، يحجون كل سنة في يوم الصعود، يتحملون هذا الامتحان الشاق كي يشكروا" العذراء" على إنقاذ مدينة وهران القديمة من وباء الكوليرا

<sup>1</sup>- أحمد وهبان، الصراعات العرقية واستقرار العالم المعاصر، أليكس لتكنولوجيا المعلومات الإسكندرية، ط1، 2007، ص100.

<sup>2</sup>- ياسمينه خضرا، الرواية، ص97.

<sup>3</sup>- المصدر نفسه، ص107.

<sup>4</sup>- المصدر نفسه، ص142.

## الفصل الرابع: تفاعل الأنا والآخر في الروايتين.

الذي أهلك آلاف العائلات في 1899... لم أكن أرى حجاجًا، بل هالكين في حالة روع...»<sup>1</sup>.  
عمد النَّاص على توثيق تاريخ الجزائر من خلال الدين فبلاده كانت شاهدة على محطات دينية متعددة،  
وهذا ما ينم على التنوع الثقافي التي تزخر به الجزائر.

إنّ الحديث عن صراع الديانات وحوار الحضارات لا يُمكن أن يفهم سيادته إلاّ في إطار الدين  
الذي له دورٌ أساسي في بلورته «فالحضارات التي تُحاول أن تظهر مستقلة عن الأديان بعيدة عن تأثيرها،  
هي في الحقيقة جاءت نشأتها كرد فعل تجاه الدين، والمثل الواضح القوي يظهر في الحضارة الغربية التي  
صورت نفسها في شكل حضارة علمانية مستقلة عن الدين وتأثيراته، ورغم علمانية الحضارة الغربية  
فهي مرتبطة بالمسيحية، واليهودية بل إنّها في أولى مراحل تطورها كانت مرتبطة بالإسلام»<sup>2</sup>، وهنا إشارة  
واضحة بأنّ الدين وسيلة لتحقيق غاية التقارب الحضاري بين الأمم على اختلاف طوائفهم ومذاهبهم.

منح الروائي فرصة الولوج إلى عالم الديانات من خلال إبراز الصراع الحاصل بين الشخصية الروائية،  
وباقى الشخصيات من أطراف أخرى، فنفض الغبار عن فكرة تعايش الشخصيات مع ديانات لم  
يكونوا على دراية بها، ولهذا كانت دهشة "جوناس" واضحة فهو لم يتوقع هذا النوع من البشر وبخاصة  
حينما علم بجيروم أنّه يهودي الديانة يقول: «لم يكن يوجد حولي إلاّ المؤمنون، عمّي مسلم، جرمان  
كاثوليكية، جيراننا من اليهود أو النصارى، في المدرسة كمّا في الحي كان الله على جميع الألسنة وفي  
جميع القلوب»<sup>3</sup>، ما زاد من حيرته أنّ جميع الأشخاص لهم إله يعبدونه إلاّ جيروم، ففي الديانة اليهودية  
يعتقدون أنّ لكل شعب إلهها خاصا به، «تتردد اليهودية في الإيمان بالله الواحد ولذا نجدها أحيانا ترى  
أنّ يهوى ليس الإله الوحيد في الكون، وإنما هناك آلهة أخرى للشعوب الأخرى أنّ تكون ضامنة لمواثيق  
أتباعها»<sup>4</sup> طرح الروائي فكرة التعايش من خلال سكان القرية الاستعمارية "ريو صالادو" فيقول: «أغلبية

<sup>1</sup>-ياسمينه خضرا، الرواية، ص143.

<sup>2</sup>-محمد حسن خليفة، المسلمون والحوار الحضاري مع الآخر، مركز الدراسات الشرقية، القاهرة، د. ط، 2003، ص09.

<sup>3</sup>-ياسمينه خضرا، الرواية، ص141.

<sup>4</sup>-موسى معيرشي، الجدل الديني والسياسي في اليهودية والإسلام بين المقدس والمدنس، دار بهاء الدين للنشر والتوزيع، الجزائر، د.  
ط، 1988، ص24.

## الفصل الرابع: تفاعل الأنا والآخر في الروايتين.

سكان ريو سالادو اسبانيون، أو يهود، فخورون ببناء كل منشأة في هذه القرية بأيديهم... تنبعث من ريو سالادو نشوة التعايش المنشرج<sup>1</sup>.

كانت حالة الصراع التي عاشها بطل الرواية مع الآخر الحبيب تدور في هذه الناحية، فكثيراً ما نجد "إيميلي" ترجح سبب انفصال "جوناس" عنها بسبب الدين وجاء ذلك في حديثه معه: «هل بسبب الدين؟ لأني مسيحية وأنت مسلم، هذا هو السبب أليس كذلك»<sup>2</sup> إنَّ الإسلام يُحذر هذا النوع من العلاقات وإنَّ كان يدعو للحوار والتعايش، وتحملي ذلك في حديثها "جوناس" «في الشريعة تُجبر المرأة غير المسلمة على إعلان إسلامها قبل أن تتزوج مسلمًا، لم يكن عمي بهذا الرأي، لا يهمه أن تكون زوجته مسيحية أو وثنية، عندما يجبان بعضهما بعضًا لا يتحرران من الضغوطات والمحرمات، وبأنَّ الحب يهدّي الآلهة ولا يجري التفاوض بشأنه لأنَّ أي اتفاق أو تنازل يمسّ بقداسته»<sup>3</sup>، أمام هذا الصراع، بقي جوناس محافظًا على ديانته الأساسية، فكان عمه يذكره بآيات قرآنية حتى لا ينسى معالم ديانته يقول له: «لا تنس ما يقوله القرآن: من قتل نفسًا بغير حق كأنما قتل الناس جميعًا»<sup>4</sup>، في نهاية المطاف قرأ "جوناس" بعض الآيات على قبر "إيميلي": «قرفصت قرب قبر إيميلي، ضمنت أصابعي على مستوى شفتي وتلوت آيات قرآنية، ليس الأمر مستساعًا ومع ذلك أفعله، في عيون الأئمة والقساوسة، نحن مختلفون، ولكننا متساوون في نظر المولى، قرأت الفاتحة، ثم آيتين من سورة ياسين»<sup>5</sup>، إنَّ حقيقة وجود الذات الجزائرية، والشخصية الفرنسية المستعمرة يعني استمرار وجود التوتر والصراع واختلال القيم الإنسانية، لكن مع ذلك يبقى الجزائري محافظًا على دينه وهويته التي تشكل كيانه وقيمه.

<sup>1</sup>-ياسمينه خضرا، الرواية، ص159.

<sup>2</sup>-المصدر نفسه، ص347.

<sup>3</sup>-المصدر نفسه، ص325.

<sup>4</sup>-المصدر نفسه، ص253.

<sup>5</sup>-المصدر نفسه، ص511، 512.

تناول "عمارة لخصوص" في روايته "كيف ترضع من الذئبة دون أن تعضك"، العديد من الخطابات التي تحدث تفاعلا فيما بينها، كالخطاب الديني الإسلامي، والخطاب الديني النصراني، وجاء هذا التفاعل نتيجة احتكاك الأنا بالآخر.

برز في النص صراع حاد بين شخصيات أراد لها الناص أن تحيا في روما مركز البابا والفاتيكان، إذ نجد بعض الشخصيات بقيت محافظة على دينها، كباروز الإيراني، وإقبال البنغالي، عبد الله بن قدور الجزائري، لكن الملاحظ على هؤلاء أن إقامتهم في روما جعلتهم يُميزون بين المسلم والمسيحي، وبين العنصري والمتطرف، ونجد هذا في قول إقبال أمير الله: «عندما أرى السنيور أمديو مع صديقه الإيراني في بار دَنديني او ألتقي بهما صدفة... فأشعر بالغبطة، والارتياح، أقول في نفسي ما أجمل أن ترى المسيحي والمسلم كأخوين، لا فرق بين عيسى ومحمد، ولا فرق بين المسيحية والإسلام، ولا فرق بين الإنجيل والقرآن»<sup>1</sup>، ثم يضيف «كان أمديو يجيني دوماً بالتحية الإسلامية: السلام عليكم إنه يعرف الإسلام معرفة جيدة... هو الإيطالي الوحيد الذي يمتنع عن إحراجي بالأسئلة المتعلقة بالحجاب وحقوق المرأة والمحرمات...»<sup>2</sup>، لم يتوقف الكاتب عند هذا الحد بل وظف عبر شخصياته آيات وأحاديث قرآنية، وقصصا وعبرا مستمدة من الشريعة الإسلامية، يقول عبد الله بن قدور: «لن أغير جلدي ولا ديني... خذ مثلاً التونسي الذي أطلق على نفسه اسم ماسمليانو، لقد قال الله في القرآن: لن ترضى عنك اليهود، ولا النصارى حتى تتبع ملتهم، صدق الله العظيم»<sup>3</sup>، كذلك استحضر قصة قابيل، وهابيل ابني آدم حين قتل قابيل أخاه هابيل في قوله: «هناك طائر آخر لا يقل غرابة عن الهدهد إنه الغراب الذي دلّ القاتل قابيل على كيفية التخلص من جثة أخيه هابيل، يُقال إنه القاتل الأول على الأرض، إذا الغراب هو أول خبير في دفن الأموات في التاريخ»<sup>4</sup>، وهي قصة مستوحاة من سورة المائدة، أما الحديث النبوي فيظهر من خلال: «في إحدى المرات قال إنَّ الرسول محمد هو القائل: «تبسمك في وجه أخيك

<sup>1</sup>-عمارة لخصوص، الرواية، ص52.

<sup>2</sup>-المصدر نفسه، ص52.

<sup>3</sup>-المصدر نفسه، ص130.

<sup>4</sup>-المصدر نفسه، ص48.

## الفصل الرابع: تفاعل الأنا والآخر في الروايتين.

صدقة»<sup>1</sup> «لقد وظف السارد الآيات القرآنية لإغناء السرد بالدلالات، والتراكيب بالقوة البلاغية، لأنَّ القرآن جزء أساسي من ثقافة المسلمين وليوحي للمتلقي بأصالته اللغوية، وانتمائه إلى الثقافة الإسلامية»<sup>2</sup>.

يظهر الخطاب النصراني مع الشخصيات الإيطالية وبخاصة بندتا التي تناجي دائماً الرب لمساعدتها، فتقول في العديد من المواضع «الرأفة يا قديس نابولي العظيم»<sup>3</sup>، ثم تضيف، «أنا لا أخاف من بطش الآخرين مادام القديس جنازوا معي، ألم أطلق اسم قديس نابولي العظيم على ابني الوحيد جنازو، ألا يكفي هذا للبرهنة على الولاء له»<sup>4</sup>، كان أمديو مثلاً للتعايش الديني تناقش مع الأستاذ أنطونيو حول عبارة «وستجعله الحقيقة حراً»<sup>5</sup>. أي أنه كان مطلعاً على الإنجيل وأحكامه.

فالغرض من استحضار الروائي لهذه النصوص القرآنية، والنقل من انجيل متى ليؤكد على الصراع والتفاعل القائم بين الديانات والعقائد والتي تدين بها شخصيات هذه الرواية الإسلامية منها والمسيحية، ومن هنا «لا نحتاج للتأكيد أنَّ الحضارات الإنسانية المتعددة دخلت في علاقات، وتصادقت وتصادمت بقدر ما تحاورت، وتبادلت التأثير... الصراع نفسه كان أحياناً أسلوباً لمعرفة الآخر، ومدخلاً لعلاقة مع الآخر، ولم يمنع التأثير بالآخر ولا التأثير فيه، الغرب أخذ الكثير من العرب كما أنَّ العرب أخذوا الكثير من الغرب خلال الحروب الصليبية»<sup>6</sup>، وبعد الحروب لنخرج في الأخير بأنَّ الحضارات مهما اختلفت ثقافتها فهي في تلاقح وتفاعل مستمر.

<sup>1</sup> -عمارة لخص، الرواية، ص 52.

<sup>2</sup> -سمير روجي الفيصل، أسلوبية الرواية العربية، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، سلسلة الدراسات، د. ط، 2011، ص 128.

<sup>3</sup> -عمارة لخص، الرواية، ص 128.

<sup>4</sup> -المصدر نفسه، ص 39.

<sup>5</sup> -المصدر نفسه، ص 86.

<sup>6</sup> -سالم المعوش، الأدب وحوار الحضارات (المنهج والمصطلح والنماذج)، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، د. ط، 2007، ص 163.



2- الصراع السياسي:

لا يمكن لأي مجتمع أن يخلو من صراع سياسي «بغض النظر عن طبيعة هذا المجتمع أو نوع ذلك الصراع، وهو خاصية ملازمة لكل تفاعل في الحياة إلى الحد الذي يجعلنا نقول أنه ما وجد الصراع فهناك الحياة، وللصراع مقوماته، ودواعيه وله مقدماته، ونتائجه، وله خططه، واستراتيجياته، وكلما كانت عملياته تدار طبقاً لذلك بصورة علمية، كلما كان له النصيب الأكبر في فرص النجاح»<sup>1</sup> وفق هذا المنطلق، «فالصراع تفاعل بيئي، سواء على النطاق المحلي أو الإقليمي أو العالمي، فرجل الشرطة حين يواجه المتظاهرين، والجمهور حين يتصدى لأحد الحكام المتسلطين، والطبقة التي تتصارع مع طبقة أخرى، كلها عمليات تنبع من الواقع السيء وتتأثر بما يسود البيئة ولاسيما مع العوامل الثقافية التي تتلاءم مع القوى الفكرية لدى الفرد»<sup>2</sup> يبدو أننا ننساق سريعاً إلى الحديث عن الصراع السياسي الذي هو محور دراستنا وأغلب «الظن أن أكثر عملياته بل لقد وجد هناك من يذهب إلى أن كلمة صراع ليست إلا عملية سياسية، مهما كانت صبغتها التي تبدأ بها، إذ لا بد وأن ينتهي بهذا الأمر إلى أن تكون سياسية، ومن ثم يكون الصراع هو خلاصة العمليات السياسية...»<sup>3</sup>

بعد هذا الطرح، أخذ الأديب على عاتقه نقل الصراع السياسي في عمله كأحد أهم العوامل التي كشفت عن العلاقة القائمة بين الشخصية الجزائرية والسلطة الغربية (فرنسية/إيطالية)، التي مارست مختلف أساليب المطاردة والقهر لها، فالعلاقة بينهما كانت بمثابة العلاقة بين الحاكم والمحكوم، وبين القوي والضعيف، ويتجلى هذا الصراع السياسي بشكل بارز حينما دافع العم (ماحي) عن القضية الوطنية، فكان محل شكوك من طرف الشرطة يقول **جوناس**: «كان عمي يستقبل ضيوفاً، بعضهم يأتي من بعيد، عرب، بربر... كانوا ناساً مهمّين، يتحدث الجميع عن بلد آخر مسلوب ومستعمر، ومقموع، والذي يجتر غضبه مثل أكل فاسد، جزائر جنان جاتو والانكسارات الجارحة والأراضي المحروقة،

<sup>1</sup> -عبد الرحمن خليفة، أيديولوجية الصّراع السياسي (دراسة في نظرية القوة)، مكتبة الآداب، جامعة الإسكندرية، د. ط، 1999، ص163.

<sup>2</sup> -ياسمينه حضرا، الرواية، ص165.

<sup>3</sup> -المصدر نفسه، ص165، 167.

## الفصل الرابع: تفاعل الأنا والآخر في الروايتين.

والعذابات المتكررة والحمالين... بلد يحتاج إلى إعادة تعريف اختارت جميع متناقضات الكون أن تستنزف طاقته وتعيش على مدخراته»<sup>1</sup>، بدأت رحلة الصراع السياسي من خلال القضية الوطنية التي بدأت تنتشر في «أوساط النخب المسلمة... كان يحتفظ بجميع المقالات النضالية التي تنتشر في الصحافة، مقالات يفهرسها، ويشرحها، ويعلق عليها عبر مقالات طويلة، كان منشغلاً بالجوانب النظرية للتطورات السياسية، لا يعرف من النضال إلا الخطب المتحمسة، والورش السرية التي كان يساهم بتمويل قسط منها والاجتماعات السرية التي كان مسئولو الحركة ينظمونها في منزله»<sup>2</sup>، شكلت الحركة الوطنية منعطفًا حاسمًا في تاريخ الجزائر، تجند الكل لإنجاحها، «فكان وطنيا في القلب، أقرب إلى المبادئ النظرية، منها إلى الحركة الجذرية التي كان يُمارسها مناضلو حزب الشعب الجزائري... في واقع الأمر كان رجل سلام، ديمقراطيًا تجرديًا مثقفًا يؤمن بالخطب، والبيانات، والشعارات، ويغذي عدوانية دفيئة اتجاه العنف كان مواطنًا محترمًا للقوانين، واعيًا بالمرتبة الاجتماعية التي منحه إياه شهادته الجامعية ومهنته كصيدلي»<sup>3</sup>، استعملت الشرطة كل السبل لقمع المثقف الجزائري حتى لا يزود الحركة الوطنية بالمعلومات سواء من قريب أو من بعيد، لهذا كانت صدمة ماحي كبيرة، مع كل هذا الولاء للقضية يعتقل ويرمى بزنزانة كريهة الرائحة ليقضي بها الليل برفقة الجرذان والأشجار «يُحكى أنه كان في وضعية يرثى لها قبل حتى أن يصعد إلى داخل شاحنة الشرطة، وأنه أفرغ كل ما جمعبته مع أولى لحظات الاستنطاق، وقد تعاون مع الشرطة بشكل جدّ إيجابي، بحيث أطلقت سراحه بعد أسبوع فقط من اعتقاله، دون أن تتخذ ضده أي إجراء عقابي»<sup>4</sup>. إنَّ الصراع بين الشرطة والشعب، كان أحد الأوجه البارزة في المتن السردي، فنقل ياسمينة خضرا مجريات الثورة بحذافيرها، وبرز الصراع على عدة أوجه وكان الصراع السياسي أهمها.

إنَّ حِدَّة الصراع المتنامي لدى الكاتب الجزائريين جاء نتيجة احتكاكهم بالآخر الذي عاملهم بسوء، فجاءت شخصيات الرواية تُحاكي ذلك الصراع، "فعمارة لخصوص" لم يكن بمعزل عن الساحة

<sup>1</sup>-ياسمينة خضرا، الرواية، ص117، 117.

<sup>2</sup>-المصدر نفسه، ص146.

<sup>3</sup>-المصدر نفسه، ص146.

<sup>4</sup>-المصدر نفسه، ص147.

## الفصل الرابع: تفاعل الأنا والآخر في الروايتين.

الثقافية الغربية لهذا لم يخفِ ذلك التمزق الذي يعيشه المهاجر، ودوامة الظلم والقهر الذي حصده نتيجة هجرته. تجلّى الصراع السياسي في رواية "كيف ترضع من الذئبة دون أن تعضك"، من خلال المهاجر من ناحية، والشرطة، وأصحاب السلطة من ناحية أخرى.

وجد "بارويز" نفسه في خلاف دائم مع الشرطة، فكلما ذهب لتحديد الإقامة، واستصدار بعض الوثائق الإدارية، يقع في مشاكل: «في كل مرة يطردونني كالكلب الأجرى بعد أن يسمعونني الكلمات التالية، إذا عدت إلى هنا مرة أخرى، فإننا نستدعي الشرطة»<sup>1</sup>، كما أنه يذكر حادثة إطعام الحمام في ساحة "سانتا ماريا ماجوري"، يقول، «هل إعطاء القمح للحمام هي جنحة يعاقب عليها القانون الإيطالي... أتساءل كيف تمنعني السلطات الإيطالية وهي عضو في الأمم المتحدة»<sup>2</sup> في كل مرة تقتاد الشرطة بارويز لاستجوابه كأنه مجرم خطير، وهذا قمة العنصرية.

إضافة إلى "بارويز" نجد "إقبال أمير الله" الذي عانى الكثير من أزمة الهوية بسبب اسمه، يقول: «غضب مني الشرطي وهددني قائلاً، لو عدت إلى هنا مرة أخرى فسأمزق وثيقة الإقامة هذه وآخذك رأساً إلى مطار فيوميشينو وأضعك في أول طائرة متوجهة إلى بنغلادش، لا أريد أن أراك هنا مرة أخرى هل فهمت؟»<sup>3</sup>، كانت الشرطة رمزا للعنصرية، الطاغية، حيث اضطهدت الجميع وبدون استثناء لتبرز في الأخير موقف الآخر من الأنا. تحدثت الرواية عن الوعي السياسي لدى المهاجرين، من خلال الوعي بالقضايا السياسية، فتجسد ذلك في قول "بارويز": «لا يزال يتملّكني العجب كلما أستمع إلى تصريحات بعض السياسيين الإيطاليين في نشرات الأخبار والحصص التلفزيونية»<sup>4</sup>. روجت الثقافة الإيطالية لفكرة أن كل مهاجر هو مجرم وجب فرض الحجز عليه أو تهجيده إلى بلده، وهذا ما حدث

<sup>1</sup>-عمارة لحوص، الرواية، ص23.

<sup>2</sup>- المصدر نفسه، ص27.

<sup>3</sup>-المصدر نفسه، ص55.

<sup>4</sup>-المصدر نفسه، ص16.

## الفصل الرابع: تفاعل الأنا والآخر في الروايتين.

مع أمديو محبوب الجميع، بعدما كان الملاك الحارس، ومحامي الدفاع عن أي مهاجر مهمًا كان انتماءه وتوجهه اتهم بمقتل الغلادياتور.

إنَّ الصراع في الرواية هاجس وواقع في آن وهذا ما يجعل من الذات ممزقة بين طموحها وواقعها في البقاء، ورغبتها في العودة إلى الديار، من ثمة يكون الصراع شكلا من أشكال المواجهة بين الفرد ونظيره الآخر، وليرسم الجزائري، صورة الصدام الحضاري في وجهه السياسي.

### 3-الصراع الحضاري:

إنَّ الحديث عن فكرة الصراع الحضاري يقودنا تلقائيًا إلى الحضارات الغابرة التي كان لها الفضل في نشوء تلاقحات، وانفتاحات حضارية، نجم عنها ما يُسمى بالصراع الحضاري، الذي بات مطلب كل روائي ليعرّف معالم حضارته، وقد تعرض لهذه القضية "صموئيل هنتجتون" حين أكد «أنَّ العملية التاريخية، لم تنته بانتهاء الصراع الإيديولوجي بل تحوَّلت إلى صراع أعلى أو أسمى وهو الصراع بين الحضارات والذي سببه:

- الاختلاف بين الحضارات في التاريخ، الثقافة، العادات، وأهم من كل ذلك الدين.

-الاحتكاك بين الشعوب المتصاعد وضّخ ما تشترك فيه، وما تختلف من شأنه الذي يفصل بين الشعوب.

-تطور الوعي الحضاري، (الغرب في القمة)، مقابل ذلك نلاحظ ظاهرة العودة إلى الجذور في الحضارات غير الغربية، تنامي الحركات المتطرفة التي تُنادي بالدول الوطنية<sup>1</sup>، من هنا ندرك أن الحرب اليوم، أصبحت تندرج ضمن الموروث الحضاري، فكل حضارة تزعم زعمها، وترجع الأفضلية لها.

<sup>1</sup>- كبيش عبد الكريم، إشكالية الصراع الحضاري في مرحلة العولمة، مجلة الفكر، ع3، د. ت، ص73.

يتميز الصراع الحضاري في رواية "فضل الليل على النهار"، بأنه صراع ناتج عن إعجاب الأنا بالآخر، والانبهار بمعالم الرقي، والتطور، وتبدأ رحلة الصراع من خلال الفتى "جوناس" الذي مرّر عبره الكاتب رسائل مشفرة تُوحى بالفرق الشاسع بين البلدين (المستوى المعيشي والعلمي).

تظهر أولى معالم الحضارة حين أبدى "جوناس" استغرابه للأشياء الجديدة التي شاهدها عند عمّه يقول: «لم يكن عمّي بحاجة إلى قنديل بترولي كي يُنير ليليه يكفي الضغط على زر لتشغيل مجموعة مصابيح في السقف... أنا المتعود على الأكل في صحن واحد مع عائلتي، أحسست بنفسي مُتغربًا أمام صحن شخصي»<sup>1</sup> عانت الأسر الجزائرية على كافة الأصعدة، وهو ما دفع "بجوناس" إلى المقارنة بين عوالم المدينة، والريف خلال زيارته لجنان جاتو: «أخذني عمي إلى جنان جاتو، فبدت لي أروع من السابق، هنا يدور الزمن في حلقة مفرغة، بلا تتابع في الأفكار، الوجوه السمراء الداكنة نفسها تلقي نظراتها المكثفة حولها، الظلال الصينية نفسها تتداخل مع الظلام..»<sup>2</sup> كان جوناس في تساؤل دائم «لازلت أتساءل إن لم يكن العالم في نهاية المطاف سوى مظاهر، تملك وجها شبيها بالورق المعجن وكيس خيش على الظهر فأنت فقير، تغسل وجهك، تمشط شعرك، ترتدي سروالاً نظيفاً فأنت شخص آخر تمامًا، ليست إلا اختلافات ضئيلة، في الحادية عشر من العمر، تريك هذه اليقظات..»<sup>3</sup>، ولج "جوناس" عالم المتناقضات من باب الواسع، «كنت مقتنعاً أنّ البؤس لا يتعلق بالقدر، وإنما يستلهم طاقته في الدهنيات كل شيء يُعجن في الرأس... في جنان جاتو لا مكان للأحلام، قرّر الناس أنّ مصائرهم محتومة بأفعال نهائية، ولا يوجد شيء حولها، ولا خلفها، ولا تحتها، إن طول النظر باتجاه العود الذي لا يخرج انتهى بهم إلى الالتحام روحًا وجسدًا بحول عيونهم»<sup>4</sup>.

إنّ أبرز تجليات الهيمنة الثقافية التي مارستها فرنسا على الجزائر هي تغيير معالم المدن الجزائرية، فأضحت معظم الشوارع ذات أسماء فرنسية ثم ما فتئت تغيير ملامح المدن التي بنتها على الطراز الأوروبي

<sup>1</sup>-ياسمينه خضر الرواية، ص96.

<sup>2</sup>-المصدر نفسه، ص109.

<sup>3</sup>-المصدر نفسه، ص115.

<sup>4</sup>-المصدر نفسه، ص116.

## الفصل الرابع: تفاعل الأنا والآخر في الروايتين.

أي هندسة المدن على النمط الغربي، وخصوصًا المدن الكبرى كوهان التي يُطلق عليها المدينة الأوروبية، والتي يقطنها المعمرون الأوروبيون، أمّا الجزائريون فحُشروا في أكواخ معزولة في المداشر، والقرى، وظلوا يُكابدون آلامهم وأحلامهم بصمت رهيب من هنا برز التمييز العنصري كلفظة تُطلق على الآخر المستبد ما دفع بالروائي "ياسمينة خضرا" إلى نقل هذه المعاناة اليومية التي كان الجزائريون يجترونها بحرفية كبيرة، في قرية جنان جاتو على تخوم مدينة وهران الأوربية حاضرة الأوروبيين المترفين.

ظل البؤس يلاحق سكان جنان جاتو القرية النقيض أين الفقر، والبؤس يجثو على الأشخاص حاملين جميع الانكسارات التي تُبرز هويتهم المتشظية يقول **جوناس**: «ذهبت إلى جنان جاتو أي الوجه النقيض للمدينة، حيث لا وجود لأي بذلة أمريكية، المكان الذي تتعفن فيه الأدعية والتنهيدات»<sup>1</sup>، أراد الروائي أن يُبرز: أن الصراع الحضاري في هذه الرواية مستند إلى العادات، والتقاليد، كاللباس، والطعام، بالإضافة إلى العمران والأعراف المتنوعة التي تعرفت عليها شخوص الرواية، وفي سياق آخر يُبرز التناقض بأن ليس كل ثري حضاريا بالضرورة «صحيح أنهم أثرياء، بألبسة فخمة، لكن رائحة روث البغال لاصقة بهم أينما ذهبوا»<sup>2</sup> بين الجزائر، وانكساراتها تظهر باريس عاصمة الموضة، والجمال حين حظ جوناس برحاله هناك: «فظهرت مارسيليا أشبه بعذراء تتدفأ تحت الشمس، بدت المدينة غافية... مارسيليا المدينة الخرافة، أرض العمالقة السقماء نقطة التقاء الآلهة...»<sup>3</sup> تمثل شخصية "جوناس" حضورًا للذات الجزائرية في امتدادها التاريخي، والثقافي، والحضاري، فجسد معنى الانتماء بمفهومه الواسع، من خلال انطلاقه من واقع زخر بكل مقومات الصراع، إيمانًا منه في خلق فرصة للحوار، والتعايش مع الآخر، وفق مشروع حضاري.

في الوقت الذي روج فيه المتعصبون لمقولة "الغرب مصدر كل رفاهية"، جاء "عمارة لخصوص" للبحث عن المشترك الإنساني، والحضاري، والثقافي لمواجهة التعصب، والصراعات، ببث مشروع يدعو

<sup>1</sup>-ياسمينة خضرا، الرواية، ص12.

<sup>2</sup>-المصدر نفسه، ص269.

<sup>3</sup>-المصدر نفسه، ص494.

## الفصل الرابع: تفاعل الأنا والآخر في الروايتين.

إلى الحوار الحضاري بشقيه، التاريخي، والثقافي، فهو يؤرخ بواقعية تامة ماذا يحدث فيما وراء البحر، ويتصدى بمهارة لسؤال الهوية، والانتماء، أو العلاقة بين الأنا والآخر.

نشير إلى أنّ تجليات الصراع الحضاري في هذه الرواية تشمل جميع الأطياف باختلاف عاداتهم، وتقاليدهم، وقوانينهم، ديانتهم، وقد أشارت بندتا إلى ذلك «يكفي أن تتحول بعد الظهيرة في حديقة ساحة فيتوريو تري أنّ الأغلبية الساحقة من الأطفال أجانب من المغرب، ورومانيا، والصين، والهند، وبولونيا، و السنغال، إن العيش معهم مستحيل، لهم دين، وتقاليدهم وعادات مختلفة عنا»<sup>1</sup>، إذا فإيطاليا بؤرة الأجناس البشرية، وهذا الاختلاف بين الأطياف مكنم الصراع والعداء، والعنصرية، فالهجرة تختلف من الثقافة العربية إلى الثقافة الغربية، ونستخلص من هذا القول صورة الضيف التي رسمها الإيطالي: «أنا أعمل في بيع السمك منذ سنوات لا أحد فوقا بين حياة السمك وحياة المهاجرين، هناك مثل يردده الإيطاليون كثيرا الضيف مثل السمك بعد ثلاثة أيام يتعفن، و المهاجر هو ضيف ليس أقل ولا أكثر، وكما أنّ السمك يؤكل طازجا ويرمى في المزبلة إذا فقد لونه الأصلي..»<sup>2</sup>. تختلف ثقافة الضيف في مفهومنا العربي، فهو ضيف الله المكرم والمبجل وجب الاعتناء بيه، وضيافته على أحسن وأكمل وجه، بينما نجد معاملة الإيطالي للضيف أسوء معاملة، حين يتنكر له، ولا يحسن ضيافته. فشتان بين حضارتين، حضارة تستمد أصولها من الشريعة الإسلامية، وحضارة تنادي بالتطرف والعنصرية، فبارويز جسّد صورة الآخر من خلال التعامل الحسن فيقول: «من عاداتنا في إيران، احترام الشيوخ، والعجائز، وتجنب الألفاظ البذيئة، لهذا السبب عوض أن أرد الإساءة، بالإساءة وأنهم عليها بشتائم كما يفعل الكثيرون، أكتفي برد عليها قائلا مرسى»<sup>3</sup>. بناء على هذا يبرز الفرق الجوهرى بين الأنا والآخر من خلال تقبل الأنا إساءة الآخر الذي يتعمد إظهار العنف بشكل مباشر.

<sup>1</sup>-عمارة لخص، الرواية، ص 42.

<sup>2</sup>-المصدر نفسه، ص 132، 133.

<sup>3</sup>-المصدر نفسه، ص 18.

## الفصل الرابع: تفاعل الأنا والآخر في الروايتين.

إنَّ الأزمة الحضارية مست جميع المقومات الثقافية من تعصب للأكل وبخاصة أكل البيتزا، والعجائن، إلى تعصب في ثقافة الآخر كالمساس بالمقدسات الدينية، ليأتي أمديو (أحمد سالمى) ويجعل روما ملاذا لعذاب الذاكرة، التي حاول جاهدا الهروب من واقعه الذي اغتصبه الإرهاب فاندمج مع الكينونة الإيطالية، وتماهى معها حتى النخاع، لدرجة أنه رضع من الذئبة دون أن ينسى إسلاميته في التعاطي مع الغير.

مما سبق يمكننا القول بأنَّ الرواية الجزائرية استطاعت أن تخوض غمار الصراع بالبحث الدائم عن المجهول الذي يعاني منه أفرادها، فتمكنت من إظهار ثقافات مغايرة تحمل أنساقاً مضمرة تُبرز قضية الصراع بأبعاده المختلفة، فناقشت، وحللت، واستوعبت كل المتغيرات لتطرح سؤال الهوية بحدّة، وبزاوية مختلفة تتجاوزها اتجاهات اجتماعية، سياسية، إثنية، ثقافية، ليخرج بنتيجة مفادها أنَّ الهوية كينونة ديناميكية لا تعرف الثبات.



## الفصل الرابع: تفاعل الأنا والآخر في الروايتين.

وفي خاتمة هذا الفصل توصلت إلى نقاط مهمة هي:

- وجد الجزائري نفسه أمام جبهات متصارعة ليثبت ذاته، وبين التماهي والإعجاب أضع الطريق، وغير معالم انتمائه في ضوء المتغيرات التي شهدتها.
- كانت أعمال الروائيين (ياسمينه خضرا، عمارة لخص) مدونة خصبة لإعادة قراءة تجليات الهوية والانتماء.
- اشتغل "عمارة لخص" في روايته على تقنية التهجين، وذلك باحتوائها على ثقافات متعددة ينضوي تحتها أجناس معرفية متنوعة.
- لا يمكن فهم الأنا إلا من خلال الآخر فهو المرآة العاكسة لذواتنا ومنه تحدث تفاعلات على مستويات مختلفة لتكون وجها من أوجه المثاقفة بين الشرق والغرب.
- جسد "عمارة لخص" ثنائية شمال/ جنوب، لتظهر صورة الآخر المتصدعة ما زاد من حدة الصراع بين الأصوات المتحاورة.
- رسم "ياسمينه خضرا"، صورة الأنا في محاكاتها للآخر، ليعزف لحن الألم الذي شهدته الجزائر، فكانت روايته حقيقة تاريخية، واقعية مستمدة من تاريخ الجزائر الجريح.



خاتمة

تُعَدُّ تيمة الهُوِيَّة، تيمة أساسية في بناء الرؤية السردية لدى كل من "عمارة لخصوص" في روايته (كيف ترضع من الذئبة دون أن تعضك)، "وياسمينة خضرا" في روايته (فضل الليل على النهار)، وتشكلت انطلاقاً من مرجعيات فكرية، وتاريخية، وايدولوجية تمثلها النصان، فتجلت في جملة من العناصر التي تتعلق بالمكونات اللغوية، والاجتماعية، والثقافية، والتاريخية، وقد انتهى البحث في موضوع الهُوِيَّة إلى رصد جملة من النتائج نجملها فيما يأتي:

### 1- كشفت الهُوِيَّة التاريخية عن جملة من النتائج:

- تظهر المدينة في رواية "كيف ترضع من الذئبة دون أن تعضك" بحلة مغايرة، فهي رمز للحنين، والفراق، والذكريات الأليمة التي يحملها المغترب في غياهب روما الظالمة.
- طرح "عمارة لخصوص" إشكالية مهمة نالت اهتماما كبيرا من طرف الأدباء والمفكرين هي إشكالية حوار الحضارات الذي ظهر في عسر التلاقي بين الشرق والغرب.
- ظهرت في رواية "كيف ترضع من الذئبة دون أن تعضك" ثنائيتا (إيطاليا/الذئبة) (وأمديو/أحمد سالمى الجريمة) لتبرز الخلفية التاريخية للمدينة روما الذئبة وما يستتر خلفها من خبايا.
- تناول "ياسمينة خضرا" القضايا الوطنية بكل أبعادها، كما رسم صورة الاستعمار الغاشم، وقضايا الكرامة، والحرية، والتحرر، والأرض المغصوبة.
- طغى الخطاب الكولونيالي في رواية "فضل الليل على النهار"، لأنّ "ياسمينة خضرا" بصدد التاريخ لتاريخ الجزائر الجريحة.
- كانت العمليات المسلحة في رواية "فضل الليل على النهار" تحمل في طياتها ردا صريحا على الخطاب الكولونيالي الذي أكد زيف أحقيته على هذه الأرض.
- تطفو على العلاقات داخل المتن الروائي "فضل الليل على النهار" بعض التوترات والنزاعات، وهي اختصار للعلاقة المتوترة بين الجزائر وفرنسا.

- تعالق الذاكرة مع التاريخ في رواية "فضل الليل على النهار"، من خلال استحضار الذاكرة المأزومة التي تجسدت في رسائل الحب، وكسر الفوارق، وخرق الأعراف والتقاليد.
- من خلال الأحداث التاريخية تظهر الرواية أنّ القضية الجزائرية بالنسبة إلى "يونس" لم تعد قضية فقر، وطميش بقدر ماهي قضية كرامة منهكة، ووطن مستلب، وتراث مصادر.

## 2- كشفت الهوية اللغوية عن جملة من النتائج:

- تحمل اللغة في رواية "كيف ترضع من الذئبة دون أن تعضك" قضايا الهوية، والانتماء، والصراع والبحث عن الذات في المهجر.
- تندرج رواية "عمارة لخصوص" ضمن الأدب المغترب الذي يسعى إلى استرجاع الهوية المغتربة والمجهولة، والضائعة في بلد المهجر.
- اختار "عمارة لخصوص" أن تكون إيطاليا مسرحاً لأحداث روايته، لأنه رأى بأنّ الشعب الإيطالي هو شعب متوقع في هويته الضيقة، رافضاً لكل ما هو مختلف وغريب.
- المتأمل لرواية "عمارة لخصوص" يجد نجاح "أمديو"، وباقي الشخصيات في تشكيل منحى مغايراً لمسار الرواية، إذ تمكنت كل شخصية من إعطاء معلومات عن نفسها مع إشراك المتلقي في البحث عن الغموض الذي ساد السرد، ومن خلال ما صدم به أمديو القارئ في نهاية الرواية.
- من خلال لغة الروائي "ياسمينة خضرا" نجد أزمة الانتماء اللغوي للكاتب، فبين الكتابة والوطن يظهر صراع الكاتب الذي تحدده الثقافة الفرنسية المهيمنة في المتن السردي.
- من خلال العنوان نكتشف دلالات ضمنية وخفية، أراد الكاتب تمريرها "فضل الليل على النهار" إشارة واضحة إلى فضل ليل الاستعمار على الجزائر، وفضل المعمرين في بعث الحياة في الجزائر، والجزائريين.

-رواية "فضل الليل على النهار" سيرة ذاتية للكاتب نفسه، فهي تمنح القارئ فرصة الاطلاع على أوضاع الجزائريين في ذلك الوقت.

-أدى الفتى "يونس" في رواية "فضل الليل على النهار" دوراً مركباً بسبب ما يعانيه من صراع وتشظّ بين الهويتين المختلفتين (الأصلية/الجديدة).

### 3- كشفت الهوية الاجتماعية عن جملة من النتائج:

-عزز "عمارة لخصوص" روايته ببعض عادات الجزائريين التي حددت انتماء الكاتب لبلده.

-طغى على الرواية رموز مهيمنة تجسد صورة الهوية في مواضع كثيرة أبرزها التنشئة الاجتماعية، القرابة...

-تُقدم رواية "ياسمينه خضرا" صورة واضحة لمعالم الحياة الجزائرية بكل أبعادها المكانية، والإنسانية، والاجتماعية.

-في رواية "فضل الليل على النهار" استئصال للروح المحلية من ثقافة، وقيم، وعادات وتقاليد، أعقبه تهميش، وإحباط، واستلاب للأصل وظهور ملمح الغرب من خلال الأشياء المادية والمعنوية المذكورة.

-تمثل الهوية الجزائرية في رواية "ياسمينه خضرا" نسقاً مضمراً، يكشف مدى تمسك الفرد الجزائري بعروبه ويظهر جلياً في اللباس، الطعام، والقرى، والمدن التي تحيي الأصالة في نفوس الشخصيات.

-تظهر المدينة الكولونيالية برؤية واضحة في رواية "فضل الليل على النهار"، لأنه وعلى الرغم من استقلال الجزائر إلا أنها مازالت تُعاني من ويلات الاستعمار، وقرية جنان جاتو خير مثال على ذلك.

### 4- كشفت الهوية الثقافية عن جملة من النتائج:

-أول ما يلفت الانتباه في رواية "كيف ترضع من الذئبة دون أن تعضك"، الأنماط الحوارية التي تعددت في الرواية، وأولها التهجين في احتواء الرواية لثقافات متنوعة، تُحيل على أجناس معرفية مختلفة،

في المجتمع الإيطالي منها طبقة المثقفين المتحضرين، ويمثلها أبناء الذئبة، والطبقة الأخرى تمثلها طبقة المهاجرين الكادحة وشغيلة ذات مستوى ثقافي منحط في الغالب يحاول الصمود في هذا المجتمع.

-ظهرت في رواية "فضل الليل على النهار" ملامح الثقافة الجزائرية، والفرنسية من خلال توظيف الكاتب لبعض الرموز التي شاركت كعناصر مهمّة في صراع الهويات، وكحيلة خطائية يكشف من خلالها زيف ادعاءات القوة الكولونيالية، ومن خلالها عقد النّاص روايته زمنين مختلفين (الماضي/الحاضر).

-بروز الأنا المعجبة بالحضارة الغربية والتماهي بمظاهرها، فأنجر عن ذلك انسلاخ واضح لهويّة البطل "جوناس".

-استخدم "ياسمينة خضرا" بعض الشخصيات رمزاً لدلالة معينة، أو اتجاه فكري خاص، مثلما وظف الشخصيات الثانوية للكشف عن مكونات الشخصية الرئيسية، أو لدفعها إلى فعل معين (كمحفز سردي).

-دعوة الكاتب (ياسمينة خضرا) إلى نسيان الماضي والأحقاد الدفينة، فتح صفحة جديدة ملؤها التسامح والحب، والإخاء، وهي رؤية ضمنية لشعارات فرنسا الرنانة التي كانت تزعمها (الإخاء، الحرية، المساواة

﴿وفي الأخير نسأل الله التوفيق والسداد، فإنّ أخطأت فمن نفسي، وإنّ أصبت فلك مني المنة

والحمد﴾



# قائمة المصادر والمراجع

-القرآن الكريم برواية ورش.

قائمة المصادر والمراجع:

أولاً/ قائمة المصادر:

1- عمارة لخص، كيف ترضع من الذئبة دون أن تعضك، منشورات البرزخ، الجزائر، د. ط، 2017.

2- ياسمينه خضراء، فضل الليل على النهار، تر: محمد ساري، دار سيديا للنشر، الجزائر، د. ط، 2008.

ثانياً: المراجع:

1- المراجع العربية

3- إبراهيم أحمد شعلان، الشعب المصري في أمثاله العامية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، د. ط، 1972.

4- إبراهيم صالح الفلاوي، ازدواجية اللغة النظرية والتطبيق، العبيكان للطباعة والنشر، الرياض، ط1، 1996.

5- إبراهيم عبد الله، المركزية الغربية إشكالية التكون والتمركز حول الذات، المركز الثقافي العربي، مصر، ط1، 1997.

6- إسماعيل الطمان الحسانين، دور الأسرة في التنشئة الاجتماعية للطفل، مركز دراسات الطفولة، جامعة عين الشمس، القاهرة، 1989.

7- أحمد أبو زيد، سيكولوجية الذات والتوافق، دار المعرفة الجامعية، مصر، د. ط، 1997.

8- أحمد بن نعمان، الهوية الوطنية الحقائق والمغالطات، دار الأمة، الجزائر، د. ط، 1996.

9- أحمد زايد، اعتماد علام، التغيير الاجتماعي، مكتبة الانجلو مصرية، القاهرة، مصر، د. ط، 2006.

10- أحمد محمد فتوح، الرمز والرمزية في الشعر المعاصر، دار المعارف، القاهرة، مصر، ط3، 1984.



- 11- أحمد منور، الأدب الجزائري باللّسان الفرنسي (نشأته وتطوره وقضاياه)، دار التنوير، الجزائر، ط1، 2013.
- 12- أحمد وهبان، الصراعات العرقية واستقرار العالم المعاصر، أليكس لتكنولوجيا المعلومات الإسكندرية، ط1، 2007.
- 13- أسعد السحراني، ويلات العولمة على الدين واللّغة والثقافة، دار النفائس، ط1، 2002.
- 14- أم الخير جبور، الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية، دار ميم للنشر، الجزائر، ط1، 2013.
- 15- أحمد محمد محمود مبارك، ومضات إسلامية في الشعر العربي المعاصر، دار الوفاء لدينا للطباعة والنشر، ط1، 2000.
- 16- أنور الجندي، حتى لا تضيع الهويّة الإسلامية والانتماء القرآني، دار الاعتصام، سلسلة الرسائل الجامعية، مصر، د. ط، د.ت.
- 17- البحراوي سيد، الحداثة التابعة في الثقافة المصرية، ميريت للنشر والتوزيع، مصر، د. ط، 1999.4
- 18- البشري طارق، حول العروبة والإسلام في الحوار القومي الديني، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، د.ط، 1989.
- 19- بن سالم حميش، في معرفة الآخر، دار الحوار للنشر والتوزيع، سوريا، ط2، 2003.
- 20- بوشوشة بن جمعة، أسئلة الكتابة والصيرورة، دار سحر لنشر، تونس، ط1، 1998.
- 21- بوشوشة بن جمعة، سردية التجريب وحداثة السردية في الرواية العربية الجزائرية، المطبعة المغاربية للنشر والإشهار، تونس، ط1، 2005.
- 22- تمام حسان، اللّغة العربيّة معناها ومبناها، دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب، د. ط، 1994.
- 23- ثريا نصر، تاريخ أزياء الشعوب، عالم الكتاب، مصر، د.ط، 1998.
- 24- الجرجاني، التعريفات، دار الكتب، بيروت، ط1، 1987.

- 25- جميل حمداوي، سيميوطيقا اسم العلم في الخطاب الروائي، حقوق الطبع محفوظة للمؤلف، ط1، 2017.
- 26- جورج طرايشي، شرق وغرب رجولة وأنوثة (دراسة في أزمة الجنس والحضارة في الرواية العربية)، دار الطليعة، بيروت، ط1، 1977.
- 27- ابن الجوزي، كشف النقاب عن الأسماء والألقاب، تح عبد العزيز الصاعدي، مكتبة دار السلام، بدون بلد نشر، ط1، 1993.
- 28- حسن الأشلم، الشخصية الروائية عند خليفة حسين مصطفى، مجلس الثقافة العامة، القاهرة، د. ط، 2006.
- 29- حسن الباشا، الألقاب الإسلامية في التاريخ والوثائق والآثار، الدر الفنية، مصر، د. ط، 1989.
- 30- حسن بحراوي، بنية الشكل الروائي: الفضاء، الزمان، الشخصية، المركز الثقافي العربي، بيروت، الدار البيضاء، د.ط، 1990.
- 31- حسن حنفي، الثقافة العربية بين العولمة والخصوصية، منشورات فلاديفيا، ط1، 1999.
- 32- حسن صحراوي، بنية الشكل الروائي (الفضاء. الزمن. الشخصية)، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط1، 1990.
- 33- حسن نجمي، شعرية الفضاء المتخيل والهوية في الرواية العربية، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط1، 2000.
- 34- حسين الخزاعي، إيمان الشمائلة، مستوى المواطنة والانتماء، دراسات العلوم الإنسانية والاجتماعية، مج41، محلق1، 2014.
- 35- حسين الصفار، التنوع والتعايش، دار الساقى، بيروت، لبنان، د.ط، 1999.
- 36- حفناوي بعلي، أثر الأدب الأمريكي في الرواية الجزائرية باللغة الفرنسية، دار الغرب للنشر والتوزيع، وهران، الجزائر، د. ط، 2004.

- 37- حلمي بدر، أثر الأدب الشعبي في الأدب الحديث، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية، د.ط، 2002.
- 38- حلیم بركات، المجتمع العربي في القرن العشرين، مركز دراسات الوحدة العربية، ط1، 2000.
- 39- حمادي سعدون، دور الأدب في الوعي القومي العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، ط3، 1984.
- 40- حميد خروف، الربيع جصاص، علم اجتماع الثقافة، منشورات جامعة منتوري قسنطينة، د.ط، 2003.
- 41- حميد حميداني، بنية النص السردي، من منظور النقد الأدبي، المركز الثقافي العربي، بيروت، الدار البيضاء، ط2، 1993.
- 42- ابن حوقل أبو القاسم النصيبي، صورة الأرض، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، د.ط، 1996.
- 43- الخوارزمي أبو بكر محمد بن العباس، تح: محمد حسن الأعرجي، موطن للنشر المؤسسة الوطنية للفنون وحدة رعاية، الجزائر، د، ط، 1994.
- 44- الدروع والعرفان، نحو تربية وطنية هادفة، دار جرس، السعودية، د. ط، د.ت.
- 45- دوبرو رينيه، إنسانية الإنسان (نقد علمي للحضارة المادية)، مؤسسة الرسالة، بيروت، د.ط، 1984.
- 46- رزان محمود إبراهيم، خطاب النهضة والتقدم في الرواية العربية المعاصرة، دار الشرق، ط1، 2003.
- 47- ابن رشد، تلخيص ما بعد الطبيعة، تح: عثمان أمين، القاهرة، مصر، د، ط.د.ت.
- 48- رشيد العناني، استنطاق النص (مقالات في السرد العربي)، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ط1، 2006.

- 49- رفيق حبيب، في فقه الحضارة العربية الإسلامية إحياء التقاليد العربية، دار الشروق للنشر والتوزيع، الأردن، د.ط، 2003.
- 50- رمزي بعلبكي وآخرون، الهوية وقضاياها في الوعي العربي المعاصر، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، ط1، 2014.
- 51- سالم المعوش، الأدب وحوار الحضارات (المنهج والمصطلح والنماذج)، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، د.ط، 2007.
- 52- سبنسر وليام، الجزائر في عهد رياس البحر، تق: عبد القادر زبادية، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، د.ط، 1980.
- 53- سعاد محمد خضر، الأدب الجزائري المعاصر، منشورات المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، د.ط، 1967.
- 54- سعد البازغي، المكون اليهودي في الحضارة العربية، لمركز الثقافي العربي، المغرب، بيروت، ط1، 2007.
- 55- سعد البازغي، سرد المدن (في الرواية والسينما)، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2009.
- 56- سعد البازغي، نحن والعملة من يربي الآخر، سلسلة كتاب المعرفة، ط1، 1999.
- 57- سعيد بن سعيد العلوي، أوروبا في مرآة المرحلة، صورة الآخر في الرحلة المغربية المعاصرة، الأهلية للنشر والتوزيع، المغرب، ط1، 2006.
- 58- السعيد بوسقطة، الرمز الصوفي في الشعر العربي المعاصر، منشورات بونة للبحوث والدراسات، عنابة الجزائر، ط2، 2008.
- 59- سلامة الخميسي، التربية والمدرسة والمعلم (قراءة اجتماعية ثقافية)، دارالوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية، مصر، د. ط، 2000.
- 60- سليمان الأزرجي، البحث عن وطن، دراسة في رواية ما بعد حزيران، مطبعة السفير، ط1، 2005.

- 61- سليمان شاكر عبد الحميد، علم النفس العام، دار أتول، القاهرة، ط1، 1949
- 62- سمر روجي الفيصل، أسلوبية الرواية العربية، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، سلسلة الدراسات، د. ط، 2011.
- 63- سمير روجي الفيصل، الرواية العربية البناء والرؤية، مقارنة نقدية، اتحاد كتاب العرب، دمشق، د.ط، 2003.
- 64- سمير أمين، برهان غليون، ثقافة العولمة وعولمة الثقافة، دار الفكر المعاصر، بيروت، ط1، 1999.
- 65- سناء خضر، النظرية الخلقية عند أبي علاء المعري بين الفلسفة والدين، دار الوفاء للطباعة والنشر، الإسكندرية، ط1، 1999.
- 66- سيد البحراوي، الحداثة التابعة في الثقافة المصرية، ميريت للنشر والمعلومات، ط1، د. ت.
- 67- السيد عبد الحليم الزيات، البناء الطبقي الاجتماعي، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، د. ط، 2009.
- 68- شتلتاع عبود شراد، حركة الشعر الحر في الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، د.ط، 2003.
- 69- شحاتة عبد المنعم، أنا والأخر سيكولوجية العلاقات المتبادلة، ايتراك للنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 2001.
- 70- شريط أحمد شريط، تطور البنية الفنية في القصة الجزائرية المعاصرة، دار القصبه للنشر، الجزائر، د. ط، 2009.
- 71- أبو الشهاب، الرسيس والمخاتلة، دار فارس للنشر والتوزيع، الأردن، ط1، 2013.
- 72- شهلى العجيلي، الخصوصية الثقافية في الرواية العربية، الدار المصرية اللبنانية، لبنان، د.ط، 2011.
- 73- شعيب حليفي، هوية العلامات في العتبات وبناء التأويل، دار الثقافة، المغرب، ط1، 2005.

- 74- الصادق قسومة، النزعة الذهنية في رواية الشحاذ، دار الجنوب للنشر، تونس، د. ط، 1992.
- 75- الصادق قسومة، طرائق تحليل القصة، دار الجنوب للنشر، تونس، د. ط، 2000.
- 76- صالح صلاح، سرد الآخر، الأنا والآخر عبر اللغة السردية، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 2003.
- 77- صالح صلاح، سرد الآخر، الأنا والآخر عبر اللغة السردية، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 2003.
- 78- صالح فضل، أساليب السرد في الرواية العربية، دار الهدى، دمشق، ط1، 2003.
- 79- ضياء الدين زاهر، اللّغة ومستقبل الهويّة، وحدة الدّراسات المستقبلية، الإسكندرية، مصر، د.ط، 2017.
- 80- لطاهر لبيب (صورة الآخر-ناظرا ومنظورا إليه)، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، ط1، 1999.
- 81- طه وادي، الرواية السياسية، سلسلة أدبيات، الشركة المصرية العالمية للنشر، لوبنجان، ط1، 2003.
- 82- عادل عبد الله محمد، دراسات في الصحة النفسية (الهوية، الاغتراب، الاضطرابات النفسية)، دار الرشاد، القاهرة، ط1، 2000.
- 83- عاطف جودة نصر، الرمز الشعري عند الصوفية، الكتب المصري لتوزيع المطبوعات، القاهرة، مصر، د.ط، 1998.
- 84- عايدة أديب بامية، تطور الأدب القصصي في الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، د.ط، 1982.
- 85- عباس يوسف الحداد، الأنا في الشعر الصوتي (ابن الفارض نموذج)، دار الحوار للنشر والتوزيع، سوريا، ط2، 2009.

- 86- عبد الحميد بورايو، في الثقافة الشعبية الجزائرية، (التاريخ والقضايا والتجليات)، منشورات الرابطة الوطنية، الجزائر، د.ط، 2006.
- 87- عبد الخالق محمد عفيفي، بناء الأسرة والمشكلات الأسرية المعاصرة، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، د.ط، 2011.
- 88- عبد الرحمن ابن خلدون، المقدمة، دار الكتاب العلمية، بيروت، لبنان، ط2، 2003.
- 89- عبد الرحمن خليفة، أيديولوجية الصراع السياسي (دراسة في نظرية القوة)، مكتبة الآداب، جامعة الإسكندرية، د.ط، 1999.
- 90- عبد الرزاق الداوي، موت الإنسان في الخطاب الفلسفي المعاصر، دار الطليعة، بيروت، د.ط، 2000.
- 91- عبد العزيز بن عثمان، الهوية والعولمة من منظور التنوع الثقافي، منظمة الايسيسكو، ط2، 2015.
- 92- عبد الغني عماد، سوسيولوجيا الثقافة (المفاهيم والاشكاليات من الحداثة والعولمة)، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، د.ط، 2006.
- 93- عبد الفتاح كاميليا، القصيدة العربية المعاصرة (دراسة تحليلية في البنية الفكرية والفنية)، دار المطبوعات الجامعية، مصر، د.ط، 2007.
- 94- عبد القادر القصير، الأسرة المتغيرة في مجتمع المدينة المعاصرة العربية، دار النهضة العربية، بيروت، 1999.
- 95- عبد الله التطاوي، الحوار الثقافي مشروع التواصل والانتماء، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، د.ط، 2006.
- 96- عبد الله التطاوي، اللغة والمتغير الثقافي: الواقع والمستقبل، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ط1، 2005.
- 97- عبد الله الركيبي، الفرنكوفونية مشرقاً ومغرباً، دار الكتاب العربي، الجزائر، د.ط، د.ت.

- 98- عبد الله العروي، مفهوم الأيديولوجيا، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط8، 2012.
- 99- عبد المالك مرتاض، في نظرية الرواية، عالم المعرفة، الكويت، د.ط، 1998.
- 100- عبد المالك مرتاض، نخضة الأدب العربي المعاصر في الجزائر (1945/1925)، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ط1، 1983.
- 101- عبد المعطي سويد، التناقض الوجداني في الشخصية العربية، دار الحوار اللادقية، د.ط، 1992.
- 102- عبود عبدة، الأدب المقارن، جامعة البعث، ط1، 1995.
- 103- عزالدين إسماعيل، الشعر العربي المعاصر، دار الثقافة، بيروت، ط2، 1972.
- 104- عزالدين المناصرة، الهويات والتعددية اللغوية، قراءة في ضوء النقد الثقافي المقارن، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2004.
- 105- عزالدين جلاوجي، سلطان النص، دراسات دار المعرفة، د.ط، 2008.
- 106- ابن عقيل، شرح ابن عقيل على ألفية بن مالك، تح: عثمان أمين، القاهرة، مصر، د.ط، د.ت.
- 107- علي السيد الصاوي، نظرية الثقافة، دار المعرفة للنشر والتوزيع، الكويت، د.ط، 1997.
- 108- علي حرب، حديث النهايات، فتوحات العولمة ومآزق الهوية، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط1، 2000.
- 109- علي حرب، خطاب الهوية "سيرة ذاتية"، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط2، 2008.
- 110- علي عشيري زايد، استدعاء الشخصيات التراثية في الشعر العربي المعاصر، دار الفكر العربي للطبع والنشر، د.ط، 1997.
- 111- عمر مهيبيل، من النسق إلى الذات قراءات في الفكر العربي المعاصر، منشورات الاختلاف، الجزائر، د.ط، 2001.
- 112- غالي شكري، أدب المقاومة، دار المعارف، القاهرة، د.ط، 1970.



- 113- غنيمي هلال، الأدب المقارن، دار العودة، بيروت، لبنان، ط3، د.ت.
- 114- فاضل أحمد القعود، جدلية الذات والآخر في الشعر الأموي (دراسة نصية)، دار غيراء للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2012.
- 115- فتحي المسكيني، الهوية والحرية نحو أنوار جديدة، جداول للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط1، 2011.
- 116- فتحي المسكيني، الهوية والزمان، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، ط1، 2001.
- 117- فتحي بوخالفه، التجربة الروائية المغاربية (دراسة في الفاعليات النصية وآليات القراءة)، عالم الكتب الحديث، اربد، الأردن، 2010.
- 118- فوزي العنتيل، الفلكلور ما هو؟ دراسات في التراث الشعبي، دار الميسرة، القاهرة، د.ط، 1987.
- 119- فوزي عبد الرحمن، علي المكاوي، دراسات في الأنثروبولوجية الثقافية، مؤسسة الأهرام، القاهرة، د.ط، 2007.
- 120- فيصل عباس، الاغتراب - الإنسان المعاصر وشقاء الوعي-، دار المنهل اللبناني، لبنان، ط1، 2008.
- 121- فيصل غازي النعيمي، العلامة والرواية - دراسة سينمائية في ثلاثية أرض السواد- لعبد الرحمن منيف، دار مجدلاوي، الأردن، ط1، 2004.
- 122- كاميليا عبد الفتاح، القصيدة العربية المعاصرة (دراسة تحليلية في البنية الفكرية والفنية)، دار المطبوعات الجامعية، القاهرة، د.ط، 2007.
- 123- كريم زكي، حسام الدين، اللغة والثقافة (دراسة أنترو لغوية لألفاظ وعلاقات القرابة في الثقافة العربية)، حقوق النشر والتوزيع الإلكتروني، نسخة إلكترونية، د.ط، د. ت.
- 124- كلود ليفي شتراوس، مقالات في الإناسة، تح حسن قبيسي، دار التنوير للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، د. ت.

- 125- كيلبي هانوم، الهوية الاجتماعية (معرفة الذات وقيادة الآخرين)، نق: خالد بن عبد الرحمن العوض، دار العتيكان للنشر، ط1، 2009.
- 126- ماجدة حمود، إشكالية الأنا والآخر (نماذج روائية عربية)، عالم المعرفة، الكويت، د.ط، 2013.
- 127- ماجدة حمود، صورة الآخر في التراث العربي، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2010.
- 128- ماري جوزيف باريزاي، ضمن كتاب صورة العربي ناظرًا ومنظورًا إليه، تح: الطاهر لبيب، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط1، د.ت.
- 129- مجموعة باحثين، العملة والهوية الثقافية، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، مصر، د.ط، د.ت.
- 130- مجموعة من المؤلفين، حوار الحضارات والمشهد الثقافي العربي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط1، د.ت.
- 131- محمد أحمد النابلسي، الاتصال الإنساني وعلم النفس، دار النهضة العربية، بيروت، 1991.
- 132- محمد آركون وآخرون، تساؤلات حول الهوية العربية، بدايات للنشر والإشهار والتوزيع، سوريا، د.ط، 2008.
- 133- محمد إسماعيل السيد، بناء فضاء المكان في القصة العربية القصيرة، إصدارات دائرة الثقافة والاعلام، الشارقة، ط1، 2002.
- 134- محمد السهلي، المعتقدات الشعبية في التراث العربي، دار الجيل، مصر، 1980.
- 135- محمد الشبيني، صراع الثقافة العربية الإسلامية مع العملة، دار العلم للملايين، ط1، 2002.
- 136- محمد الصالح خرفي، جماليات المكان في الشعر الجزائري المعاصر، موفم للنشر، الجزائر، د.ط، 2014.
- 137- محمد الطمار، تاريخ الأدب الجزائري، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، د.ط، د.ت.
- 138- محمد العباس، مدينة الحياة (جدل في الفضاء الثقافي للرواية في السعودية)، دار نينوي، سوريا، د.ط، 2009.

- 139- محمد العربي ولد خليفة، المسألة الثقافية وقضايا اللسان والهوية، منشورات ثالة، الجزائر، ط1، 2007.
- 140- محمد الغلاييني، جامع الدروس العربية، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2003.
- 141- محمد أحمد فتوح، الرمز والرمزية في الشعر المعاصر، دار المعارف، ط3، 1984.
- 142- محمد برادة، الذات في السرد الروائي، دراسات نقدية، أزمنة للنشر والتوزيع، عمان، ط1، 2010.
- 143- محمد بنيس، حداثة السؤال بخصوص الحداثة العربية في الشعر والثقافة، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط2، 1988.
- 144- محمد حسن خليفة، المسلمون والحوار الحضاري مع الآخر، مركز الدراسات الشرقية، القاهرة، د.ط، 2003.
- 145- محمد راتب الخلاق، نحن والآخر (دراسة في بعض الثنائيات المتداولة في الفكر العربي الحديث المعاصر)، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، د.ط، 1997.
- 146- محمد سبيلا، مدارات الحداثة، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت، ط1، 2009.
- 147- محمد شوقي الزين، الذات والآخر، دار الضفاف، بيروت، دار الأمان الرباط، دار الاختلاف، الجزائر، د.ط، د.ت.
- 148- محمد عزام، الخطاب السردية، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، سوريا، د.ط، 2005.
- 149- محمد عزام، فضاء النص الروائي (مقاربة بنيوية في أدب نبيل سليمان)، دار الحوار للنشر والتوزيع، سوريا، ط1، 1996.
- 150- محمد عمارة، مخاطر العولمة على الهوية الثقافية، نضرة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، 1999.
- 151- محمد مسلم، الهوية في مواجهة الاندماج عند الجيل المغربي الثاني بفرنسا، وزارة الثقافة الجزائرية، الجزائر، د.ط، 2009.

- 152- محمد معتصم، الرؤية الفجائية، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2003.
- 153- محمد مفتاح، مشكاة المفاهيم النقد المعرفي والمثاقفة، المركز الثقافي العربي، بيروت، د.ط، 2000.
- 154- محمد نورالدين أفاية، الغرب المتخيل (صورة الآخر في الفكر الغربي الإسلامي الوسيط)، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، بيروت، ط1، 2000.
- 155- محمد نورالدين أفاية، الهوية والاختلاف (في المرأة، الكتابة والهامش)، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، د.ط، د.ت.
- 156- محمود الضبع، الرواية الجديدة، قراءة في المشهد العربي المعاصر، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ط1، 2010.
- 157- مراد العبد لله، جيوبوليتيكا النص الأدبي، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية، ط1، 2008.
- 158- مراد هوفمان، الإسلام في الألفية الثالثة ديانة في صعود، مكتبة العكييات، ط1، 2003.
- 159- مصطفى الخشاب، علم الاجتماع ومدارسه، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة، د.ط، 1965.
- 160- منى بشلم، المحكي الروائي العربي (أسئلة الذات والمجتمع)، دار الألمعية، الجزائر، ط1، 2014.
- 161- موسى معيرشي، الجدل الديني والسياسي في اليهودية والإسلام بين المقدس والمدنس، دار بهاء الدين للنشر والتوزيع، الجزائر، د.ط، 1988.
- 162- ميجال الرويلي، سعد البازغي، دليل الناقد الأدبي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط4، 2005.
- 163- ميخائيل أسعد يوسف، الانتماء وتكامل الشخصية، مكتبة غريب، القاهرة، د.ط، 1995.
- 164- نادية مصطفى وآخرون، دوائر الانتماء وتأسيس الهوية، دار البشير للثقافة والعلوم، القاهرة، ط1، 2013.

- 165- نجلاء عبد الحميد راتب، الانتماء الاجتماعي لشباب المصري: دراسة سوسولوجية في حقبة الانفتاح، مركز المحروسة للنشر القاهرة، مصر، د.ط، 1999.
- 166- نجم عبد الله، الرواية العربية المعاصرة، عالم الكتب الحديثة، اربد، الأردن، ط1، د. ت.
- 167- نجبة من المتخصصين، علم الاجتماع الأسري، الشركة العربية المتحدة للتسويق والتوريدات، مصر، د.ط، 2009.
- 168- نديم قاسم نجدي، أثر الاستشراق في الفكر العربي المعاصر، دار الفارابي، لبنان، ط1، 2005.
- 169- نذير العظمية، التغريب والتأصيل في الشعر العربي الحديث أبو القاسم الشابي نموذجاً دراسة نقدية للشعر والميثولوجيا، وزارة الثقافة، دمشق، 1999.
- 170- أبو نصر الفارابي، التعليقات، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر أباد الركنز، 1349.
- 171- نضال الشمالي، الرواية والتاريخ، بحث في مستويات الخطاب في الرواية التاريخية العربية، عالم الكتب الحديث، أربد، الأردن، ط1، 2006.
- 172- نihal مهيدات، الآخر في الرواية النسوية العربية، عالم الكتب الحديث، عمان، ط1، 2008.
- 173- نورالدين صدوق، البداية في النص الروائي، دار الحوار للنشر والتوزيع، سوريا، ط1، 1994.
- 174- هيام شعبان، السرد الروائي في أعمال إبراهيم نصر الله، دار الكندي للنشر والتوزيع، الأردن، د.ط، 2003.
- 175- وادي طه، الرواية السياسية، الشركة المصرية العالمية للنشر، دار نوبار للطباعة، لونغمان، القاهرة، ط1، 2003.
- 176- واسيني الأعرج، اتجاهات الرواية العربية في الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، د.ط، 1986.
- 177- وليد ناصيف، الأسماء ومعانيها، دار الكتاب العربي، دمشق، سوريا، ط1، 1998.
- 178- يوسف الحسن، الحوار الإسلامي المسيحي (الفرص والتحديات)، منشورات المجمع الثقافي، أبو ظبي، د.ط، 1977.

2-المراجع المترجمة:

- 179- آلان روب غريبه، نحو رواية جديدة -دراسات في الآداب الأجنبية-تر: مصطفى إبراهيم مصطفى، دار المعارف، مصر، د.ت، د.ط.
- 180- أليكس ميكشيللي، الهوية، تر: على طفة، دار النشر الفرنسية، دار الوسيم للخدمات الطباعية، دمشق، ط1، 1993.
- 181- أمارتيا صن، الهوية والعنف، تر: سحر توفيق، عالم المعرفة، الكويت، د.ط، 2008.
- 182- أمين معلوف، الهويات القاتلة، تر: نبيل محسن، ورد للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، ط1، 1999.
- 183- بول ريكور، الذات عينها الآخر، تر: جورج زيناني، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط1، 2005.
- 184- بيتر قوزن، البحث عن الهوية وتشتتها في حياة ايريك إريكسون وأعماله، تر: سامر جميل رضوان، دار الكتاب الجامعي، الإمارات العربية المتحدة، د.ط، 2010.
- 185- تيري هنتش، الشرق الخيالي ورؤية الآخر (صورة الشرق في المخيال الغربي الرؤية السياسية الغربية للشرق المتوسط)، تر: عبد الكريم حمودة، دار المدى للثقافة والنشر، سوريا، ط1، 2006.
- 186- جان بول سارتر، عارنا في الجزائر، تر: عائدة وسهيل إدريس، الدار القومية للطباعة والنشر، بيروت، ط1، 1975.
- 187- جون جوزيف، الهوية واللغة (قومية، إثنية، دينية)، تر: عبد النور خراقي، عالم المعرفة، الكويت، أغسطس، د.ط، 2007.
- 188- جون سكوت، علم الاجتماع المفاهيم الأساسية، تر محمد عثمان، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت، ط1، 2009.

- 189- جويل كاندو، الذاكرة والهوية، تر: وجيه أسعد، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق، د.ط، 2009.
- 190- جيار كونو، المصطلحات القانونية: تر: منصور القاضي، بدون دار نشر، بدون بلد نشر.
- 191- جيار لوكلارك، العولمة الثقافية، تر: جورج كتورة، دار الكتاب الجديد، د.ط، 2004.
- 192- دانيال هنري باجو، الأدب المقارن العام، تر: غسان السيد، اتحاد الكُتاب العرب، دمشق، د.ط، 1997.
- 193- رولان بارت، مدخل إلى التحليل البنيوي للقصص، تر: منذر عياشي، مركز الإنماء الحضاري للدراسة والترجمة والنشر، حلب، سوريا، ط1، 1993.
- 194- ريناتا قورونا، مقدمة في علم الاجتماع التربوي، تر: نزار عيون السود، دار دمشق للنشر، د.ط، 1984.
- 195- صامويل هنتجتون، صدام الحضارات (إعادة صنع النظام العالمي)، تر: طلعت الشايب، ط2، 1999.
- 196- فرانز فانون، سوسولوجية الثورة، تر: دوقان قرقوط، دار الطليعة، بيروت، د.ط، 1970.
- 197- فيشر ارنست، ضرورة الفن، تر: اسعد حليم، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، القاهرة، د.ط، 1971.
- 198- فيليب هامون، سيمولوجية الشخصية، تر: سعيد بن كراد، دار الكلام الرباط، ط1، 1990.
- 199- قي أفنزيني، الجمود والتجديد في التربية المدرسية، تر: عبدا لله الدائم، دار العلم للملايين، بيروت، د.ط، 1981.
- 200- كلفت هال، أصول علم النفس الفرويدي، تر محمد فتحي الشنيطي، دار النهضة العربية، بيروت، ط2، 1980.
- 201- ليفي بربل، الأخلاق وعلم العادات الأخلاقية، تر محمود قاسم وآخرون، منشورات القاهرة، مصر، د.ط، 1953.

- 202- مايكل هاردت وأنطونيو نيغري، الإمبراطورية، تر: فاضل جتكر، مكتبة العبيكان المملكة العربية السعودية، د.ط، 2002.
- 203- مولود فرعون، ابن الفقير، تر: سيد أحمد طرابلسي، دار تلاتيقيت للنشر والتوزيع، الجزائر، د.ط، 2013.
- 204- مولود فرعون، الأرض والدم، تر: عبد الرزاق عبيد، دار تلاتيقيت للنشر والتوزيع، بجاية، د.ط، 2014.
- 205- مولود فرعون، يوميات بلاد القبائل، تر: عبد الرزاق عبيد، دار تلاتيقيت للنشر والتوزيع، الجزائر، د.ط، د.ت.
- 206- ميخائيل باختين، الكلمة في الرواية، تر: يوسف حلاق، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، ط1، 1988.
- 207- نعيمة حاج عبد الرحمن، الأزهرى، ريجاني لقاء مع محمد عابد الجابري، مجلة أيس، الجزائر، عدد2، 2007.
- 208- هادسون، علم الاجتماع الأدبي، تر: محمود عياد، عالم الكتب، القاهرة، مصر، ط3، 2002.
- 209- هارلبس وهولبورن، سوسيولوجيا الثقافة والهوية، تر: حاتم حميد محسن، دارك كيوان للطباعة والنشر، دمشق، سوريا، ط1، 2010.
- 210- هربرت ماركوز، الإنسان دو البعد الواحد، تر: جورج طرايشي، دار الآداب، بيروت، ط3، 1988.
- 211- هريسكر فيتر، الأنثروبولوجيا الثقافية، تر: رباح النفاخ، وزارة الثقافة، بيروت، ط1، 1973.
- 212- وانغ بين، الهوية من أجل حوار بين الثقافات، تر: عبد القادر قنبي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 2005.



- 213- cl .strauss ,mythologiques 2dumeiloux centres .
- 214- Collectif, Représenter: la ville- paris, Edition communiqua,1995.
- 215- d.cuche. la notion de la culture dans les sciences-sociales, casbah editions.alger,1983.
- 216- Document élaboré et dirigé par la wilaya, regard sur la wilaya de Guelma. P06, achevedinprimes, en avril. 2003, Imp. offset compi ommba. De Guelma.
- 217- Dr Miller: the Study of social relations hips situation, identity and social interaction, in s. koch (ed) psychology, A Study of science, New York, Mc crow Hill, 1971.
- 218- E. douté 1900, notes sur l'islam maghrébin, paris, éd, ermestleeroux
- 219- Jean déjeux, situation de la littérature maghrébine de langue française.
- 220- Julia Kristeva, le texte du romon, approche sémiologique d'une strursive transformationnelle, the Hague, paris, New-York..
- 221- Lahcen zegdar , le discours des européens libéraux d'Algérie fac ea la guerre de libération nationale revue de sciences politiques et relations. Internationales N03.P 123.
- 222- Le robert dictionnaire d'aujourd'hui (longue français ; histoire ; géographie ; culture général) rédaction dirigée par Alain Rey ; Edition paris ; France ;1996.
- 223- R.borthes , analyse textuelle, paris, larousse,1974.

4/ قائمة المعاجم والقواميس:

- 224- إبراهيم فتحي، معجم المصطلحات الأدبية، المؤسسة العربية للناشرين المتحدين، صفاقس، تونس، ط1، 1986.
- 225- إبراهيم مذكور، المعجم الفلسفي، -معجم اللغة العربية- عالم الكتب، بيروت، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، القاهرة، 1989.
- 226- أحمد زكي بدر، معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية، ساحة رياضي الصلح، بيروت، د.ط، 1987.
- 227- الأسفلت الموسوعة العربية العالمية، مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع، ط2، د، ت.
- 228- أندري لالاند، موسوعة لالاند الفلسفية، تعريب، خليل أحمد خليل، منشورات عويدات، بيروت، ط2.
- 229- بطرس البستاني، محيط المحيط، مكتبة لبنان، د.ط، 1987.
- 230- ابن أبي بكر الرازي، مختار الصحاح، المطبعة الكلية، مصر، ط1، د. ت.
- 231- جميل صليبا، المعجم الفلسفي، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان، د.ط، 1982.
- 232- جيرار كونو، المصطلحات القانونية، تر: منصور القاضي، بدون دار نشر، بدون بلد نشر.
- 233- جيرالد برنس، المصطلح السردي، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ط1، 2003.
- 234- الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، تح: مجموعة من المحققين، دار الهداية، القاهرة، د.ط، د. ت.
- 235- سعيد علوش، معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة، دار الكتاب اللبناني، بيروت، سوشيريس، الدار البيضاء، ط1، 1985.
- 236- طرايشي، دار الطليعة للطباعة والنشر، لبنان، ط1، 1974، ط2، 1987.

237- طوني بينيت وآخرون، مفاتيح اصطلاحية جديدة -معجم مصطلحات الثقافة والمجتمع-تر: سعيد الغانمي، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، ط1، 2010.

238- عبد الرحمان بدوي، الموسوعة الفلسفية، المؤسسة العربية لطباعة والنشر، بيروت، ط1، 1984.

239- لويس معلوف، المنجد في اللغة والأعلام، دار المشرق، والمكتبة الشرقية، لبنان، د.ط، 1991.

240-م/ روزنتال، ب/بودين (الموسوعة الفلسفية)، تر: سمير كرم، مر صادق جلال، جورج -محمد عبد الجابري، الموسوعة الفلسفية العربية، مركز الانماء العربي، بيروت، د.ط، 1976.

241- محمد عاطف غيث، قاموس علم الاجتماع، دار المعرفة الجامعية، الأزاريطة، د.ط، 2005.

242- محمد عجينة، موسوعة أساطير العرب عن الجاهلية، شركة المطبوعات اللبنانية، ط1، 1994، ج1.

243- محمد عبد الجابري، الموسوعة الفلسفية العربية، معهد الانماء العربي، بيروت، ط1، 1986، ص723.

244- المؤسسة الوطنية للكتاب، المنجد الأجنبي، الجزائر، د.ط، 1990.

245- ابن منظور، لسان العرب، دار الحديث، القاهرة، د. ط، 2003.

#### 5-المجلات والدوريات:

246- إدوارد سعيد، التلقيق، الذاكرة، والمكان. تر رشاد عبد القادر، مجلة الكرمل، ع، 71 - 70قبرص، 2002.

247- البشير الابراهيمى، من مآثر 8ماي في ذاكرة البشير الابراهيمى، مجلة الذاكرة، العدد 2، 1995.

248- توفيق شابو، النوستالجيا الكولونىالية وأعطاب الذاكرة في رواية فضل الليل على النهار، مجلة اللغة الوظيفية (جامعة البليدة)، العدد 2، المجلد5.

- 249- جورج هنري لاري، الرواية والمدينة، مجلة الثقافة الأجنبية، وزارة الثقافة الجمهورية العراقية، 1983، عدد 03.
- 250- حسين الخزاعي، إيمان الشمايلة، مستوى المواطنة والانتماء، دراسات العلوم الإنسانية والاجتماعية، مج 41، محلق 1، 2014.
- 251- حسين جمعة، الاغتراب في حياة المعري وأدبه، مجلة جامعة دمشق، 2001، م 27.
- 261- حمد عيلان، محاضرات في الأدب الشعبي الجزائري، دار العلوم للنشر والتوزيع، عنابة، الجزائر، ج 1، 2013، ص 87. نقلاً عن سماح بن خروف، عبد الله بن صافية، الأمثال وتمظهراتها في الرواية العربية، مجلة الميدان للدراسات الرياضية والاجتماعية والإنسانية، مج 3، ع 10، مارس 2020.
- 226- خلدون حسن النقيب، المشكل التربوي والثورة الصامتة، دراسة سوسولوجيا الثقافة في المستقبل العربي، عدد 1993.
- 263- رابسة محمود، الغربية في شعر حسن بكر الغزالي، مجلة تشرين للدراسات والبحوث العلمية، 1992، ع 1، م 14.
- 264- زغو محمد، أثر العولمة على الهوية الثقافية للأفراد والشعوب، كلية العلوم القانونية والإدارية، الشلف، الأكاديمية للدراسات الاجتماعية والإنسانية، عدد 4، 2010.
- 265- زياد محمد، بوشمة الهادي، الطعام والرباط الاجتماعي في مجتمع محلي متوسطي - دراسة أنثروبولوجية - مجلة الدراسات الاجتماعية والإنسانية، مجلة تصدر عن جامعة حسبية بن بولعيد الشلف، الجزائر.
- 266- سمية بن عمارة، منصور بن زاهي، الشعور بالاغتراب الاجتماعي لدى الشباب مستخدم الانترنت، دراسات نفسية تربوية، مخبر تطوير الممارسات النفسية والتربوية، جوان 2013، عدد 10.

- 267- شاعر عبد الحميد، الذات والآخر في عملية الابداع، مجلة سطور، ديسمبر، 1996.
- 268- عبد الله الشامي، إشكالية الهوية في إسرائيل، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، ع224، أغسطس 1978.
- 269- عزت جاد، سيميوطيقا التاريخ في ثلاثية غرناطة، مجلة النقد الأدبي، فصول، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، مصر، عدد66، 2005.
- 270- على وطفة، المظاهر الإغترابية في الشخصية العربية، مجلة عالم الفكر، الكويت، د.ط، 1998.
- 271- الفضل شلقات، اللغة والدولة المفقودة (الإنسان يسكن لغته)، مجلة النهضة، دار المعارف الجديدة، الرباط المغرب، ع9، 2019، 2014.
- 272- كبيش عبد الكريم، إشكالية الصراع الحضاري في مرحلة العولمة، مجلة الفكر، ع3، د. ت.
- 273- محمد عبدة بدوي، الشاعر والمدنية في العصر الحديث، عالم الفكر، 1988، م19، ع3.
- 274- نبيلة بونشادة، الشخصية من المستوى المحسوس على المستوى المجرد، مجلة المخبر (أبحاث في اللغة والأدب الجزائري) بسكرة، الجزائر، عدد7، 2011.

#### 7- الرسائل الجامعية:

- 275- إسعد فايزة، العادات الاجتماعية والتقاليد في الوسط الحضري بين التقليد والحداثة، رسالة دكتوراه (علوم)، اشراف: حجيج الجنيد، كلية العلوم الاجتماعية، قسم علم الاجتماع، جامعة وهران، 2010، 2011.

#### 6- المواقع الالكترونية:

- 276- أندري تيفلان، التعليم باعتباره ثقافة، تر لحسن بوتكلاي، ص01. ينظر:

WWW.Obabriabed-net- fikrwaouakd.htm.16/03/2019.11:00.

278-جمال نصار، قضايا الهوية الثقافية وتحديات العولمة، مركز الجزيرة للدراسات، 2015، شبكة الأنترنت، ص02. ينظر الموقع:

[http://studies.aljazeera](http://studies.aljazeera.net/issues/2015/01/201512895243715948.htm)

[Net/issues/2015/01/201512895243715948.htm](http://studies.aljazeera.net/issues/2015/01/201512895243715948.htm).01/01/2020.04:45.

279-مجلة البيان:

<https://www.albayan.ae/our-homes/2010-08-02-1.270434.25/01/2020.18:00>.

# فهرس الموضوعات

الصفحة	العنوان
	شكر وعرهان
أ-ز	مقدمة.....
<b>الفصل الأول: الهوية المصطلح والمفهوم</b>	
9-9	تمهيد.....
21-10	أولاً: مفهوم الهوية.....
10-10	1- لغة.....
21-10	2- اصطلاحاً.....
22-21	ثانياً: خصائص الهوية.....
47-23	ثالثاً- الهوية والمصطلحات المتداخلة.....
26-23	1- الهوية والأنا.....
33-26	2- الهوية والانتماء.....
42-33	3- الهوية والعمولة.....
45-42	4- الهوية والشخصية.....
47-45	5- الهوية والاعتراب.....
48-48	خاتمة.....
<b>الفصل الثاني: تجليات الهوية في رواية "كيف ترضع من الذئبة دون أن تعضك" لـ: "عمارة لخص"</b>	
49-49	تمهيد.....
71-50	المبحث الأول: الهوية والتاريخ في رواية "كيف ترضع من الذئبة دون أن تعضك" لعمارة لخص.....
54-50	أولاً: الأرض مكونا للهوية.....



60-54	ثانيا: الهوية/المكان.....
67-60	ثالثا: الهوية/ التنوع المكاني.....
71-67	رابعاً: الأحداث التاريخية.....
96-72	المبحث الثاني: الهوية اللغوية في رواية "كيف ترضع من الذئبة دون أن تعضك" لعمارة لخص.....
91-82	أولاً: الهوية اللغوية.....
85-83	1/ اللغة ومأزق الهوية.....
88-85	2/ التعدد اللغوي وتعدد الهوية.....
91-88	3/ الاسم حاملاً للهوية.....
96-91	ثانيا: مرجعية اسم العلم.....
94-92	1/ أسماء ذات طابع ديني.....
95-94	2/ أسماء ذات طابع أجنبي.....
95-95	3/ أسماء ذات طابع أدبي.....
96-95	4/ أسماء ذات طابع سياسي.....
114-97	المبحث الثالث: الهوية الاجتماعية في رواية "كيف ترضع من الذئبة دون أن تعضك" لعمارة لخص.....
101-97	أولاً: الطعام مكوناً للهوية.....
103-101	ثانيا: العادات والتقاليد مكوناً للهوية.....
111-103	ثالثا: الهوية والتنشئة الاجتماعية.....
114-111	رابعاً: القرابة وأزمة الهوية في الرواية.....
133-115	المبحث الرابع: الهوية الثقافية في رواية "كيف ترضع من الذئبة دون أن تعضك" لعمارة لخص.....

127-116	أولاً: الرمز مكوناً للهوية.....
116-116	1/الرمز الثقافي.....
120-117	2/الرمز الديني.....
123-120	3/الرمز الأسطوري.....
127-123	4/الرمز الأدبي.....
129-127	ثانياً: الثقافة الإعلامية ووعي الهوية.....
133-129	ثالثاً: الأمثال الشعبية مكوناً للهوية.....
134-134	خاتمة.....
<b>الفصل الثالث: تجليات الهوية في رواية "فضل الليل على النهار" لياسمينه خضرا</b>	
136-136	تمهيد.....
154-137	المبحث الأول: الهوية والتاريخ في رواية "فضل الليل على النهار" لياسمينه خضرا
144-137	أولاً: الأرض مكوناً للهوية.....
149-144	ثانياً: الهوية- المدينة.....
154-149	ثالثاً: الأحداث التاريخية.....
162-155	المبحث الثاني: الهوية اللغوية في رواية "فضل الليل على النهار" لياسمينه خضرا....
165-159	أولاً: الاسم حاملاً للهوية.....
161-160	1-الأسماء الأجنبية.....
162-161	2-أسماء ذات طابع ديني وموروث إسلامي.....
194-163	المبحث الثالث: الهوية الاجتماعية في رواية "فضل الليل على النهار" لياسمينه خضرا.....
165-163	أولاً/الطعام مكوناً للهوية.....
167-165	ثانياً/ المعتقدات مكوناً للهوية.....

169-167	ثالثاً/ العادات والتقاليد مكونا للهوية.....
175-169	رابعاً/ اللباس مكوناً للهوية.....
179-175	خامساً/ نسق العلاقات الإنسانية.....
186-179	سادساً/ الهوية والتنشئة الاجتماعية.....
194-187	سابعاً- القرابة مكونا للهوية.....
212-195	المبحث الرابع: الهوية الثقافية في رواية " فضل الليل على النهار" لياسمينه خضرا...
207-195	أولاً: الرموز مكونا للهوية.....
198-195	1-الرمز الديني.....
201-199	2-الرمز الثقافي.....
204-201	3-الرمز التاريخي.....
203-202	أ-رموز الأعلام التاريخية.....
204-203	ب-رموز الأماكن.....
207-204	4-الرمز الأدبي.....
211-207	ثانيا: الأمثال والحكم.....
212-212	خاتمة.....
<p>الفصل الرابع: تفاعل الأنا والآخر في روايتي "كيف ترضع من الذئبة دون أن تعضك" عمارة  لخوص "فضل الليل على النهار" لياسمينه خضرا</p>	
214-214	تمهيد.....
263-215	المبحث الأول: تفاعل الأنا المغتربة مع الآخر.....
248-225	أولاً: تفاعل الأنا المغتربة في رواية "فضل الليل على النهار" لياسمينه خضرا....
236-225	1-تفاعل يونس مع الآخر (البيئة الجديدة).....
245-236	2-تفاعل ماحي مع الآخر.....

248-245	3-تفاعل حدة مع الآخر.....
263-249	ثانيًا: تفاعل الأنا المغتربة في رواية" كيف ترضع من الذئبة دون أن تعضك" لعمارة لخص.....
253-249	1-تفاعل بازويز منصور صمدي مع الآخر.....
255-253	2-تفاعل إقبال أمير الله.....
257-255	3-تفاعل ماريا كريستينا غونزاليز.....
259-257	4-تفاعل يوهان فان مارتن.....
260-259	5-تفاعل عبد الله بن قدور.....
263-261	6-تفاعل أحمد سالمي/أمديو.....
277-264	المبحث الثاني: تفاعل "الفرنسي" مع الآخر.....
266-264	1-تفاعل جوناس مع الأنا المهاجرة.....
268-266	2-تفاعل إيميلي مع الأنا المهاجرة.....
270-269	3-تفاعل جيرمان مع الأنا المهاجرة.....
272-270	4-تفاعل جان كريستوف مع الأنا.....
273-272	5-تفاعل فابريس مع الأنا.....
274-273	6-تفاعل سيمون مع الأنا.....
276-274	7-تفاعل السيّدة كازيناف مع الأنا.....
277-276	8-تفاعل أندري مع الأنا.....
286-278	المبحث الثالث: تفاعل "الإيطالي" مع الآخر.....
280-278	1-تفاعل بندتا اسبوريثو مع الأنا.....
281-280	2-تفاعل إلزابتا فاياني مع الأنا.....
283-282	3-تفاعل أنطونيو ماريني.....
284-283	4-تفاعل ساندرودنديني.....
285-284	5-تفاعل ستيفانيا مسارو.....

286-285	6-تفاعل ماؤزو بتاريني.....
303-287	المبحث الرابع: أبرز تجليات الصراع في الروايتين.....
292-287	1- الصراع الديني.....
296-293	2-الصراع السياسي.....
300-296	3-الصراع الحضاري.....
301-301	خاتمة.....
306-303	خاتمة.....
330-308	قائمة المصادر والمراجع.....
337-332	فهرس الموضوعات.....
339-339	ملخص البحث.....

# ملخص البحث

(عربية - إنجليزية - فرنسية)

الملخص:

يروم هذا البحث إلى تسليط الضوء على قضية الهوية التي تُعدُّ من أبرز قضايا النظريات النقدية المعاصرة، ويهدف إلى رصد أهم تجلياتها عند كاتبين جزائريين، انطلق كل واحد منهما في تحديد مقومات الهوية من مرجعيات ثقافية، وفكرية، نفسية، واجتماعية، تتسم بالائتلاف حيناً، والاختلاف حيناً آخر، مما سمح بإقامة رؤية خاصة لكل واحد منهما، من خلال اللغة، العادات والتقاليد، الأرض، الأنا والآخر، باعتبارها ركائز الهوية في الروايتين.

**الكلمات المفتاحية:** الهوية، الأنا، الآخر، عمارة لحوص، ياسمينة خضرا.

**Abstract:**

This research aims to shed light on the issue of identity, which is one of the most prominent issues of contemporary critical theories, and to monitor the most important manifestations of two Algerian writers, each of whom set out to define the components of identity from cultural, intellectual, psychological, and social references, characterized by resemblance at times, and difference another time, which allowed a balance to be established between the vision of each of them, through language, customs and traditions, the land, the ego and the other, as the pillars of identity in the two novels.

**Keywords:** Identity, ego, otherness, imarat Lakhous “Lakhous building”, Yasmina Khadra.

**Résumé :**

Cette recherche tend à mettre en lumière la question de l'identité, maillon important de la théorie critique contemporaine qui a pour objectif de constater des représentations chez les deux écrivains (algériens). Chacun d'entre eux a tenté de déterminer les constituants identitaires en se rapportant à des référents culturels, idéologiques, psychologiques et sociales qui par moment s'entrelacent et par un autre divergent ce qui a permis une sorte d'équilibre entre les deux à travers, la langue, les mœurs et coutumes, la terre, le moi, l'autre tenant compte qu'ils soient des fondements identitaires dans les deux romans.

**Mots clés:**

L'identité, le moi, l'autre, Amara lakhous, Yasmina khadra.

République Algérienne Démocratique et Populaire  
Ministère de l'Enseignement Supérieur et de la Recherche Scientifique  
Université 8 Mai 1945 Guelma



Faculté : Des lettres et des langues  
Département : langue et littérature arabe  
Laboratoire de domiciliation : Etudes linguistique et littéraires

**THÈSE**  
**EN VUE DE L'OBTENTION DU DIPLOME DE**  
**DOCTORAT EN 3<sup>ème</sup> CYCLE**

Domaine : **Langue et littérature Arabe** Filière : Langue et littérature arabe  
Spécialité : littérature arab.

**Présentée par**  
**Nouhed hasni**  
*Intitulée*

**EMA NATIONS IDENTITAIRES DANS LE ROMAN ALGERIEN CAS DE AMRA  
LAKHOUS ET YASMINA KHDARA**

Soutenue le :

Devant le Jury composé de :

Nom et Prénom	Grade	université	Qualité
Mr Abdelaziz Boumahra	Professeur	Univ. de 8 mai 1945 Guelma	Présidet
Mr Miloud Guiddoum	Professeur	Univ. de 8 mai 1945 Guelma	Encadreur
Mr Mohamed Slougha	Professeur	Unive. de badji mokhtar annaba	Examineur
Mme Nadia Mouats	Maître de Conférence A	Univ. de 8 mai 1945 Guelma	Examineur
Mr Imad Charef	Maître de Conférence A	Univ. de M.CH.M souk ahras	Examineur
Mr Ali Torche	Maître de Conférence A	Univ. de 8 mai 1945 Guelma	Examineur

**Année Universitaire :2021/2022**